كلية الكون الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

رسالة الإسلام

كلية أصول الدين

مجلة شهرية إسلامية تصدر باللغتين العربية والانكليزية

المجلد الثاني

السنة الثانية الجزء الأول

الأعداد: ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦

من محاضرات الشيخ الآصفي

أ.د صبيح حمود التميمي
مركز البحوث والدراسات والنشر
كليّة الكوت الجامعة

بمناسبة صدور المجلد الثاني من تراث مجلة رسالة الاسلام / كلية أصول الدين الأولى، وذلك في غضون شهر تضحيات الامام الحسين (ع) واولاده واصحابه،

يسعدني أن أذكر طرفا من افكار أساتذة الكلية وأخصّ بالذكر فكر الشيخ محمد مهدي الآصفي أستاذ الفلسفة (قدّس سرّه) في رصده لتعامل الحسين (ع) وأنصاره مع الموت.

فأول ما رصده الشيخ استهانة الحسين (ع) وأصحابه بالحياة الزائلة وتوجههم الى الحياة الباقية (الآخرة)، هذه الاستهانة التي كانت نتيجتها استمرار ذكرهم إلى يومنا هذا وكأنهم أحياء معنا ، وسيبقون كذلك إلى يوم القيامة.

هذه الاستهانة والاستماتة من الامام الحسين (ع) وزمرته الصالحة جعلت الشيخ يرى أن الناس عند مواجهة الموت على أصناف ثلاثة:

- منهم من يواجه الموت بالجزع والخوف.
- ومنهم من يواجه الموت بالصبر والمقاومة وتحدّي الظالمين.
- ومنهم من يواجه بالشّوق الى لقاء الله تعالى

وإذا استعرضنا هذه الأصناف على حياتنا المعاصرة،

- فنجد النوع الاول واسع الانتشار بسبب تعلّق الناس بالدنيا الفانية، وعدم الاستعداد للآخرة ، لأنّهم لم يقدّموا شيئا لآخرتهم فنسوا الله تعالى.

والأمر الخطير في هذا الصنف أنهم فقدوا القدرة على المقاومة وتقرير مصير حياتهم بالشكل الحرّ، فهم قد فقدوا الوعي والشجاعة، فهم منقادون ذليلون للظالمين ولا يجد الطغاة صعوبة في السيطرة عليهم، وترويضهم.

- أما الصنفان الآخران فلم يجد الظالم سهولة في السيطرة عليهم لأنهم يقفون في وجه الظالم، كلّ بحسب قدرته.

علما أن الصنف الثالث فله امكانات تحويل عدم الانقياد والخضوع الى مواقف سياسية لتغيير الواقع وذلك بعد أن توحدت عواطفهم وارادتهم ومواقفهم وهذا هو سرّ حركة الامام وتوجهه من الحجاز الى كربلاء المقدّسة.

مع علمه ان كيان الطغاة أقوى وأنه سيقتل هو ومن مَعَه وأقواله وإشاراته واضحة ومنها (فَمن كان باذلا فينا مهجته موطّنا نفسه على لقاء الله فليرحل معنا.) وكذلك قوله (ع): (خُط الموت على ابن آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف (ع))

فالحسين أراد صُنع الحياة بالموت، وقد نجح بذلك مع استشهاده ومَن معه، ووصل إلى هدفه الرئيس وهو إلغاء شرعية خلافة بني أمّية التي تبجّحوا بها ، فتكاثرت عليهم الثورات الداخلية حتى أسقطوها.

وهنا لا بدّ لمعالجة حالة الجزع والخوف في الصنف الاول من خلال ترقيق علاقة الانسان بالدنيا، والاكثار من ذِكر الله تعالى وذكر الموت الذي لا بدّ منه، وترغيب النفس بلقاء الله تعالى، والاستعداد الى هذا اللقاء بالأعمال الصالحة، لينجو الانسان من مسايرة حالة الخوف والجزع من الموت، لأن في هذه المسايرة والمعايشة قد تتطور إلى الموقف المضاد ضدّ الحق.

كلية أصول الدين

الجزء الأول - التأسيس

أ.د. تحسين عبد الرِّضا الوزّان
مركز البحوث والدراسات والنشر
كليّة الكوت الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

((اقرأ * باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم *الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان مالم يعلم)) .

بهذه الآيات استهل الحجة السيّد مرتضى العسكري (قدّس سرُّه) إصدار أوّل عدد من أعداد مجلة رسالة الإسلام التي أصدرها طلاب كليّة أصول الدين في بداية صدورها يوم كانت الكليّة كليّة فتية، ولكن ما إن وقفت الكليّة على أقدامها كما يقولون، تحوّلت المجلة لأن تكون مجلة الكليّة رسميّا، هذه الآيات الكريمات هي أوّل ما نزل على نبيّ الرحمة، خاتم النبيين والمرسلين محمّد بن عبدالله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكأنها – الآيات- شعار للكليّة وإيذان الافتتاح.

بيّنت في تقديمي الجزء الأوّل من مجلة رسالة الإسلام، أنّ جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي تبنّت مشروعاً عقد يّا دعويّا، ألا وهو الانفتاح على الثقافة الإسلاميّة الحقّة ثقافة أهل بيت رسول الله (عليهم السلام)، وتبنّوا هذا المشروع الدعويّ، ونافحوا عنه بكلّ ما أوتوا من نفوس وأموال، ومن ضمن هذه المشروعات تأسيس كليّة أُصول الدين؛ كان الهدف الحقيقي من التأسيس، تخريج دعاة ينتشرون في بقاع الأرض، هذاهو الهدف الذي من أجله دافع عنه الدعويون ومعهم مؤسس الكليّة السيّد مرتضى

العسكري (رحمه الله) وهم من تلامذة الشهيد الأوّل محمّد باقر الصدر (طيّب الله ثراه)، وبحسب ما تسعفني به الذاكرة، كان شرط القبول في الكليّة فضلًا عن الشهادة الإعداديّة، على أساس أن يؤيد أحد علماء الدين من المعروفين في الحوزة العلميّة،للطالب المتقدِّم للقبول في الكليّة ،التزامه الدينيّ ،وإقامته الصلوات ،ومولاته لآل بيت النبيّ (عليم السلام)، وتمتعه بثقافة إسلاميّة تؤهله للقبول ،ويجرى للمتقدّم مقابلة شخصيّة تتضمن كل هذه وينظر بعد ذلك مجلس الكلية في شأن قبول المتقدم من عدمخ .وللعلم كان الدوام في الكلية مسائيا من الساعة الرابعة عصرا الى الساعة التاسعة مساء على وفق مناهج اعدت تناسب وطبيعة شعار الكلية .

لذا كان الأساتذة الأوائل في العلوم الشرعية هم كل من :

١- سماحة السيد مرتضى العسكري – وعين عميدا للكلية وتدريس مادة الحديث النبوي .
٢- سماحة السيد مهدي محسن الحكيم.
٣- سماحة السيد محمد باقر محسن الحكيم.
٤- سماحة الشيخ علي حسين الصغير.
٥- سماحة الشيخ محمد صادق الخالصي.
٦- سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي.
٧- سماحة الشيخ موسى السوداني.
٨- الداعية احمد امين (العراقي).

ثم التحق بعد ذلك كل من العلماء الاعلام:

١- الشيخ عارف البصري.

٢- السيد داود العطار.

كل هؤلاء بذروا البذرة الأولى لتأسيس الكلية وزاملهم في ذلك الوقت من أساتذة اللغة العربية وهم:

١- الأستاذ كمال إبراهيم.
٢- الدكتور احمد عبد الستار الجواري، فقد كان على علاقة حميمية بالعلامة الشيخ علي حسين الصغير.
٣- الدكتور عناد غزوان.
٤- الدكتور جواد أحمد علوش.
٥- الدكتور عبد الله الفياض ، لتدريس مادة التاريخ فيما بعد .
٦- الدكتور حسين علي محفوظ لتدريس مادة الحديث

وأكبت التأسيس من طريق والدي (عبد الرضا الوزان) الذي عليه في حينها مسجلا للكيلة ، وقد كان له الدور الكبير في استقدام أساتذة جامعة بغداد لعلاقته الرسمية بهم والشخصية ففي الوقت نفسه كان والدي يعمل مسجلا لكلية الآداب ولا ابالغ اذا قلت ان تاريخ والدي اقترن بكلية أصول الدين فكان حينما نذكر كلية أصول الدين يذكر معها والدي وبالعكس فقد صار معروفا بها ، وعرفت به . نعم عين مسجلا لمعرفتهم بدقته في عمله ، فضلا عن اتقانه له ، وولائه الى بيت رسول الله ، فهو معروف بهذه السمه ، وهذه السمه من الاخرين ممن يعملون معه في كلية الآداب وكليات الجامعات الأخرى .

ما إن أظل عام ١٩٦٤ م حتى نضجت فكرة تأسيس كلية أصول الدين لدى جمعية الصندوق الخيري الإسلامي ، وقد الفت لجنة من كبار علماء الدين وأساتذة جامعة بغداد، وقد استكملوا متطلبات التأسيس اذ وضعوا المناهج الدراسية والنظام ووجهوا خطابا الى

وزارة التربية وكانت هي الوزارة المعنية في ذلك الوقت بفتح الكلية ، اذ لا توجد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي يتضمن هذا الخطاب طلب تأسيس الكلية وكان ذلك في ١٩٦٤/٨/٢٥ .

ومما جاء في خطاب التأسيس على لسان رئيس الجمعية العلامة السيد مرتضى العسكري ما نصه: ،، لا يخفى عليكم النقص الكبير الموجود في المنهجية في العراق فيما يتعلق بالتخصص في علوم القران الكريم ، والحديث النبوي الشريف والعقيدة الإسلامية، وهذا النقص يشعر بيه المعنيون بهذه الدراسات ، وقد فكرنا في العمل ، فوجدنا مناهج كلية أصول الدين في الازهر الشريف خير ما يسد هذا النقص ... فهي تقدم الجمعية الى وزارتكم المحترمة راجية منحها الاجازة اللازمة لفتح كلية باسم (كلية أصول الدين) وقد اعدت العدة اللازمة من حيث المكان والاثاث والأساتذة ،،

وقد لاحظت الجمعية في حينها ان نظام كلية الفقه في النجف الاشرف انه مناسب في هذه المرحلة. وحددت الجمعية كذلك في خطابها الموارد المالية التي تعتمد بصورة عامة على موارد الجمعية فضلا عن الأجور الدراسية التي يدفعها الطلبة.

وبحسب مجريات العمل فقد احيل الطلب بأولياته الى رئاسة جامعة بغداد وذلك بتاريخ ١٩٦٤/٩/٨ ، فالجامعة هي كانت المعنية في تقديم المشورة للاعتراف فأحالت كتابها المؤرخ في ١٩٦٤/٩/١٩ الى وزارة التربية / مديرية التعليم العامة / الأهلي – مبينة فيه ان تستكمل الجهة المؤسسة أمورا كانت تتضمن أسماء أعضاء الهيئة التدريسية ومؤهلاتهم العلمية ، وان تدمج مناهج الدراسة للسنين الأربع ، صلاحية البناية التي ستشغلها الكلية .

ردت الجمعية بخطاب الى جامعة بغداد عن استكمال متطلبات التأسيس وكان ذلك بتاريخ ١٩٦٤/١٠/١١. وعلى غرار هذا الخطاب احالت جامعة بغداد الامر الى لجنة منبثقة من مجلس جامعة بغداد وقد نظرت في طلب الجمعية ودرسته دراسة مستفيضة وجاء بعد ذلك اوصت اللجنة بتاريخ ١٩٦٤/١٢/١٠ وصيتها بان جامعة بغداد لا تعارض في انشاء هذه الكلية التي تقوم على اهداف من تدارس المعرفة والتأكيد على الفضيلة والخلف القويم بما ينسجم ومصلحة المجتمع ويتسق مع اهداف الجامعة المنصوص عليها في قانونها.

يعد هذا الخطاب بمنزلة موافقة على فتح الكلية ، وفي هذه الاثناء ان الكلية قبلت عددا من الطلبة في الصف مستمرين على الدوام وكانوا بحدود خمسة عشر طالبا مثلوا الدفعة الأولى من الطلبة المقبولين في الكلية ، مع الإشارة الى ان كلية الفقة في النجف الاشرف كانت فاتحة أبوابها للطلبة أي ان تأسيسها كان قبل تأسيس كلية أصول الدين.

وفي عام ١٩٦٥ ، اعترفت وزارة التربية اعترافا رسميا بكلية أصول الدين فقد كلفت وزارة التربية جامعة بغداد بإجراء امتحانات لطلبتها والاشراف عليهم مباشرة . ثم صدر امر الاعتراف بها. وكان الاعتراف بالكلية قد سبق الاعتراف بكلية الدراسات الإسلامية التي اسستها الجمعيات الإسلامية مقابلة لكلية أصول الدين.

و أتذكر ان الوالد حدثني ان جامعة بغداد معجبة بأداء طلبة الكلية، وبالتزامهم ، وتأدية واجباتهم الدراسية . فقد كانوا راضين عنها تمام الرضا.

توافد الطلبة على الكلية للقبول فيها في العام الدراسي الثاني للتأسيس ولغرض منح وزارة التربية للاعتراف بالكلية ،فقد فتحت صفا في السنة الثانية اسمته صفا تحضيريا لحين الاعتراف . وقد ذكرت انفا ان الكلية قد نجحت في هذا الاختبار.

لتزايد الاعداد التي قدمت للقبول في الكلية فقد قبلت الكلية عددا محدودا منهم بما يتناسب المكان ، والصفوف الدراسية المتوافرة والبناية .

اختارت الكلية لبنايتها بيتا صغيرا في بادئ الامر في منطقة الكرادة الشرقة / داخل ثم توسعت بعد ان اشترت الجمعية بناية كبيرة كانت تشغلها نقابة المعلمين حينذاك.

تمنح الكلية شهادة البكالوريوس في علوم القران وكانت هذه السمة هي بداية افتتاحها، وقد ذكرت في تقديم الجزء الأول ان سوق العمل اقتضى ان تكون الشهادة التي تمنح لمتخرجيها (بكالوريوس في علوم القران واللغة العربية) وهكذا تخرج في الكلية أجيال من المدرسين الجيدين الحريصين على تدريس هذه المواد الدراسية وبذا صار لهم مواطئ قدم في الوظيفة الحكومية .

يليه الجز الثاني

كلية أصول الدين

الجزء الأول - التأسيس

أ.د. تحسين عبد الرِّضا الوزّان
مركز البحوث والدراسات والنشر
كليّة الكوت الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

((اقرأ * باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم *الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان مالم يعلم)) .

بهذه الآيات استهل الحجة السيّد مرتضى العسكري (قدّس سرُّه) إصدار أوّل عدد من أعداد مجلة رسالة الإسلام التي أصدرها طلاب كليّة أصول الدين في بداية صدورها يوم كانت الكليّة كليّة فتية، ولكن ما إن وقفت الكليّة على أقدامها كما يقولون، تحوّلت المجلة لأن تكون مجلة الكليّة رسميّا، هذه الآيات الكريمات هي أوّل ما نزل على نبيّ الرحمة، خاتم النبيين والمرسلين محمّد بن عبدالله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكأنها – الآيات- شعار للكليّة وإيذان الافتتاح.

بيّنت في تقديمي الجزء الأوّل من مجلة رسالة الإسلام، أنّ جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي تبنّت مشروعاً عقد يّا دعويّا، ألا وهو الانفتاح على الثقافة الإسلاميّة الحقّة ثقافة أهل بيت رسول الله (عليهم السلام)، وتبنّوا هذا المشروع الدعويّ، ونافحوا عنه بكلّ ما أوتوا من نفوس وأموال، ومن ضمن هذه المشروعات تأسيس كليّة أُصول الدين؛ كان الهدف الحقيقي من التأسيس، تخريج دعاة ينتشرون في بقاع الأرض، هذاهو الهدف الذي من أجله دافع عنه الدعويون ومعهم مؤسس الكليّة السيّد مرتضى

العسكري (رحمه الله) وهم من تلامذة الشهيد الأوّل محمّد باقر الصدر (طيّب الله ثراه)، وبحسب ما تسعفني به الذاكرة، كان شرط القبول في الكليّة فضلًا عن الشهادة الإعداديّة، على أساس أن يؤيد أحد علماء الدين من المعروفين في الحوزة العلميّة،للطالب المتقدِّم للقبول في الكليّة ،التزامه الدينيّ ،وإقامته الصلوات ،ومولاته لآل بيت النبيّ (عليم السلام)، وتمتعه بثقافة إسلاميّة تؤهله للقبول ،ويجرى للمتقدّم مقابلة شخصيّة تتضمن كل هذه وينظر بعد ذلك مجلس الكلية في شأن قبول المتقدم من عدمخ .وللعلم كان الدوام في الكلية مسائيا من الساعة الرابعة عصرا الى الساعة التاسعة مساء على وفق مناهج اعدت تناسب وطبيعة شعار الكلية .

لذا كان الأساتذة الأوائل في العلوم الشرعية هم كل من :

١- سماحة السيد مرتضى العسكري – وعين عميدا للكلية وتدريس مادة الحديث النبوي .
٢- سماحة السيد مهدي محسن الحكيم.
٣- سماحة السيد محمد باقر محسن الحكيم.
٤- سماحة الشيخ علي حسين الصغير.
٥- سماحة الشيخ محمد صادق الخالصي.
٦- سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي.
٧- سماحة الشيخ موسى السوداني.
٨- الداعية احمد امين (العراقي).

ثم التحق بعد ذلك كل من العلماء الاعلام:

١- الشيخ عارف البصري.

٢- السيد داود العطار.

كل هؤلاء بذروا البذرة الأولى لتأسيس الكلية وزاملهم في ذلك الوقت من أساتذة اللغة العربية وهم:

١- الأستاذ كمال إبراهيم.
٢- الدكتور احمد عبد الستار الجواري، فقد كان على علاقة حميمية بالعلامة الشيخ علي حسين الصغير.
٣- الدكتور عناد غزوان.
٤- الدكتور جواد أحمد علوش.
٥- الدكتور عبد الله الفياض ، لتدريس مادة التاريخ فيما بعد .
٦- الدكتور حسين علي محفوظ لتدريس مادة الحديث

وأكبت التأسيس من طريق والدي (عبد الرضا الوزان) الذي عليه في حينها مسجلا للكيلة ، وقد كان له الدور الكبير في استقدام أساتذة جامعة بغداد لعلاقته الرسمية بهم والشخصية ففي الوقت نفسه كان والدي يعمل مسجلا لكلية الآداب ولا ابالغ اذا قلت ان تاريخ والدي اقترن بكلية أصول الدين فكان حينما نذكر كلية أصول الدين يذكر معها والدي وبالعكس فقد صار معروفا بها ، وعرفت به . نعم عين مسجلا لمعرفتهم بدقته في عمله ، فضلا عن اتقانه له ، وولائه الى بيت رسول الله ، فهو معروف بهذه السمه ، وهذه السمه من الاخرين ممن يعملون معه في كلية الآداب وكليات الجامعات الأخرى .

ما إن أظل عام ١٩٦٤ م حتى نضجت فكرة تأسيس كلية أصول الدين لدى جمعية الصندوق الخيري الإسلامي ، وقد الفت لجنة من كبار علماء الدين وأساتذة جامعة بغداد، وقد استكملوا متطلبات التأسيس اذ وضعوا المناهج الدراسية والنظام ووجهوا خطابا الى

وزارة التربية وكانت هي الوزارة المعنية في ذلك الوقت بفتح الكلية ، اذ لا توجد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي يتضمن هذا الخطاب طلب تأسيس الكلية وكان ذلك في ١٩٦٤/٨/٢٥ .

ومما جاء في خطاب التأسيس على لسان رئيس الجمعية العلامة السيد مرتضى العسكري ما نصه: ،، لا يخفى عليكم النقص الكبير الموجود في المنهجية في العراق فيما يتعلق بالتخصص في علوم القران الكريم ، والحديث النبوي الشريف والعقيدة الإسلامية، وهذا النقص يشعر بيه المعنيون بهذه الدراسات ، وقد فكرنا في العمل ، فوجدنا مناهج كلية أصول الدين في الازهر الشريف خير ما يسد هذا النقص ... فهي تقدم الجمعية الى وزارتكم المحترمة راجية منحها الاجازة اللازمة لفتح كلية باسم (كلية أصول الدين) وقد اعدت العدة اللازمة من حيث المكان والاثاث والأساتذة ،،

وقد لاحظت الجمعية في حينها ان نظام كلية الفقه في النجف الاشرف انه مناسب في هذه المرحلة. وحددت الجمعية كذلك في خطابها الموارد المالية التي تعتمد بصورة عامة على موارد الجمعية فضلا عن الأجور الدراسية التي يدفعها الطلبة.

وبحسب مجريات العمل فقد احيل الطلب بأولياته الى رئاسة جامعة بغداد وذلك بتاريخ ١٩٦٤/٩/٨ ، فالجامعة هي كانت المعنية في تقديم المشورة للاعتراف فأحالت كتابها المؤرخ في ١٩٦٤/٩/١٩ الى وزارة التربية / مديرية التعليم العامة / الأهلي – مبينة فيه ان تستكمل الجهة المؤسسة أمورا كانت تتضمن أسماء أعضاء الهيئة التدريسية ومؤهلاتهم العلمية ، وان تدمج مناهج الدراسة للسنين الأربع ، صلاحية البناية التي ستشغلها الكلية .

ردت الجمعية بخطاب الى جامعة بغداد عن استكمال متطلبات التأسيس وكان ذلك بتاريخ ١٩٦٤/١٠/١١. وعلى غرار هذا الخطاب احالت جامعة بغداد الامر الى لجنة منبثقة من مجلس جامعة بغداد وقد نظرت في طلب الجمعية ودرسته دراسة مستفيضة وجاء بعد ذلك اوصت اللجنة بتاريخ ١٩٦٤/١٢/١٠ وصيتها بان جامعة بغداد لا تعارض في انشاء هذه الكلية التي تقوم على اهداف من تدارس المعرفة والتأكيد على الفضيلة والخلف القويم بما ينسجم ومصلحة المجتمع ويتسق مع اهداف الجامعة المنصوص عليها في قانونها.

يعد هذا الخطاب بمنزلة موافقة على فتح الكلية ، وفي هذه الاثناء ان الكلية قبلت عددا من الطلبة في الصف مستمرين على الدوام وكانوا بحدود خمسة عشر طالبا مثلوا الدفعة الأولى من الطلبة المقبولين في الكلية ، مع الإشارة الى ان كلية الفقة في النجف الاشرف كانت فاتحة أبوابها للطلبة أي ان تأسيسها كان قبل تأسيس كلية أصول الدين.

وفي عام ١٩٦٥ ، اعترفت وزارة التربية اعترافا رسميا بكلية أصول الدين فقد كلفت وزارة التربية جامعة بغداد بإجراء امتحانات لطلبتها والاشراف عليهم مباشرة . ثم صدر امر الاعتراف بها. وكان الاعتراف بالكلية قد سبق الاعتراف بكلية الدراسات الإسلامية التي اسستها الجمعيات الإسلامية مقابلة لكلية أصول الدين.

و أتذكر ان الوالد حدثني ان جامعة بغداد معجبة بأداء طلبة الكلية، وبالتزامهم ، وتأدية واجباتهم الدراسية . فقد كانوا راضين عنها تمام الرضا.

توافد الطلبة على الكلية للقبول فيها في العام الدراسي الثاني للتأسيس ولغرض منح وزارة التربية للاعتراف بالكلية ،فقد فتحت صفا في السنة الثانية اسمته صفا تحضيريا لحين الاعتراف . وقد ذكرت انفا ان الكلية قد نجحت في هذا الاختبار.

لتزايد الاعداد التي قدمت للقبول في الكلية فقد قبلت الكلية عددا محدودا منهم بما يتناسب المكان ، والصفوف الدراسية المتوافرة والبناية .

اختارت الكلية لبنايتها بيتا صغيرا في بادئ الامر في منطقة الكرادة الشرقة / داخل ثم توسعت بعد ان اشترت الجمعية بناية كبيرة كانت تشغلها نقابة المعلمين حينذاك.

تمنح الكلية شهادة البكالوريوس في علوم القران وكانت هذه السمة هي بداية افتتاحها، وقد ذكرت في تقديم الجزء الأول ان سوق العمل اقتضى ان تكون الشهادة التي تمنح لمتخرجيها (بكالوريوس في علوم القران واللغة العربية) وهكذا تخرج في الكلية أجيال من المدرسين الجيدين الحريصين على تدريس هذه المواد الدراسية وبذا صار لهم مواطئ قدم في الوظيفة الحكومية .

يليه الجز الثاني

رسالة الإسلام

كلية أصول الدين

كلية أصول الدين

السنة

الثانية

العددان ١ و ٢

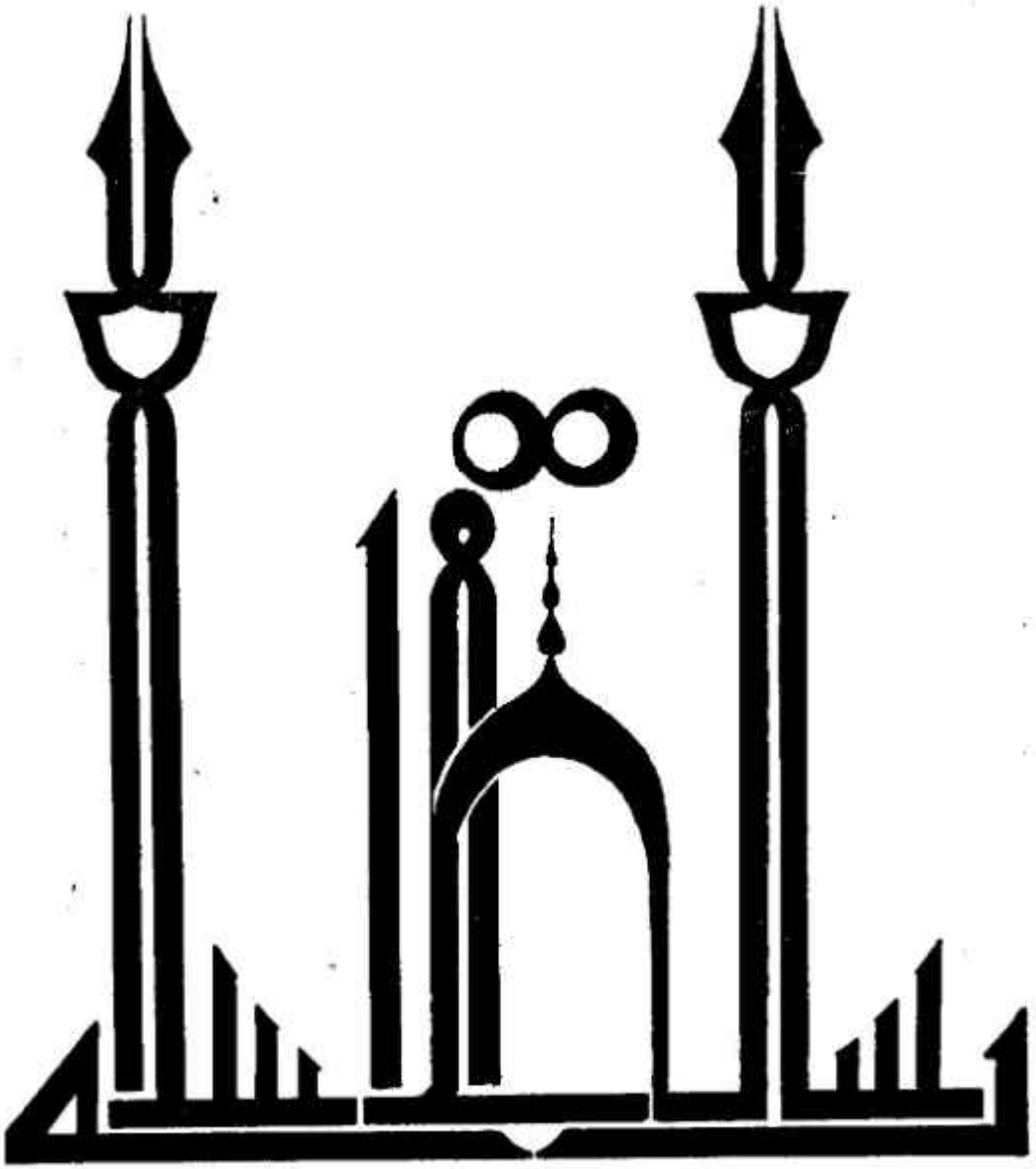

مطبعة المعارف ـ بغداد

رسالة الإسلام

مجلة شهرية فكرية تصدر باللغتين العربية والانكليزية

تصدر عن

كلية أصول الدين

بغداد

رئيس التحرير

عدنان الباكاء

تلفون : ٩٤٥٢٢

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الحوالات المالية

باسم

الحاج عبد الامير الحاج سعيد

الشيخ عباس

شورجة - خلف الطاق

بدل الاشتراك

داخل العراق : دينار واحد

خارج العراق : دينار ونصف

للمؤسسات الرسمية : ديناران

الصفحة	الموضوع

٥	رسالتنا
	كلمة التحرير ـ (الصحافة والمعترك الفكري الراهن) الزندقة والزنادقة
٢٦	الخلافة العباسية في عهد البويهيين
٤٩	قال وقلت
٥٣	مبدأ الاباحة العامة في الثروات الطبيعية
٦٧	الحاكم الاسلامي بعد زمن المعصوم
٨٢	حصاد الحضارة المادية
٩٢	كتب وآراء في الميزان : منهاج الانقلاب الاسلامي للاستاذ المودودي
١٠١	اكبر والهند
١٣٠	رباعيات : من وحي الحج
١٣٣	من وراء النافذة
١٣٧	التفسير في عصر الصحابة والتابعين
١٣٨	فتاوى تهمك : مسائل متفرقة اجاب عليها المرجع الاسلامي الاعلى الامام الحكيم
١٥٢	الدعوة الى اللغة العامية وعلاقتها بالتبشير والاستعمار
١٦٩	من هم اهل الكتاب
١٧٨	اخبار اسلامية
١٨٦	حول العالم الاسلامي ـ شنقيط ـ
١٩١	مواقف جريئة
١٩٥	ملتقى الآراء
٢٠٧	شؤون الجمعية ـ اخبار مؤسسات الجمعية الثقافية والصحية

العبارات وتنمية العامل الداخلي

جاء في عدد سابق ان الاسلام ، لا يعتمد السلطة الزمنيـــة ، كضمان وحيـــد لتنفيذ احكامه ، وفـــرض تشريعاته ، كما هو بالنسبة للقوانين الوضعية بصورة مطلقة ، وانما يعتمد مضافا اليها ما يقيمه في صميم الفرد من وازع داخلي ، يقف به دائما داخل اطـــار قيمـه ، وضـــمن حـــدود تشريعه .

ومسالة القدرة على ايجاد هـــذا الوازع في دخيلة الفرد مسالة قـــد تشترك بها من حيث المبدأ جميـــع الاديان بطبيعة عقيدتها بالالوهيـــة والجزاء وغيرهما مما تفقد مثله العقائد المادية ، الا أن الذي افاد من هـــذا الوازع على مستوى اوسع واكبر ، واستطاع ان يجعل منه قوة حقيقية فعالة لا تقتصر في عملها على الجوانب السلبية فقط ، وانمـــا تتعداها الى الصعيد الايجابي دفعا الى العمل . ومشاركة في حركة الحياة ، وتحمـــلا للمسئولية فيها . ان الذي استطاع أن يفيد منه على هذا المستوى هـــو الاسلام فقط .

ويرجع ذلك ـ فيمـا نرى ـ الى اسباب توفر عليها دون بقية الديانات منهـا .

اولا ـ أن الاسلام وحده من بين الاديان المعـــروفة تجاوز الحـــدود الكهنوتية الى مسائل الحياة ، وقضايا المجتمع فتناولها على اساس انها مهمته في الحياة ومسئوليته فيها وهـــذا يؤدي الى نتيجتين هامتين في هـــذا المجال هما :

أ ـ ان الاسلام بتناوله قيـــادة المجتمع ، وتوجيه الحياة حمى بذلك البناء الداخلي للفرد من أن يتاثر في واقع موضوعي مغاير نتيجة للاحتكاك بحياة حضارية واجتماعية تخالف في اسسها وركائزها ما يتبناه الاسلام في هذا المجال ، وهي المفارقة العجيبة التي وقعت فيها الديانات القائمـــة فعلا ، فليس من المعقول أن تســـير العمليـــة التربوية الخاصة ، التي يستهدفها الدين ، ضمن واقع مناقض لها من هذه الناحية .

ب ـ جعل كل قضايا الحياة عملا دينيا ، فليس هناك فاصل بين عمل الدين ، وعمل الدنيا ، فافعال الانسان

ونشاطاته كلها محكومة لله سبحانه ، وبهذا يسقط سلطان العامل الداخلي على مختلف ضروب السلوك الانساني .

ثانيا ـ عني ضمن تشريعه بتثبيت سلطان الوازع الداخلي ، وتركيزه ، فمضافا الى حمايته له من الخارج ، فان ما يسوده من اجواء ثقافية واجتماعية وما يخلقه من مناخ روحي في كثير من المناسبات كفيل بتعميق اثر هذا الدافع ، وتعضيد نفوذه وابراز سلطانه في سلوك الفرد والمجتمع .

العبادات

وقد كان للعبادات الاسلامية ، بما شرعت عليه من نظام فريد وكيفية رائعة صلاة ، وصوما ، وحجا ، اثر لا يجهل في اعطاء العامل الداخلي هيمنته الفاعلة ، وسطوته الموجهة فالصلاة في بنائها الاسلامي القائم ، بما تحتوى عليه من افعال ، واذكار ، وفي توزيعها على اليوم كله بهذا الشكل وفي ايحاءآتها النفسية ذات الاثر الكبير جدا في تثبيت الشعور بالرقابة الغيبية في وجدان المسلم ، واعماق ضميره ، وفي تحسيسه بصورة مستمرة بموضعه كعبد لله يعيش دائما في قبضته ، وفي سلطانه ، وجعله يستشعر هذه الرقابة ، وهذا السلطان في مجال علاقاته الاجتماعية وفي علاقته بالقانون .

ولا يقل الصوم ، والحج في اثرهما من هذا الجانب عن الصلاة بل لعل لهما من اجوائهما الخاصة ، وكيفيتهما المعينة ، ما يجعلهما اعمق تأثيرا في هذاهما الخاص .

ان فاعلية العبادات في غلغلة القيم الاسلامية ، في ضمير المسلم أدى الى أن يمتزج بها ـ في الاوضاع الملائمة ـ بشكل لا نرى أن له نماذج مشابهة في ديانات اخرى ، بدرجة اصبح ينبعث عنها ـ في كثير من الاحيان ـ انبعاثا طبعيا ، دونما احساس بالزام قانوني أو غيره .

وقد ذكر القرآن الكريم في بعض آياته العظيمة آثار العبادات في تفكير المسلم ، وفي سلوكه ، وفي صياغة شخصيته ، قال تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

وقال سبحانه : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

ان قيمة العبادات ، وسرها من هذه الناحية يتمثل في تحقيقها الارتباط الوجداني بالله تعالى ، بصورة مستمرة ، واحضارها لدى الذهن المعاني التي تفرضها علاقة العبودية له سبحانه .

ويتاكد هذا المعنى كلما تكرر اللقاء بالله ، وكثرت العبادة ولهذا لم يقف الاسلام بها عند حدود الواجب منها « فالصلاة خير موضوع فمن شاء استقل ومن شاء استكثر » ورغب في

التنفل بالصوم ، والحج ، وحبب قراءة الادعية وغير ذلك من اعمال عبادية اخرى تحقق غايته السابقة .

ان عبادة الله سبحانه ، كما هي في واقعها ، وكما لمسناها في تاريخ الانبياء والائمة خير عون على الاضطلاع بالمسؤولية والقيام بالواجب .

ان الارتباط بالله يحمل بشكل طبيعي على الالتزام بدينه ، ولهذا لم نجد بين أولياء الله من قبع في بيته مؤثرا السلامة والدعة على مواجهة الواقع الفاسد ، وتكرار المحاولة في سبيل تقويمه بما يمكنه من وسائل واساليب .

جعل الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتا للاخلاص والحج تشييدا للدين ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مصلحة للعامة .

فاطمة الزهراء (ع)

كلمة التحرير

الصحافة والغزو الفكري الراهن

عدنان البكاء

في المعترك الدائر بعنف بين الاسلام وخصومه على اختلافهم ، على الصعيد الفكري والقيمي – في الواقع الراهن – تصير الصحافة من اهم اسلحة المعركة قوة ومن اعظمها خطرا فهي في صلتها المباشرة بالامة بصورة دائمة ، وفي حيويتها وخلقها ، واقبالها في العرض والعطاء ونوع ارتباطها وصلتها ممتازة في التاثير على الامة ، وقلب محتواها ، وتوجيهها .. مع الالتزام الوجوبية اللازمة .

ولذلك راينا الدول جميعا تعمل على استغلال اعلامها واتجاهاتها ، ومواقفها من الحياة الدولية بغية ايمان الصحافة ، كجزء هام من وسائل اعلامها ، الداخل والخارج ، تصميمها للدعاية والتوجيه وتخذها الدفاع ، والتبرير وتملي فيها ما تريد اعلانه في هذا المجال او ذاك .

وعنيت بها الدعوات الاجتماعية والاحزاب السياسية المختلفة مسرعا تتجه فيها الى اذهان الناس وسبيلا للتعبير عن طريقها مقولاتها ، وافكارها في شؤون الناس ، ومسائل الحياة .

وهي تتعرض الصحافة الرائجة فعلا ، وتصنفها حسب طاقتها ، وعلى اساس منهجها ، في عرض الافكار ، والتعامل مع الواقع نجدها على قسمين :

١ ـ الصحافة الهادفة الملتزمة ٠
٢ ـ الصحافة غير الهادفة ٠

وتتميز الاولى بالتزامها وجهة نظر معينة تطبع أغلب ان لم يكن جميع محتوياتها مقالات واخبارا وتعليقات والسمة البارزة في مثلها عادة انها يطغى عليها التوجيه دائما ، ضمن اطار الفكرة الملتزمة ، ولذلك فلمثل هذه الصحافة هوية مميزة ، وصبغة خاصة ، تعرف بها ، وتنسب اليها ٠

اما الثانية ، فهي لا تلتزم الا ما تمليه ظروفها أو قل مصالحها فهي لذلك تواكب دائما الجو الفكري والسياسي ، والاجتماعي ، متحررة ما يجعلها اكثر رواجا ، واوسع انتشارا ، وبالتالي اعظم ربحا ٠

ومن هنا فهي لا تجد غضاضة في ان تمدح اليوم ما ذمته امس ، وان تتبنى اليوم ما ترفضه غدا ، ولا تجد مجافاة في ان تكون منبرا ، لدعوات متناقضة ، واتجاهات متقابلة ولكل من هذين الاتجاهين في الصحافة آثار خاصة في حياة الامة ، وافاعيل معينة على بنيتها العقائدية ، والاجتماعية ٠

فالقسم الاول منها ، باعتباره يمارس عملية دعوة في المجتمع ، يعمل على تقبيلها ونشر افكارها ، ثم ازالة ما يعترضها من مسبقات فكرية وثقافية ، وقيمية تكون خطورته ـ اذا كان مخالفا للاتجاه الاسلامي ـ كبيرة جدا ، فهو بطبيعة التزامه يستهدف عقيدة الامة ، ومقولاتها الفكرية والاخلاقية وبالتالي محاولة الاطاحة ببنيتها القائمة بجميع ركائزها ، ومكوناتها ٠

اما الثانية : فهي لا تزيد ، على ان تمكن للواقع الراهن في حياة الامة وتعمل على تثبيت قيمه ، ومفاهيمه ، وبذلك فهي تسهم في تضليل الامة عما يكمن في الواقع من اسواء ، ويملؤه من مفارقات وبالآخرة تعطل حركة وعيها ، وبصرها بانحرافه ، وفساده٠

وللصحافة بصورة عامة اثر آخر على الامة ، قد لا يقل في مدى خطورته عما سبق ان عرضناه ، فهي ، باعتبارها مرآة تعكس أوضاع العالم ـ في الواقع الراهن ـ في الجوانب العلمية ، والفكرية والاجتماعية ، والسياسية ، وغيرها ، وسيلة من اهم وسائل الاحتكاك الحضاري بين الامم على اختلاف مبادئها ، واوضاعها من هذه الناحية ٠

وقد يكون هذا مفيدا ونافعا ، بل هو قطعا كذلك ، بالنسبة لامة تعي ذاتها ، وتعيش مقوماتها وتتمتع بمتانة بنية من الناحية الفكرية والخلقية ، تمنحها حصانة ضد الانتكاس والانهيار فذلك ـ ولاشك ـ يزيدها بصرا بما حولها ، ويمنحها معرفة افضل للواقع يجعلها اكثر تقديرا لموضعها من العالم ، وأدق حيطة لما يلفها من احداث ٠ ولكنه من الجهة الاخرى ، خطر لا نظير له ، وبخاصة بالنسبة للامم الضعيفة المغلوبة على امرها ، الامم التي منيت بظروف ابعدتها عن قاعدتها الفكرية وقطعتها عن تاريخها الحضاري ، ذلك لانها ستتعرض ـ بصورة تدريجية ـ للتاثر فالتقليد ، فالذوبان ٠ وهذا ما حدث فعلا ـ وللاسف ـ بالنسبة

لاغلب ابناء امتنا ، فانت لا تجد شيئا مما يظهر في الشرق او الغرب من انماط فكرية ، او سلوكية الا وقد انتشر بسرعة بين الكثير من ابناء امتنا ، انتشارا يكشف عن تفاهة ومتاهة عجيبتين ، وقد يمكن ان يهون الخطب قليلا لو ان هذه الصحف نقلت ما نقلت بقصد ان نعرف ونطلع حسب ، في عرض يوحي بالاطمئنان على قيمنا وعقائدنا ، او لو عنيت بالتعليق الواعي وراء ما تنقله مما يجافي قيمنا ، ومفاهيمنا ، بما يكشف قيمة ركائزنا من هذه الناحية ويبعد عنا اثار المفاهيم الغريبة وايحاءاتها الضارة ولكن المسألة تبدو على العكس انه لا يعرض ما يعرض - في الغالب الاحيان - الا الاقتداء ، ولا ينقل ما ينقل الا للتقليد .

فانت لا تكاد ترى فيما يعرض من نظريات ضالة ومعايير فاسدة ، وسلوك منحرف شاذ الا ما هو مؤطر باطار التقدمية ، والعلم ، او غير ذلك من الخلفة مستعارة اخرى .

وهو امر طبيعي بالنسبة لصحافة تنطلق من الاوضاع القائمة قاعدة ، ومنطلقا ، او بالنسبة لاخرى تفقد اساسا كل قاعدة وكل منطلق .

تجار الحرف

ان اقبال الناس على القراءة وشغفهم بالاطلاع فعلا جعل اصدار الصحف والمجلات ، وسيلة من وسائل التجارة المربحة ، وسبيلا من سبل المال الوفير ، ومن هنا تبارى تجار الحرف يحشدون الاسواق بما يتملق اهواء الناس ، ويشبع فضولهم شكلا وموضوعا .

وليس ثمة من قرائنا - فيما احسب - من لم يستعرض اسواق الكتب ، ودور النشر ، ليرى العدد الهائل من المجلات المختلفة ، مما يتدفق علينا من هنا ، وهناك ، وفي هذه ما لا تكاد تجد فيها الا الملتقطات الداعرة ، والاوضاع المثيرة ، يلتقطونها التقاطا من البلاجات والكابريهات ، والسينمات ، والحفلات الفاسقة التي يقيمها المنحللون والاباحيون ، او غير ذلك من مواطن الفساد ، ومواضع العفن في البلاد الاجنبية الكافرة ، او المتأثرة بها ، والضالعة في طريقها .

ومن الصعب حقا ، وانت تستعرض ذلك ان تفهم هدفا لمثل هذه المجلات غير التحليل الجنسي والاثارة الحيوانية ، وبالتالي الايحاء بالخروج على الضوابط الاجتماعية ، وتجاوز النظام الاخلاقي . وتهوين امر العفاف والشرف والكرامة .

وقد لا يكون بعيدا ان البعض من هؤلاء مسخر لهذه الغاية ، فنشر الفساد - كما عرفنا - من التاريخ ، وسيلة من الوسائل التي يعتمدها الاستعمار دائما لهدم الامم ، وازالة حصانتها وتمييع قوتها ، وصرفها عن الهموم الكبيرة والغايات العالية .

وقد يكون البعض مجرد تاجر من اولئك التجار الجشعين لا يهمه الا ان يكسب المال حتى ولو كان على حساب وجود الامة ، واخلاقها ، واستقرارها النفسي والاجتماعي .

واذا كنا يمكن ان نفهم دوافع المصدرين لامثال هذه المجلات ، والقائمين عليها ، فاننا لا نفهم اطلاقا مبررات سكوت المسؤولين في بلادنا عن وجودها ، وانتشارها .

ان منع هذه الصحف ، والحيلولة بينها وبين ابناء الامة امر يفرضه الحرص على صيانة الامة والحفاظ على قيمها وخلقها ، وتراثها امر تفرضه وقاية شبابنا من التحلل والضياع والانهيار ، على انه يبقى بعد ذلك امر لابد من الالتفات اليه في عملية انقاذ الامة ، وابعادها عن شرور امثال تلكم الصحافة هذا الامر هو اشباع حاجتها للقراءة ، والاطلاع وملأ فراغها من هذه الناحية ، باصدار جرائد ومجلات ، تحمل الطابع الاسلامي وتعبر عن وجهة النظر الاسلامية وتنشر تراثنا الحضاري ، والعلمي ، ثم تتابع احداث العالم ووقائعه المهمة، في المجالات المختلفة علمية وسياسية واجتماعية واقتصادية ، وغيرها . عارضة ـ لما يستحق منها ـ بالنقد متناولة لها بالتقييم ـ ١٠مبرزة رأي الاسلام في قضايا الساعة ، واحداثها المهمة بذلك تتركز القاعدة الفكرية للامة . وتصان اصالتها وتأمن التأثر ، والاندماج بحضارات مغايرة أخرى. ان ذلك لا يمنع اطلاقا من ان تتنوع الصحافة عندنا ، ولا ينقص اطلاقا من خفة ظلها ، وظرافة محتواها ، فهي لا تفقد ، مما هو موجود فعلا الا ما كان ذريعة لفساد ، أو دعوة لضلال . وهو ما لا اخال ان هناك من يناقش في صوابه ، ممن يعنيهم حقا امر الامة . ويهمهم مستقبلها . فبهذا ستبقى الصحافة النقية البناءة ستبقى صحافة العلم والادب ، والفن وصحافة السياسة والاجتماع ، وستبقى هذه كلها تخدم في حقولها، ضمن اطار القيم الاسلامية والمفاهيم الاسلامية .

انها مسألة قد تثير استغراب البعض ، بل قد تحمل بعضهم على ان يزم شفتيه ، استخفافا ويزوي حاجبيه نفورا ، ولكنها رغم ذلك طبيعية جدا عادية جدا فعليها تسير فعلا دول كثيرة نعم دول كثيرة ، انها الدول الاشتراكية فلا يسمح هناك ان تنشر الصحف ما يناقض العقيدة الشيوعية أو يتجاوز بندا من بنودها .

انها قضية يفرضها الحفاظ على المبدأ ، ويفرضها الحفاظ على الامة ، اصيلة قوية ، منيعة ناشطة . وهذا ما نريده بالنسبة للاسلام .

أو ليس هو عقيدة الامة وشريعتها ؟

انه امر طبيعي ، اما غيره فهو الشذوذ ، غير ان الشذوذ الذي الفناه ، والانحراف الذي رافقناه فشكل حياتنا ، وطبع واقعنا هو الذي يجعلها على هذا المستوى من الغرابة ، وهذا المدى من البعد .

الواقع لا الامنية

واذا كانت القضية بهذا المستوى ـ في مثل هذا الواقع ـ لا تزال امنية ، وستبقى الى ما شاء الله فلا أقل من ان نوفر للصحافة الاسلامية الموجودة فعلا مقومات الحياة ،

وامكانات النجاح لتستهوى القارىء ، وترضي ذوقه ، وتملأ وجدانه ، لا اقل من ان تفسح لها المجال ، تهيىء لها الفرصة ، وتاخذ بيدها ، فيما يبلغ بها الغاية ، ويحقق الهدف .

اننا نعاني تخلفا فضيعا في مجال الصحافة الاسلامية في ناحيتي الكم والكيف ، نعاني انحسارا مفزعا فامام العدد الضخم من الصحافة الكافرة الداعرة بامكانياتها المادية والفنية ، وسعة انتشارها لا يكاد يوجد شيء من الصحف الاسلامية الا شيء لا يكاد يفي بشيء .

ومن هنا ، فليست ـ رسالة الاسلام ـ في حساب كلية اصول الدين عملا جانبيا من اعمال الترف والفراغ ، ولا وسيلة تجارية اصطنعناها من اجل الربح المادي والحصول على المال ، وليست هي واجهة للدعوة الى اشخاص معينين او جهات خاصة ، ليست هي من كل ذلك او ما يشبهه في شيء ، وانما هي في الصميم من حاجاتنا الملحة في مجال الفكر والتوجيه هي في الصميم من معركتنا العقائدية والثقافية .

وقد كان لقاؤك معها ـ قارئنا الكريم في العام الماضي ، كما قدرنا ان يكون ، لقاء حارا ، متحمسا عانقنا فيه الامل ، وابصرنا وراء الغد . وكانت المئات من رسائلك فيما ترجيه ، من تشجيع وتحمله من تفاؤل مصدر طاقة لا تنضب بالنسبة لنا ، انها تمنحنا القدرة ، على تحمل ما يواجهنا خلال العمل من صعوبات ، واتعاب ، مختلفة ، حيث نصدر عنها ، في مثل احساس المنتشي ونشوة الظافر مفعمين املا وثقة ان المستقبل لرسالة الاسلام .

الزندقة والزنادقة في التاريخ الاسلامي

مرتضى العسكري

عميد الكلية

بينما كنت اراجع فصول « عبدالله ابن سبأ » اثناء طبعه للمرة الاولى عام ١٣٧٥هـ تبين لي انتشار اساطير كثيرة في مصادر التاريخ الاسلامي مضافا الى اسطورة ابن سبأ والسباية وشككت في صحة كثير من ابطال التاريخ الاسلامي وكان بين بعضها والاسطورة السباية ترابط عضوي فتوقفت عن طبع الكتاب برهة طويلة لمواصلة البحث واذا بي اهتدي الى زيف كثير من الشخصيات الاسلامية التاريخية من صحابة وتابعين قادة فتوح وشعراء ورواة للحديث الشريف ، والى زيف كثير من الامكنة التي ترجمت في الكتب البلدانية وتحريف عجيب في سني الحوادث التاريخية .

فعدلت عن اتمام طبع بحث عبدالله بن سبأ الى نشر بعض تلك الاساطير والاشارة الى بعض اولئك الابطال وبهذا ختمت الكتاب وانهيت طبعه واسميته « عبدالله بن سبأ » ـ المدخل ـ وبعد اصدار الكتاب انصرفت الى البحث والتنقيب في المصادر المخطوطة والمطبوعة عن اولئك الابطال الاسطوريين ، حتى اذا وفقني الله الى انجاز البحث عن عدد من ابطال الاساطير المختلقة وكان فيهم عدد كبير من الصحابة وغيرهم قدمت نشر فصل الصحابة على غيره واخترت منه خمسين ومائة ترجمة للنشر واسميته « خمسون ومائة صحابي مختلق » وهو هذا الكتاب وهو تال لكتاب عبدالله بن سبأ المدخل وذاك مدخل لهذا البحث .

* * *

في كتاب عبدالله بن سبأ المدخل وجدنا اسطورة ابن سبأ من نسج خيال سيف بن عمر التميمي الاسيدي من بطن اسيد بن عمرو بن تميم وفي

هذا الكتاب نجد ان جميع من نذكر من الابطال الاسطوريين أيضا من نسج خيال سيف بن عمر .

ووجدنا في كتاب عبدالله بن سبأ المدخل العلماء يقولون في ترجمة سيف : بغدادي كوفي الاصل ، ضعيف الحديث ، متروك الحديث ليس بشيء يروى الموضوعات عن الاثبات ، اتهم بالزندقة ، الف كتاب « الفتوح والردة » و « الجمل ومسير علي وعائشة » وتوفي بعد سنة ١٧٠هـ وفي خلافة الرشيد .

وهما ذكروا في ترجمته يهمنا اربعة امور :

١ ـ اجماعهم على انه كان وضاعا للحديث ، وهذا ما سندرسه في فصول هذا الكتاب ان شاء الله .

٢ ـ تاليفه كتاب « الفتوح الكبير والردة » وكتاب « الجمل ومسير علي وعائشة » . وهذان الكتابان اصبحا من اهم مصادر التاريخ الاسلامي حتى يومنا الحاضر كما سنوضح ذلك في البحوث الآتية .

٣ ـ تحديد عصره بما ذكروا من وفاته في خلافة الرشيد وبعد عام ١٧٠هـ . ويهدينا الى تحديد عصره مضافا الى ما ذكروا امران :

أ ـ نقل ابي مخنف لوط بن يحي المتوفى عام ١٥٧ عن فتوحه مما يدل على انتشار كتابه قبل هذا التاريخ[1] .

ب ـ انا وجدنا احاديثه طافحة بمدح الامويين والتغني بامجادهم واختلاق اساطير كثيرة لنشر فضائلهم ومناقبهم وخلو احاديثه عن ذكر العباسيين في قليل او كثير مما يدلنا على ان احاديثه وضعت قبل العصر العباسي وفي اخريات العهد الاموي أي الربع الاول من القرن الثاني الهجري . فان اوائل العهد العباسي كان عصر التقتيل الجمعي للامويين والفتك بهم وبانصارهم ونبش قبورهم وهدم دورهم ولم يكن عصر اختلاق امجاد لهم وثلب مناوئيهم من

---

(١) نقل الشيخ المفيد ٤١٣هـ في كتابه الجمل ص ٤٧ عن كتاب ابي مخنف حرب البصرة انه روى عن سيف بن عمر عن محمد بن عبدالله بن سواد وطلحة بن الاعلم وابي عثمان اجمع قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقي ...) وهذه الرواية بسندها ومتنها نقلهما الطبري عن سيف في ج ٥/١٥٥ من تاريخه والطبري ينقل احاديث سيف من كتابيه الفتوح والجمل ، ورواية أخرى أيضا ينقلها المفيد عن كتاب ابي مخنف عن سيف في ص ٤٨ من كتابه الجمل ، وفي نقل ابي مخنف عن سيف دليل على تقدم نشر كتاب سيف على تاريخ وفاة ابي مخنف عام ١٥٧هـ .

كبار الصحابة والتابعين كما هو شان احاديث سيف واساطيره كما سنرى في ما ياتي .

ونرى مضافا الى ما ذكرنا ـ في بعض أحاديث سيف أيضا دلالة واضحة على عصر وضع الحديث كالحديث الآتي الذي رواه الطبري في ذكر مسير يزدجرد الى خراسان من حوادث سنة ٢٢هـ قال[٢] :

(لما انهزم اهل جلولاء خرج يزدجرد يريد الري وكان ينام في محمله والبعير يسير به ولا يعرسون فانتهوا به الى مخاضة وهو نائم في محمله فانبهوه ليعلم ولئلا يفزع اذا خاض البعير فعنفهم وقال « بئسما صنعتم ! والله لو تركتموني لعلمت مامدة هذه الامة اني رأيت اني ومحمدا تناجينا عند الله فقال له املكهم مائة سنة فقال زدني ، فقال : عشرا ومائة سنة فقال : زدني فقال عشرين ومائة سنة فقال : لك ، وانبهتموني فلو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الامة ...)

نقف عند هذا الحديث قليلا لنناقشه ثم نبين وجه دلالته على عصر وضعه .

أ ـ يقول سيف : ان كسرى قال : « بئسما صنعتم والله » وكسرى كان مجوسيا والمجوس ثنويون لا يعرفون الله ولا يحلفون به وانما يؤمنون بأصلين اثنين للعالم « اهورامزدا » و « اهرمن » ، ويمينهم بالنار المقدسة والشمس والقمر واليمين بالله معروف عند المسلمين الذين عاش سيف بينهم .

ب ـ ان كسرى لم يكن يؤمن بصدق محمد (ص) ويراه اهلا ان يناجيه عند ربه ، نعم ان الحديث يدل على بيئة سيف الاسلامية ويدل على خيال سيف ورأيه في الاسلام . بينما المسلمون يؤمنون ببقاء الاسلام ابد الدهر يرى سيف ان امده محدود ويضع على لسان كسرى انه قال : « لو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الامة » ولعله كان يرى انقراض الامة الاسلامية بسبب ما كان يعلمه من نشاط الزنادقة المحموم في سبيل هدم الاسلام أو بفعل الغزوات الخارجية من روم وغيرهم وعلى أي حال **ان صاحب هذا القول لا يرى للاسلام بقاء ولا يثق ببقائه اكثر مما عاش ليتنبأ به ولهذا نرى ان وقوفه عند**

---

(٢) تاريخ الطبري ج ٤/٢٦٣ ط . مصر ١/٢٦٨١ ط اوربا .

حد العشرين بعد المائة في المناجاة المفتعلة اشعارا بعصر وضع الحديث.

وما ذكرناه من تحديد عصر سيف مع تشخيص عشيرته وموطنه يساعدنا على دراسة بيئته لتحليل شخصيته ودراسة نفسياته لمعرفة دوافعه في وضع كل هذه الاساطير .

٤ ـ اتهامه بالزندقة :

انتشرت الزندقة في عصر سيف حتى أصبحت من مشخصات عصره وخاصة في بلده العراق . فكان من الضروري لنا دراسة الزندقة ان اردنا ان ندرس بيئة سيف الفكرية هذا مع غض النظر عن اتهامه بالزندقة فكيف وقد وصفه مترجموه بالزندقة .

الزندقة والزنادقة

الزنديق كلمة فارسية الاصل قال المسعودي في مروجه[٣] سمى زرادشت[٤] كتابه (بالاوست) وكتب له تفسيرا سماه بالزند ، ومن ثم سمى الفرس كل من اورد في شريعتهم شيئا مخالفا لكتابهم المنزل او عدل الى التأويل بـ(زندى) أي المنحرف عن ظاهر الكتاب الى التأويل المخالف للتنزيل وبهذا الاسم سموا ماني الذي ظهر في أيام بهرام الملك الفارسي ، سموه وجماعته بـ (زندى) أي المنحرف ثم أخذت العرب هذه الكلمة وعربتها وقالت : (زنديق) وصارت عندهم اسما للمانوية وقيل لاتباع ماني (زنادقة) .

وقيل ان الزندقة معربة عن (زندكر) أو (زنده كر) أي القائل ببقاء الدهر أو عن « زنده كرد » أي عمل الحياة أو عن (زندين) أي دين المرأة أو (زنديك) أي العاملين بكتاب زند لمزدك[٥] الذي انشق على ماني .

كان هذا رأي الباحثين في أصل الكلمة بالفارسية ، وفي العربية اطلقت ابتداء على جماعة ماني القائلين بان للعالم اصلين ازليين هما : النور **والظلمة ولذلك قيل لهم أيضا** (الثنوية) ثم اطلقت على الدهرية منكرى وجود الله والنبوات والكتب

---

(٣) عن مروج الذهب بهامش ابن الاثير ٢/٨٤ و١١٦ بتصرف وقد سمى المسعودي كتاب زرداشت بـ (ابستاه) واخترنا تسمية غيره .

(٤) زرادشت .

(٥) مزدك .

المنزلة والقائلين بقـــدم العالم وانكار البحياة الآخرة وما فيها ، ثم اطلق على كل منكر لاصل من اصول العقيـدة أو على كـل رأي يؤدي الى ذلك ، وانتهى الامر أخيرا الى ان يطلق على من يكون مذهبه مخالفا لمذهب أهل السنة ثم اطلق على كل من يحيا حياة المجـــون من الشعراء والكتاب ومن شاكلهم[٦] .

ومذهب الزندقـــة في اصـــله على ما يرويه الباحث الثبت ابن النديم في الفهرست هو ما جاء بـه ماني ، وقبل ايراد قول ابن النديم نذكر ما قاله اليعقوبي في ماني ومذهبه :

قال اليعقوبي في أيام سابور بن اردشير ظهر ماني وقال ان مدبر العالم اثنان وهما شيئان قديمان نور وظلمة خالقان فخالق خير وخالق شر وانهما سميعان بصيران عالمان وانه ما كان من خير ومنفعة فهو من قبل النور وما كان من ضرر وبلاء فهو من قبل الظلمة وانهما كانا غير ممتزجين ، ثم امتزجا وانهما كانا متماسين على مثل الظـــل والشمس وان الظلمـــــة هي بدأت النور بالممازجة ، والدليل على ذلك انه لما كانت مخالطة الظلام للنـــور مفسدة له كان محالا ان يكون النور بدأها لان النور من شأنه الخير والدليل على انهما اثنان قديمان خير وشر ان المادة الواحدة لا يكون منها فعل مخالف مثل النار الحارة المحرقة لا يكـــون منها التبريد والذي يكون منه التبريد لا يكون منـــه التسخين فذلك الذي يكون منه الخير لا يكون منه الشـــر والذي يكون منه الشر لا يكون منه الخير .

والدليل على انهما حيان فاعـلان ان الخير يثبت له فعلا والشر يثبت له فعلا ، ووضع ماني كتبا يثبت بهـــا الاثنين منها ما سماه كنز الاحيـــاء يصـــف ما في النفس من الخلاص النوري والفســـاد الظلمي وكتـاب يسميه الثابرقان يصف فيه الخالصـة والمختلطة بالشياطين ... الخ وكتاب يسميه كتاب الهدى والتدبير واثنـــا عشر انجيلا يسمي كل انجيل منهـا بحرف من الحروف ويذكر الصلاة وما ينبغي ان يستعمل لخلاص الروح وكتاب سفر الاسرار الذي يطعـــن

---

(٦) دائرة المعـــارف الاسلامية الانكليزية ج ١/٤٤٥ عن الغزالي في منقذ الضلال .

فيه على آيات الانبياء وكتاب سفر الجبابرة وله كتب كثيرة ورسائل .

فأجاب سابور الى مقالته بضع عشرة سنة ثم ناظره موبذ موبذان فظهر عليه بالحجة فرجع سابور عن الثنوية الى المجوسية فهرب ماني الى الهند حتى مات سابور وملك بعده ابنه هرمز سنة واحدة ومات وملك بعده ابنه بهرام وكان مشغوفا بالملاهي فكتب تلاميذ ماني اليه انه قد ملك ملك حديث السن كثير التشاغل فقدم الى ارض فارس واشتهر امره فاحضره بهرام وجمع بينه وبين الموبذ وناظره ثم سجنه وتوعده انه سيقتله شر قتلة فلم يزل ماني ليله يسلح حتى خرجت نفسه فأمر بحز رأسه وحشا جسده بالتبن وقتل من اصحابه خلقا عظيما .

هذا ما ذكره اليعقوبي في تاريخه(*) .

اما ابن النديم فقد قال في الفهرست :

زعم ماني انه الفارقليط الذي بشر به عيسى (ع) واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية واستخرج القلم الذي كتب به كتب الديانات من السرياني والفارسي وجول ماني البلاد اربعين سنة دعا الهند والصين واهل خراسان وخلف في كل ناحية صاحبا له ثم التقى بسابور الملك الفارسي وسأله ان يعز اصحابه في بلاد مملكته وان ينفذوا حيث شاؤا من البلاد فأجابه الى ذلك[7] .

(وماني ينتقص سائر الانبياء في كتبه ويزدري عليهم ويرميهم بالكذب ويزعم ان الشياطين استحوذت عليهم وتكلمت على السنتهم بل يقول في مواضع من كتبه انهم شياطين فاما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى فيزعم انه شيطان[8]) .

وقال ماني : مبدأ العالم اصلان ازليان احدهما النور والآخر الظلمة اما النور فهو العظيم الاول ليس بالعدد وهو الاله ملك جنان النور وله خمسة اعضاء : الحلم والعقل والغيب والفطنة وخمسة اخرى

(*) اليعقوبي دار صادر وبيروت عام ١٣٧٩ ج ١/١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٧) ص ٤٥٨ من الفهرست .

(٨) ٤٦٨ منه .

روحانيـــة وهي : الحب والايمـان والوفاء والمروة والحكمة وهو ازلي بصفاته هذه ومعـــه شيئان ازليان : الجو والارض • ولكل من الجـــو والارض اعضـــاء فأعضاء الارض : النسيم والريح والنور والماء والنار • والظلمة ايضـــا اعضاؤها خمســة : الضباب والحريق والسموم والســم والظلمة •

وقال : ان كلا من النور والظلمة منفصل عن الاخر ومجاور لـــه لا حاجز بينهما ويلقى النور الظلمـــة بصفحته • والنور كائن في الاعـــلى واليمين واليسار ولا نهاية له فـــي جهـــاته الثلاث هذه • والظلمة في الاسفل واليمين واليســار ولا نهاية لها في جهاتها الثلاث هـذه • ومن عناصر الظلمة الازلية تكون الشيطان، وهو غير ازلي في وجوده ، له رأس أسد وبدن تنين وجناح طائر وذنب حوت وارجل الدواب ذي الاربع •

قـال : جال الشيطان وافســـد وتسمى ابليس • فأولد ملك جنـــان النور من عناصره الازلية : الانسان القديم لحربه فدار بينهما قتال وحرب ومن قتالهمـا تولدت بعض الكائنات كالدخان والاجسام الكثيفة •

ثم خلق كل من الاصلين الازليين انصارا وجنودا لصاحبه[٩] •

ثم ذكر كيفية خلـــق الانسان الاول الذي هو آدم ابو البشر وهو غير الانسان القديم عنده وذكر كيفية خلق حواء وابتلاءهما ـ آدم وحواء ـ بالحرص والشهوة ونكاح الاولاد من نسل آدم هذا للامهات والآباء منهم للبنات والاخوة للاخوات في قصص يطول شرحها ثم يذكر ارسال الالهة عيســـى بن مريم الى آدم وحـــواء لهدايتهما ، ويصف ارض النور وما فيها من نعيم معنوي ، وارض الظلمة وما فيهـــا من نار وسموم وحميـــم وظلام •

●

ويذكر في كيفية الدخول في دينه ان يمتحن الانسان نفسه على قمـــع الشهوة وترك اكـــل اللحوم وشرب الخمر والنكاح ... الخ فان اجابته نفسه الى كل ذلك دخل في الدين والا فان احب الدين ولم يستطع من

---

(٩) يذكر تفصيلا خياليا لكيفية خلق الاصـلين انصـارا لصاحبيهمـا وذلك مبـدأ الخلق عنده راجـع ابن النديم ٤٥٨ ـ ٤٦٢ •

ترك جميع ذلك فليغتنم حفظ الدين والصديقين ويجعل لنفسه بازاء افعاله القبيحة اوقاتا للتجرد بالعبادة .

●

شريعة ماني

يرى الباحث في شريعة ماني عملا ، وعقيدة .

في باب العقيدة فرض ماني على ما ذكر ابن النديم : الايمان بالعظائم الاربع ، الايمان بالله ونوره ، وقوته وحكمته ، ونور الله عنده الشمس والقمر ، وقوته الاملاك الخمسة أي النسيم والريح والنور والماء والنار ، وحكمته الدين المقدس وهي على خمس درجات ، درجة المعلين ابناء الحلم والشمسين ابناء العلم ، والقسيسين ابناء العقل والصديقين ابناء الغيب والسماعين ابناء الفطنة .

وفي باب العمل فرض اولا ترك عشرة أشياء منها ترك عبادة الاصنام والكذب والبخل ...

ثانيا :ـ فرض القيام بهمتين أي بعملين الشك في الدين والاسترخاء والتواني في العمل .

وفرض صلوات متعددة يبدأ بالمسح بالماء ثم يستقبل فيها الشمس يقرأ اورادا قائما ثم يسجد ويقول في سجوده مبارك هادينا الفارقليط رسول النور ومبارك ملائكته الحفظة ومسبح جنوده النيرون ثم ينتصب قائما ويقرأ اورادا ثم يسجد ثانية ويقول : مسبح انت ايها النير ماني هادينا اصل الضياء وغصن الحياء الشجرة العظيمة التي هي شفاء كلها وهكذا يذكر الى اثنتي عشرة سجدة، ولهم صلاة عند الزوال وثانية بين الزوال وغروب الشمس ، ثم بعد غروب الشمس ثم من بعدها بثلاث ساعات .

وشرع صياما اورده ابن النديم مفصلا في الفهرست ثم قال : « الاحد يعظمه عامة المانية[10] ويعظم الاثنين خواصهم » . قال « كذا اوجب عليهم ماني » .

وذكر اختلاف المانوية بعد الى المهرية والمقلاصية وان الامامة الرئاسة لا تتم ـ لا تنعقد لاحد ـ الا ببابل[11] وذكر انهم في أيام المأمون

---

(١٠) المنانية هم المانوية .

(١١) الفهرست ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

والمعتصم كانوا يرخصون لاهل المذاهب والداخلين فيه اشياء محضورة في الدين وكانوا يخالطون السلاطين ويؤاكلونهم[١٢] .

وفي المعاد قال ماني اذا حضرت وفاة الصديق ارسل اليه الانسان القديم آلهاً نيرا بصورة الحكيم الهادى ومعهم ثلاثة الهة ومعهم الركوة واللباس والعصابة والتاج واكليل النور ويأتي معهم البكر الشبيهة بسمة ذلك الصديق ويظهر له شيطان الحرص والشهوة فاذا رأتهم الشياطين ولت هاربة وأخذوا ذلك الصديق والبسوه التاج والاكليل واللباس واعطوه الركوة بيده وعرجوا به في عمود السبح الى فلك القمر والى الانسان القديم والى النهنه ام الاحياء الى ما كان عليه اولا في جنان النور ويبقى جسده ملقى فتجتذب منه الشمس والقمر والالهة النيرة القوى التي هي الماء والنار والنسيم فترتفع الى الشمس وتصير الها ويقذف باقي جسده التي هي ظلمة كله الى جهنم .

واما الانسان المحارب القابل للدين والبر الحافظ لهما وللصديقين فاذا حضرت وفاته حضر اولئك الالهة وحضرت الشياطين واستغاث ومت بما كان يعمل من البر وحفظ الدين والصديقين فيخلصونه من الشياطين فلا يزال في العالم كالانسان الذي يرى في منامه الاهوال ، ويغوص في الوحل والطين فلا يزال كذلك الى ان يتخلص نوره وروحه ويلحق بالصديقين ويلبس لباسهم بعد المدة الطويلة من التردد .

والانسان الاثيم المستعلي عليه الحرص والشهوة فان الشياطين تحضره وتأخذه وتعذبه وتريه الاهوال وتحضر الالهة ومعهم ذلك اللباس ، فيظن الانسان الاثيم انهم جاءوا لخلاصه وانما جاؤا لعذابه .

●

وفي المعاد بعد فناء العالم والجنة والنار يقول :

ان الانسان القديم يأتي من عالم الجدى والبشير من المشرق والبناء الكبير من اليمن وروح الحياة من المغرب فيقفون على البنيان العظيم الذي هو الجنة مطيفين بالجحيم وينظرون اليها ثم يأتي الصديقون من الجنان

---

(١٢) الفهرست ٤٦٨ .

الى ذلك النـــور فيجلسون فيـــه ثم يتعجلون الى مجمع الالهة فيقومـون حـــول تلك الجحيم وينظرون الى عملـــة الاثم يتقلبـــون ويترددون ويتضورون فيها والجحيم لا تقدر على اضرار الصديقين فيتضرع الآثمون الى الصديقين ويسألونهم فلا يجيبونهم الا بما لا ينفعهم من التوبيخ فيزدادوا هما وغما وندما وهذه حالهم ابـــد الآبدين[١٣] .

هذه خلاصة موجزة عما اورده ابن النديم عن الزندقة ولعل اقـدم نص رسمي في تعريف الزندقة هي وصية الخليفة المهدي لابنه موسى ولي عهده من بعده حين قال له وقد قدم اليـــه زنديق فاستتابه فابى ان يتوب فضرب عنقه وامر بصلبه :

« يا بني ان صار لك هذا الامر ـ يعني الخـــلافة ـ فتجرد لهـــذه العصابة ـ يعني اصحاب ماني ـ فانها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حســـن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمـــل للآخرة ، ثم تخرجهـا الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا ثم تخرجها من هـذه الى عبادة اثنين : احدهمـا النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الاخوات والبنات والاغتـــال بالبول وسرقة الاطفال من الطـــرق لتتقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور . فارفع فيها الخشب وجـــرد فيهـا السيف وتقرب بامرها الى الله لا شريك له فاني رأيت جدك العباس في المنام قلدني بسيفين وامرني بقتل اصحاب الاثنين . »

فلما ولي موسى الخلافة بعد ابيه قال بعـــد مضي عشـــرة اشهر من خلافته : (اما والله لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها لا اترك منها عينـا تطرف .)

ويقال : انه امران يهيأ له الف جذع ليصلبهم عليها في وقت حـدده لذلك ولكنه توفي قبل ذلك[١٤] .

ووصية أخـــرى أيضا يرويهـا الطبري قال : لما جيء اليه بداود بن علي العباسي ويعقوب بن الفضـــل

---

(١٣) ٤٦٩ ـ ٤٧٠ .

(١٤) راجع الطبري ط . اوربا ٥٨٩/٣ في ذكر بعض اخبـار موسى وابن الاثير .

الحارثي من آل الحارث بن عبدالمطلب فأقرا له بالزندقة اما يعقوب فقال له اقر بها بيني وبينك فاما ان اظهر ذلك عند الناس فلا افعل ولو قرضتني بالمقاريض فقال له ويلك لو كشفت لك السموات وكان الامر كما تقول كنت حقيقا ان تعصب لمحمد ولولا محمد (ص) من كنت هل كنت الا انسانا من الناس اما والله لولا اني كنت جعلت لله علي عهدا اذ اولاني هذا الامر الا اقتل هاشميا لما ناظرتك ولقتلتك ثم التفت الى موسى الهادي فقال يا موسى اقسمت عليك بحقي ان وليت هذا الامر بعدي الا تناظرهما ساعة واحدة فمات ابن داود في الحبس وبقي يعقوب حتى مات المهدي فارسل الهادي الى يعقوب من القى عليه فراشا واقعدت الرجال عليه حتى مات .

واقرت زوجته وبنت له بالزندقة ووجدت البنت حبلى فأقرت انها حامل من ابيها ثم ضرب على رؤوسهما بشيء فزعتا منه فماتتا[١٥] .

ولما انتهى المهدي عام ١٦٣هـ عند مسيره الى دابق من نواحي الموصل لحرب الروم من الصائفة بعث عبد الجبار المحتسب لجلب من تلك الناحية من الزنادقة فقتل جماعة منهم وصلبهم وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين[١٦] ، ونجد بعد هذا عند الطبري في ذكر حوادث عام ١٦٨ قوله : (وفيها مات عمر الكلواذي صاحب الزنادقة وولى مكانه حمدويه وهو محمد بن عيسى من اهل ميسان وفيها قتل المهدي الزنادقة ببغداد[١٧] .

ونختم هذا العرض بحديث طفيلي في عصر المأمون حدث المسعودي عنه في مروجه قال : بلغ المأمون خبر زنادقة من أهل البصرة فأمر بحملهم اليه فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي وحسبهم دعوا الى وليمة فدخل في وسطهم حتى اذا سار بهم الموكلون الى زورق في النهر قال الطفيلي : نزهة لاشك فيها وركب معهم الزورق فما كان اسرع ما جيء بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم فقال بلغت من تطفيلي

---

(١٥) الطبري ط اوربا ٣/٥٤٩ ـ ٥١ حوادث سنة ١٩٦ وج ١٠/١٤ ط مصر وابن الاثير ٦/٣٩ .

(١٦) الطبري ط اوربا ٣/٤٩٩

(١٧) الطبري ط اوربا ٣/٥٢٢

الى القيود وسأل القوم من انتم ، فقالوا ومن أنت أمن اخواننا ؟ قال والله لا أدري غير اني رجل طفيلي خرجت من منزلي اليوم فلقيتكم فقلت اجتمعوا لوليمة فدخلت في وسطكم حتى صرتم الى الزورق فقلت نزهة يمضون اليها والى بعض البساتين ان هذا اليوم يوم مبارك فابتهجت سرورا اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدني معكم فاخبروني ما الخبر ؟ فضحكوا منه وقالوا : الآن قد دخلت في الاحصاء واوثقت في الحديد واما نحن فمانية غمز بنا الى المأمون وسندخل اليه ويسائلنا عن احوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة ماني لنا ويأمرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها ويأمرنا بذبح طائر ماء الدرج[18] فمن اجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك واعتقادك يخل عنك ، وزعمت انك طفيلي والطفيلي يكون معه اخبار حسان فاقطع سفرنا هذا بشيء من الحديث واخبار الناس فلما وصلوا الى بغداد وادخلوا على المأمون جعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون فيمرهم على السيف حتى بلغ الى الطفيلي بعد ان استوعب عدة القوم فسأل المأمون الموكلين عنه فقالوا ما ندري غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال المأمون ما خبرك قال : يا أمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت اعرف من اقوالهم شيئا وانما انا رجل طفيلي وقص عليه خبره فضحك المأمون ثم اظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال اعطونيها حتى اسلح عليها والله ما ادري ما ماني ايهوديا كان أم مسلما[19] .

(18) في كتب اللغة الدراج طائر مشهور اما الدرج فلم اجد له معنى .

نشاط الزنادقة

وذكروا من اوجه نشاطهم ما رواه المسعودي في اخبار القاهر من مروجه قال عن المهدي العباسي : وامعن في قتل الملحدين والذاهبين عن الدين لظهورهم في ايامه واعلانهم

(19) مروج الذهب بهامش ج ٩ ابن الاثير ص ٧ ـ ٩ في ذكر جمل من اخبار المأمون .

باعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبدالله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنفه في ذلك الوقت ابن ابي العوجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس تأييدا لمذاهب المانية والديصانية والمرقيونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم في الناس .) الحديث

وفيما يلي نستعرض نشاط بعض من رمي بالزندقة بايجاز .

١ ـ عبدالله بن المقفع :

المولود ١٠٦ ـ ١٤٢هـ ترجم للمنصور كتب ارسطوطاليس وغيره في المنطق وكان اول من ترجمها في الاسلام وترجم من الفارسية كليلة ودمنة وكتبا أخرى وانشأ رسائل بليغة منها الادب الصغير والادب الكبير واليتيمة اتهم بالزندقة وكان المهدي يقول ما وجدت كتاب زندقة الا واصله ابن المقفع[٢٠] .

لم نجد في آثار ابن المقفع ما يدل على زندقته الا ما ورد في باب برزويه من كليلة ودمنة والذي ثبت عند المحققين انه من انشاء ابن المقفع نفسه قال فيه على لسان برزويه :

« وقد وجدت آراء الناس مختلفة واهواءهم متباينة وكل على كل راد وله عدو ومغتاب ولقوله مخالف فلما رايت ذلك لم اجد الى متابعة احد منهم سبيلا ... الى قوله : عدت الى طلب الاديان والتماس العدل منها فلم اجد عند احد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ولم ار فيما كلموني به شيئا يحق لي في عقلي ان اصدق به ولا ان اتبعه فقلت الزم دين آبائي فلم تقبل نفسي ذلك بل وجدتها تريد ان تتفرغ للبحث عن الاديان والمسألة عنها فخطر على بالي قرب الاجل ففكرت في ذلك فلما خفت من التردد والتحول رايت الا اتعرض لما اتخوف منه المكروه وان اقتصر على عمل تشهد النفس انه يوافق كل الاديان فكففت يدي عن القتل والضرب ـ الى قوله ـ واضمرت في نفسي الا أبغي على احد ولا أكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب وزايلت الاشرار بقلبي ـ الى قوله ـ فحينئذ صار امري الى الرضا بحالي واصلاح ما استطعت اصلاحه من عملي لعلي اصادف باقي أيامي زمانا اصيب فيه دليلا على هداي وسلطانا على نفسي وقواما لامري فاقمت على هذه الحال وانتسخت كتبا كثيرة ... »[٢١]

(٢٠) فهرست ابن النديم ٤٥٦ ـ ٤٧٤ .

(٢١) ابن خلكان ١/٤١٣ .

١ ـ كيف كان الوضع السياسي في مركز الخلافة العباسية قبيل الفتح البويهي ؟ وهل للوضع المذكور اثر في ظهور امارة الامراء ؟ وما النتائج التي ترتبت على ظهور المؤسسة المذكورة ؟

٢ ـ بم يمتاز العصر البويهي عن العصر الذي سبقه ؟ وما اثر ذلك بعلاقة الامير البويهي بخلفاء بني العباس ؟

٣ ـ ما النواحي التي ظهر فيها تجاوز امراء بني بويه على امتيازات الخلفاء وحقوقهم السياسية والدينية ؟

٤ ـ ما الوسائل التي لجأ اليها الخلفاء العباسيون لاستعادة حقوقهم المفقودة ؟

وسنعالج في هذا العدد من رسالة الاسلام الغراء النقاط التي تضمنها الرقمان (١ و٢) من الخطة المنشورة اعلاه . اما ما تضمنه الرقمان (٣ و٤) منها فسينشر في العدد القادم بعون الله .

توطئة :

الامامة كما يعرفها الماوردي « موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا »[1] . لذا كان

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية (القاهرة ، ١٢٩٨) ص ٣ .

الخلافة العباسية في عهد البويهيين

الدكتور عبد الله فياض

استاذ التاريخ الاسلامي في الكلية

●

الخليفة طبقا لذلك ، هو الامام الديني لامة محمد (ص) والحاكم السياسي للدولة الاسلامية في الوقت نفسه . وبعد ان ضعفت الخلافة العباسية بعد منتصف القرن الثالث للهجرة ، تغلب كثير من امراء الاطراف على مناطقهم، وأصبحوا حكامها الفعليين ، رغم كونهم يعترفون ، باستثناء بعض الحالات ، بسلطة الخليفة السياسية

ورئاسته الدينية .

وقد حاول الفقهاء ان يجدوا مبررا شرعيا لنظام قائم تكون فيه السلطة الفعلية للامير ، والنظرية للخليفة . فاقترح الماوردي فكرة تقليد الامارة العامة من الخليفة للامير ، وجعل تلك الامارة على ضربين : امارة استكفاء بعقد عن اختيار ، وامارة استيلاء بعقد عن اضطرار . ويتحقق النوع الثاني من الامارتين عندما يستولي « الامير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها ويفوض اليه تدبيرها وسياستها ، فيكون الامير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير ، والخليفة باذنه منفذا لاحكام الدين ليخرج الامر من الفساد الى الصحة ، ومن الحظر الى الاباحة »[٢] .

ويبدو ان الماوردي اراد التوفيق بين الانظمة السياسية القائمة وبين متطلبات الشريعة ، فحاول توضيح الاسس النظرية للاتفاق الحاصل بين الخليفة والامير ، الذي من شانه جعل الامور الدينية من اختصاص الخليفة، بينما تكون القضايا الدنيوية واقعة في نطاق سلطة الامراء .

واتبع الخلفاء طريقة تقليد الولايات لمن يستولي عليها من الامراء دون التدخل بشؤون تلك الولايات. ويكتفي الخلفاء ، عادة ، بتعهد الامير المستولي بأن يذكر اسم الخليفة في خطبة صلاة الجمعة ، وعلى العملة ، وربما طلب منه ان يتعهد بأرسال مبالغ من المال غالبا ما تكون اسمية . ولكن الخلفاء ، بالرغم من ضعفهم في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة ، لم يقلدوا امارة العراق ، من الناحية النظرية ، لأي أمير من الامراء الذين سيطروا بالفعل على أجزاء كبيرة من تلك البلاد ، على أساس ان العراق « مركز اقامة أمير المؤمنين ، وانه يقوم بأدارته بنفسه »[٣] . وترتب على ذلك ان اسم الخليفة كان يذكر بخطبة صلاة الجمعة بمفرده ، في العراق ، دون ذكر اسم الامير المستولي معه . وبقي الامر على ذلك ، كما سنرى ، حتى عهد عضد الدولة البويهي . وذات

---

(٢) ايضا ، ص ٣٣ .

(٣)

Mez, A., Renaissance of Islam, London, 1937, p. 15.

مرة ذكر اسم ناصر الدولة الحمداني ، في الخطبة عند كونه بالحضرة [ببغداد] في جمع كثيرة ، ولم يكن ذلك على قاعدة مستقرة ولا امر خرج من حضرة السلطان ، ، لان امراء الحضرة لم ، تجر العادة بذكرهم على منابرها ، وانما كان يخطب لهم على منابر البلاد البعيدة الجارية في ولاياتهم ، ، وعندما خضع خطباء الجوامع في بغداد لرغبة رئيس الحجاب ، محمد بن ياقوت (ت ٣٢٣/٩٣٤) ، وذكروا اسمه بعد اسم الخليفة في خطبة الجمعة ، انكر الخليفة الراضي ذلك ، وامر بصرفهم عما كانوا مرسومين به ،[٤] .

ـ ١ ـ

مرت الخلافة العباسية قبيل الفتح البويهي بفترة مضطربة ، امتازت بمقتل الخليفة المقتدر على يد قائد الجيش مؤنس سنة ٣٢٠هـ[٥] .

وعندما بويع القاهر بعد المقتدر لم ، تزل الامور مضطربة بقلة المال ومطالبة الجند بالارزاق ومطالبتهم بمال البيعة حتى انهم شغبوا ، واجتمعوا الى باب الخليفة ، ودخلوا الى الدهليز الشعيبي من باب العامة ، وفتح السجن ، وحورب الموكلون عليه وايدتهم العامة على ذلك ، ،[٦] .

وفي الوقت الذي كانت امور الخلافة العباسية تسير على النحو الذي وصفنا ، تقدم الامير ابن رائق باقتراح لحل الازمة ، وهو ان يقوم بتجهيز النفقات العامة ، ودفع رواتب الجند ، على ان تعهد اليه القيادة والادارة العامة ، فقبل الخليفة الراضي الاقتراح المذكور وكتب ، لابن رائق وعرفه انه قلده الامارة ورياسة الجيش ، وجعله اميرالامراء ، ورد اليه تدبير أعمال الخراج والضياع واعمال المعادن في جميع النواحي ، وفوض اليه تدبير المملكة ، وامر بأن يخطب له على جميع المنابر

---

(٤) الصابي ، هلال بن محسن ، رسوم دار الخلافة ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ١٣٣ .

(٥) عريب ، صلة تاريخ الطبري (القاهرة ، ١٩٣٩) ص ٢١٥ .

(٦) أيضا ، ص ١٢٨ـ٩ .

في الممالك »[٧] .

واعتقد ان السماح بالخطبة لابن رائق على جميع المنابر في الممالك لا يعني ان اسمه يذكر بالخطبة في جميع انحاء الخلافة العباسية بما في ذلك بغداد ، اذ لم يسمح الخليفة بذكر اسم احد من الامراء مع اسمه في خطبة صلاة الجمعة ببغداد قبل عهد عضد الدولة البويهي كما سنفصل ذلك في موضعه من هذا البحث .

ويرى ميتز ان تقليد ابن رائق امارة الامراء ، يعني ان الخليفة اعترف بوجود امير يشاركه بحكم العراق نفسه »[٨] . ويظهر ان لقب امارة الامراء الممنوح لابن رائق لم يكن بذاته سببا في التغير الاداري الذي حصل في العراق ، لان اللقب المذكور سبق ان منح لمؤنس بحكم كونه القائد الاعلى للجيش . وكان مؤنس هو الذي طلب منحه اللقب المذكور لانه لم يرض بأن يكون لقبه شبيها بألقاب الامراء الاعتياديين وهو قائد الجيش[٩] . واعتقد ان التغيير الاداري الذي حصل في العراق ، بعد قيام مؤسسة امارة الامراء ، لم يكن نتيجة لحصول ابن رائق على لقب أمير الامراء ، بل نتيجة لمشاركة ابن رائق بصفته رئيس السلطة العسكرية ، للخليفة ولوزرائه في ادارة البلاد ، والاهم من ذلك اعتراف الخليفة بالمشاركة المذكورة . وترتب على المشاركة المذكورة ضعف السلطة المدنية ، وتدهورها ، وتحول تلك السلطة تدريجا الى العسكريين ووزرائهم .

ويمكن ان يعد نشوء امارة الامراء في العراق بداية لتسلط الطبقة العسكرية ، نظريا وعمليا ، بعد ان كان العسكريون يتدخلون في الادارة الفعلية فقط دون مبرر شرعي ، على شؤون الخلافة العباسية ببغداد .

ونتج عن ذلك ان اصبح دور الوزير في ظل نظام امارة الامراء ، ثانويا . وانتقلت ادارة البلاد المدنية ، فضلا

---

(٧) مسكويه ، احمد بن محمد ، تجارب الامم ، ج٥ (القاهرة ، ١٩١٤) ص ٣٥١ ؛ وابن الاثير ، الكامل ، ج٦ (القاهرة ، ١٣٥٣) ص ٢٥٤ .

(٨) Mez, Op. Cit, p. 15.

(٩) Ibid, p. 15.

عن العسكرية ، الى امير الامراء ووزيره ، أو كاتبه ، دون الخليفة وموظفيه • ويقول مسكويه عند كلامه عن نتائج تعيين ابن رائق في منصب امارة الامراء ، « وبطل منذ يومئذ امر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من امر النواحي ، ولا الدواوين ، ولا الاعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط ، وان يحضر في أيام المواكب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ، ويقف ساكتا ، وصار ابن رائق وكاتبه ينظر في الامر كله ، وكذلك كل من تقلد الامارة بعد ابن رائق الى هذه الغاية ، وصارت أموال النواحي تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها ، وينفقونها كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الاموال »[١٠] • ويظهر مما سبق ان الطبقة العسكرية برئاسة امير الامراء أصبحت ، في ظل نظام امارة الامراء ، هي المسيطرة الفعلية على جميع الشؤون المدنية والعسكرية للخلافة العباسية • وازداد وضع الخلافة سوءاً عندما احتل البويهيون العراق لانهم لم يكتفوا بالسلطة الزمنية ، كما هي الحال في امارة الامراء قبلهم ، بل أخذوا يشاركون الخلفاء ، كما سنرى ، بميزات الخلافة وشاراتها الدينية والزمنية معا • ويوضح ابن الاثير نتائج وجود امارة الامراء على تقلص سلطة الخلفاء حين يقول ، عند وفاة الخليفة الراضي (ت ٣٢٩هـ) التي حصلت بعد تقليد امارة الامراء لابن رائق بأربع سنوات : ختم الراضي الخلفاء بأمور عدة منها انه كان « آخر خليفة خطب كثيرا على منبر وان كان غيره قد خطب نادرا لا اعتبار به ، وكان آخر خليفة كانت له نفقته ، وجوائزه وعطاياه ، وجراياته ، وخزائنه ، ومطابخه ، ومجالسه ، وخدمه ، وحجابه ، وامور على ترتيب الخلفاء المتقدمين »[١١] •

وساءت احوال الخلفاء بعد وفاة الراضي كثيرا ، وطمع الامراء بالمزيد من تجريد الخلفاء من كل ما بقي لديهم من سلطة زمنية • فناصر الدولة

---

(١٠) تجارب الامم ، ج ٥ ، ص ٣٥٢ •

(١١) الكامل ، ج٦ ، ص٣٧٧ •

الحمداني ضرب « دنانير ودراهم بسكة سنة ٣٣١هـ باسم المتقي لله وناصر الدولة وسيف الدولة »[١٢] . وبعد وفاة الراضي أيضا اقر بجكم ، امير الامراء ، ووزير الخليفة على وزارته ، ولكن الوزير المذكور على رواية ابن الاثير ، ما كان « له من الوزارة الا اسمها ، وانما التدبير كله الى الكوفي كاتب بجكم »[١٣] . وكان المستكفي بالله قد استوزر « ابا الفرج محمد بن علي السازي ... ولم يكن له الا اسم الوزارة ، والذي يتولى الامور ابن شيرزاد »[١٤] . وكان ابن شيرزاد هذا من رجال توزون امير الامراء .

وقد بدت علائم الاضطراب على الحالتين المالية والادارية في العراق قبيل الاحتلال البويهي . فالضرائب ، كما يبدو ، كانت تعطى لطالبيها بالضمان . ففي سنة ٣٣٣هـ عندما كان الخليفة والامير توزون بواسط ارسل « البريدي يضمن البصرة فاجابه توزون الى ذلك وضمنه وسلمها اليه »[١٥] .

وفي الوقت الذي كانت فيه الاحوال تسير على النحو الذي وصفناه آنفا ، كان البويهيون يتقدمون نحو العراق . وسبق لاحمد بن بويه ان هجم على ممتلكات الخليفة خمس مرات بين ٩٤٢ - ٩٤٥م متخللا كل مرة الى ابعد من سابقتها في العراق . وفي سنة ٣٣٣هـ وصلت جيوش أحمد ابن بويه الى واسط ولم ينقذها منه الا مسير توزون والخليفة لصده عنها[١٦] .

ومما ساعد البويهين على فتح البلاد انحلال اسرة البريدين في البصرة ، ووفاة امير الامراء توزون ، وتآمر عامل واسط مع أحمد بن بويه ودعوته للتقدم الى العاصمة التي تشكو الفوضى وسوء الادارة والازمة المالية . ونتيجة لذلك دخل أحمد بن بويه سنة ٣٣٤/٩٤٦ بغداد دون مقاومة بعد ان اجرى مخابرات سرية مع الخليفة العباسي .

---

(١٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٦ ، ص ٩٠ .
(١٣) الكامل ، ج ٦ ، ص٢٧٨ .
(١٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ١٥٠ .
(١٥) أيضا ، ٨ : ١٥٨ .
(١٦) أيضا ، ٨ : ١٦٠ .

ـ ٢ ـ

دخل البويهيون[١٧] العراق فاتحين ، كما اسلفنا ، فاستقبل الخليفة المستكفي قائد الحملة احمد ابن بويه ، وهو اصغر اخوته ، ولقبه معزالدولة ، ولقب اخاه عليا عماد الدولة او عميد الدولة[١٨] ، واخاه الحسن ركن الدولة .

ونال أكبر الاخوة ، علي عماد الدولة ، لقب أمير الامراء . اذ كان « عماد الدولة في حياته هو امير الامراء ، فلما مات صار اخوه ركن الدولة امير الامراء ، وكان معزالدولة هو المستولي على العراق ، وهو كالنائب عنهما »[١٩] .

وتخالف الرواية المذكورة ما اورده الدوري حول تولية امارة الامراء لأحمد لا لعلي بن بويه[٢٠] .

ومما يؤيد ما ذهبت اليه ، فضلا عن رواية ابن الاثير السابقة الذكر ، هو ان الاخوة بني بويه كانوا ينظرون الى البلدان التي يسيطرون عليها كدولة واحدة ، وان رئيس تلك الدولة هو اكبر الاخوة علي عماد الدولة ، ولذا يجب ان يحمل اعظم الالقاب وهو امير الامراء . يقول المسعودي في صدد رئاسة علي بن بويه للدولة البويهية ، وكان في سنة ست وثلاثين وثلثمائة « الغالب على امر

---

(١٧) كان آل بويه زعماء الديلم . وقد اعتنق الديلم الاسلام في بداية القرن الرابع للهجرة على يد الحسن بن علي المعروف بالاطروش . قال المسعودي « وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش ، وهو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن ابي طالب (ر) ، واخرج عنها المسودة [شيعة بني العباس] وذلك في سنة احدى وثلثمائة ، وقد كان اقام في الديلم والجبل سنين ، وهم جاهلية ومنهم مجوس ، فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا الا قليلا منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع واودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه الغاية ، وبنى في بلادهم مساجد ، وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور ... وقد كان بمدينة شالش حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرابطون بازاء الديلم ، ثم جاء الاسلام فكان كذلك الى ان هدمه الاطروش ... » . مروج الذهب ، ج ٤ ، القاهرة ، لا . ت ، ص ٢٩٤ .

(١٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

(١٩) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٧٤ .

(٢٠) الدوري ، عبدالعزيز ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بغداد ، ١٩٤٥) ص ٢٤٧ .

الدولة والحضرة ابو الحسن أحمد ابن بويه الديلمي المسمى معزالدولة ، واخوه الحسن بن بويه صاحب بلاد اصبهان ... ركن الدولة ، واخوهما الاكبر ، والرئيس المعظم ، علي بن بويه الملقب بعميد الدولة .. »[٢١] .

يعد العصر البويهي تتمة لعصر امير الامراء الذي سبقه لا سيما ان الامراء البويهين تلقبوا بلقب امير الامراء ، ومع ذلك فأن للعصر البويهي ميزاته الخاصة به . ومن أهم الاسباب التي جعلت العصر البويهي يختلف عن عصر امير الامراء الذي سبقه هي : ان البويهين جاؤا للعراق على رأس جيش فاتح ؛ وانهم اسسوا امارة وراثية في مركز الخلافة ؛ وانهم كانوا شيعة زيدية لا يعترفون بحق الخلفاء العباسيين بحكم العالم الاسلامي ويقول ابن الاثير ولم يبق للخلفاء **« من الامر شيء البتة ، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ امرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء ، فلما كان ايام معزالدولة زال ذلك جميعه ... وكان من اعظم الاسباب في ذلك ان الديلم يتشيعون ويغالون في التشيع ، ويعتقدون ان العباسيين قد غصبوا الخلافة واخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة**[٢٢] .

وبالرغم مما سبق لم يعمل البويهيون على نقل الحكم من آل العباس الى آل علي (ع) . وعندما فكر أحد الامراء البويهين بالبيعة للمعز لدين الله العلوي أو لغيره من العلويين صرفه حاشيته عن ذلك خوفا على اضعاف سلطته السياسية[٢٣] .

ومن التفاسير التي تقدم لامتناع الامير البويهي عن نقل الحكم من العباسيين للعلويين هي ان الامير البويهي خشي على ضياع سلطته السياسية في حالة تنصيب خليفة يعترف هو وجنده بحقه في الرئاستين الدينية والسياسية للعالم الاسلامي . **ومما عزز خوفه المذكور ان السلطتين السياسية والدينية متحدتان في شخص واحد في الاسلام ، وهو الخليفة** . وقد رأى الامير البويهي ان بقاء العباسيين في الحكم يضمن له وحدة الامة تحت حكمه السياسي ، ويسر له الانفراد في الامور السياسية استنادا لتفويض الخليفة أو بالقسر

---

(٢١) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

(٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٢ .

(٢٣) ايضا ، ج ٦ ، ص ٣١٥ .

عنه ، بحكم كونه منتصبا للحكم ، كما يعتقد الشيعة ومن بينهم الامير البويهي نفسه .

وظهرت قلة احترام البويهيين للخليفة بصورة عملية ، حين دبر معز الدولة البويهي خلع الخليفة المستكفي بالله بشكل ينطوي على كثير من الغلظة . وتم ذلك بأن حضر اثنان من نقباء الديلم فتناولا يد المستكفي بالله « فجذباه عن سريره ، وجعلا عمامته في حلقه ، ونهض معز الدولة ، واضطرب الناس ، ونهبت الاموال ، وساق الديلمان المستكفي بالله ماشيا الى دار معز الدولة فاعتقل بها ونهبت دار الخلافة ولم يبق بها شيء »[٢٤] . ويظهر ان الامير البويهي شك باخلاص الخليفة الجديد واتهمه بالاتصال بناصر الدولة الحمداني الذي هاجم بغداد في سنة ٣٣٥هـ ، ولكنه ما لبث ان تصالح معه واعاده « الى دار الخلافة بعد ان استوثق منه »[٢٥] .

ويمكن ان نجمل التغييرات التي نتجت عن استيلاء البويهيين على العراق بما يأتي : منع الخليفة من التصرف بأموال الدولة ، وتحديد راتب خاص له . كان استيلاء أمير الامراء على موارد بيت المال سابقا لعهد البويهيين ، ولكن البويهيين لم يكتفوا بتأييد الاجراء المذكور بل انهم خصصوا راتبا معينا للخليفة . وقد خصص معز الدولة للمستكفي بالله « كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته ، وكانت ربما تأخرت عنه ، فأقرت له مع ذلك ضياع سلمت اليه تولاها أحمد الشيرازي كاتبه »[٢٦] . ولكن المبلغ المذكور قد نقص بعد خلع المستكفي اذ ان معز الدولة خصص لنفقة خلفه المطيع لله « كل يوم الفي درهم »[٢٧] .

ويبدو ان الضياع السلطانية الخاصة بالخليفة لم تسلم من سيطرة البويهيين عليها ، خاصة في عهد معز الدولة وابنه بختيار . فذكر مسكويه ان معز الدولة اقطع « قواده وخواصه ، واتراكه ضياع السلطان ، وضياع المستترين ... »[٢٨] . وقد ابطل عضد الدولة الاجراء المذكور

---

(٢٤) ابن الاثير ، ج ٨ ، ص ١٦٠ ؛ ومسكويه ، ٦ : ٨٦ .
(٢٥) ايضا ، ٨ : ١٦٢ .
(٢٦) ايضا ، ٨ : ١٦٠ .
(٢٧) مسكويه ، ٦ : ٨٦ .
(٢٨) تجارب الامم ، ٦ : ٩٦ .

عند توليه الحكم بالعراق فقرر « يد الخليفة في ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء ، وقد كانت متشذبة قد تحيفها اسباب معز الدولة ، ثم اسباب بختيار ، فمنهم من تغلب على حدودها ، ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ، ومنهم من لم ينصفه من نفسه فيه ، ولم يسهل اخراج يده عنه فرد عضد الدولة ذلك كله الى حقه »[٢٩] . ويروي ابن الاثير ان الجوالي افتتحت ببغداد سنة ٤٣٤ « فانفذ الملك جلال الدولة فاخذ ما تحصل منها ، وكانت العادة ان يحمل ما يحصل منها الى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك ، فلما فعل جلال الدولة ذلك عظم الامر فيه على القائم بأمر الله ... وارسل مع الماوردي في ذلك وتكررت الرسائل فلم يصغ جلال الدولة »[٣٠] .

وذات مرة طالب الامير بختيار البويهي الخليفة بالمال بحجة الغزو والجهاد . وقد اجابه المطيع لله بكتاب قوي اللهجة يستشف منه ما آلت اليه حالة الخليفة من التدهور . قال المطيع لله **« الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والي تدبير الاموال والرجال ، واما الآن وليس لي فيها الا القوت القاصر عن كفائي وهي في ايديكم ، وايدي اصحاب الاطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم ، فان احببتم ان اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار وتركتكم والامر كله »** . ولم يكتف الامير البويهي بجواب الخليفة المذكور بل انه اصر على الزامه بمبلغ اربعمائة الف درهم « باع به ثيابه وبعض اثاث داره » . وعندما قبض الامير المال « صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزاة »[٣١] .

ب ـ انتقال السلطة الى وزراء وكتاب الامير البويهي دون وزراء الخليفة وكتابه . عندما استولى معز الدولة على الحكم في بغداد ، لم يبق للخليفة « وزير انما كان له كاتب يدير اقطاعه ، واخراجاته لا غير ، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد »[٣٢] . وكان أبو أحمد الشيرازي من كتاب الخليفة الذين اشرفوا على ضياعه الخاصة[٣٣] . وقام للخليفة المطيع لله

(٢٩) ايضا ، ٦ : ٣٤٤ .
(٣٠) ابن الاثير ، ٩ : ١٩١ .
(٣١) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ : ٢٢٢ .
(٣٢) ايضا ، ٨ : ١٦٢ .
(٣٣) ايضا ، ٨ : ١٦٠ .

ابن شيرزاد في تدبير الامور بمقام الوزراء من غير تسمية بوزارة ، واستخلف على كتابته على خاصة امره ابا الحسن طازاذ بن عيسى[٣٤] .

ج ـ الزام الخليفة بزيارة الامراء البويهين في بعض المناسبات خلافا للعادة .

كان الخليفة في السابق يزار ولا يزور احدا ، ولكن البويهين ابطلوا هذه القاعدة . وذات مرة قدم شرف الدولة الى بغداد فلقيه « القادر بالله في الطيار وعليه السواد ، ولم يلق قبله احداً من ملوك بني بويه »[٣٥] . وفي سنة ٣٦٨هـ خرج الطائع لله لمقاء عضد الدولة « مع جماعة من الجيش والمقيمين وسائر الخواص والعوام »[٣٦] . وتوفي جماعة من آل بويه في ازمنة مختلفة فخرج الخليفة الطائع لله لتعزية الامراء بوفاة ذويهم . ومن هؤلاء عضد الدولة[٣٧] ، ومؤيد الدولة[٣٨] وابنه[٣٩] .

(٣٤) مسكويه ، المصدر السابق، ٦ : ٨٦ .
(٣٥) ابن الاثير ، ٩ : ١٢٤ .
(٣٦) مسكوية : المصدر السابق، ٦ : ٣٩٤ .
(٣٧) ابن الاثير : ٩ : ٤ .
(٣٨) ايضا ٩ : ١٠ .
(٣٩) ايضا ، ٩ : ١٧ .

ـ ٣ ـ

حاول الامراء البويهيون مشاركة الخلفاء بامتيازات الخلافة وشاراتها ، تلك الامتيازات التي تعد رمز سيادة الخليفة الزمنية وعنوان رئاسته الدينية . ولم يسمح الخلفاء للامراء البويهين بمشاركتهم بامتيازاتهم ، وخاصة الدينية ، امثال ذكر اسم الامير مع اسم الخليفة في خطبة صلاة الجمعة ، عن رضى وقبول . وكان الخلفاء يمتنعون احيانا عن التنازل للامراء عن امتيازاتهم خاصة اذا كان الامير طالب الامتياز ضعيفا .

اما الامراء الاقوياء امثال عضد الدولة فكانوا يغتصبون امتيازات الخلافة دون الالتفات الى امتعاض الخلفاء . ويمكن ان يعد حصول الامير على مزيد من الامتيازات دليل على قوته ، كما يعد تنازل الخلفاء عن كثير منها دليل على ضعفهم . فالامتياز الذي يتضمن ذكر اسم الامير في الخطبة مع اسم الخليفة لم يسمح للامراء به رغم محاولاتهم الكثيرة الا في عهد عضد الدولة ، كما سنرى ، نتيجة لقوته وسيطرته على جميع شؤون الدولة تقريبا .

ومن الامتيازات التي شارك فيها الامراء البويهيون الخلفاء : أ ـ ذكر اسم الامير بعد اسم الخليفة في صلاة

الجمعة في العاصمة ، وضرب الطبول على أبوابهم خلال أوقات الصلوات . ومن الجدير بالذكر ان الخلفاء احتفظوا بالامتيازين المذكورين ولم يمنحوهما لاي أمير من الامراء قبل العهد البويهي خاصة في عاصمة الخلافة .

وسبق ان بينا عند كلامنا على تولية ابن رائق ان الخليفة سمح بذكر اسمه في الخطبة خارج العاصمة لا في داخلها لان امراء الحضرة لم تجر العادة بذكرهم على منابرها[٤٠] . ولما « ورد عضد الدولة ... ذكره هارون بن المطلب الخطيب في المسجد الجامع بالرصافة ... وكان فعل هارون بن المطلب ذلك على غير اصل، وعرفه عضدالدولة ، فراسل الطائع لله وسأله التقدم بذكره في الخطبة ففعل ، وجرت الحال عليه الى هذه الغاية »[٤١] .

ويقول مسكويه « خرج امر الطائع لله الى خلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بأن يقيموا لعضد الدولة الدعوة ثانية لاقامتها له على منابرها ونفذت به الكتب اليهم، ورسم ان يضرب على بابه بالدبادب في اوقات الصلوات وهذان الامران من الامور التي بلغها عضد الدولة ، واختص بها دون من مضى من الملوك على قديم الايام وحديثها »[٤٢] .

ويؤكد ابن الاثير ان الامتياز المذكور لم يعط لأحد قبل عضد الدولة ، فيقول « وسار عضد الدولة فدخل بغداد وخطب له بها ، ولم يكن قبل ذلك يخطب لاحد ببغداد ، وضرب على بابه ثلاثة نوب ولم تجر بذلك عادة من تقدمه »[٤٣] .

واميل الى ترجيح رواية ابن الاثير آنفة الذكر فيما يتعلق بضرب الدبادب على باب بيت الامير ثلاثة نوب ، بدلا من خمسة ، كما ذهب مسكويه قبل قليل ، لاسيما ان الصابي[٤٤] يؤيدها وهو من اهل الاختصاص في رسوم الخلافة .

ويظهر مما سبق ان ذكر اسم الامراء في الخطبة بجوامع العاصمة بغداد لم يجر قبل عهد عضد الدولة البويهي . وهذا خلافا لما اورده الاستاذ ميتز حين يقول ، بعد ان

---

(٤٠) الصابي ، المصدر السابق، ص ١٣٣ .

(٤١) أيضا ، ص ١٣٤-٣٥ .

(٤٢) تجارب الامم ، ٦ : ٣٩٤ .

(٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ : ٣٤٩ .

(٤٤) رسوم ، ص١٣٧ .

يذكر قصة محاولة محمد بن ياقوت الرامية لذكر اسمه على منابر بغداد ، ان الخليفة وافق في السنة التالية على ذكر « اسم ابن رائق معه في الخطبة في المساجد » وكان ذلك يعني ان الخليفة اعترف بمشاركة امير له في حكم العراق »(*) . ويبدو ان الدكتور الدوري هو الآخر يميل ، رغم انه لم يصرح كما صرح ميتز ، الى ان ابن رائق خطب له بجوامع بغداد . يقول الدوري « لقب ابن رائق امير الامراء ... وغدا اسمه يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة »(٤٥) .

ويبدو ان ميتز والدوري بنيا نتيجتيهما على ما قاله مسكويه وابن الاثير بشأن تقليد ابن رائق لامارة الامراء ومنح الخليفة اياه حق ذكر اسمه في الخطبة في جميع الممالك . واعتقد ان المقصود « بالممالك » الواردة في نص مسكويه(٤٦) وعبارة « على جميع المنابر » الواردة في نص ابن الاثير(٤٧) ، هو البلدان الواقعة تحت سلطة الخليفة ما عدا بغداد . واخرج من كل ما سبق بنتيجة وهي ان ابن رائق لم يخطب له في بغداد ، وان أول من خطب له ببغداد هو عضد الدولة البويهي ، كما ظهر من مناقشتي للمصادر بما فيها مسكويه وابن الاثير ، قبل قليل .

ويبدو ان الامراء البويهيين لم يكتفوا في ان تضرب الطبول في أبوابهم ببغداد ثلاث مرات يوميا (الظهر والمغرب والعشاء) ، فطلب سلطان الدولة في سنة ٤٠٨هـ من الخليفة ان يسمح بضرب الطبل بباب داره « في أوقات الصلاة الخمس ، ولم تجر به عادة انما كان عضد الدولة يفعل ذلك في أوقات ثلاث صلوات »(٤٨) .

ب ـ طلب الامراء البويهيين في ان تضرب القابهم واسماؤهم على العملة. شارك الامراء البويهيون الخلفاء في الامتياز الثاني للخلافة وهو ضرب اسمائهم على العملة . وعندما احتل أحمد بن بويه طلب من الخليفة ذكر أسماء وألقاب بني بويه على العملة . فأجاب المستكفي بالله طلبه « وامر ان تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير

(*) Op. Cit, p. 15

(٤٥) الدوري ، المصدر السابق، ص ٢٣٦ .

(٤٦) تجارب الامم ، ٥ : ٣٥١ .

(٤٧) الكامل ، ج ٦ (القاهرة ، ١٣٥٣) ص ٢٥٤ .

(٤٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ص ١١٤ .

والدراهم »[٤٩] • ويبدو ان الامير البويهي عندما يضم بلادا جديدة لمملكته يشترط على أميرها ان يذكر اسمه على العملة • ففي سنة ٣٥٤هـ فتح معز الدولة عمان ودخل اميرها في طاعته « وضرب له اسمه على الدينار والدرهم »[٥٠] •

ان ضرب أسماء الامراء البويهين على العملة له اهميته الخاصة بالنسبة لسلطة الخليفة ، لان العملة هي الرمز الاكبر لسلطة الخليفة الدنيوية، بينما كانت خطبة الجمعة رمزا اساسيا لسلطته الدينية • وان مشاركة الامير البويهي للخليفة بالشارتين المذكورتين تعني ان الخليفة اعترف بشريك له في حكم الدولة الاسلامية • ومما يجدر ذكره ان الامراء فيما سبق ، وان شاركوا الخلفاء في بعض الامتيازات المذكورة ، فأنهم لم يشاركوهم ، كما حصل في العهد البويهي ، في الخطبة في مساجد العاصمة ولا بضرب الطبول في أبوابهم في العاصمة ، خلال أوقات الصلاة •

ويرى الدكتور الدوري ان اشراف الامراء البويهين على العملة مكنهم من ان ينقشوا عليها أحيانا القابا لم يمنحها الخليفة لهم ، مثل لقب « شاهنشاه » الذي وجد بجنب اسم عضد الدولة على قطعة نقود ضربت بتاريخ ٣٧٠هـ مع ان هذا اللقب لم يمنح للامراء البويهين قبل جلال الدولة •

ويرى أيضا ان دراسة « النقود في العصر البويهي تبين تذبذب عقرب الساعة بين الامير والخليفة • ففي امارة امراء أقوياء يذكر اسم الخليفة على الخلف بينما يذكر على الوجه في امارة الضعفاء »[٥١] •

حـ ـ عدم اشراك الخلفاء أو الاستارة برأيهم في قضايا ذات علاقة بسيادة الخليفة • لم يكتف الامراء البويهيون أحيانا بما نالوه من سلطة ، بل انهم تجاوزوا صلاحياتهم في مناسبات عديدة • ومن أمثلة ذلك انهم كانوا يعقدون أحيانا معاهدات صلح دون علم الخليفة أو توقيعه على المعاهدات المذكورة • ففي سنة ٣٣٧هـ خرج معز الدولة الى الموصل

---

(٤٩) ايضا ، ٨ : ١٦٠ ؛ ومسكويه ، ٦ : ٨٤ •

(٥٠) مسكويه ، ٦ : ٢١٣ ؛ وابن الاثير ، ٨ : ٢٠٢ •

(٥١) دراسات في العصور العباسية المتاخرة ، ص ٢٥٣ •

وجرت مراسلات « بين ناصر الدولة ومعز الدولة استقر آخرها على ان يحمل عن الموصل وديار ربيعة وديار مضر والرحبة والشام في كل سنة ثمانية الاف الف درهم ، ويقيم الخطبة لعماد الدولة ومعز الدولة ويختيار بن معز الدولة .. »[٥٢] . وعندما حصلت مراسلات بين معز الدولة ونافع امير عمان وافق الأمير خلالها « على الدخول في طاعة الأمير معز الدولة ، واقامة الخطبة له . وكتب اسمه على الدنانير والدراهم »[٥٣] . وعندما تصالح شرف الدولة مع صمصام الدولة استقر « الأمر على ان يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة »[٥٤] . وكان الأمراء يجاملون الخلفاء احياناً فيتفقون مع الأطراف المعنية ويطلبون من الخليفة امضاء ما تم الاتفاق عليه. فذات مرة سأل عضد الدولة الطائع لله ان يعقد لمؤيد الدولة على اعمال جرجان وطبرستان وينفذ اليه العهد واللواء والخلع السلطانية فاجابه الى ذلك »[٥٥] . وكان الأمير البويهي يمين خلفه دون استشارة الخليفة . فعندما مرض معز الدولة سنة ٣٤٤هـ اوصى « الى ابنه بختيار وقلده الأمر بعده وجعله امير الأمراء »[٥٦] .

ان تصرفات الأمراء السابقة تدل بوضوح على مدى تدهور سلطة الخليفة من جهة ، وتوسع سلطات الأمراء البويهين الى درجة تقرب من الاستقلال من جهة اخرى .

د ـ تمادي لأمراء البويهين في طلب الألقاب . سبق ان اشرنا الى حصول الاخوة بني بويه على القاب من الخليفة عند دخول العراق تحت حكمهم . وجرت العادة ان كل امير يلي الحكم يمنحه الخليفة لقباً خاصاً به . وبقي الأمر كذلك حتى سنة ٣٦٧ حين طلب عضد الدولة من الخليفة تثنية لقبه ، فلقبه الخليفة بعضد الدولة وتاج الملة . يقول الصابي لُقّب عضد الدولة « تاج الملّة مضافاً الى عضد الدولة ... » وخاطبه الخليفة برسالة قال فيها

---

(٥٢) مسكويه ، المصدر السابق، ج ٦ ، ص ١١٥ .

(٥٣) ايضا ، ٦ : ٢١٣ .

(٥٤) ابن الاثير ، ٩ : ١٧ .

(٥٥) ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، القاهرة ، ١٩١٦ ، ص ١٥ .

(٥٦) ابن الاثير ، ٨ : ١٨٤ ؛ ومسكويه ، ٦ : ١٥٨ .

« وقد رأى امير المؤمنين الايفاء بك على الأكفاء ، ووسمك بامارة الأمراء» وكانت هذه الرتبة افخم واعظم من كل ما تقدم ، وصار هذا الدعاء رسماً لمن بعده من اخوانه وولده ...[٥٧]

ومن الجدير بالذكر ان لقب « تاج الملة » كان لقباً دينياً ولذلك كانت اهميته تفوق اهمية الألقاب الزمنية . ولم يكن الخلفاء يتساهلون في منح الألقاب الدينية . وقد يقوم حصول عضد الدولة على اللقب المذكور دليلا على قوته من جهة كما يقوم دليلا على ضعف الخليفة من جهة اخرى . وحاول الأمراء البويهيون ان يحصلوا على لقب ملك الملوك « شاهنشاه » فامتنع الخلفاء في اول الامر من منح لقب كهذا ولكنهم خضعوا اخيرا لضغط الامراء البويهيين . وهناك ما يدل على ان البويهيين تلقبوا باللقب المذكور قبل ان يمنحهم اياه الخليفة. وسبق ان اشرنا الى ظهور لقب شاهنشاه بجنب اسم عضد الدولة على قطعة نقود ضربت سنة ٣٧٠هـ . وعندما تغلب شرف الدولة على اخيه سلطان الدولة خوطي الأول بشاهنشاه[٥٨] . وذات مرة اهدى الصاحب بن عباد الى فخر الدولة دينارا وزنه الف مثقال كتب على احد جانبيه :

واحمر يحكي الشمس شكلا وصورة
فاوصافه مشتقة من صفاته
وصار الى شاهانشاه انتسابه
على انه مستصغر لعفاته[٥٩]

ولم يستطع الخلفاء الاستمرار على امتناعهم عن منح اللقب المذكور ، لذا منح القائم بأمر الله سنة ٤٢٩ لجلال الدولة لقب ملك الملوك بعد ان استحصل فتوى من الفقهاء المعاصرين بجواز ذلك[٦٠] .

ويظهر ان القاب الامراء البويهيين استقرت حتى عهد الصابي(ت : ٤٤٨) على ما قرره الكاتب المذكور . يقول الصابي لقب عضد الدولة بلقبين « وصارت الالقاب مثناة بعد ذلك . ثم لقب بهاء الدولة في اول الدعوة القادرية بلقب ثالث في الامة ، وبعده بلقب رابع في الدين واستمر على ذلك »[٦١] .

---

(٥٧) رسوم ، ص ١٢١ .

(٥٨) ابن الاثير ، ٩ : ١١٨ .
(٥٩) ايضا ، ٩ : ٢١ .
(٦٠) أيضا : ٩ : ١٧٠ .
(٦١) رسوم ، ص ١٣١ .

وختم عضد الدولة سلسلة انتصاراته المعنوية على الخليفة بالحصول على تفويض مطلق منه في شؤون الدولة . قال الطائع لله لعضد الدولة « قد رأيت ان افوض اليك ما وكله الله تبارك وتعالى الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها ، وتدبيرها في جميع جهاتها ، سوى خاصتي واسبابي وما تحويه دارلي ، فتول ذلك مستخيرا لله فيه » . ولم يكتف عضد الدولة بذلك بل انه طلب من الخليفة ان يكون التفويض بحضور القواد وجماعة من العلويين والهاشمية ففعل الخليفة ذلك . ثم ان الخليفة قدم لوائين احدهما على المشرق والآخر على المغرب. واضيف لعضد الدولة الى اللواء الابيض الذي جرت به العادة لامراء الجيوش ، اللواء المذهب المخصوص كان بولاة العهود . يضاف الى ذلك ان عهده « قرئى ... على الملأ بحضرة الطائع لله ، وكانت العهود من قبل تسلم الى اصحابها بحضرة الخليفة[٦٢] » .

ولعل كثرة الامتيازات التي حصلها عضد الدولة ، واهمية بعضها ، تقوم دليلا على تعاظم قوة امير الامراء البويهي ، على حساب ما بقي من نفوذ ضئيل لدى الخلفاء ، وسيطرته على الخليفة بشكل مكنه من الحصول على امتيازات لم يسبق لامير من الامراء ان نالها .

ولم يكتف الامراء البويهيون بالحصول على الامتيازات ومشاركة الخليفة في شارات الخلافة ، بل انهم كانوا احيانا يوجهون اهانات شخصية للخلفاء لاسباب ثانوية . وذات مرة قبض بهاء الدولة على الطائع لله لاعتقاده ان الخليفة يخفي اموالا كان الامير محتاجا اليها . وقد تم القبض على الخليفة بصورة مشينة شبيهة بالطريقة التي تم بها القبض على المستكفي والتي وصفناها فيما سبق . ولما حمل الطائع لله الى دار بهاء الدولة اشهد عليه بالخلع . « وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة ايام .. ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته »[٦٣] .

ويمكن ان يستنتج القارىء من عبارة ابن الأثير الأخيرة مدى ما وصلت اليه الخلافة من الانحطاط في العهد البويهي . اذ ان الطائع لله لم

---

(٦٢) ايضا ، ٨٣ ـ ٤ .

(٦٣) ابن الاثير ، ٩ : ٢٩ـ٣٠ ؛ وابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ص ٢٠١ .

يمارس الحكم فعلا ، رغم طول عهده، حتى يمكن معرفة سيرته من حكمه . ويرى متز ان الخلفاء المتأخرين لجأوا الى الابتعاد عن التدخل بالامور ولهذا استطاعوا ان يحكموا اسمياً لفترة طويلة (٦٤) .

— ٤ —

كاد البويهيون ، كما اسلفنا ، ان يستولوا على سلطة الخليفة الزمنية بكاملها . وبقيت الرئاسة الدينية، رغم تسلط البويهيين على بعض مظاهرها ، للخليفة ، لذا اخذ الخلفاء يتمسكون برئاستهم ويؤكدون عليها . واتخذ الخلفاء ، كما سنرى بعد قليل ، من رئاستهم الدينية وسيلة لاسترجاع نفوذهم الزمني . ويظهر من نص اورده البيروني ان الخليفة لم يبق له من السلطة الزمنية شيء . يقول البيروني نقلا عن الدوري ، **« ان الدولة والملك قد انتقل من آل العباس الى آل بويه ، والذي بقي في ايدي العباسية انما هو امر ديني اعتقادي لا ملكي دنياوي كمثل ما لرأس الجالوت عند اليهود من امر الرئاسة الدينية من غير ملك ولا دلالة »**(٦٥) .

وكانت امارة البويهيين ، كما اسلفنا ، امارة استيلاء يعقدها الخليفة عن اضطرار . وعند الأطلاع على الشروط التي وضعها الماوردي(٦٦) لمشروعية امارة كهذه ، يظهر ان السلطة الزمنية جميعها تقريبا كانت منحصرة بيد الأمير . ويظهر ان الهدف من وضع الشروط المذكورة هو التأكد من الحصول على وعد من الامير المستولي ، طالما ان عنصر الالزام مفقود في تلك الشروط ،

---

(٦٤) Op. Cit, p. 11.

(٦٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص .

(٦٦) الاحكام السلطانية ، ٣٢ ـ ٣ . كانت الشروط التي يجب تحققها في امارة الاستيلاء سبعة شروط : ١ـ حفظ منصب الامامة في خلافة النبوة وتدبير امور الملة . ٢ـ ظهور الطاعة الدينية . ٣ـ اجتماع الكلمة على الالفة والتناصر . ٤ـ ان تكون عقود الولايات الدينية جائزة والاحكام والاقضية فيها نافذة . ٥ـ ان يكون استيفاء الاموال الشرعية بحق تبرأ به ذمة مؤديها ويستبيحه آخذها . ٦ـ ان تكون الحدود مستوفاة بحق وقائمة على مستحق . ٧ـ ان يكون الامير في حفظ الدين ورع عن محارم الله . وتظهر الصفة الدينية للشروط المذكورة لا من طبيعتها فحسب ، بل من تعليق الماوردي عليها اذ يقول : « فهذه سبع قواعد من قوانين الشرع تتحفظ بها حقوق الامامة واحكام الامة » .

بأن يراعي موجبات الشرع في حدود امارته . وسنرى بعد قليل ان حرم السلطة الدينية الذي اراد الخلفاء ، بعد ان فقدوا سلطتهم الزمنية ، صيانته والاحتماء به من تعديات الامراء ، اصبح عرضة لتعدي الامراء وخاصة الاقوياء منهم . فعهود الولاة والقضاء ، التي هي من صميم اختصاص الخليفة بكونه الرئيس الديني الاعلى ، اغتصبها عضد الدولة من الخليفة واصبحت تصدر منه ، يقول الصابي ، في معرض كلامه عن ختام الرسائل التي تصدر عن الخلفاء ، كانت الكتب الصادرة عن الخلفاء تنتهي بأن يقال كتب فلان بن فلان . ويذكر اسم الوزير ثم استبدل بذلك باسم صاحب ديوان الرسائل . فأما الكتب عن الامراء فلم ار احدا فعل هذا فيها ، الا ما كان من عبدالعزيز بن يوسف ، فانه كتبه فيما كتب به عن عضد الدولة من عهود الولاة والقضاة ، لأنها نقلت الى اسمه ، فقيل : هذا ما عهد عضد الدولة ... الى فلان . متأولا في ذلك بأن جميع الامور منوط بتدبيره وداخل في تقليده ،[٦٧] .

ويبدو ان الحالة السابقة كانت شاذة املتها قوة عضد الدولة وضعف الخليفة . ومما يؤيد ذلك ان تلك العهود ما لبثت ان اصبحت تمضى من صاحبها الحقيقي وهو الخليفة ، بصورة غير مباشرة في أول الامر ثم بصورة مباشرة فيما بعد . يقول الصابي . ولما نظر ابراهيم بن هلال جدي في ديوان الرسائل أيام صمصام الدولة قال : لا يصح عقد القضاء وتوليته الا من الخليفة ، وكره تغيير السنة العضدية ، فكتب : هذا ما عهد صمصام الدولة ... الى فلان ، بأمر امير المؤمنين الطائع لله ... ، ويستمر الصابي بحديثه ليبين كيف ان عهود القضاة عادت الى سابق عهدها واصبحت توقع من الخليفة لا من الامير . يقول الصابي . وانتقل النظر في امور القضاة والمقلدين والملقبين من أصحاب الاطراف الى دار الخلافة العزيزة . فأعيدت العهود الى رسومها الأولى وكتب عن امير المؤمنين القادر بالله[٦٨] . ان قضية استرداد الخليفة سلطته في تعيين القضاة بعد ان اغتصبها امير قوي مثل عضد الدولة ، تبين لنا كيف ان

(٦٧) الصابي ، رسوم ، ص ١٢٤ ـ ٥ .

(٦٨) ايضا ، ص ١٢٥ .

الخلفاء كانوا يتحينون الفرص لاسترداد سلطتهم من الامراء ، وحالما سنحت الفرصة بعد وفاة عضد الدولة استرد الخليفة تلك السلطة . ويظهر ان الخلفاء حاولوا التمسك بسيطرتهم على شؤون القضاء والقضاة حتى في ايام ضعفهم الشديد. وفي سنة ٣٥٠هـ اثناء امارة معز الدولة وخلافة الطائع تولى « قضاء القضاة ابو العباس بن عبد الله بن الحسن بن ابي الشوارب ، وضمن ان يؤدي كل سنة مائتي الف درهم ، وهو اول من ضمن القضاء وكان ذلك ايام معز الدولة ، ولم يسمع بذلك قبله، فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول عليه ، وامر بأن لا يحضر الموكب لما ارتكبه من ضمان القضاء ... »[٦٩] . واذا علمنا ان الطائع لله الذي لم « يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته »[٧٠] ، هو الواقف ذلك الموقف الصلب تجاه الأمير وقاضي القضاة ، تقدر الدور الذي لعبه نفوذ الخلفاء الديني ومدى اعتمادهم عليه في كفاحهم مع امير الامراء .

ولم يسمح الخلفاء للبويهيين ان يقلدوا قضاء القضاة احدا من الشيعة.

وعندما قلد بهاء الدولة **« النقيب ابا احمد الموسوي والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيراز ولقب الطاهر ذا المناقب فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وامضى ما سواه »**[٧١] .

ولعل الامير البويهي استهدف بتقليده قضاء القضاة ، وهو اكبر منصب ديني بعد الخلافة ، لشيعي هو من اصحاب البدع في نظر اهل السنة بما فيهم الخليفة ، اضعاف مركز الخليفة الديني وتجريده من السيطرة على اكبر جهاز له اهميته في نزاع الخليفة مع الامير البويهي من اجل استعادة السلطة الزمنية منه .

وحاول القادر اظهار عناية بالغة في امور المذهب السني ونشره مستهدفا من وراء ذلك كسب رضا الزهاد والفقهاء ليستعين بهم ضد البويهيين . ففي سنة ٤٠٨هـ « بعث [القادر] ـ وكان صاحب سنة ـ الى السلطان محمود بن سبكتكين يأمره ببث السنة بخراسان ففعل وقتل جماعة ونفى

(٦٩) ابن الاثير ٨ : ١٩٣ .
(٧٠) أيضا ، ٩ : ٢٩ـ٣٠ .
(٧١) أيضا ، ٩ : ٦٨ .

جماعته كثيرة من المعتزلة والرافضة والاسماعيلية ... وامر بلعنهم على المنابر [٧٢] . وفي سنة ٤٢٠ ورد الى الخليفة كتاب من السلطان محمود يعلمه فيه بانتصاره على الديالمه الذين خرجوا « معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم فرجع الى الفقهاء في تعرف احوالهم فاتفقوا على انهم خارجون من الطاعة وداخلون في اهل الفساد مستمرون على العناد ، فيجب عليهم القتل .. وان لم يكونوا من اهل الالحاد فكيف واعتقادهم في في مذاهبهم لا يعدد ثلاثة اوجه تسود بها الوجوه في القيامة التشيع والرفض والباطن ... » [٧٣] .

ومن الوسائل التي استعان بها الخلفاء في كفاحهم مع البويهيين من اجل استرداد سلطتهم الزمنية هي الاستعانة بالامراء من اهل السنة امثال السلطان محمود بن سبكتكين . وفي سنة ٤٠٤هـ « عاديمين الدولة من احدى غزواته في الهند الى غزنة ، وارسل الى القادر بالله يطلب منه منشورا وعهدا بخراسان وما بيده من الممالك فكتب له ذلك ولقب نظام الدين » [٧٤] ولم يلقب احد من ولاة خراسان من قبل « فافتتح ذلك بما لقب به محمود بن سبكتكين في الايام القادرية » [٧٥] . ويظهر تكريم الخليفة للسلطان محمود عند منحه اللقب المذكور في ناحيتين : اولاهما انه كان اول وال لخراسان يمنح لقبا ، وثانيتهما ان اللقب كان مقرونا بالدين وهو لقب ابلغ في الدلالة واعظم في الاهمية من الالقاب الدنيوية . وقد اثمرت جهود القادر بالله في كفاحه مع البويهيين فاستطاع ان يعيد للخليفة بعض نفوذه المفقود . ويقول ابن الاثير ، عند كلامه على موت القادر ، « **وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والاتراك فلما وليها القادر بالله اعاد جدتها وجدد ناموسها والقى الله هيبته في قلوب الخلق فاطاعوه احسن طاعة واتمها** » [٧٦] .

واعتقد ان هيبة القادر كانت نتيجة لعاملين احدهما خارجي وهو تهديد امراء سنة اقوياء كالسلطان محمود

---

(٧٢) ابن عماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٠ ، ص ١٨٦ .

(٧٣) ابن الجوزي ، عبدالرحمن ، المنتظم ، ج ٨ ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٧ ، ص ٣٩ .

(٧٤) ابن الاثير ، ٩ : ٩٠ .

(٧٥) الصابي ، رسوم ، ١٣٢ .

(٧٦) ابن الاثير ، ٩ : ١٥٥ .

الغزنوي اولا والسلاجقة فيما بعد للممالك البويهية في المشرق. وثانيهما اشتداد الخلاف بين عنصرين الجيش البويهي ، الديلم والاتراك ، خاصة بعد ان استولى امراء بويهيون على الحكم لم تكن لهم هيبة وسلطة عضد الدولة البويهي .

يضاف الى ما سبق ان البويهيين فشلوا في اكتساب ثقة وتعاون الامراء الشيعة في داخل البلاد العراقية ، لان البويهيين ، كما يظهر ، ما كانوا يختلفون في تعاملهم مع الامراء الشيعة ، امثال عمران بن شاهين وبنو مزيد في الحلة وبنو حمدان في الموصل وحلب ، عن أي حاكم سني في بغداد وذلك انهم كانوا يجعلون الاعتبارات السياسية فوق الاعتبارات المذهبية . فالامير معز الدولة البويهي يصطحب الخليفة المطيع لله ليستعين بوجوده المعنوي على دحر ناصر الدولة الحمداني(٧٧) .

ثم ان الامراء البويهيين كانوا في حروب مستمرة مع عمران بن شاهين في البطائح(٧٨). ولم يتعاون البويهيون مع الخلفاء الفاطميين في الغرب ليكونوا جبهة ضد الامراء السنة في الشرق . وعندما خطب قرواش بن المقلد امير بني عقيل للحاكم بأمر الله العلوي صاحب مصر بأعماله كلها وهي الموصل والانبار والمدائن والكوفة ارسل القادر بالله امير المؤمنين الى بهاء الدولة يعرفه ذلك ، فأمر بهاء الدولة عميد الجيوش ان يحارب قرواش مما اضطره الى ترك الخطبة للفاطميين وارجاعها لبني العباس(٧٩) .

وصعب على البويهيين ان يكسبوا الشيعة كسبا كليا على الصعيد الشعبي لأن عنصر الاتراك في جيشهم كان يساعد السنة من اهل بغداد على الشيعة دون ان يوقفه البويهيون لاعتبارات عسكرية وسياسية(٨٠) .

وفي الوقت الذي يفشل فيه الامير البويهي من استغلال العامل الديني بصورة صحيحة لتأكيد سلطته السياسية، نجد الخليفة العباسي يستغل ذلك العامل الى اقصى حدود الاستغلال. فحين غضب القائم بأمر الله في سنة ٤٢٦هـ على جلال الدولة لأنه لم يؤدب جنده الذين اعتدوا على عمال مزرعته ، تقدم « الى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه والى الشهود بترك الشهادة والى الفقهاء بترك

(٧٧) مسكويه ، ٦ : ٨٩ .
(٧٨) ايضا ، ٦ : ١٣٠ .
(٧٩) ابن الاثير ، ٩ : ٨٢ .
(٨٠) الدوري ، دراسات ، ص ٢٧٧ .

الفتوى » . فاسترضاه جلال الدولة[٨١] .

ومما يدل على ان الحرب المعنوية كانت سجالا بين الامير والخليفة يكون النصر فيها رهنا بالظروف ، هو ان جلال الدولة الذين خضع لتهديد القائم بأمر الله في الحادثة السابقة ما لبث ضغط على الخليفة ونال منه في سنة ٤٢٩هـ اعظم لقب ناله البويهيون وهو ملك الملوك « شاهنشاه » ولكن الجليفة لم ينس ان يستر ضعفه بثوب ديني فاستفتى الفقهاء ، كما اسلفنا ، في امكان منح اللقب المذكور فافتوا بذلك ما عدا الماوردي .

(٨١) ابن الاثير ، ٩ : ١٦٤ .

يزيد حسبك بالله حاكماً ، وبمحمد خصيماً وبجبرائيل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا . وهل رأيك الا فند ، وجمعك الا بدد والويل لك يوم ينادى المنادي الا لعنة الله على الظالمين .

من خطبة

زينب ابنة علي (ع)

قال وقلت

قال : هذا محرم قد اطل .

قلت : بلى وماذا ؟

قال : سينشط فيه كسول ، ويتدين مارق ، ويسخو بخيل ، وستجتمع اشتات ما كانت لتلتئم وتلتقي اضداد ما كانت لتنسجم ، وستقام محافل الذكرى هنا وهناك يحتشد فيها الناس احتشادا .

قلت : هذا خير لشخصية الحسين (ع) وصحبه ، وتاريخ الحسين (ع) وصحبه ، ومواقفهم يوم كربلاء مثل من امثلة الاسلام الحية ، وصفحة من صفحاته المشرقة تجسدت فيها روحه وقيمه ، وتمثلت فيها أهدافه وغاياته .
ومحافل ذكراه ـ ولا شك ـ ربط للامة بتأريخها بتأريخ قادتها ، وموجهيها ، ووصل لها بما ينطوي عليه هذا التاريخ من معان كبار .

قال : هذا صحيح ، وهو ما حفزني لمذاكرتك .

ولكن هل ثمة لدى الامة من يعكس لها ما قلت من مقومات شخصية الحسين(ع) ومميزاتها وابعاد تأريخ الحسين وعناصره لتفيد الامة منه على المستوى الذي ذكرت .

قلت : نعم ، الخطباء ـ

قال : وقد نظر اليّ عاتبا بالم :
هه . الخطباء . بالله هذا تجاهل منك ام جهل ؟
من هؤلاء الخطباء ؟ تعني هؤلاء النعاة ممن يتجر بقصة الواقعة ، واثارة

عواطف الامـة • تعنى هؤلاء الذين لا يعرف احدهـم من الاسـلام حتى ما يتعلق بعباداته ، ويرتبط بفروضه •

هل هم هؤلاء الذين ليس لدى احدهم من البصر بالحياة ما يتعدى مواضع خطوه ومن الفهم ما يتجاوز نطاق ذاته ؟ في زمن تصطرع فيـه التيارات الفكرية ، وتزدحم فيه الدعوات الاجتماعية •

قلت : رويدك يا اخي ، يبدو انك مثار منذ اليوم ! ان في خطباثا من هو بمستوى مهمته تفهما للواقع ، وثقافة ، وادراكا للمسؤولية الاسلامية •

قـال : وهو يعيد كلامي بسخرية « ان في بعض خطباثا من هو بمستوى مهمته » هكذا • ولكن كم هو هذا البعض ؟ اثنان ، ثلاثة ، عشرة هل هناك ما يتعدى هذا القدر ؟ افراد معدودون اعدوا انفسهم بانفسهم في ظروف تهيأت لهم ، ولم تتهيأ لسواهم •

قلت : بلى

قال : والباقون منهم ممن تتلقى الامة على يديه مفاهيمها وافكارها ، وتتلقن عليه عقيدتها ، واتجاهها • ما هو مستوى ادراكهم • وقدر حصيلتهم ؟

قلت : وما هو المستوى الذي تفترضه بالخطيب الحسيني اكثر من ان يتقن قصة الواقعة ويحيط باحداثها ، ويستدر الدموع والآهات من اجلها •

قـال : وقد بدى كمن يهم أن يطبق على عنقي غيظا :

والحسين قتل من اجل ان يعتاش نفر من الناس على قصته ، قتل من اجل ان تكرر الواقعة هكذا ككل واقعة اخرى في التاريخ ، لكأن قصة الواقعة غايتها ، وثمن دم الحسين واهل بيته واصحابه وسبي نسائه ثمنها الدموع ، والآهات • استغفرك اللهم !

ان واقعة الطف ، حددت موقفا ، وخططت طريقا بالنسبة لكل مسلم في كل وضعية مشابهة •

ان مكسب الواقعة هو ما اثارته من هذا الزخم العاطفي ، يتفجر في ضمير

الامة عاما بعد آخر ولذلك فما يفترض بالخطيب أن يوجه هذا الزخم من المشاعر لخدمة الاسلام ، ما يفترض بالخطيب ان يكون امتدادا لحركة الحسين (ع) ووصلا لنهضته ، وصدى لصوته ، ولا يكون كذلك الا اذا كان مثقفا ، واعيا مدركا للمسؤولية .

قلت : هذا صحيح ولكن وجود الخطباء حتى بوضعهم الفعلي لا يخلو من فائدة . فارتباط الامة بأهل البيت (ع) بهذا الشكل ـ ولا شك ـ مدين لهم ، منوط بهم .

قال : واية قيمة لارتباط ساذج كهذا الارتباط ؟ لا تتعدى آثاره آهة حارة ، ودمعة ساخنة ، واعمالا اخرى لا ترتفع على هذا المستوى قيمة وقدرا حتى اذا انتهت مناسبتها كان لكل منهم طريقه ، وكان لكل منهم منهجه ان ارتباطنا بأهل البيت (ع) يقوم على اساس انهم قادة ، على اساس انهم ممثلو عقيدة ، فاذا هبط ارتباطنا بهم الى ما دون هذ المستوى كان لا قيمة له ولا وزن .

قلت : هذا صحيح ولكن الامة تفهم ذلك ، وقد سمعت احاديث اهل البيت (ع) : « فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه » « من كان لله مطيعا فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع » .

قال : لو كانت الامة تفقه هذا لرأينا آثاره عمليا ان الامة بسبب هؤلاء الذين يمتطون منبر التوجيه دون كفاءة بأسم الحسين (ع) وفي ظلال مصيبته ، لا تفهم من التشيع لاهل البيت (ع) الا ان تقيم العزاء ، وتعقد المحافل او هذا ما نراه عمليا على الاقل اما ان تعيش سيرتهم ، وتمشي طريقتهم ، وتقتدى بهديهم فهذا ما لم ترتفع اليه فيما أرى ـ يوما من الايام ، وستبقى كذلك ما دام الذين يقومون على توجيهها رجال على هذا المستوى .

قلت : ارى ان ارتفاع مستوى الأمة بطبيعة ما تعيشه من واقع حضاري وثقافي كفيل بأن يحمل هذا النمط من الخطباء كما يسمون انفسهم على تثقيف انفسهم ، لاسيما وهم يواجهون تحديا مستمرا من قبل دعوات فكرية مختلفة تعمل على محاربتهم ، والقضاء عليهم .

قال : انت مخطىء فثقافة الامة ، وارتفاع مستواها ينهض فعلا على اساس غير اسلامي ، ومن مصلحة الدعوات الكافرة ان يستمر مثل هذا المستوى الواطىء المخرف للخطباء ، فذلك ولا شك مما يسهل لهم مصادرة المفاهيم الدينية ، ومقاومتها . ولا تحارب الاحزاب الكافرة احدا كما تحارب الخطباء المدركين والموجهين الواعين .

ان ارتفاع مستوى الامة ، منوط بارتفاع مستوى موجيها ، ومرشديها .

ب : الحق ذلك ، على الخطباء ، ان يدركوا المسؤولية ليثقفوا انفسهم بما يؤهلهم لخوض المعركة .

ب : انك تقول « لخوض المعركة » وهي كذلك ولكن اعداد الجيش قادة وجنودا للمعركة لا يترك لتقدير افراد الجيش انفسهم . ان من وراء ذلك خططا مدروسة ، وعقولا موجهة . هي عقول القادة المسؤولين ، الموجهين .

ب : وبخصوص الخطباء من ترى المسؤول ؟

ل : وهو ينظر بالم ، ويبتسم بمرارة الله اعلم .

ع . ع . ب

* * *

الا ترون الى الحق لا يعمل به ، والى الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغبن مؤمن في لقاء الله ، الا واني لا أرى الموت الا سعادة ، والحياة مع الظالمين الا برما .

الامام الحسين (ع)

مبدأ الإباحة العامة في الثروات الطبيعية

محمد مهدي الآصفي

اباحة الثروات العامة في الطبيعة من المبادىء المسلمة في الفقه الاسلامي ، وتتوفر عليها ادلة من الكتاب والسنة والعقل ، ويتفق عليها الفقهاء وان كانوا يختلفون في تفاصيل الموضوع من تحديد الاباحة والمباحات الاولية .

ويظن بعض الناس ان اقرار هذا المبدأ في الاسلام بهذا الشكل يقرب التشريع الاسلامي في الجانب الاقتصادي الى بعض المذاهب الاقتصادية ويبعده عن بعض ، ولكننا لو حاولنا ان ندرس هذا المبدأ الفقهي ضمن الاطار التشريعي الذي وضعه الاسلام فيه ، والى جنب الاسس الاخرى للاقتصاد (الاسلامي) نجد ان الاقتصاد الاسلامي ، ككل ، لا يفقد استقلاله المذهبي ولا يندمج في اي مذهب من المذاهب الاقتصادية الوضعية ، مهما كانت نوعية الالتقاء ، ولا يجوز لاحد ان يسمي هذا الفقه بشيء غير الاسلام ، ولا ان يطبعه بطابع غير طابعه التشريعي الفذ .

وفيما يلي نحاول ان نبحث عن مبدأ اباحة الثروات الطبيعية في الاسلام ، ونحدد هذه الاباحة في حدودها الشرعية ، ونتحدث عن المباحات الاولية في التشريع الاسلامي ، ونبحث ضمن ذلك عن موقف الاسلام في هذه المسألة من المذاهب الاقتصادية القائمة .

وقبل ان نبدأ بهذا الحديث نفرض علينا منهجة البحث ان نلتمس من مصادر التشريع الاسلامي الادلة المثبتة لهذا المبدأ في الفقه بالاجمال ، ليتسنى لنا بعد ذلك ان نتحدث عن حدودها ومعالمها بالتفصيل .

وقد استدل لها بالكتاب الكريم والسنة والاجماع والعقل ، كما يلي :

١ ـ القرآن الكريم :

فمن الكتاب الكريم دلت على الاباحة آيات كثيرة ، نستعرض بعضها في هذه الدراسة منها قوله تعالى :

« هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا »[*] .

والاية بما فيها من تعميم وشمول لجانب المنتفعين والمستهلكين ، ولجانب المنافع والثروات العامة تدل بوضوح على تقرير اصل الاباحة في الثروات الطبيعية العامة .

والمقصود بما في الارض كلما يوجد داخل الارض وعليها من ثروات ، ولا تقتصر دلالتها فقط على الثروات الموجودة داخل الارض . وتؤكد هذا المعنى كلمة جميعا ، عقيب (ما في الارض)[١] وحكمة (لكم) تفيد اباحة هذه الثروات للناس عامة .

فالشمول والعموم اذن تام من ناحية المنتفعين ومن ناحية المنافع . والغرض من تخصيص هذه الثروات للناس هو (الانتفاع) .

قال الرازي : (واما قوله «لكم» فهو يدل على ان المذكور بعد قوله « خلق » لاجل انتفاعنا)[٣] (والفقهاء رحمهم الله استدلوا به على ان الاصل في المنافع الاباحة) .

ولوضوح دلالتها على الاباحة لم يتردد الفقهاء في الاستدلال بها على اصل الاباحة في الاسلام وذلك كالشيخ في الجواهر[٤] والسيد العاملي في مفتاح الكرامة[٥] والمحقق الجزائري في (قلائد الدرر)[٦] وغيرهم .

والوجه في ذلك ان الاية الكريمة خصصت جميع الثروات لجميع الناس واضافتها اليهم جميعا ، وهي تقتضي اباحة هذه الثروات للناس عامة ،

(*) البقرة : ٢٩

(١) قال الرازي : (ما في الارض جميعا) : جميع المنافع فمنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال . تفسير الرازي ٢ : ١٥٣

(٢) تفسير الرازي ٢ : ١٥٣

(٣) المصدر السابق

(٤) جواهر الكلام ٦ : كتاب احياء الموات .

(٥) مفتاح الكرامة ٧ : ٢٩

(٦) قلائد الدرر ٣ : ٢٨٨

(٧) الحجر : ١٩ ـ ٢٠

حسب نظام خاص نذكره فيما يأتي من هـذا البحث . ولا توجد قرينـة تصرف الاية الكريمة عن هذا المعنى.

ومنها قوله تعالى :

« والارض مددناها ، والقينا فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل شـيء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين »[٨] .

فجعل المعايش للناس عـامة على وجه الارض .

ومنها قوله تعالى :

« ولقـد مكنـاكم في الارض ، وجعلنا لكم فيهـا معايش ، قليلا مـا تشكرون »[٩] .

ومنها قوله تعالى :

« هو الذي جعل الارض ذلولا فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه، واليه النشور »[١٠] والايات المتقدمة تشير الى جوانب ثلاثة نستخلصها من مجموعة ايات الكتاب الكريم.. وهذه الجوانب الثلاثة هي :

اولا : ان الله خلق للانسان عامة هذه الثروات ليتنفع بها ، ليستغلها في حاجاتـه (خلق لكم مـا في الارض جميعـا) .

ثانيا : انه تعالى مكّن الانسان من الطبيعـة وسـخرها له ، وامكنه من استغلالها ، والانتفاع بها (ولقد مكناكم في الارض) (هو الـذي جعل لكم الارض ذلولا) .

ثالثا : انه أذن للناس واباح لهم عامة استغلال هذه الثروات والانتفاع بها في حدود المحـافظة على المصـلحة الاجتماعية . (فامشـوا في مناكبهـا وكلوا من رزقه) (كلوا مما في الارض حلالا طيبا) وهذا اجمال من نظرية القرآن الكريم في اباحة الثـروات العـامة .

٢ ـ السـنة :

ومن السنة استدل بها بجملـة وافرة من الاحاديث تكاد ان تبلغ حد الاستفاضة . فقد روى بن سنان عن ابي الحسن عليه السلام قال : سألت عن ماء الوادي . فقال : ان المسلمين شركاء في الماء والنار والكلاء [١١] .

وروى ابو البختري عن ابي جعفر عليه السلام عن ابيه عن علي عليه السلام انه قال : لا يحل منـع الملح

---

(٨) الاعراف : ١٠

(١) الملك : ١٥

والنار[١٢] .

وعن عقبة بن خالد عن ابي عبدالله قال : قضى رسول الله (ص) بين اهل المدينة في مشارب النخل انه لا يمنع نفع الشيء ، وقضى بين اهل البادية انه لا يمنع فضل الماء ليمنع فضل الكلاء[١٣] .

وعن محمد بن علي بن الحسين قال : قضى رسول الله في اهل البوادي ان لا يمنعوا فضل ماء ، ولا يبيعوا فضل كلاء[١٤] .

وعن حنان قال : استقطعت رسول الله (ص) معدنا من الملح بمازن ، فاقطعنيه .

فقلت : يا رسول الله بمنزلة الماء العد[*] . انها لاتنقطع ، ولاتحتاج الى عمل .

فقال رسول الله (ص) : فلا ، اذن[١٥] .

---

(٢) وسائل الشيعة ٣ : ٣٦٨ الطبعة الحجرية ومن لا يحضره الفقيه ج٣ : باب ٧١

(٣) نفس المصدر

(٤) نفس المصدر

(٥) نفس المصدر ، ومن لا يحضره الفقيه ج٣ : باب ٧١ الحديث : ١٢

(١٥) جواهر الكلام ٦ : كتاب احياء الموات .

وورد عن ثور بن يزيد ، يرفعه الى النبي (ص) قال : المسلمون شركاء في الكلاء والماء والنار[١٦] وعن حريز ابن عثمان عن ابي خراش عن رجل من المهاجرين قال : غزوت مع النبي (ص) ثلاثا اسمعه يقول : المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والكلاء والنار[١٧] .

وروى عن النبي (ص) ايضا : ثلاث لا يمنعن : الماء والكلاء والنار[١٨] .

---

(١٦) الحديث ٣٠٥ من خراج يحيى بن آدم ، ورواه ابو داود ٣ : ٢٩٥

(١٧) قال ابن حزم في بلوغ المرام ٣ : ١١٧ رجاله ثقاة ونسبه الزيلعي ٢ : ٣١٧ لمسند احمد ، وذكر ان الطبراني رواه من حديث ابن عمر ، ورواه ابن ماجة ٢ : ٤٨ من حديث ابن عباس باسناد ضعيف .

(١٨) رواه ابو يوسف في الخراج ص٥٥ ط بولاق عن حريز بن عثمان ، كما صحح اسناده ابن حجر في الفتح ٥ : ٢١ عن طريق آخر .

(*) الماء العد بكسر العين الدائمة الذي له مادة ، لا انقطاع لها كماء العين والحديث رواه ابو داود ١ : ٢٥٩ وابن سعد ٥ : ٣٨٢ والدار قطني : ٥١٩

وعن ابن ابيض ابن حمال انه استقطع النبي (ص) الملح الذي بمأرب فاراد النبي (ص) ان يقطعه اياه . فقال رجل انه كالماء العد . فابى ان يقطعه(*) .

٣ ـ الاجماع :

ومن مراجعة كلمات الفقهاء يكاد ان يطمئن الباحث الى ان مسألة الاباحة العامة للثروات الطبيعية على وجه الاجمال في حدود ما نشرحه ، فيما بعد ، متسالم عليه بين الفقهاء .

يقول السيد العاملي في مفتاح الكرامة في مسألة جواز اقطاع الامام ما لا يجوز احياؤه من الثروات الطبيعية كالمعادن الظاهرة وغيرها :

(واختير عدمه له في المبسوط ، والمهذب ، والسرائر ، وجامع الشرائع ، والتذكرة ، والتحرير ، والايضاح ، والكتاب ، فيما يأتي ، والدروس ، واللمعة ، وجامع المقاصد ، والمسالك ، والروضة ، وهو ظاهر الوسيلة ، والارشاد ، بل قد يلوح من المبسوط ، والسرائر نفي الخلاف عن ذلك ، فان فيهما : ليس للسلطان ان يقطع مشارع الماء بلا خلاف ، وكذلك المعادن الظاهرة ، وقد صرح بان الناس فيها شرع في المبسوط والمهذب ، والوسيلة والسرائر وجامع الشرائع ، واللمعة في موضعين منها ، وجامع المقاصد ، والمسالك ، والكتاب فيما يأتي ، وهو ظاهر الشرائع والتذكرة ، ونفى عنه البعد في الكفاية ، وفي الدروس نسبته الى المتأخرين ، وفي جامع المقصود انه المشهور بين المتأخرين ، وفي الكفاية انه المشهور وفي المسالك ، والكفاية ، والمفاتيح انه مذهب الاكثر ، ولعل مستندهم عموم خلق لكم ما في الارض جميعا)(١٩) .

٤ ـ العقل :

ويتضح فيما بعد حينما نتحدث عن معنى الاباحة ان الموارد الطبيعية لا يمكن تخصيصها بفرد خاص او فئة خاصة ، دون ان يلزم من ذلك اختلال في الاوضاع المعاشية والحياتية العامة في المجتمع .

ولذلك فقد ارسل الفقهاء حكم العقل بالاباحة ، دون توقف .

يقول الشيخ محمد حسن في جواهر الكلام في هذا البحث (ولشدة حاجة الناس الى بعضها على وجه يتوقف عليه معاشهم نحو الماء والنار والكلاء)(٢٠) .

---

(١٩) مفتاح الكرامة ٧ : ٢٩

(٢٠) جواهر الكلام ٦ : احياء الموات .

وبهذا الشكل نجد ان مبدأ اباحة الثروات العامة موضع اتفاق العلماء ، اجمالا ، وتتظافر عليه ادلة من مصادر التشريع الاربعة .

وفيما يلي نعرض على القارىء حدود هذه الاباحة وتفاصيلها ، بالشكل الذي يرسمه التشريع الاسلامي ، ويعرضه الفقهاء .

●

ومنهجة البحث تقتضينا ان نبحث عن جانبين :

الجانب الاول : تحديد معنى الاباحة

الجانب الثاني : تحديد الثروات العامة التي تعرضها الاباحة .

الاباحة العامة والملكية :

اما فيما يخص الجانب الاول ، فقد يظهر من مراجعة الاحاديث ان الاباحة تقع مقابل الاختصاص والملكية الخاصة .

وطبيعة الاختصاص والملكية الخاصة تعطي حقا غير محدود للمالك باستعمال واستغلال املاكه الا في الموارد التي ينص الشرع على ايجاب شكل خاص للاستعمال او تحريم نوع خاص منه . والا فالطبيعة الاولية للملكية والاختصاص تقتضي حقا غير محدود للمالك في الاستعمال والاستغلال

ويمكننا ان نرجع طبيعة هذا الحق الى حقين :

« **حق ايجابي** » في استعمال المالك املاكه الخاصة ، من دون قيد ، واكثر مما تتطلبه حاجته الخاصة و « **حق سلبي** » يحق له بموجبه منع الاخرين من الاستفادة عن املاكه الخاصة واستعمالها .

ولا تحتاج الى تكلف في الاستدلال لتحمل الملكية هذه الطبيعة المزدوجة السالبة والموجبة . فان افتراض حق خاص لاحد في شيء يستدعي تمكينه من كل استعمال لا يخرج عن حدود الشرع ، سواء كان ذلك في منع الاخرين عن اموالـه ، او استعمال ذلك لاغراضه الخاصة ، من دون شرط .

والاباحة تقع تماما في النقطة المقابلة للملكية الخاصة ، فهي تعني اباحة الثروات العامة للناس ، وعدم وجود حق خاص لاحد في استغلال واستعمال هذه الثروات .

وكأن الملكية في الثروات العامة تنتقل من القاعدة الفردية الى قاعدة اخرى تشمل جميع الناس ، بشكل سواء ، ويدل عليه قوله عليه السلام : (هي ملك للمسلمين عامة) ، وقوله: (المسلمون شركاء في ثلاث) او

(المسلمون شركاء في ثلاث) وبالمقابلة تستدعي الاباحة او (الملكية العامة) للثروات الطبيعية وجود حقين لاصحابها الشرعيين ، وهم عامة الناس ، حق سلبي وحق ايجابي •

الجانب السلبي :

فمن الناحية السلبية لا يجوز لاحد احتكار هذه الثروات ومنع الاخرين من استعمالها والاستفادة منها ، لانتهاء ذلك الى التجاوز على حقوق الاخرين في هذه الاحوال •

وقد وجدنا فيما مر علينا من الاحاديث دلالات صريحة على ذلك **كقوله عليه السلام (لا يحل منع الملح والنار) وقوله (لا يمنع فضل الماء ليمنع فضل الكلاء)** •

ومن الشواهد على ذلك أيضا ما يذكره الفقهاء من انه لا يجوز لاحد ان يحمي مرتعا لماشيته ، ويمنع عنه الاخرين •

قال العلامة الحلي رحمه الله :

(ونهى رسول الله عن ذلك - اي الحمى - لما فيه من التضييق على الناس • وقال لا حمى الا لله ولرسوله • اذا ثبت هذا فان للنبي ان يحمي لنفسه وللمسلمين ، كما حمى عليه السلام النقيع لخيل المهاجرين ، وليس لاحاد المسلمين ان يحموا لانفسهم ولا لغيرهم اجماعا)[٢١] •

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله : (واما آحاد المسلمين فليس لهم ان يحموا لانفسهم ولا لعامة المسلمين لقوله عليه السلام : لا حمى الا لله ولرسوله)[٢٢] •

وقال الشيخ الطوسي ايضا في حكم تحجير واقطاع المعادن الظاهرة : (واما المعادن الظاهرة فهي الماء والقير والنفط والمومياء والكبريت والملح وما اشبه ذلك ، ولا يصير احد اولى به بالتحجير من غيره ، وليس للسلطان ان يقطعه بل الناس كلهم فيه سواء)[٢٣] •

الجانب الايجابي :

ومن الناحية الايجابية لا يجوز لاحد ان ياخذ اكثر من حاجته ، ويجب بذل الفاضل عن حاجته لكل من يحتاج اليه من عامة المسلمين •

---

(٢١) تحرير الاحكام للعلامة الحلي ٢ : ١٣٠

(٢٢) المبسوط للشيخ الطوسي : كتاب احياء الموات

(٢٣) المصدر السابق •

وذلك لان استغلال الشخص للموارد العامة للثروة اكثر من حاجته يؤدي الى التجاوز على حق الاخرين في هذه الاموال .

يقول المحقق الحلي في الاستفادة من موارد الثروة الطبيعية :

(فكل من سبق اليها فله اخذ حاجته)[٢٤] .

ويقول السيد العاملي في مفتاح الكرامة :

(وفي جامع الشرائع والايضاح انه لواقام لاخذ الزيادة عن حاجته منع وهو ظاهر السرائر والمبسوط في اول كلامه . قالا : من سبق اخذ قدر حاجته وانصرف ، وهو الظاهر ايضا من الشرائع ، والارشاد ، واللمعة والمفاتيح ، حيث قالوا من سبق اخذ قدر حاجته . وقد نسب هذا في التذكرة الى اكثر اصحابنا . قال : ولم يبينوا لنا حاجة يومه او سنته فالاولى الرجوع الى العرف ، فيأخذ ما تقتضيه العادة لامثاله)[٢٥] .

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله :

(الناس كلهم سواء ، يأخذون منه قدر حاجتهم)[٢٦] .

وقال الشيخ ايضا :

(وكل موضع قلنا فيه انه يملك البئر فانه احق بمائها بقدر حاجته لشربه وشرب ماشيته وسقي زرعه ، فاذا فضل بعد ذلك شيء وجب بذله بلا عوض لمن احتاج اليه لشربه وشرب ماشيته)[٢٧] .

وقال العلامة الحلي رحمه الله :

(هذه المعادن الظاهرة الناس فيها شرع على ما تقدم ، فمن سبق اليها كان له اخذ حاجته منها ولو ازدحم اثنان ، وضاق المكان فالسابق اولى . وباي قدر يستحق المتقدم عبارة اكثر الاصحاب تقتضي انه يتقدم باخذ قدر الحاجة ، ولم يبينوا ان المراعى حاجة يومه او سنته ، والاولى الرجوع في ذلك الى العرف ، فيأخذ ما تقتضيه العادة لامثاله)[٢٨] .

الاضرار بالاخرين :

ولم تخل المسالة ، بعد من خلاف بين الفقهاء ، ولكنني ارى ان المسالة بالشكل الذي يتداوله الفقهاء لا يتحمل الخلاف ، اذا حاولنا ان

---

(٢٤) شرائع الاسلام كتاب احياء الموات .
(٢٥) مفتاح الكرامة ٧ : ٤٣
(٢٦) المبسوط للشيخ الطوسي : كتاب احياء الموات .
(٢٧) المصدر السابق .
(٢٨) تذكرة الفقهاء ٢ : ٤٠٢

نفسر (الحاجة) في هذه المسألة بما يلائم طبيعة المسألة .

فلا شك ان المنع عن استغلال الموارد الطبيعية اكثر من الحاجة يختص بصورة التزاحم ، فلو لم يكن على المورد تزاحم فليس هناك من يذهب الى منع استغلال الموارد الطبيعية بما يزيد على حاجة الشخص وذلك لان استغلال الموارد الطبيعية باكثر من الحاجة في صورة التزاحم فقط يؤدي الى الاضرار بالاخرين ، والتجاوز على حقوقهم بصورة مباشرة او غير مباشرة، وليس في حالات عدم التزاحم أي ضرر على الآخرين من استغلال الموارد الطبيعية باكثر من الحاجة الشخصية . فالمنع اذن في هذه المسألة لا ينصب على (الحاجة) ، وليس فيما يبدو لي دليل على المنع عن استغلال الموارد الطبيعية اكثر من الحاجة الشخصية ، وانما المنع والتحريم ينصبان على الاضرار بالغير، في صورة وجود تزاحم على الموارد العامة ، والحاجة اليها .

ولذلك فلابد من نقل المسألة من قاعدة (الحاجة) الى قاعدة (الاضرار) بالاخرين فيمنع الشخص عن استغلال الموارد الطبيعية في الحدود التي تضر بمصالح الاخرين[٢٩] ، ويسمح له بالاستغلال في الحدود التي لا تضر بمصالح الاخرين .

وبنحو من هذا نستطيع ان نجمع بين اقوال الفقهاء في المسألة ، وليس هذا من التبرع في الجمع ، وانما تدل عليه تصريحات الفقهاء انفسهم.

يقول الشيخ مؤلف الجواهر ، بعد نقل الخلاف في المسألة :

(والاولى من ذلك ما ذكرناه ـ من جواز الانتفاع ـ الا مع وصول الامر الى حد المضارة بالغير ، ولعله الى ذلك يرجع ما في جامع المقاصد من التقييد بما اذا لم يضر مقيما ، كما ان مرجع قول بعض الاصحاب (اخذ بغيته وحاجته) ونحوهما الى شيء واحد ، وهو جواز الاخذ ولو زائدا على الحاجة ، ما لم تحصل

---

(٢٩) ولو كانت المصلحة هي حق الاستفادة من مورد طبيعي يتسع لاكثر من واحد مع توفر موارد اخرى. فمنع المنتفع الثاني من الانتفاع وحجز المورد لصالح المنتفع الاول يعتبر اضرارا بمصلحة الثاني ، وتضييعا لحقه من الانتفاع من هذا المورد بالذات . وهذا مورد نادر من (المصلحة) و (الاضرار)

المضارة)[٣٠] .

قاعدة الضرر :

وفوق ذلك كله فان قاعدة الضرر تقتضي المنع عن اي تصرف شخصي في موارد الثروة العامة ، فيما لو كان ذلك يؤدي الى الاضرار بالاخرين .

ومثل هذا الاضرار مرفوع في الاسلام بقوله صلى الله عليه واله (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام) .

وذلك لان الاستغلال الفردي لموارد الثروة العامة المخلوقة للناس جميعا ، حسب تعبير القرآن الكريم وعرضها على السوق للتجارة يؤدي الى حرمان الآخرين من حقوقهم الاولية ، واحتكار الثروة وتضخيمها في ايدى فئة خاصة من المجتمع ، وقد منع الاسلام عن مثل هذا الاضرار .

فلا يجوز للفرد في المجتمع الاسلامي ان يستغل موارد الثروة العامة الا في حدود ما تتطلبه حاجته الشخصية ، شأن الاخرين من المستفيدين ، وبشكل لا يؤدي الى الاضرار بمصالح الاخرين وحرمانهم من حقوقهم الاولية في الثروات الطبيعية المدخرة في الارض .

فالاباحة في حدود ما شرحناها تقع في مقابل الملكية الخاصة ، وتنقل الملكية من الحق الفردي الى الحق العام . ويظهر هذا المعنى بوضوح من قوله تعالى : (وخلق لكم ما في الارض جميعا) بهذه الصيغة الشاملة وقوله عليه السلام (للمسلمين عامة)وقوله (المسلمون فيه سواء) وقوله (المسلمون فيه شرع) وما شاكل ذلك، وتستدعي منع الاستغلال الفردي والاحتكار ، وايجاب بذل الفاضل عن الحاجة ، فيما اذا كان الاستغلال باكثر من الحاجة يؤدي الى اضرار الاخرين ، واختلال الحياة الاجتماعية .

مقارنة بين الاسلام والراسمالية والاشتراكية :

وبشكل عام يمكننا ان نقارن انطلاقا من هذه النقطة بين المذهب الاقتصادي في كل من الاسلام والاشتراكية والرأسمالية .

فالانتاج يتم في البدء من تفاعل عنصرين من عناصر الانتاج الثلاثة وذلك هما الطبيعة والعمل وقبل البدء بعملية الانتاج الاولى لم يتوفر للمنتجين رأس مال للعمل . لان الرأسمال ، وهو من عناصر الانتاج لا يتوفر للانتاج الا في مراحل الانتاج اللاحقة، واما الانتاج الابتدائي فلا يتقوم الا من عنصرين : الطبيعة والعمل . ودور

---

(٣٠) جواهر الكلام ٦ : كتاب احياء الموات .

العمل في عملية الانتاج هذه دور التأثير والفعل بينما يكون دور الطبيعة دور التأثر والانفعال .

وتضخم الرأسمال يحصل نتيجة لتوفر هذين العنصرين لدى المنتج ، من دون وجود قيود وحدود قانونية على كل منهما ، يحد من توسعهما وقدرتهما في الانتاج .

كما ان تحديد هذه العنصرين ، وفصل المنتج عنهما ، واعتباره موظفا عليهما ، لا يملك من امرهما شيئا ما وراء ذلك يحد من قابلية الفرد في الانتاج ، كما سنستعرض ذلك فيما يلي من هذا الحديث بشيء من التوضيح .

واعتبارا من هذه النقطة ينطلق الاسلام والاشتراكية والراسمالية في خطوط لالة مختلفة ، كما ياتي :

الراسمالية :

فالرأسمالية تطلق يد الفرد في استغلال عنصري العمل والطبيعة من غير تحديد، وذلك تقريرا لمبدأ (دعه يعمل) الا من بعض القيود الخفيفة التي لا تغير طابع المبدأ العام للرأسمالية .

والدولة الراسمالية مهما كانت مخططة ، وغالت في التخطيط فلا يمكن ان تخرج على اصول الراسمالية من حريه (العمل) و (تملك) الموارد الطبيعية .

فالنظام الرأسمالي قائم على مثل هذه الحرية في (العمل) و (التملك)، ومن دون ذلك تنقلب الرأسمالية غير الرأسمالية . والتخطيط انما يتم في هذا النطاق .

ومناقشة النظام تتم على هذا المستوى النظري فحسب ، واما اذا تغير هذا النظام الى نظام آخر غير الرأسمالية ، وتحولت الاسس التي تقوم عليها الرأسمالية الى خليط من الاصول الاشتراكية والرأسمالية، كما هو الوضع في بعض الدول الرأسمالية المخططة فالمناقشة انما تتم بمؤاخذه النظام بكل من هذه الاصول التي يقوم عليها النظام ، وليس مذهبا جديدا ، من المذاهب الاقتصادية ، يتطلب محاولة جديدة في النقد .

وعليه ، فالنظام الرأسمالي القائم على الاسس الرأسمالية في الاقتصاد والسياسة ، من الحرية في العمل ، وتملك الموارد الطبيعية لا يمكن ان يحدد (العمل) و (استغلال الموارد الطبيعية) بأكثر من امكانات الافراد في العمل والتملك . وبعد ذلك فالفرد

له مطلق الحرية في العمل والتملك ، الا في بعض الحدود التي لا تغير طابع المذهب .

ومن هنا نجد ان طبيعة النظام تبعث على ظهور ملكيات ضخمة واسعة لدى الفئات الرأسمالية والاقطاعيين واصحاب الاعمال ، في قبال حرمان عامة طبقات المجتمع .

وهذه حقيقة تعيشها الامم الرأسمالية في مختلف ظروفها . واذا تمت هذه الحقيقة العلمية في الانتاج الابتدائي فهي تتم أيضا في الانتاج ما بعد التوزيع . فان تضخم الوارد الاقتصادي للفرد ، أو الدخل الفردي في المجتمع الرأسمالي يتناسب دائما مع الحرية المخولة للفرد في (العمل) و (استغلال) الموارد الطبيعية ، بالاضافة الى تأثير ضخامة الرأسمال الموظف في العمل في ضخامة الدخل الفردي أو الناتج الاقتصادي العائد للفرد .

وانطلاقا من هذه النقطة فان المشكلة المعقدة في النظام الراسمالي من حيث ادائه الى تضخم الدخل الفردي لا يتغير عما هو عليه في اى وضعية اقتصادية ، مع المحافظة على اصول النظام واسسه .

الاشتراكية :

والشيوعية ، أو الاشتراكية عامة ، تقع في قبال هذه النقطة .

فهي تفصل الفرد عن نشاطه او عمله الخاص ، كما تفصله عن الثروات العامة المدخرة في الارض وتعتبره عاملا فحسب من قبل الدولة، موظفا على لون من الوان النشاط الانتاجي ، دون ان يملك مما ينتج غير راتب خاص، تحدده مكانته الاجتماعية او حاجته الشخصية كما يقولون .

اذن فالنظام الشيوعي أو الاشتراكية عامة تعتبر الدولة هي التي تملك نشاط الافراد ، وهي التي تملك الطبيعة ، وتعتبر الفرد مفصولا عن نشاطه الانتاجي وعن حصيلة هذا النشاط .

وهذا الاحساس بالحرمان والانفصال عن عملية الانتاج يشعر الفرد في ظلال مجتمع اشتراكي انه لا يملك حصيلة انتاجه داخل القطاع العام للانتاج .

واكثر من ذلك لا يشعر انه يملك عمله الخاص ، العائد اليه ، فهو ملك للدولة ، وليس له الا ما يتقاضى من اجر ازاء اعمال هذا النشاط في حقول الانتاج .

وينعكس هـذا الشعور النفسي بالحرمان والضياع وفقدان الاستغلال على قطاعات الانتاج ، فتطبع عملية الانتاج في المجتمع الاشتراكي بسمة اللا مبالاة واللا اهتمام ، من قبل الافراد العاملين ، كما يحد من نشاط الافراد القائمين بالعمل .

والتقدم الذي أحرزته الدول الشيوعية لا يعود لطبيعة النظام ، وانما يعود لارتفاع مستوى الانتاج نتيجة لوفرة الثروات الطبيعية ، وكثرة الايدي العاملة ، وتنظيم العمل .

ولو كانت الحرية تتوفر في العمل والانتاج للقائمين بالعمل في هذا المستوى الانتاجي لكانت البلدان الاشتراكية تتمتع بمستوى اقتصادي أفضل .

الاسلام :

وبين هاتين النقطتين الرأسمالية والاشتراكية يقع الاسلام .

فهو من جانب ، يطلق ايدي القائمين بالعمل ، من ناحية النشاط الاقتصادي ويسمح لهم بالقيام بمختلف وجوه النشاط التثميري والانتاجي في الحدود المشروعة ، واكثر من ذلك يبعث في نفوسهم روح العمل والنشاط ، ويعتبر العمل جزءاً لا يتجزأ من كيانهم الاجتماعي ، ويملكون ما ينشأ عنه من خير .

ومن ناحية العنصر المتفعل في الانتاج (الطبيعة) يحدد حق الفرد في استغلال الثروات الطبيعية واعدادها للانتفاع والاستهلاك بحدود المصلحة الاجتماعية ، ويعتبرها جميعا ملكا لمجموعة الامة ، لا لفرد خاص ، وليس له ان يستغل شيئا منه فوق حاجته فيما اذا كان ذلك يخل بالمصلحة العامة .

فيحدد استثمار الموارد الطبيعية العامة للثروة واستعمالها بمراعاة المصلحة الاجتماعية والحاجة الشخصية . فاذا اقتضت المصلحة الاجتماعية الاقتصار على الحاجة الشخصية لم يكن للفرد ان يتجاوز هذا الحد من استعمال موارد الثروة العامة .

ومن هنا فان الرأسمال لا يتضخم ، لطبيعة هذه العلاقة القائمة بين العمل والموارد الطبيعية في المجتمع الاسلامي ... تضخما كبيرا يؤدي الى اختلال التوازن المالي في الحياة الاجتماعية ، بعد ما لوحظت المصلحة الاجتماعية والحاجة في تحديد حق

الاستغلال والانتفاع من هذه الموارد .

ومن جانب آخر لا يشعر الفرد القائم بالعمل في مجتمع اسلامي بالضياع والحرمان ، اذا علم انه يملك عمله ، ويملك ما ينشأ عن عمله ، ويملك حرية العمل والسعي في حدود القانون وليس مفصولا عن عملية الانتاج الاقتصادي الذي يقوم به ، وعن حصيلة هذا الانتاج .

ومن هنا نجد ان الاسلام يتوسط الرأسمالية والاشتراكية في معالجة مشاكل الانتاج والتوزيع .

ـ للموضوع صلة ـ

ايما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده او من عند غيره اقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقةً عيناه مغلولةً يداه الى عنقه فيقال هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به الى النار .

الامام الصادق (ع)

الحاكم الإسلامي بعد زمن الغيبة

عبد الهادي الفضلي

منهج البحث لدى الفقهاء :

يمنهج الفقهاء ـ رضوان الله عليهم ـ البحث حول موضوع الحكم الاسلامي في عصر الغيبة الى جانبين هما :ـ

ا ـ البحث حول اصل مسألة الحكم الاسلامي زمن الغيبة .
ب ـ والبحث حول نيابة الفقيه العادل عن الامام المنتظر (ع) صاحب الحق الشرعي في رئاسة الدولة .

وربما كان ذلك تمشيا على ضوء طريقتهم المنهجية المتبعة في البحث الفقهي الاستدلالي وهي : الاستدلال ـ أولا ـ على أصل المسألة ، فالبحث ـ ثانيا ـ عن تعريفاتها ...

وربما كانت في مقابل من يتوهم منه الانكار لاصل المسألة ـ كما المحت اليه ـ .

وايا كانت دواعيهم ـ رضوان الله عليهم ـ ، فالذي اراه مناسبا هو استعراض المسألة على ضوء منهجهم .. وان كانت المنهجة الاصلية تأبي ذلك ، وتعتبره مفارقة منهجية ، بعد ثبوت المسألة بالضرورة من الدين ـ كما أشرت اليه في مدخل البحث ـ .

غير أني سأحاول أدخالها في قائمة الادلة على الجانب الثاني من البحث ، وهو نيابة الفقيه العادل ، لصلاحيتها للاستدلال بها على ذلك ، ولاجل المحافظة على أصالة المنهج ..

ادلتـه :

١ ـ (الدليل الاجتماعي التاريخي) :

وهو الدليل الذي استدل به على لزوم قيام حكومة اسلامية في مجتمع المسلمين زمن الحضور ..

وخلاصته :

ان الحكومة ظاهرة اجتماعية ، فرضتها حاجة المجتمع الى الأمن وحفظ الحقوق واشاعة العدالة .

وان المجتمع الاسلامي ليس بدعا من المجتمعات البشرية في طبيعة ما يستلزمه من تنظيم علاقاته من تشريع نظام اجتماعي بغية تحقيق الامن وحفظ النظام واشاعة العدالة بين افراده ، وقيام حكومة تقوم على تنفيذ ذلك النظام لتحقيق الغاية من تشريعه .

ولو كان مجتمع المسلمين يختلف عنها في طبيعة حاجته الى ذلك ، لكان النبي (ص) أو الامام (ع) اولى وألزم في بيان ذلك والتنبيه عليه . وحيث لم ينبها على ذلك ، فهو اذن ـ اعني مجتمع المسلمين ـ كبقية المجتمعات البشرية في لزوم قيام حكومة فيه .

بهذا الدليل نفسه يستدل على وجوب اقامة دولة اسلامية زمن الغيبة ، على اعتبار ان مجتمع المسلمين زمن الغيبة هو الآخر لا يختلف عن المجتمعات البشرية في طبيعة حاجته .

الى النظام ، والى الحكومة ، لتقوم على تنفيذه لتحقيق الغاية من تشريعه . يقول السيد البروجردي : « أن في الاجتماع أمورا لا تكون من وظائف الافراد ولا ترتبط بهم ، بل تكون من الامور العامة الاجتماعية التي يتوقف عليها حفظ نظام الاجتماع مثل : القضاء ، وولاية الغيّب والقصّر ، وبيان مصرف اللقطه والمجهول المالك ، وحفظ الانتظامات الداخلية ، وسد الثغور ، والامر بالجهاد والدفاع عند هجوم الاعداء ، ونحو ذلك مما يرتبط بسياسة المدن ..

فليست هذه الامور مما يتصدى لها كل أحد ، بل تكون من وظائف قيم

الاجتماع ، ومن بيده ازمة الامور الاجتماعية ، وعليه أعباء الرياسة والخلافة »[1] .

ويضاف اليه :

أن العقل يحكم ـ بعد تسليم هذه المقدمة المذكورة بثبوتها بما برهن عليه في محله ـ بدوران الامر ـ بسبب لزوم حاجة المجتمع المسلم الى الحكومة ـ بين :

قيام حكومة اسلامية ...
أو قيام حكومة كافرة ...
لانه لا ثالث للكفر والاسلام .

فينفرع عليه : وجوب قيام حكومة اسلامية لحرمة الخضوع للحكم الكافر ـ كما سيأتي ـ .

كذلك يحكم العقل ـ هنا ـ بدوران الامر ـ بعد ثبوت وجوب قيام حكومة اسلامية ـ بين اعتبار الحاكم هو من تختاره الامة مطلقا ، وبين الفقيه العادل . ولما كان اعتبار الفقيه العادل حاكما ثابتا ـ كما سيأتي ـ واعتبار من تختاره الامة حاكما موضع شك .. يتعين اعتبار الفقيه العادل حاكما .

٢ ـ (الدليل العقائدي) :

ويتلخص :

بان العقيدة الاسلامية تملي على المسلم وجوب القيام بتطبيق الاسلام في حياته .

والاسلام ـ كما هو واقعه ، وكما يستفاد من استقراء احكامه وتشريعاته ـ نظام كامل محتو على جميع التشريعات التي تتطلبها الحياة في مختلف مجالاتها :

فردية وجماعية .. اقتصادية واجتماعية وسياسية وغيرها . ومن البديهي ان قسما من هذه التشريعات امثال : التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لا يتم تطبيقها الا عن طريق السلطة الحاكمة . وعليه فلابد من قيام دولة اسلامية عصر الغيبة .

ومن هنا عادت الحكومة الاسلامية من ضروريات الدين أيضا .

---

(١) البروجردي ـ البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر ص٥٢ .

ومن هنا .. نقول أيضا : أن المسألة تدور بين ان يعود امر الحكومة الاسلامية : الى الامة والى اختيارها ..

أو الى الفقيه العادل نيابة عن الامام المنتظر (ع) صاحب الحق الشرعي في رئاسة الدولة . وحيث قد ثبت الثاني ـ كما سيأتي ـ يكون هو المتعين .

٣ ـ (الدليل العقلي) :

وموجزه :

ان العقل الحاكم بلزوم نصب الامام حاكما للدولة الاسلامية والرئاسة العامة بعد النبي (ص) لاجل حفظ الاسلام بصفته مبدا ، ورعاية شؤون المسلمين بصفتهم امة .

انه نفسه يحكم بلزوم نصب من يقوم مقامه حال غيبته للغاية نفسها ، ..

وليس هو الا الفقيه العادل لثبوت نيابته عن الامام ـ كما سيأتي ـ .

يقول صاحب الجواهر في الاستدلال على وجوب اقامة الحدود من قبل الفقهاء : « ان المقتضي لاقامة الحد قائم في صورتي حضور الامام وغيبته ، وليست الحكمة عائدة الى مقيمه (يعني الامام ـ ع ـ) قطعا ، فتكون عائدة الى مستحقه ، والى نوع المكلفين (يعني الامة) ..

وعلى التقديرين لابد من اقامته مطلقا ..

وثبوت النيابة لهم (يعني الفقهاء) في كثير من المواضع على وجه يظهر منه عدم الفرق بين مناصب الامام اجمع ، . .

بل يمكن دعوى المفروغية منه بين الاصحاب ، . فأن كتبهم مملوءة بالرجوع الى الحاكم ، والمراد به نائب الغيبة في سائر المواضيع ...

قال الكركي ـ في المحكي من رسالته التي الفها في صلاة الجمعة :ـ

اتفق اصحابنا على ان الفقيه العادل الامين الجامع لشرائط الفتوى ـ المعبر عنه بالمجتهد في الاحكام الشرعية ـ نائب من قبل أئمة الهدى في حال الغيبة في جميع ما للنيابة فيه مدخل(٢) .

---

(٢) ص ٦١٨

على اننا ـ فيما يبدو لي ـ اذا لم نلتزم بثبوت حكم العقل بلزوم نصب حاكم عام للدولة الاسلامية زمن الغيبة ، يكون الدليل المشار اليه قاصرا عن اثبات الامامة ..

ويترتب عليه ما يلي :

١ ـ انحصار دليل الامامة بالنص (النقل) .

٢ ـ صحة الرأي الاول ـ على تقدير تمامية دليله ـ القائل برجوع امر الحكومة في غير موارد النص ـ كما في زمن الغيبة ـ الى المسلمين .

٣ ـ أو نقول : ان الغاية من نصب الامام بعد النبي (ص) عقلا ، هي : قيام الامام بمهمة اتمام عملية التغيير الاجتماعي الشامل الذي استهدفه الاسلام بصفته حركة اجتماعية ثورية ، . وذلك لانهاء فترة الانتقال حيث تتم فيها عملية التغيير الاجتماعي الشامل ، ـ ان تم دليل هذا الرأي .

وفي ضوئه :

يعود امر تشريع قضية الحكومة الى الامام الذي ستنتهي على يديه فترة الانتقال بأنهاء عملية التغيير الاجتماعي الشامل .

الا انه حيث لم تواتِ الظروف التاريخية الائمة (ع) للقيام بمهمة انهاء فترة الانتقال ، يعود الامر الى التماس الحكم من النصوص ان كانت ، .. والا فمن العقل[٣] .

ولما كان الدليل العقلي المشار اليه ثابتا ـ كما هو مبرهن عليه في محله ـ فلابد من الاخذ بما ينتهي اليه ، وهو : حكم العقل بلزوم نصب حاكم عام للمسلمين زمن الغيبة . وليس هو الا الفقيه العادل . وذلك لدوران الامر بين عدم النصب أو نصب الفقيه العادل . وحيث ثبت بطلان الاول (وهو عدم النصب) بالدليل العقلي المشار اليه ، يتعين الثاني (وهو نصب الفقيه العادل) .

---

(٣) الرأي المشار اليه لاستاذي الجليل العلامة المحقق السيد محمد تقي الحكيم ، تراجع : محاضراته في التاريخ الاسلامي على طلبه كلية الفقه .

٤ ـ (الدليل النقلي) :

استدل بنصوص من الكتاب والسنة .. اهمها ما يلي :

أ ـ (من الكتاب) :

استدل بان الخطابات القرآنية الواردة في امثال قوله تعالى : (فاجلدوا) ـ في آية حد الزنى ـ[٤] وقوله تعالى : (فاقطعوا) ـ في آية حد السرقة[٥] ـ ، مطلقة تشمل زماني الحضور والغيبة[٦] .

ولم يرد ما يدل على تقييدها بزمن الحضور ..

فاذن على عامة المسلمين امتثالها ..

الا انه مع صدور الاذن من الائمة (ع) للفقهاء بتطبيق كثير من جوانب النظام الاجتماعي العام ـ التي هي من وظائف وصلاحيات الحاكم العام[٧] ـ الذي يفاد منه الاذن بالجميع ، . وذلك للقطع الذي يستفاد من سيرة الائمة (ع) ، وحرصهم الشديد على القيام بأداء مسؤوليتهم من تبليغ الاحكام وتطبيقها .. يكون على الفقهاء القيام بامتثالها .

فيتعين ـ على ضوئه ـ نصب الفقيه العادل حاكما عاما للمسلمين من قبل الائمة (ع) .

يقول الفيض الكاشاني : « **وكذا اقامة الحدود والتعزيرات وسائر السياسات الدينية فان للفقهاء المؤمنين اقامتها في الغيبة بحق النيابة عنه ـع ـ لانهم ماذونون من قبلهم (ع) في امثالها كالقضاء والافتاء وغيرهما ... ولاطلاق ادلة وجوبها .. وعدم دليل على توقفه عليه السلام** »[٨] .

ويقول السيد البروجردي : « انه لما كانت هذه الامور والحوائج الاجتماعية مما يبتلي به الجميع مدة عمرهم غالبا ، ولم يكن الشيعة في عصر الائمة متمكنين

---

(٤) الآية ٢ من سورة النور

(٥) الآية ٣٨ من سورة المائدة

(٦) يراجع الجواهر ، ص ٦١٧

(٧) للتعرف على تلك الموارد المأذون فيها يقرأ : السيد المراغي ، ص٣٥٣ ، والسيد آل بحر العلوم ص٣٨٤ .

(٨) كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الرجوع اليهم ، بل عدم تمكن الجميع في عصر غيبتهم التي كانوا يخبرون عنها غالبا ، ويهيئون شيعتهم لها .. وهل لاحد ان يحتمل انهم ـ ع ـ نهوا شيعتهم عن الرجوع الى الطواغيت وقضاة الجور ، ومع ذلك اهملوا لهم هذه الامور ، ولم يعينوا من يرجع اليه الشيعة في فصل الخصومات ، والتصرف في أموال الغيب والقصر ، والدفاع عن حوزة الاسلام ، ونحو ذلك من الامور المهمة ، التي لا يرضى الشارع باهمالها ؟ ..

وكيف كان .. فنحن نقطع بأن صحابة الائمة (ع) سألوهم عمن يرجع اليه الشيعة في تلك الامور مع عدم التمكن منهم (ع) وان الائمة (ع) أيضا اجابوهم بذلك ، ونصبوا للشيعة مع عدم التمكن منهم (ع) اشخاصا يتمكنون منهم اذا احتاجوا ..

غاية الامر سقوط تلك الاسئلة والاجوبة من الجوامع التي بأيدينا ، ولم يصل الينا الا ما رواه عمر بن حنظلة وابو خديجة .

واذا ثبت بهذا البيان النصب من قبلهم (ع) ، وانهم لم يهملوا هذه الامور المهمة ، التي لا يرضى الشارع باهمالها ـ ولا سيما مع احاطتهم بحوائج شيعتهم في عصر الغيبة ـ فلا محالة يتعين الفقيه لذلك اذ لم يقل احد بنصب غيره .

فالامر يدور :

بين عدم النصب ..

وبين نصب الفقيه العادل ..

واذا ثبت بطلان الاول ـ بما ذكرنا ـ صار نصب الفقيه مقطوعا به .. وتصير مقبولة ابن حنظلة من شواهد ذلك ..

وان شئت ترتيب ذلك على النظم القياسي ، فصورته هكذا :

اما انه لم ينصب الائمة (ع) احدا لهذه الامور العامة البلوى ..

واما انهم نصبوا الفقيه لها ..

لكن الاول باطل ، فثبت الثاني ..

فهذا قياس استثنائي مؤلف من قضية منفصلة حقيقية وحمليه دلت على رفع المقدم ، فينتج وضع التالي .. وهو المطلوب »[٩] .

ويناقش بما خلاصته :

بان الاذن من الائمة (ع) للفقهاء ببعض التصرفات العامة لا يستلزم الاذن بالجميع ، . لما سيأتي في مناقشة هذا الرأي بصورة عامة ، من ان العقل ـ هنا ـ يستبعد نصب كل فقيه عادل لرئاسة الدولة لما يترتب عليه من محاذير .

ب ـ (من السنة) :

استدل بروايات عدة ، وعلى طوائف مختلفة ..

وربما كان أهمها ما يلي :

١ ـ مقبولة عمر بن حنظلة ، وهي : « **قال : سألت ابا عبدالله ـ عليه السلام ـ عن رجلين من اصحابنا يكون بينهما في دين او ميراث ، فتحاكما الى السلطان او الى القضاة ، ايحل ذلك ؟ .. فقال : من تحاكم الى الطاغوت فحكم له ، فانما ياخذ سحتا ، وان كان حقه ثابتا ، لانه اخذ بحكم الطاغوت ، وقد امر الله ـ عز وجل ـ ان يكفر به .. قلت كيف يصنعان ؟ ..**

قال : انظروا الى من كان منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف احكامنا ، فارضوا به حكما، فاني قد جعلته عليكم حاكما، فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه ، فانما بحكم الله استخف ، وعلينا رد ، والراد علينا راد على الله ، وهو على حد الشرك بالله »[١٠] .

وخلاصة الاستدلال بها :

ان قوله (ع) : « فاني قد جعلته عليكم حاكما » ظاهر في اعطاء الولاية العامة للفقيه العادل ، وذلك ان قوله (ع) : « جعلته » يفيد نصب الفقيه العادل من قبل الامام (ع) ..

---

(٩) ص٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ (البروجردي في البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر .

(١٠) الحر العاملي ، وسائل الشيعة الى تفصيل احكام الشريعة ج٣ كتاب القضاء ، باب انه يشترط فيه الايمان والعدالة .

وان قوله (ع) : « حاكما » ظاهر في افادته الولاية العامة لمختلف المجالات والشؤون الاجتماعية العامة ، حيث ان الحاكم ـ فيما يفهم من مدلول الكلمة ـ :

« هو الذي يرجع اليه في جميع الامور العامة الاجتماعية التي لا تكون من وظائف الافراد ، ولا يرضى الشارع ـ أيضا ـ باهمالها ، ولو في عصر الغيبة ، وعدم التمكن من الائمة عليهم السلام »[11] .

ويناقش بما حاصله :

(أولا) : ان الرواية واردة في القضاء ، كما هو ظاهر السؤال حيث انه يدور حول المنازعة في دين أو ميراث ، فتعميم مدلولها الى القضاء وسائر شؤون الحكم يفتقر الى دليل ، وبخاصة وان الرواية في ملابساتها التاريخية واردة في نوع من القضايا التي تقع زمن الحضور من الامور التي يستطيع الشيعة ان يستقلوا بها عن الرجوع الى القضاة الرسميين والحكام آنذاك . وفي ضوئه : فالتفكير من قبل الشيعة بان يستقلوا بحكومة خاصة يرأسها الفقيه العادل بعيد جدا ، ولعوامل أخر منها .

وجود الامام ...

ولما يبدو من الملابسات التاريخية للسؤال ، حيث انهم (اعني الشيعة) امام أمر واقع من نفوذ سلطان الحكومات القائمة آنذاك ، الشيء الذي يدعوهم الى محاولة التخلص والخروج من عهدة التكليف ولو بهذه الصورة التجزيئية من التطبيق .

واجيب عنه :

بان التشريع الاسلامي لا يفصل بين السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية ، والقضائية) ، فقد رأينا النبي (ص) ، ورأينا خلفاءه ، يجمعون بين السلطات الثلاث ، كما يثبت التاريخ ذلك ، وكما هو ظاهر « من بعض الاخبار انه كان شغل القضاء ملازما عرفا لتصدي سائر الامور العامة البلوى ، كما في خبر اسماعيل ابن سعد عن الرضا ـ عليه السلام ـ : وعن الرجل يموت بغير وصية وله ورثة

(١١) البروجردي ، ص٥٧

صغار وكبار ، .. أيحل شراء خدمه ومتاعه من غير أن يتولى القاضي بيع ذلك ؟ .. »[١٢]

فحمل الرواية على ارادة القضاء وحده يتطلب اثبات استقلال السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية ، وذلك بعيد جدا . .

الا انه يرد :

بان التشريع الاسلامي لا يفصل بين السلطات في منصب الخلافة ، على اعتبار ان الجمع بين السلطات من حق الخليفة بصفته خليفة ..

اما القاضي أو الفقيه العادل الذي نحاول اثبات نيابته العامة بامثال هذه الرواية لا نستطيع الذهاب الى ان التشريع الاسلامي لا يفصل بين السلطات في منصبه على اعتبار انها من حقوقه بصفته قاضيا أو فقيها ، . لانه لا دليل على ذلك .

بل لعل ما يفيده التاريخ الاسلاميهو استقلال القاضي بوظيفة القضاء وحده ، أو بها وببعض الامور التنفيذية التي ترتبط الى حد كبير بالقضاء ـ وهي التي اشير اليها في خبر اسماعيل المتقدم ـ كما هو ظاهر سيرة القضاء المنصوبين من قبل الخلفاء .

و (ثانيا) : بان الظاهر من الحاكم هو « من له وظيفة الحكم بين الناس فيختص بفصل الخصومة ، أو مطلقا فيشمل الفتوى ، كما يناسبه العدول عن التعبير بالحكم الى التعبير بالحاكم ، حيث قال عليه السلام : فليرضوا به حكما ، فاني قد جعلته عليكم حاكما »[١٣] .

وبخاصة وان كلمة ـ حاكم ـ لم يثبت استعمالها بمدلولها الواسع زمن صدور الرواية .

٢ ـ مقبولة أو مشهورة ابي خديجة .. وهي : « قال لي أبو عبدالله ـ عليه السلام ـ اياكم أن يحاكم بعضكم بعضا الى اهل الجور ، ولكن انظروا الى رجل

---

(١٢) م . ن

(١٣) الامام الحكيم ، نهج الفقاهة ، ج١ ص٣٠٠

منكم يعلم شيئا من قضائنا فاجعلوه بينكم ، فاني قد جعلته قاضيا فتحاكموا اليه »[١٤] .

واستدل بها :

على نصب الفقيه العادل حاكما عاما من قبل الامام (ع) بما تضمنته من تحذير الامام (ع) ونهيه ان يتحاكم الى أهل الجور ، ومن امره (ع) بالرجوع الى الفقيه ، وبتصريحه بجعله قاضيا ليتحاكم اليه ، ولا فصل بين القضاء وبقية شؤون الحكم الاخرى في التشريع الاسلامي ـ كما تقدم ـ .

وفي ضوئه : فنصبه (ع) الفقيه قاضيا لا يعني ارادة القضاء وحده ، بعد علمنا بعدم الفصل بين سلطتي القضاء والتنفيذ .

ونوقش بما يلي :

بان الجمع بين السلطات من حقوق الخليفة ، وليس من حقوق القاضي ـ كما مر في مناقشة الرواية قبلها ـ ، فجعل الفقيه قاضيا « انما يقتضي ان يكون له وظيفة القضاة في فصل الخصومة فقط ، او ما يعمه وبعض الامور الاخر ، مثل الولاية على أخذ الحق من المماطل ، وحبسه ، وبيع ماله ، والتصرف في مال القصير ، ونصب القيم عليه ، ونحو ذلك مما يثبت كونه من وظائف القضاة في عصر صدور الرواية المذكورة »[١٥] .

٣ ـ التوقيع الشريف الصادر من الامام المنتظر (ع) الى الشيخ المفيد .. وهو : « واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله تعالى »[١٦] .

وملخص الاستدلال به :

ان الرواية ظاهرة في ارادة الفقيه حجة فيما فيه الامام (ع) حجة الله على

---

(١٤) الحر العاملي ، المصدر السابق .
(١٥) الامام الحكيم ، المصدر السابق .
(١٦) الجواهر ، ص ٦١٧ .. وفيما يرويه السيد صدرالدين الصدر « وانا حجة الله عليهم » تقرأ : ص ١٨٢ .

المسلمين ، ومنها ـ كما هو بديهي ـ تولي شؤون الحكم العامة[١٧] .

هذا على المشهور من متن الرواية المتضمن عبارة (حجتي) ...

اما على ما في بعض الكتب حيث تضمنت الرواية عبارة (خليفتي) بدل (حجتي)[١٨] ، تكون اشد ظهورا ، ضرورة معلومية كون المواد من الخليفة عموم الولاية عرفا ، نحو قوله تعالى : (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق) ... »[١٩] .

ونوقش :

بأن « اجمال الحوادث المسؤول عنها مانع من التمسك به ، اذ من المحتمل أن يكون المراد منها الحوادث المجهولة الحكم »[٢٠] .

والذي يؤخذ على هذا القول بصورة عامة :

هو ان الاطلاقات القرآنية التي استدل بها ـ هنا ـ لا تدل على اكثر من وجوب تطبيق النظام من قبل عامة المسلمين ..

وان النصوص التي استدل بها على نصب الفقيه العادل لتكون مقيدة لاطلاقات القرآن غير وافية بذلك .

يضاف اليه :

ان نصوص السنة ـ على تقدير تمامية دلالتها على نصب الفقيه العادل تدل على نصب مطلق الفقيه العادل ، .. فتكون رئاسة الدولة ـ على ضوئه ـ من حق كل فقيه ..

وهو امر اقل ما ينجم عنه الفوضى في اشغال المنصب والقيام بالتطبيق ـ كما سألمح اليه ـ .

---

(١٧) يراجع : الجواهر ، ص ٦١٧ .
(١٨) يقرأ : الجواهر ، ص٦١٧
(١٩) م . ن
(٢٠) الامام الحكيم : ص٣٠٠ ، ٣٠١

وكذلك الادلة الاخرى (العقلي والعقائدي والاجتماعي التاريخي) لا تدل على أكثر من لزوم وجود حكومة اسلامية زمن الغيبة ، لما فيها من اطلاق يشمل زماني الحضور والغيبة ، ..

وذلك لان اعتبار الفقيه العادل حاكما موقوف على اتمامية دلالة ما استدل به من نصوص السنة على ذلك ، لتكون مقيدة لذلك الاطلاق ، وهي غير ناهضة : لقصور ظهورها في اعطاء الولاية العامة العادل ..

ولما يرد عليها من محذور ـ ان تمت دلالتها ـ كما اشرت اليه ..

فأذن .. لابد من التماس مقيد لتلكم الاطلاقات ينهض بتعيين الحاكم الاعلى للدولة الاسلامية ، .. وهو ما سنقف عليه في القول الآتي .

الحاكم الاعلى هو الاعلم

ويعني بالاعلم هنا الاعلم المطلق ، وهو (الأفقه) .

ويشترط فيه : توفره على العدالة .. لانها شرط أساسي في امثال منصب الرئاسة العامة .

وخلاصة ما استدل به لهذا القول :

ان اطلاق الادلة الاربعة المتقدمة في القول الثاني « الاجتماعي التاريخي والعقائدي والعقلي والاطلاقات القرآنية » ـ التي مر ثبوت تمامية دلالتها على الزام المسلمين ، بايجاد حكومة اسلامية زمن الغيبة .

ان اطلاقها يقيد بالنص الوارد عن الامام أمير المؤمنين (ع) والذي يفيد تعيين الاعلم المطلق حاكما عاما وهو :

« ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاءوا به » .

ونوقش :

بأن الاولوية في النص مجملة فلا يستطاع الاخذ بها .

وردت

بان الاولوية ـ هنا ـ ظاهرة في قيام الاعلم مقام الانبياء في منصب رئاسة الامة لمناسبة الحكم للموضوع •

على انه اذا لم يوقف على نص خاص يوضح للمسلمين كيفية امتثال هـذا التكليف يرجع في امتثاله ـ عادة ـ الى حكم العقل ••

والصور التي يراها العقل محتملة هنا ـ هي ما يلي :

١ ـ ان يراد الامتثال من الجميع •

٢ ـ ان يراد الامتثال من كل فرد من أفراد المسلمين ••

وبعبارة اوضح : ان يجعل الامتثال ـ هنا ـ من حق كل فرد من المسلمين •

٣ ـ ان يراد الامتثال من البعض فقط •

وهذه الصورة الاخيرة تتفرع الى ما يلي :ـ

أ ـ أن يستند الامتثال الى من يختاره المسلمون عامة ؟ لان الخطاب بالامتثال موجه اليهم جميعا •• (وهو القول الاول) •

ب ـ أن يسند الامتثال الى الفقيه العادل لثبوت نيابته عن الامام (ع) في الجملة •• (وهو القول الثاني) •

جـ ـ ان يسند الامتثال الى الاعلم لانه القدر المتيقن ـ هنا ـ (وهو القول الثالث) •

وفي الصورة الاولى : لا يتحقق الامتثال ، اما لاستحالته من الجميع ، أو لعسره على أقل تقدير •

وفي الصورة الثانية : ان اقل ما ينجم عن الامتثال من محذور يمنع من تحققه هو شيوع الفوضى •• وهو واضح •

وفي الفرع الاول من الصورة الثالثة : يؤخذ عليه ما تقدم في المناقشة حوله عند الحديث عن القول الاول ••

وفي الفرع الثاني من الصورة الثالثة : يؤخذ عليه ما سلف في المناقشة حوله عند الحديث عن القول الثاني ...

فيتعين الفرع الثالث لبطلان ما عداه ، وانحصار الامتثال به بوصفه قدرا متيقنا في البين .

ويدعمه الدليل العقلي الذي يلزم بتقليد الاعلم للاطمئنان بتوفر المؤمن والمعذر بالرجوع اليه .

ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون .
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما .
افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون .

قرآن كريم

كلابيون في بلادنا

لم يبق شيء من رذائل العالم الغربي وعيبه ، واعوجاج طبيعته الا ودخل بلادنا فمارسناه ببلاهة ، واغرقنا فيه بغباء ونسينا في حمى التقليد ما تفرضه ذاتيتنا من نمط مختلف في السلوك والتفكير .

لقد سبق أن نشرنا في العدد الثالث من السنة الاولى من مجلتنا « رسالة الأسلام » شيئا عن الموجة الكلابية في الغرب ، وعن امتزاج الغربيين بعالمها ، وعنايتهم بها عناية تدفعهم الى أن يؤسسوا مدارس ومستشفيات خاصة لها ثم معامل تعنى بمنتجات زينة وادوية كلابية ، ومجلات تعرض اخبارها ، وماجد من موضاتها ودور تأمين خاصة[1] على صحتها وحياتها حتى قال السناتور روبرت كندي في خطابه بجامعة كاليفورنيا ـ بيركلي « ان الشعب الاميركي يصرف ٦٠ بليون دولار على التسلح و ٣ بلايين دولار على الكلاب وبليون دولار على محاربة الفقر » .

واليوم تدخل هذه الموجة بلادنا ، فيشيع بين ابنائها وبناتها اقتناء الكلاب

---

(١) انشئت اخيرا بولاية اوكلاهوما الاميركية اول شركة تأمين من نوعها في العالم يقتصر عملها على التأمين على حياة الكلاب والقطط ، وتبلغ قيمة القسط السنوي الذي يدفعه اصحاب الكلاب والقطط للتأمين عليها ضد الوفاة والمرض مئتين دولارا . البلد العدد ١٠٨٣٢ ذي القعدة ١٣٨٦

« وهي نجسة شرعا وقذرة طبا » فلا يمر يوم دون ان يصدمك منظر هؤلاء الكلابيين هنا او هناك .

وقد نشرت الاسبوع العربي في العدد ٣٩٧ السنة الثامنة ريبورتاجا مصورا عن بعض صالونات الحلاقة الخاصة بالكلاب في بيروت صاحبة هذا الصالون امرأة يقال لها « هيلينا اوريخ » هنغارية الجنسية ، وقد تحولت الى هذه المهنة عن الخياطة بعد ان شاهدت أنها اكثر ربحا بواسطة تكاثر الكلابيين هناك .

وتتقاضى هيلينا على تسريحة الكلب الواحد او على الحمام او على التواليت الكامل ما بين ١٥ الى ٣٥ ليرة لبنانية وتقول ان عدد زبائنا لا بأس به ومنها ما يرسل اليها من الجزيرة العربية بالطائرة كي تعتني به وتعيده الى اصحابه .

وهيلينا لا تستقبل الزبائن الا حسب موعد مسبق وكل واحد على حدة ، اذ ان عملية زينته تستغرق ساعات بطولها والعملية تلك تتضمن قص الشعر حسب احدث موديلات التسريحات ، وغسله بالشامبو ثم تقليم الاظافر وتنظيف الأذنين والعينين وتفريش الاسنان وتقول هيلينا موضة التسريحات للكلاب تتغير كل موسم كموضة التسريحات النسائية وهي تختلف من نوع الى نوع لذلك فأنا انفق الكثير على الاشتراك في المجلات الخاصة بشؤون الكلاب كمجلة (عالم الكلاب) الشهرية حتى اطلع على احدث المبتكرات ، واحصل على عناوين الشركات التي تبيع المستحضرات ، والالات والادوية اللازمة في عملي .

وفي بيروت روضة خاصة للكلاب كرياض الاطفال تقوم عليها امرأة اسمها سبراوسن .

وتختم الاسبوع تحقيقها بالقول « بقي ان تعرف انه علاوة على المعلبات الخاصة باطعام الكلاب ، وعدا الثياب الخاصة والفيتامينات والدمى الخاصة بها هناك « سيشوارات » وادوات زينة ، وفراشي اسنان ، ومعجون اسنان وشامبو وكريم مزيل للرائحة الكريهة كلها خاصة بالكلاب .

الاسبوع العربي عدد ٣٩٧ السنة ٨

بداوا يدركون انحلالهم

وقعت في اميركا وفي بريطانيا عدة جرائم قتل جنسية ، آخرها في بريطانيا جريمة كان ضحيتها شابا عمره ١٧ سنة اسمه بيرنارد اوليفار ، وقد بدى للشرطة من طريقة قتل الضحية وتوزيع الجثة ان القاتل من المختصين بتشريح الاجسام او انه ممن يتقنون الجراحة ، وقد نشرت «الصنداي ميرور» بقلم نورمان لوكاس تعريرا عن هذه الجريمة جاء في آخره :

« جاءت هذه الجريمة ضمن سلسلة من الجرائم التي تعصف بريطانيا الآن بسبب من التدهور الاخلاقي الذي يعاني منه الغرب ، ويعتقد علماء المجتمع المختصون أن تزايد الجريمة في بريطانيا يؤكد أن ثمة هبوطا في المستوى الاخلاقي ولكن لماذا يحدث كل هذا ؟ ومن هو المسؤول عن هذا التيار العارم » ؟

يؤكد البعض على أن تفسخ العائلة هو السبب في كل ذلك غير ان اندفاع المراهقين ، وطيشهم هما اساس هذا الانهيار • وتؤكد سجلات البوليس أن الجرائم ، وخاصة الاغتصاب والقتل ترتفع يوما بعد يوم ، وما من شك ان الشرطة البريطانية ، وخاصة سكوتلديارد تحاول بذل قصارى جهودها غير ان ذلك لا يمكن ان يتم بدون تغيير للاسس التي تستند عليها اخلاقية الغرب الجديدة •

من ثمار الحرية الغربية !

بلغ التردي الخلقي في الغرب ، وبخاصة في مجال العلاقات بين الجنسين نتيجة للاختلاط ، وما عليه ، وضع الفتاة هناك من حرية غير محدودة بلغ مبلغا فضيعا مقرفا .

ومن اوضح مظاهرة ما يواجهه المربون فعلا في الولايات المتحدة الامريكية من مشكلة الطالبات الامهات ، ومن العجيب ان هؤلاء المربين لم يفكروا في علاج المشكلة بالقضاء على مناشئها ، وانما وسعوا المجال لانتشارها ، واستمرارها بتيسير الحماية للزانيات من الفتيات ، فقد خلقوا مدرسة جديدة تدخلها الطالبة الحامل فتتابع فيها دراستها ، وتلقى فيها العون النفسي والمادي ، ريثما تضع حملها . وحتى الساعة كان نظام التربية في الولايات المتحدة ، يقضي بطرد الفتاة اذا اكتشفت الادارة ، انها تنتظر طفلا ، وتحمل ملاحظة تقول : طردت لأنها تشكو عدم توازن في الغدد .

ولكن النسبة ترتفع ولم تعد هذه مشكلة فردية مما دفع المسؤولين الى تطوير النظام ، وانشاء مراكز خاصة هي معاهد لهؤلاء الطالبات ، يلجأن اليها ، وينتظرن موعد الوضع ، ومع أن المعاهد انشئت في معظم الولايات فأن ، الطالبات في ارتفاع مستمر ، حتى انهن يزدن عن الاماكن المجهزة ، وهناك مراكز مخصصة للزنجيات ، ولا تقل عنهن نسبة الطالبات البيضاوات .

ويراعى المربون عدم تحقير الفتاة واعتبار الامر شيئا طبيعيا اما الاطفال فأنهم ينقلون حال ولادتهم الى دور التبني بينما تفضل الزنجيات الاحتفاظ باطفالهن ، وتعود الطالبة للمدرسة بعد الوضع . اما الشاب الشريك في المشكلة فنادرا ما يتزوج الفتاة ، لانه يكون في سن لا تؤهله ليفتح منزلا ويعيل اسرة .

عن الصياد البيروتية

اخلاقية لندن

تدل الاحصائيات لسنة ١٩٦٦ ، ان واحدة من كل خمس من الانجليزيات اللواتي تجاوزن سن الخامسة عشرة لا تزال عذراء ، ويتوقع علماء الاجتماع في السنة ١٩٦٧ أن تفقد العذرية معناها في انكلترا كما تقول مجلة « بنتهاوس » ، وقد لا يزداد عدد الاطفال غير الشرعيين عما هو عليه الآن لأن حبوب منع الحمل والاغشية الواقية متوفرة بثمن زهيد ، ليس فقط في الصيدليات بل وفي قسم كبير من علب الليل .

الموجة عامة

وموجة الازياء والمفاهيم الاخلاقية الجديدة في لندن لا تجد اتباعها بين الشبان فقط بل حتى في صفوف العلماء ، فقد صرح البروفسور الكسندر كومفورت من جامعة لندن « أن الحياة الزوجية لا يمكن ان تنجح الا اذا عرف الزوجان قبل الزواج اكثر من تجربة جنسية » .

وقال الدكتور فيليب سيلفر « انني شخصيا اترك الحرية لابنتي أن تكتشف الجنس قبل الزواج حتى ولو حملت معها طفلا الى بيت الزوجية » .

وليس العلماء فقط هم الذين يدعون الى مثل هذه الحياة الحيوانية ، فهناك قسم من اللوردات يعيشها فعلا .

فاللورد « اران » لا يزال حتى الآن يصطاد البط عاريا مع زوجته في مزرعته في الريف الانكليزي ، واللورد باتريك شامبل لا يتورع عن الاتصال بزوجته اذا كان عائدا من السهرة حتى ولو كان ذلك في الشارع كما تفعل الحيوانات تماما حتى اذا سئل قال : ولماذا لا افعل ذلك » .

عن مجلة الأحد اللبنانية

يهربون من عالمهم الى المخدرات

تجتاح العالم الغربي الآن ظاهرة مرعبة هي في الواقع نتيجة القلق ، والفراغ الروحي ، والضياع هذه الظاهرة هي انتشار المخدرات من الهيروين و (ل٠س٠د) والماريجوانا وغيرها ٠

ففي نبأ من لندن أن بريطانيا قررت تأسيس وحدة ابحاث لمعرفة اسباب الادمان على المخدرات ٠ وذكر وزير الصحة البريطاني ان الزيادة الملحوظة في تعاطي المخدرات وخاصة في اوساط الشباب تسبب قلقا واعلن انه سيصدر قانونا يمنع بموجبه الاطباء من الافراط في وصف المخدرات الخطرة للمواطنين ٠

وتتحدث الاوبزرفر عن المئات من الشباب المدمن ، فتقول : انه من الممكن مشاهدة هؤلاء في منتصف الليل بساحة بيكاديلي بلندن وهم يهرعون نحو المغاسل لغرض مزج بعض الحبوب البيضاء الصغيرة بالماء وتناولها ٠ ويستعمل هؤلاء لغةً خاصة بهم ، ويكثرون من استعمال بعض الكلمات مثل (ارتباط ، حصان) ولهذه الكلمات دلالة خاصة عندهم ٠

وطبقة هؤلاء تمتد من العمال الى المثقفين ٠

وتشير التقارير الطبية ان متعاطي الهيروين كانوا في السابق من متوسطي العمر ٠ اما الآن فانهم من الشباب ٠

ان متوسط عمر المدمنين بين ١٩٥٤ و ١٩٦٤ هو ٢٤ سنة اما الآن فانهم دون العشرين من عمرهم ، يقول احد الاطباء ان اعمار المدمنين تقل يوما بعد آخر ، ان بعضهم الآن في الخامسة عشرة ، وكان احد الذين عالجتهم في الثانية عشرة من عمره ٠

ويقف عادة عند ساحة بيكاديلي شبان وشابات بين السادسة والسابعة عشرة من اعمارهم يعرضون بيع الهيروين في السوق السوداء ان الشاب حين يعتاد على الهيروين يصعب عليه التخلص منه فبدونه بالنسبة للمدمن يصبح العالم مرعبا

ويدفعه نحو الجنون وليست هذه مجرد عبارة تقال وانما يدخل الهيروين الى ثنايا الجسم ويصبح هو المسيطر على كل خلية من الخلايا .

صعوبة العلاج :

ان العلاج من الأدمان ، يستمر احيانا لمدة سنين ، يعاني خلالها المدمن آلاما فظيعة ، ويتم العلاج على مراحل اذ يحاول الاطباء نقل هؤلاء الى مرحلة المدخين ، غير انهم يكتشفون طبعا ان تأثير هذه السيكايز لا يفي بالمرام .

لقد كان عدد المدمنين في السابق قليلا جدا اما الآن ، فأن العدد في اوربا يتزايد يوما بعد آخر ، والمشكلة هي توفير العلاج لهؤلاء ويلجأ بعض الاطباء الى مختلف الاساليب النفسية لكي يؤثروا على الاعصاب .

وفي علاج جرى لـ ١٠٠ مدمن في لندن ظهر أن معظمهم من اليهود والموسيقيين والمومسات .

والى جانب ادمان الهيروين ظهر مخدر (ل.س.د) والماريجوانا ، ومن المعروف أن هذا المخدر انتشر في البداية في الولايات المتحدة رغم قسوة العقوبات التي تنزل باي شخص يتناول هذه المخدرات .

وفي الولايات المتحدة مجموعة من المهووسين الذين يتناولون مخدر (ل.س.د) ولهؤلاء طابع خاص . فهم لا يعنون بانفسهم فيطيلون شعورهم ويطلقون على انفسهم اسم الكنيسة الاميركية الجديدة كما ان لهؤلاء فلسفة خاصة بهم وقد اعلن احدهم قبل ايام وهو الشخص الذي يقود المجموعة أن انصار (ل.س.د) سيرغمون الحكومة الاميركية على الاعتراف بهم حتى وان اضطروا للقيام بثورة .

ويتحدث هؤلاء عن انفسهم كما لو انهم من المظلومين المضطهدين في التاريخ، ويتناول هذه المخدرات ايضا شعراء امريكا الشبان .

وقد ذكرت صحيفة الأوبزرفر أن حوالي ٨٠٠ طفل قد ولدوا قبل الاوان بسبب المخدرات في نيويورك في العام المنصرم وتقول الصحيفة ان امهات هؤلاء الاطفال من المدمنات على تناول المخدرات . واشارت الصحيفة الى انه بدون علاج

سيموت معظم هؤلاء الاطفال بسبب عدم تكامل نموهم ، والتشويهات التي تسببها هذه المخدرات ..

برلين المنحلة

كلامنا عن نصف مدينة برلين عن برلين الغربية ، التي يبلغ عدد سكانها ٢ر٢ مليون نسمة ففي هذه المدينة ، شمل التردي الخلقي ، والفساد السلوكي اغلب الطبقات ، فاعظم فنادقها تستعمل كمواخير للطبقة العليا ، وفيها نواد تسبح فتياتها العاريات فيها في احواض الشمبانيا واطباء عصبيون يعالجون مرضاهم باقامة الحفلات الداعرة وتهيئة اللقاءآت الآثمة .

وبرغم حبوب منع الحمل والاكياس الواقية وحوادث الاجهاض فان مشكلة الولادات غير الشرعية تزداد تعقيدا بارتفاع ارقامها عاما بعد آخر .

وكان عدد المواليد غير الشرعية قد بلغ ٢٨٦٧ عام ١٩٦٣ وفي عام ١٩٦٤ بلغ ٢٩٨٧ وفي عام ١٩٦٥ بلغ المجموع اكثر من ٣٠٠٠ للمرة الاولى منذ عام ١٩٥٥ ويتوقع ان يكون العدد في السنة الماضية ١٩٦٦ اكثر من ذلك .

المنحرفون عن الطبيعة في اميركا

من جميع الطبقات

يطلق الشاذون جنسيا في اميركا على انفسهم « العالم المرح » وهذا العالم يشمل كافة الطبقات الاقتصادية والاجتماعية في الولايات المتحدة وبعض هؤلاء متزوجون ، ولهم اطفال . وبعضهم محامون واطباء ومدرسون ووزراء ، والبعض الآخر سائقو سيارات وجنود ورجال بوليس .

يقول الدكتور « جود مارمور » وهو طبيب نفساني في مدينة لوس انجلوس في تقديره لعدد الذكور الذين يقاسون من الشذوذ الجنسي في الولايات المتحدة ،

بأنهم حوالي اربعة ملايين . وتقول البحوث التي اجراها الدكتور « كنزي » ان ٣٧ بالمئة من رجال الولايات المتحدة مروا بتجارب جنسية شاذة ، وتقول ايضا بحوثه ان ١٠ بالمئة منهم استمروا في شذوذهم الجنسي لمدة ٣ سنين بين الاعمار ١٦ و ٦٥ بينما ٤ بالمئة من الرجال البيض سلكوا طوال حياتهم السلوك الجنسي الشاذ .

ويقول الدكتور « ابرام غاردنر » طبيب نفساني في جامعة كولومبيا : « لقد رأيا حالات من هؤلاء الشواذ الى حد سن الثلاثين من اعمارهم وكانوا متزوجين ولهم اطفال ، وبعضهم بعد ٢٥ سنة او ٣٠ من الحياة الزوجية السليمة تحول الى السلوك الجنسي الشاذ » .

ومن المفارقات المضحكة ان مجلة بلاي بوي Play Poy تعرض صورا لهؤلاء الشواذ وهم عراة . ويقول الدكتور « ايفلين هوكر » وهو معروف بتحمسه لصالح الشذوذ الجنسي أن : « الزملاء بدأوا يسكنون في احياء خاصة بهم ، وفي هذه الاحياء لا تؤجر الشقق والمنازل الا لمن يثبت انه شاذ جنسيا ولهم حانات خاصة تسمى بالحانات المرحة ، ولهم ايضا حمامات عامة وخاصة ومطاعم ومقاهي وبلاجات » .

وهناك جمعيات خاصة لهؤلاء منها جمعية « متاشين » ويرأسها « هارولد كول » وهي في سان فرنسيسكو .

وانشئت في نيويورك مكاتب تبع قوائم لعناوين الحانات المرحة (اي الخاصة بالشاذين) في كافة الولايات المتحدة . اما مدينة شيكاغو ففيها اكثر من ٤٠ حانة مرحة .

ويستمر « جاك ستار » في تحقيقه فيقول : ان معظم ان لم نقل كل البلاد الاوربية الغربية لا تنظر الى الشذوذ الجنسي على انه شيء مشين .

وفي سنة ١٩٥٤ شكلت لجنة من مجلس اللوردات برئاسة السير جون ولفندن لتدرس قانونا يقول بالحرف « أن الشذوذ الجنسي بين بالغين ليس جريمة » وقالت اللجنة في تقريرها « يجب ان يبقى للفرد قسط من الحرية يمارس من خلالها حرياته العامة » .

وفي مدينة « الينوي » منذ سنة ١٩٦٢ اصبح السلوك الجنسي الشاذ لا يشكل مشكلة لرجال القانون ، ولقد وافق مجلس النواب في تلك الولاية على هذا القانون ، ويقول المحامي « بول جولد فان » وهو يتأفف « بأن هذا القانون لا يعطيهم الحقوق الكافية لممارسة حرياتهم » .

ثم يتساءل جاك ستار كاتب التحقيق : « كيف تواجه مشكلة الشذوذ الجنسي المستعصية » ويجيب الدكتور « فيليب هيرسما » وهو طبيب نفساني في كلية الطب في جامعة « ستان فورد » في مقال له في مجلة الجمعية الأميركية الطبية يقول بأنه في المستطاع أن نعالج ٢٥ بالمئة فقط منهم ولجمعية « متاشين » الخاصة بالشاذين في سان فرنسيسكو مجلة تنطق بأسم الشاذين جنسيا وتسمى « حديث المدينة » تقول هذه المجلة في احد اعدادها « اذا طردت مؤسسة زميلا من زملائنا واتهمته بالشذوذ الجنسي ، فأن علينا ان نتجمع ونسنده قانونيا كما انه يجب ان يكون لنا دور في صياغة السياسة بدولتنا ، ونفتخر ان احصاءآت الدكتور (كنزي) تفيد بأن في الولايات المتحدة ٢٠ مليون رجل يمارس الشذوذ الجنسي » .

الكنيسة تسند المنحرفين جنسيا :

كما ان لرجال الكنيسة دورهم في مساندة هؤلاء الشواذ . والمؤتمر الذي عقد في سان فرنسيسكو منذ سنتين خلتا وبحث موضوع الشذوذ الجنسي خرج بنتيجة عبر عنها نيافة الدكتور « كلارنس كول ويل » المسؤول عن ارسالية « المتروبوليتان » : « نحن نشك في أن الكنيسة تعتبر الشاذ جنسيا منحرفا اخلاقيا او غير طبيعي او غير مسيحي . فالشريعة يجب ان تنبثق من حياتنا لا أن تفرض علينا » .

بشيء من الاختصار عن جريدة الشهاب اللبنانية عن مجلة لوك الاميركية
بقلم : جاك ستار

كتب وآراء في الميزان

منهج الانقلاب الاسلامي

للاستاذ المودودي

بقلم : محمد عبد الساعدي

ملاحظ الكلية

هذا الكتاب من الكتب التي تصدر عن دار الفكر بدمشق وهو محاضرة القاها المفكر الاسلامي الكبير الاستاذ أبو الاعلى المودودي في حفل حافل من طلبة الجامعة الاسلامية في عليكرة واساتذتها ، والمؤلف المودودي واحد من اولئك الرواد الذين عاشوا (الفكرة) وتفكروا في (ايديولوجيتها) فراح يستثمر عطاء موهبته في تبيان واضح الرؤية للمنهاج الذي يقدمه للمسلمين في مسيرة الاستئناف الكبرى التي تتحرك لها ارادات جماهير المسلمين في كل مكان منذ ان ادركت حقيقة واقع مأساتها الحياتية التي صارت اليها او اختارتها لها ظروف التسيب الايديولوجي والتبعية الحضارية بعد ان استشرى فيها (الوعي العملي) وأخذت نصيبها من (الوعي التأملي) فراحت تعبر عن ذلك في مظاهر شتى من العمل الجاد المخلص البناء .

من هنا وجد الاستاذ المودودي

نفسه أمام مسؤولياته الشرعية والانسانية ليقدم للمسلمين دليلا اجتماعيا يدلهم على المناهج المخصوصة التي لابد منها .

(فالحاجة اذن ماسة الى ان نعنى بهذه المسألة بالدرس والتحقيق العلمي النزيه حتى ينجلي الامر ويبدو الحق لكل ذي عينين)[1] .

وهو في سبيله هذا يحاول ان يمهد لمنهاجه هذا بأمور منتزعة من طبيعة (الدولة الاسلامية) ووضعيتها الخاصة ... فهل هي دولة فكرية أم قومية ؟

ولما تراه قد وجدها (قائمة على مبادىء وغايات لا على دعائم البيوتات والطبقات) ايقن انها فكرية وانها قد تفردت بهذا الوصف المنتزع من طبيعتها من بين سائر الدول الاخرى التي كانت والتي ستكون .

« فالمسيحية قد تراءت لها صورة منها[2] مبهمة غامضة ولكنها لم يتسن لها نظام فكري قائم يمكن ان تؤسس الدولة على قواعده ، وكذلك تجلت للناس لمحة من الدولة الفكرية في الثورة الفرنسية ولكنها ما لبثت ان اختفت في ظلمات القومية وكذلك قامت الشيوعية تبث الدعاية لمبدأ الدولة الفكرية في أول أمرها وقد سعت في تأسيس دولة على هذا المبدأ حتى بدأ العالم يستأنس به ويتفطن لما يشتمل عليه من حسنات الا انه قد دب دبيب الوطنية في عروقها »[3] .

الدولة نتيجة المنهاج قضية :

ولما كانت الدولة عبارة عن تجمع مقتضيات فطرية ومحركات اجتماعية تصدر عن مفهوم موحد تجاه الكون والحياة والانسان أي نتيجة عن ترتيب قضية ـ كما يصطلح عليه المناطقة المسلمون ـ وكانت الدولة عند المودودي نتيجة وكان (المنهاج) لها هو القضية والعلاقة اذن بينهما يمكن ان نستنبط فكرة المودودي فيها اذا ما حالفنا الذكاء في عملية (الترتيب) التي تتوسط بين القضية ونتيجتها فيها . ولذا كان المنهاج الذي اجتهد المودودي في تقديمه وشرحه هو (المنهاج الفكري) لا المنهاج الوطني أو القومي أو المصلحي .

« **فالاسلام هو المنهاج الفكري**

---

(١) ص ٦٨ من الكتاب .

(٢) أي من الدولة الفكرية .

(٣) ص ٧٢ من الكتاب .

الوحيد الذي يمتاز من بين الافكـــار والمذاهب من القدم عصور التاريخ والى يومنا هذا الا انه يقيـــم على اساس الفكرة فحسب نظاما للدولة مطهرا من العصبيات الجنسية واقذارها يدعـو الناس كافة الى الايمان بهذه الفكـرة والانضواء تحت لوائها حتى تتشكل دولته (الفكرية) غير مقيـدة بجنس ولا قومية »(٤) .

وهكذا اكتسبت المنهاج الاسلامي سمته الأولى التي تحفظ لـه وضـعه الخاص وتكسبه مناعتـه الحضـــارية الفريدة فهو منهاج يستهدى (فكرة) في مبتدأه ومنتهاه ، في وسائله وغاياته أي ان أيديولوجيته ليســـت شـــيئا يختلف عن فلسفته الكونية فهو كل لا مجال لتبعيضه ولا تسمح (الفكرية) فيه بذلك فالغاية لا تبرر الواســـطة والوسيلة من جنس الفكرة وانـه لا يتوصل الى الحلال من طريق الحرام ليس فقط في مجـــاله الســـياسي والدستوري بل وفي مجاله الاجتماعي والعقدي أي القانوني (المؤمنون عند شروطهم الا شرطا احـــل حراما او حرم حلالا) .

ولما كانت السمة الاولى للمنهاج الاسلامي منتزعة من طبيعة الدولـــة الاسلامية كذلك نجد السمة الثانيـة هي الاخرى منتزعة من وظيفة الدولة الاسلامية .

فهل هي ذات وظائف مرحلية ام انقلابية ؟!

ام هـــل يراد منها علاج اعراض اجتماعية وسياسية موضعية ام غـير موضعية ؟

واذا عرفنا ان الدولة الاسلامية فيما تقصده من غايات وما تتوسل اليه من وسائل انما تنشد اقامة حكم الهي بدل حكم الجاهلية ولما كان الحكـم الاسلامي يعطي بلحاظ بعض معانيـه تحديد الموقف العملي من الشريعـــة بالنسبة للانسان المسلم حيال وقائـــع الحياة الفردية والاجتماعية بوصفـــه عبـــدا للشريعة مطالبـــا بالخضوع والاستسلام المطلق لها (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجـر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجـا مما قضيت ويسلموا تسليما) مفاتحا بالدخول في سلمها وكيانها (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) ولما كانت وقائع الحياة غير متناهية ولا فانية باعتبار وجودها المادي معاصـــرا لوجود الحياة ذاتها وملازما لديمومتها واستمرارها كانت الحاجة الى الحكم ذاتها مرتبطة بذلك وعليه فليس ثمة محل للمرحلية في مفهوم الحكـــم

(٤) ص ٧٣ من الكتاب .

الاسلامي كما لن تلتمس الموضعية في العلاجات والحلول في حكومة غايتها كما قال ربعي بن عامر رسول المسلمين الى يزدجرد (ان الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام)[٥] . ومثل هذه المهمة لا لا تنهض بها الا الدولة (الانقلابية) في طابعها وغاياتها (ذلك ان المسألة في نظر الاسلام هي صنع انسانية بخصائصها الروحية والفكرية التي تتيح لها القيام بأعبائها ورسالتها في العالم وليست ترميما او اصلاحا لجانب اجتماعي فقط)[٦] .

وهذه السمة في واقع الامر هي التي تساهم مع السمه الاولى في افراد المنهاج الاسلامي بطابعه الحضاري الخاص من بين سائر المناهج الحضارية والسياسية الاخرى (دينية أم غير دينية) اما ما قصده الاستاذ المودودي في (تصور مفهوم الحاكمية لله)[٧] فهو في واقع الامر الاساس الذي يصدر عنه المنهاج التغيري وليس ميزة أو سمة له .

وهذا هو المفرق الذي يرسم خط التباعد بين المناهج غير الاسلامية التي تؤسس بنيانها على (تصور مفهوم حاكمية البشر) والمنهاج الاسلامي التي يؤسس بنيانه على (تصور مفهوم حاكمية الله) .

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله اهدى ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار) . اذ قد يشترك مهاج التغير الاسلامي والمناهج التغيرية الاخرى في بعض سماته وخصائصه ولكنه مع ذلك يبقى مختلفا عنها في الاساس الذي يقوم عليه والمبدأ الذي يصدر عنه والنظرية التي تحكمه وكمثال على ذلك ظاهرة اشتراك المنهاج الاسلامي مع المنهاج الماركسي في سمتيه الاساسيتين (الفكرية) و (الانقلابية) ومع ذلك تجدهما متناقضين أساسا في نظرة كل منهما

---

(٥) راجع البداية والنهاية نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوى .

(٦) انظر (رسالتنا) لجماعة العلماء في النجف الاشرف .

(٧) يرى المودودي ان (تصور مفهوم الحاكمية لله) هو السمة الثانية بينما استنبطنا نحن من تضاعيف رسالته (الانقلابية) كسمة ثانية .

تجاه الكون والحياة والانسان وما ينبثق عنها من أفكار ومفاهيم وما يرتبط بذلك من صياغة خاصة لذهنية المجتمع الانساني صاحب الموقف العملي ومن يتوجه اليه المنهاج وليس هذا فقط بل ان التناقض يبدو واضحا ليس فقط في الاساس الفكري والمقولي وانما يظهر جليا في خط السير ومراحل العمل فليس حتما من وجهة اسلامية ان يتخذ الانقلابيون المسلمون الانقلاب وسيلة بعد ان اتخذوه هدفا وليس حتما ان تتحدد اساليب العمل انقلابيا دائما وفي كل الظروف ما دامت المنهجة انقلابية والفكرة انقلابية بل ان ذلك مرتبط بخطاب الشارع المتعلق بافعال وعمليات الانقلابيين وجوبا أو ندبا أو كراهة واباحة .

وليس ظهور هذا الاساس مرة أخرى على المناهج الانقلابية أو التغييرية على أصح المعاني كمفرق فقط بل ان ظهوره بعد ذلك كمحيط بالسمات الآنفة الذكر أو غيرها في مجال تحديد الاساليب والطرق المشروعة ـ ضمن الظروف الموضوعية ـ لفترة خاصة كما في سمة (الانقلابية) أو في مجال تقديم رؤيا واضحة للايدولوجية المتبناة في مجال النظرية والتطبيق كما في سمة (الفكرية) .

ولكن كيف السبيل لتحقيق الانقلاب الاسلامي ؟

يجيب الاستاذ المودودي على هذا السؤال بقوله **(ان لا بد لايجادها من ان تظهر اولا حركة شاملة مبنية على نظرية الحياة الاسلامية وفكرتها وعلى قواعد وقيم خلقية وعملية توافق روح الاسلام وتوائم طبيعته يقوم بامرها رجال يظهرون استعدادهم التام للاصطباغ بهذه الصبغة المخصوصة من الانسانية ويسعون لنشر العقلية الاسلامية ويبذلون جهودهم في بث روح الاسلام الخلقية في المجتمع ثم يقوم على هذا الاساس نظام للتعليم والثقافة يهيىء رجالا مطبوعين بطابع الاسلام الخاص ... ثم تأخذ هذه الحركة تنمو صعدا مع مالها من السيادة الفكرية والعقلية مكافحة ومقاومة للنظام الباطل المعوج السائد في المجتمع الانساني ...وهكذا يحدث انقلاب عظيم في افكار العامة وتتعطش الحياة الاجتماعية الى هذا النظام المخصوص من الحكم وهناك يستطيع ان يحيا في هذا المجتمع الثائر المتبدل نظام غير النظام الذي اعدت له المعدات وتهيأت له العوامل)**[٨] .

ويظهر من ذلك ان عناصر

---

(٨) ص ٨٢ ـ ٩٣ من الكتاب .

الانقلاب الاسلامي لدى الاستاذ المودودي هي :

١ ـ وجود الحركة الشاملة المبنية على نظرية الحياة الاسلامية .

٢ ـ تمثل المقياس الخلقي الاعلى .

٣ ـ وجود الانسان الهادف .

٤ ـ العمل الذي ينقل الحركة من وجودها القوتي الى وجودها (الفعلي) .

ولا خلاف أساسي في ذلك بينه وبين جميع الرواد الرساليين الذين تصدروا طبيعيا أو عفويا لمقام قيادة الامة وتبني الحركة الشاملة وتسويق العنصر الانساني كميا ونوعيا .

ولكن الخلاف فيما يبدو يكمن في طابع مثل هذه الحركة كما يكمن مرة أخرى في وسائلها وخطوات سيرها .

لكي نفهم ذلك علينا التمييز بين نوعين من الحركات .

١ ـ حركات اصلاحية .

٢ ـ حركات انقلابية (تغييرية) .

ولاجل اعطاء فكرة بسيطة عن الحركتين ينبغي ان نفترض واقعا فاسدا للمجتمع الانساني المتعدد الجوانب فما توجهت دعوة أو منهاج الى جانب من هذا الواقع فاعطته ـ ما وسعها ـ دراسة وحلولا وحملا ثقيلا لهمه واصلاحه كانت تلك الدعوة أو ذلك المنهاج منهاجا اصلاحيا وكان سبيله الدعوة الاصلاحية وما توجهت دعوة أو منهاج الى اس هذا الواقع بكل جوانبه فاتت على بنيانها وتصدت لها في افاعيلها وركائزها واشادت على انقاضها بناء آخر يدين بما لا تدين ويحمل ما تنوء عن حمله كانت تلك الدعوة أو ذلك المنهاج منهاجا تغييرياً (انقلابيا) وكان سبيله الدعوة الانقلابية .

موقع منهاج المودودي من الحركتين :

بقي ان تعرف قارئي الكريم موقع منهاج المودودي هذا من هذه الدعوات فهل يعتمد المودودي الدعوة الاصلاحية بلحاظ كونه يتناول بادىء ذي بدء في منهاجه نظم التعليم والثقافة فيرسي اسسها على أساس الاسلام ومنها ينشأ الانسان الجديد انسان العقلية الاسلامية وهو جانب من جوانب النظام الاجتماعي « **ثم يقوم على هذا الاساس نظام للتعليم والثقافة يهيىء رجالا مطبوعين بطابع الاسلام الخاص ويتخرج بفضله المؤرخون المسلمون والفلاسفة**

المسلمون الحاذقون في العلوم الطبيعية والاقتصادية والمالية والذين لهم حظ وافر في القانون والسياسة »(٩) .

أم تراه يعتمد الدعوة الانقلابية حينما تصغي السمع اليه وهو يقول :ـ **« وكذلك شان الانقلاب الاسلامي فانه لا يثمر ولا تؤتي اكله الا اذا قامت حركة شعبية على اساس النظريات والاحكام القرآنية ودعامة سيرة محمد (ص) وسنته الطاهرة ، تقوم هذه الحركة الشعبية وتنهض وتقوى حتى تغير بجهادها المستمر العنيف اسس الجاهلية الفكرية والثقافية والنفسية السائدة في الحياة الاجتماعية وتأتي بنيانها من القواعد »(١٠) ام تراه يعتمد الدعوتين وكيف ؟**

نحن نرى ان الاستاذ المودودي لم يرد أن يشارك بعض المدارس الفكرية الانقلابية مأساتها في شجب الدعوة الاصلاحية وتسفيه احلام القائمين بالاعمال الخيرية التي تدخل تحت عنوانها . ذلك ان الدعوة الاصلاحية ـ بكل ما تحفل به من الوان النشاط الجانبي والخيري ـ مطلب شرعي بين امر بمعروف او نهي عن منكر او رد لظلم أو حث على صلاح ، هكذا يجب ان نفهم حكمها وهكذا يجب ان نرتب لها موقعها من ايجابا أو رفضا .

من هنا اذن وقع بعض رواد المدارس الفكرية من الاسلاميين في خطأ كبير حينما استكروا الاعمال الاصلاحية وشجبوا فوائدها بوصفها عقبة كأداء امام تحقيق المنهاج الاسلامي الكامل .

فالحق ان الاعمال الاصلاحية ـ في اطار خاص من الوعي والتفكير ـ ربما تكون كذلك ولكنها ليست هي المسؤولة بل وليست هي الوحيدة في هذا الحساب بل ان الدعوة الانقلابية نفسها ـ في ذات الاطار ـ ربما تكون اشد ضررا واكبر معوقا لتحقيق الغايات من الاعمال الاصلاحية كما انه ليس ضروريا للدعوة الاصلاحية ان يفرض عمل من اعمالها اعترافا ضمنيا بالنظام القائم وهي النتيجة التي نعاها عليها الرواد الانقلابيون بل ان المسألة مرتبطة في (وعينا) بالاطار الخاص من الوعي والتفكير الذي يصاغ فيه المنهاج فاذا كان المنهاج قد صيغ في اطار من الوعي الذي يربط كل عمل مهما كان صغيرا او حقيرا يمارسه الانسان المنهاجي ربطا انقلابيا حاكيا عن درجة اسهامه في الحياة الانقلابية للمجتمع التي هي الاخرى لا يمكن ان تحدث دفعة واحدة بل

(٩) ص ٨٣ من الكتاب .
(١٠) ص ٨٦ من الكتاب .

ان حدوثها هكذا دفعة مسحوبة الى دفعة في عرف انقلابي تجتمع فيه خطوط التغير الشامل الكامل .

كان ذلك العمل متسقا مع العمل الانقلابي ومحافظا على موقعه منه والعكس بالعكس .

فالدعوة مثلا الى فتح المزيد من المدارس الاسلامية على اختلاف درجاتها في ظل مجتمع يناقض قاعدة الاسلام الكلية عن الكون والحياة لا يمكن ان تعتبر في ـ عرف انقلابي رصين ـ معوقة عن تحقيق الغاية واداة كاداء في الطريق ما دامت عملية التصير الاجتماعي تمارس فيها ضمن الخط وبذات الوعي والا فشانها شان العمل الانقلابي الذي يتوجه الى تغيير الاداة السياسية للمجتمع الفاسد مجردا عن اي لون من الوان التغيير الثقافي والفكري . فكما انه لا يعني تغيير الاداة السياسية انقلابا حاصلا في واقع الامة الفكري والعقلي ـ في جميع الظروف والاحوال ـ وانه لابد لتمام التغيير الكامل الشامل ان يتناول الامة بنفسيتها وعقليتها اي بصياغة شخصيتها على قواعد من الفكر والسلوك الاسلاميين بوصفها قاعدة النظام . كذلك يأتي دور المدرسة في التغيير اذ لا يمكن ان يسحب انقلابيا ضمن صياغة المنهاج الانقلابي الصحيح ما لم يستهدف الوصول الى ترسانة النظام كحارس وضمين ليس فقط لوقاية الامة التي غيرت تلكم المنهجة التربوية في المدارس الاسلامية مثلا محتواها الداخلي فكريا وروحيا بل لضمان ديمومة عطاء القاعدة وتموين المبدأ .

الانقلاب الاجتماعي يجب ان يسبق التغيير السياسي :

وهكذا نستطيع ان نقرر ان الاستاذ المودودي انقلابي النزعة ولكنه في وسائله لم يشأ دائما ان يكون انقلابيا فقد سمح لمنهاجه او سمح له/ منهاجه بتبني الاساليب الاصلاحية في العمل وهو **منهج لم يسبقه اليه احد حتى وقت قريب على اغلب الظن** وهو الشيء الذي لم يكن واضحا حتى لدى انصار المودودي انفسهم .

تجد ذلك واضحا في قوله : « فان نظام الحكومة له اصل ثابت في الحياة الاجتماعية فلا يمكن ان يحدث انقلابا ثابتا في نظامها بطريق من الطرق الا اذا سبقه تبدل في الحياة الاجتماعية » ، ثم بعد ان يشرح المؤلف السبيل الذي اختطه الرسول القائد محمد (ص) يخلص الى القول بان حصول تلك النتيجة لم تكن بناء على معجزة بل هو امر طبيعي شاهد فيه المؤلف ربط الاسباب بمسبباتها وصلة المقدمات بنتائجها .

انظر اليه يقول : « فان جرينا اليوم في عملنا على ذلك المنهاج فلابد ان تظهر تلك النتائج بعينها التي ظهرت من ذي قبل.اللهم الا انه يحتاج الى ايمان صادق وشعور اسلامي وحنيفية كاملة وانقطاع الى المطمح وعزم راسخ وتضحية بالعوامل الشخصية وتجرد عن الاماني والآمال الذاتية »[11] .

●

(١١) ص ١٢٧ من الكتاب .

واني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالما وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر واسير بسيرة جدي وابي علي بن ابي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين .

الحسين بن علي (ع)

١٥٥٦ - ١٦٠٥

الدكتور عبد العزيز سليمان نوار

خرجت من وسط آسيا وسهو بها هجرات بشرية ضخمة من الهون والمغول والترك ملأن التاريخ باحداث جسام وغيرت معالم كثير من البلاد التي مرت بها ، كما خلفت من ورائها صورا بشعة من الدمار والخراب .

فلقد أصاب الهون أوربا بالفزع والفوضى ، كما أن اخلافهم المغول تحولوا في القرن الثالث عشر الميلادي الى قوة اجتياحية هائلة . فلقد امتدت امبراطورية جنكيز خان من الصين حتى الشام ومن البلقان حتى شمالي الهند. (١)

وفي المشرق الاسلامي ، لايكاد الانسان يسمع كلمة « المغول » حتى تقفز الى الذهن صور من المعارك الدموية ، التي تنتهي باهرامات تبنى من جماجم القتلى عند قدمي هولاكو ، وصور" من الخراب الذي اصاب بغداد التي تحولت من مركز للخلافة الاسلامية الى مجرد مدينة متداعية في ولاية من ولايات المغول ؛ وصور" لنهر دجلة وقد زاحمت فيه جثث العلماء وكتبهم وتراثهم اشلاء الحامية التي دافعت عن المدينة (١٢٥٨ م) .

ومن شدة اندفاع تيار المغول ، خيل للناس انه ما من قوة تستطيع ان تصده :

---

(١) اصبحت في الصين امبراطورية مغولية على رأسها قوبلاى خان مؤسس اسرة يوان التي امتد حكمها هنالك حتى ١٣٦٧ ، بينما سيطر هولاكو على فارس والعراق . وبينما تحول مغول الصين الى البوذية تحول مغول الشرق الاسلامي الى الدين الاسلامي .

ولكن في « عين جالوت ١٢٦٠ » نكب مماليك مصر الجيش المغولي فانحسر خطرهم عن الشام ومصر ، ولكن الى حين .

فبعد تلك الموجة المغولية بحوالي قرن ونصف قرن دهم تيمورلنك المشرق الاسلامي ، فاستولى على ايران والعراق ، وأجهز على بغداد وهزم السلطان العثماني بايزيد ووضعه في قفص ، كما هبط تيمور لنك الهند واستولى على سهولها الشمالية .

ويعتقد معظم المؤرخين أن المغول بنوا تلك الامبراطوريات معتمدين فقط على كثرتهم العددية المهولة وعلى الرعب الذي كانوا يثيرونه في صفوف الأعداء لما عرف عن المغول من قسوة بشعة ازاء من يتحداهم . والحق ان المغول احرزوا تلك الانتصارات والفتوحات المتتالية لانهم كانوا ذوى قدرات فذة في التنظيم وفي تنفيذ الخطط .(٢)

واغلب الظن أن صورة الفزع والرعب التي صاحبت تاريخ المغول حجبت عن الناس تلك الحقيقة كما حجبت عن أهل المشرق الاسلامي أنباء امبراطورية مغولية اسلامية كبيرة في الهند بدأت في القرن السادس عشر وانتهت في منتصف

---

(٢) عن الغزوات المغولية وامبراطورية تيمورلنك انظر المراجع التالية :

رشيدالدين فضل الله الهمذاني جامع التواريخ . المجلد الاول . الجزء الثاني .

نقله الى العربية الدكتور فؤاد عبدالمعطى الصياد وآخرون . القاهرة ١٩٦٠؛ المقريزي : كتاب السلوك . نشره الدكتور مصطفى زيادة . الجزء الاول القاهرة ١٩٣٤ . ؛ ابن الاثير : الكامل : الجزء التاسع . ؛ ت . ارنولد : الدعوة الى الاسلام . ترجمة حسن ا . حسن وآخرين ، القاهرة ١٩٥٧ . ؛ فؤاد عبدالمعطى الصياد : المغول في التاريخ . القاهرة ١٩٦٠ ، محمد عبدالعزيز مرزوق : الناصر محمد قلاوون . القاهرة ١٩٦٤ .

M. Prawdin: The Mongol Empire. Its Rise and Legacy. Translated by Eden and Cedar Paul. London. 2nd Inpression. 1941.

W. Barthold: Turkestan Down the Mongol Invasion. 2nd Edition. Translated from the Original Russian and Revised by the Auther with the Assistance of H. Gibb. London 1928.

القرن التاسع عشر الميلادي[٣] .

ولعل من أسباب عدم معرفة البلاد العربية لتاريخ هذه الامبراطورية المغولية الاسلامية الهندية انها تأسست في وقت كانت تجرى فيه في الشرق الاوسط أحداث جسام خاصة خلال الجزء الاخير من القرن الخامس عشر والنصف الاول من القرن السادس عشر .

فقد كان هناك صراع صليبي عنيف على اطراف العالم الاسلامي حينذاك :

١ ـ في البلقان بين العثمانيين والاحلاف الاوربية .

٢ ـ بين مسلمي الاندلس والاسبان الذين نقلوا المعارك الى شمال افريقية بعد استيلائهم على غرناطة . وشارك العثمانيون في القتال في شمال افريقية ضد القوى الاوربية .

٣ ـ بين المماليك والبرتغاليين الذين اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح واغلقوا مداخل البحر الاحمر والخليج العربي ومنعوا تدفق التجارة الشرقية عبر طريق مصر الى اوربا ، وفشل المماليك في خضد شوكة البرتغاليين ، ولما ورث العثمانيون الدولة المملوكية في الشام ومصر والحجاز واليمن دار صراع بحري بين العثمانيين والبرتغاليين في المياه العربية الجنوبية . ولكن عجزت البحرية العثمانية عن اعادة السيطرة الاسلامية على تلك المياه العربية بله المحيط الهندي . وآثرت الدولة العثمانية ان تتقوقع داخل حدودها تاركة القوى المحيطية الاوربية تسيطر على خطوط المواصلات العالمية . فحالت هذه القوى الاوربية بين العرب والهند . كما ان التقوقع العثماني ساعد الى حد كبير على جعل الاتصالات بين الولايات العثمانية العربية والهند في اضيق نطاق .

٤ ـ كان هناك صراع دموي طائفي عنيف بين الدولة العثمانية التركية السنية والدولة الفارسية الصفوية الشيعية ، وكانت ايران تمثل حلقة من حلقات

---

(٣) كانت الثورة الكبرى سنة ١٨٥٧ آخر محاولة من جانب سلاطين المغول في الهند للاحتفاظ بما بقي لهم من سلطات . ولكن قضى على هذه المحاولة الاستعمار الانجليزي الذى كان قد تمكن من الهند وطويت بذلك صفحة السلاطين المغول من سلالة تيمورلنك وبابر واكبر .

الربط بين الهند والبلاد العربية ، فادت هذه العلاقات غير الودية بين اكبر دولتين اسلاميتين حينذاك الى ان تصبح الاتصالات بين ولايات الدولة العثمانية والهند عبر ايران عسيرة جدا .

ان امبراطورية المغول في الهند التي تاسست على يد ظهير الدين محمد بابر في اوائل القرن السادس عشر ليست سوى محصلة لمجهودات الفاتحين والمهاجرين المسلمين العرب والفرس والترك منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) .

فاولى الحملات الاسلامية الى الهند كانت بقيادة محمد بن القاسم الذي استولى على اقليم السند في عهد الامويين .[٤] ولكن فترت قوة الاتجاه الاسلامي نحو الهند بعد ذلك حتى انتعش هذا الاتجاه مرة اخرى في اعقاب نمو قوة الامارات الاسلامية التركية فيما وراء النهر .

فقد استطاع الب تكين ـ عامل السامانيين على خراسان ـ ان يؤسس لنفسه امارة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ضمت فيما ضمته افغانستان وغزنه ، ومن وراء ذلك تطلع الى الهند فاخذ يرسل الحملات نحوها ، وسار صهره وخليفته سبكتكين على نهجه في هذا الاتجاه . وكانت غزوات سبكتكين للهند هي الاكثر فاعلية ، حيث انها مهدت لتدفق جارف اسلامي نحو الهند على يد محمود الغزنوي بين سبكتكين (٩٩٩ ـ ١٠٣٠) فقد قام ابتداء من عام ١٠٠٠م بسبعة عشر غزوة تعمق في بعضها حتى قلب السهول الهندية العظيمة وضرب بقوة امارة كجرات اكبر المراكز الهندوكية حينذاك .

ومن غزنه مرة اخرى تدفق المسلمون على يد محمد الغوري ، الا ان هذا الفاتح الاخير يتفوق على اسلافه من فاتحي الهند المسلمين بانه جعل الحكم

---

(٤) كان سبب ارسال تلك الحملة الى الهند ان القراصنة الهنود كانوا يفتكون بسفن العرب المتجهة الى الحجاز . كما ان البراهمة ايدوا الفرس ضد العرب وحموا من كان يلجأ اليهم من الفرس . والغريب ان مصير محمد بن القاسم كان تعسا . فقد عزله سليمان بن عبدالملك ثم قبض عليه وعذبه حتى مات ، لان محمد بن القاسم كان يعارض في اسناد الخلافة الى سليمان .

الاسلامي فيها مستقرا ودائما[٥] .

وبعد الغورس ظهرت حكومات اسلامية من داخل الهند نفسها منها حكومة المماليك (١٢٠٦ ـ ١٢٩٠) ودولة الامراء الخلجيين (١٢٩٠ ـ ١٣٢١) ثم دولة آل تغلق (١٣٢١ ـ ١٤١٢) [٦] . وفي عهد محمود تغلق ـ آخر سلاطين هذه الاسرة ـ وقعت غزوة تيمورلنك للهند . وسقطت دهلي في يد قائد جيش تيمورلنك في ١٤١٤ .

كان الغزو التيموري السبب الرئيسي في تفكك الدولة الاسلامية في الهند . فظهرت في دهلي اسرة السادات على يد خضر خان (نائب التيموريين) واستمرت تحكم هناك حتى استولى عليها اللودهيون الافغان (١٤٥١ م) .[٧] وكانت الامارات الاخرى المهمة هي :

جونبور : استقلت عن دهلي ثم استولى عليها اللودهيون الافغان .

٢ ـ البنغال : استقل به حسين شاه . ويقال انه دعا الى دين جديد يجمع بين عقائد الهندوكيين والمسلمين . وسيطر عليها الافغان من بعده .

٣ ـ امارة كجرات : التجارية الثرية واستقلت في ١٤٠١م / ٨٤٠هـ .

٤ ـ مالوه : وتقع شرقي كجرات . واستقلت ١٤٠١م ولكن استولى عليها بهادر خان أمير كجرات ١٥٣١م / ٩٣٧هـ .

---

(٥) عن محمود الغزنوي ومحمد الغوري انظر :

S. Lane - Poole: Medieval India. London 1917. Book I. pp. 14—56.

J. C. Powell - Price: A History of India. London 1955. pp. 97—116.

K. Ali: 9 Study of Muslim Rule in Indo - Pakistan. 3rd Edition. Decca. 1963. pp. 25—46.

أحمد الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص٢ (الالف كتاب ١٥٨) القاهرة ـ مطبعة الآداب .

(٦) Ali: op. cit. pp. 47—111.

(٧) Ibid. 114.

٥ ـ خاندش : استقلت عن دهلي ثم وقعت تحت سيطرة كجرات .

٦ ـ بهمني : كانت تشتمل مساحات واسعة في نواحي بمباي وحيدر آباد ثم نفسخت الى خمس امارات متحاربة هي بدار ، برار ، بيجابور ، احمد نكر ، غولكوندة .

٧ ـ اوريسا : في اقصى الشرق[٨] .

٨ ـ دولة ڤيانكر الهندوكية القوية في اقصى الجنوب ، وكانت تقاتل بعنف ضد الامارات الاسلامية بالتعاون مع البرتغاليين الذين اقاموا لانفسهم مستعمرات على الساحل وخاصة في جوا .

ومما سبق يتضح لنا ان الامور كانت تتجه نحو ظهور دولة لودهية افغانية واخرى كجراتية في شمال الهند . وقد استطاع الامير بهلول اللودهي ان يستولى على دهلي وان يؤسس دولة اسلامية لودهية في شمال الهند .

ولكن نكبة الاقتتال بين افراد الاسرة الحاكمة وثورات الامراء الاقطاعيين ادى الى تدهور الحكم اللودهي الافغاني والى فتح الطريق امام بابر صاحب عزنه ليندفع بجيوشه الى سهول لهند ليستولى على دهلي مؤسسا امبراطورية مغولية حضارية في الهند .

وبابر هو اسم الشهرة واسمه الحقيقي هو ظهير الدين محمد بن عمر شيخ ميرزا ، وابوه عمر كان حفيدا لتيمورلنك وزوجا لابنة يونس خان المغول . ومعنى هذا ان بابر ينتمي الى جنكيز خان من ناحية الام والى تيمورلنك من ناحية ابيه .

ولد بابر في ١٤٨٣م/ ٨٨٨هـ ، ولا يكاد يبلغ العشرين من عمره حتى وجد نفسه على حكم فرغانة بعد وفاة ابيه . وكانت المحافظة على الحكم في ذلك الوقت وفي تلك الجهات الوعرة من الأمور العسيرة . فلقد وجد نفسه وجها لوجه امام عمّين له طامعين في ملكه . ولكن عشائر الاوزبك التركية القوية الشكيمة هي التي كانت اشد الاخطار التي تهدده ، فقد هزمته غير مرة ، واستنجد بالشاه اسماعيل الصفوي ـ صاحب ايران ـ ومع هذا لم يستطع التغلب على الاوزبك .

---

(٨) Ibid. pp. 123—141 احمد الساداتي : تاريخ المسلمين : ج٢ :

وكل ما استطاعه هو انه احتفظ بكابل • الا ان كابل لم تكن تشبع طموح بابر ، وكان عازما على أن يؤسس لنفسه ملكا كبيرا • وفي هذه الظروف جاء بعض الامراء اللودهيين يسألونه المعونة ضد ابراهيم اللودهي حاكم دهلي ويطلبون منه العمل على انقاذ المسلمين في الهند من تعاظم قوى الامراء الهنادكة •

كان بابر ينظر الى انه صاحب حق في أن يحكم الهند على اعتبار انها كانت ضمن ممتلكات جده تيمورلنك • وتحرك بابر على رأس جيش كبير صوب الهند فاستولى على لاهور سنة ١٥٢٤ ثم خاض غمار معركتين حاسمتين « باني بت » الاولى سنة ١٥٢٥ وموقعة خانوه سنة ١٥٢٧م •

انتصر بابر في المعركة الاولى على السلطان اللودهي واصبح مجال التوسع امام بابر مفتوحا واتخذ من « اكرا » عاصمة له • وفي معركة خانوه وجه ضربة قاضية الى الامراء الراجبوتيين الذين كانوا قد عقدوا العزم على التخلص من المسلمين في الهند •

ويرجع الفضل في انتصارات بابر الى استخدامه المدفعية والبنادق على الطريقة العثمانية • ولم تكن الاسلحة النارية منتشرة في الهند قبل مجيء بابر • فلتكت مدفعيته ونيران جيش بابر بالاعداء فتكا ذريعا •

اصبح لبابر ملك عريض في الهند وطفق ينظم هذا الملك واضعا اسس حكومة اسلامية تدعو الى التسامح الديني مع الهنود سكان البلاد الاصليين وتدعو الى نشر الاسلام بالقدوة والموعظة الحسنة والسلوك المعلم • فلقد كان بابر يعتقد ان الاسلام يمكن ان ينتشر بقوته الذاتية دون ما حاجة الى العنف اذا ما آمن اهله به ، ونفذوا تعاليمه وتعاطفوا مع الناس • ولهذا اوصى بابر ابنه همايون بالتسامح الديني في هذا المجتمع الهندي •(٩) •

---

(٩) عن بابر انظر المراجع التالية

S. Lane - Poole: Medieval India. pp. 189—217.

Smith: The Oxford History of India. 3rd Edition. pp. 320—323.

Prawdin: The Mongol Empire. p. 503. ' Edwards and Garrett: Mughal Rule in India. Chand & Co. 1956. pp. 3—12.

Powell - Price: op. Cit. pp. 228—229. ' Ali: op. cit. pp. 165—175.

وفي ١٥٣٠ توفى بابر وخلفه همبون الـذي كان لا يزال في مقتبل العمر ليواجه الطامعين في ملكه • فقد انقض عليه أخواه كمران وعسكر • وتمزقت مملكته ، وفقد بيهار والبنجاب وافغانستان بل أصبح طريدا هائما في اقليم السند لا يعرف لنفسه مستقرا •

وخلال هذه الازمة الحادة جاءته الانباء بان زوجته حميدة انجبت له ولدا (١٥٤٢) • فاذا بهيمون الطريد يتحول الى اسد كاسر ، واقسم ليقاتلن حتى يبنى ملكا جديرا به ليرثه هذا الطفل لقد كانت ولادة الطفل الذي سمي « جلال‌الدين محمود » واشتهر بلقب « اكبر » قوة رافعة عظمى لهمايون • فخاض حروبا دامية خسرها الواحدة بعد الاخرى حتى غدا لا يجد لزوجته فرسا تفر به معه فحملها خلفه على جواده فارا من وجه الأعداء تاركا ابنه اكبر ليقع في يد عمه عسكر • وكان عسكر كريما نحو ابن اخيه فلم يصبه بسوء •

اما همبون فلم يهدأ وعاد يشعل الحروب ويرهق الأعداء حتى استطاع مرة اخرى ان يدخل كابل سنة ١٥٥٥ • وفيها اجتمع همبون وحميدة بعد طول فراق وعناء بابنهما اكبر الذي كان قد بلغ الثالثة عشرة من عمره •

والتفت همبون الى ولده ليربيه ليعده لكي يحكم الدولة من بعده فاحضر له اعلى الاساتذة كعبا ، ولكن فشل المدرسون حتى في مجرد تعليمه مبادىء القراءة والكتابة •

لقد اصر اكبر منذ البداية على نبذ التعليم والقى بكل قوته وجهده من مختلف مجالات الرياضة والجندية والقتال • فعاش سنوات المراهقة الاولى مع السيف والخيل ولعبة البولو ، ومع الفروسية والفيلة والحمام • ولم يدر بالا الى امور السياسة واساليب الحكم والادارة •

وخلال ذلك يموت همبون[١٠] سنة ١٥٥٦ تاركا الدولة التي اسسها بعد

---

(١٠) عن هامبون انظر
Edwards and Garrett: op. cit. pp. 12—21.
Powell - Price: op. cit. pp. : 231—240, 244—245.
Smith: op. cit. Book VI The Mughul Empire. pp. 323—326.
احمد السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية : ج٢ : ص

جهد جهيد في يد هذا الصبي الذي لم يكن قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد .

ولكن قيض لاكبر ان يقف الى جانبه في هذه السن الحرجة رجل مخلص وهو الوزير « بيرم » الذي يرجع اليه الفضل في الانتصار الحاسم في موقعة پاني پت الثانية (١٥٥٦) ضد آل سور في البنجاب واورة .[١١] وكان آل سور في الواقع اخطر القوى على اكبر في ذلك الوقت ولهذا يكون بيرم قد حفظ الملك والعرش لاكبر . ولكن اكبر لم يلبث ان عزله عن منصبه بتأثير المؤامرات التي نسجت ضده ولان اكبر نفسه خشي على نفسه من هذا الوزير القوي الذي أصبح له الفضل عليه ولقد ثار بيرم ضد هذا الاجراء الظالم . ولكنها كانت ثورة نفسية اكثر منها ثورة عسكرية ضد اكبر . فلم يلبث ان القى السلاح وقبل ان ينفي عن البلاد الى مكة المكرمة[١٢] .

لم يتول اكبر امور الدولة مباشرة بعد اقصاء بيرم ، وانما كانت امور الدولة تدار بواسطة بعض الاميرات المتنفذات وبعض رجال البلاط ، فلما تولى اكبر كل السلطات في يده وجد امامه مهمة شاقة للمحافظة على ملكه . فقد كانت الى جواره مجموعة من الامارات القوية تتطلع الى التوسع على حسابه . ولهذا شن اكبر سلسلة من الحملات المتتابعات على السند والملتان وكشمير وكجرات وخاندش واوريسا وغندوانا والرجبوت[١٣] .

ونحن لا نستطيع هنا ان نبين بالتفصيل كيف استطاع اكبر ان يتغلب على

---

(١١) Ali: op. cit. pp. 176—192.

(١٢) انظر مصير بيرم في :

Powell - Price: op. cit. pp. 246—249

Edwards and Garrett: op. cit, 12—21 ' 24—25 ' Lane - Poole: op. cit. pp. 242—244. ' Ali: op. cit. p. 195.

احمد السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية : ج٢ : ص

(١٣) عن حروب اكبر انظر :

Powell - Price: op. cit. pp. 247—274 ' Edwards and Garrett: op. cit. pp. 23—35. ' Lane - Poole: op. cit. pp. 238—258.

كل تلك الامارات ولكن ستشير فيما يلي الى بعض الامور الهامة التي توضح طبيعة تلك الانتصارات والفتوحات •

اولا : لقد كانت المعارك ضارية ودموية ، خاصة في معركة پاني پت الثانية ، وفي القتال الذي دار قبل سقوط حصون الهنادكة المنيعة الثلاثة : چتور وكلنجر ورنتنبهور •

ثانيا ـ ان معظم سني حكمه التي امتدت نصف قرن من الزمان (١٥٥٦ ـ ١٦٠٥) كانت حروبا ومعارك ضد اعدائه •

ثالثا ـ ان أسهل الحروب التي خاضها كانت حربه القصيرة ضد اخيه ميرزا حكيم الذي حرضه الثائرون على اكبر وحضوه على الاستحواذ على العرش • ولكن اكبر سرعان ما اخضعه وندم ميرزا حكيم على ما اقدم عليه فعفى عنه اكبر واعاده الى منصبه •

رابعا ـ ان اكبر لم يواجه اعداء متكتلين ، وانما واجه كل امارة على حدة وكان أكبر يدرك حقيقة الامور في الهند في ذلك الوقت الذي لا احترام فيه الا للقوة • ولهذا عنى بقوته المسلحة خير عناية فكانت لديه اقوى ممدفعية في الهند ، وكانت السلاح الحاسم في المعارك • ولهذا درس طرق صناعة المدافع وادخل تحسينات عليها لتكون سهلة الحركة •

خامسا ـ كان اكبر شخصية قيادية فذة ، استطاع ان يحتفظ بترابط الجيش حتى في أدق المواقف ، وكان عظيم الثقة بنفسه وفي أن النصر حليفه ، ولكن دون أن تعميه تلك الثقة عن اتخاذ الاستعدادات اللازمة لمواجهة الأعداء •

سادسا ـ كان أكبر يحترم ويقدر عدوه الذي يستبسل في الدفاع عن نفسه وماله حتى انه بنى تماثيل لعدد من القواد الذين قاتلوه سيفا لسيف ويدا ليد حتى آخر قطرة في دمائهم • صنع تمثالا للقائد الهندوكي چمال الذي دافع عن حصن چتور حتى صرعه اكبر برصاصة اطلقها عليه • واقام تمثالا للملكة الوصية على ابنها امير پتا Patta ولابنها ولزوجته الشابة الصغيرة ، لانهم انتحروا بعد

ان يشسوا من النصر[١٤] .

سابعا : كان اكبر لا يعامل البلاد التي ينتصر عليها على اعتبار انها بلاد مفتوحة يعرضها للنهب والاذلال ، وانما كان يحترم حكامها السابقين ، فكان يقرب اليه بصفة خاصة الامراء الهنادكة لقد كان اكبر عازما على ان يعيش في الهند وللهند . ولهذا اشرك هؤلاء الامراء الهنادكة معه في توجيه امور البلاد . ثم ان اكبر صاهرهم بما في هذه الكلمة من معاني التعاطف الاسرى والسياسى[١٥].

ثامنا ـ ان قيمة انتصارات وفتوحات اكبر في انها اقامت امبراطورية واضحة المعالم مستقرة الجوانب . اما فتوحات وانتصارات اسلافه فكانت محاولات فقط لانشاء امبراطورية . حقيقة لم يسيطر على كل الهند باسرها ولكنه في الحقيقة سيطر على معظمها فقد اصبح يسيطر على كل شمال الهند ووسطها[١٦] . ولم تبق سوى دولة فيانكر الهندوكية في اقصى جنوب الهند خارج دولته .

ولا تقل مغامرات وشطحات اكبر في مجالات التصوف والالهيات عن مغامراته العسكرية طرافة واهمية . ويمكن تقسيم تاريخ اكبر من الناحية الدينية المذهبية الى ثلاثة فترات :

في الفترة الاولى ـ منذ اعتلائه العرش حتى ١٥٧٨م كان مسلما سنيا يؤدي الفرائض ويبشر الدين الاسلامي ومتحمسا في بناء المساجد . ومن روائع مساجده مسجد (بلند دروازة) .

اما الفترة الواقعة بين ١٥٧٨ و ١٦٠١ فتتميز بمحاولته الانطلاق في اجواء

---

(١٤) Edwards and Garreftt: op. cit. p. 35 ' Binyon: op. cit. p. 70 ' Powell - Price: op. cit. p. 249.

(١٥) يذكرنا هذا بالزيجات السياسية بين سلاطين آل عثمان واميرات البيت البيزنطي الامر الذي اعان العثمانيين على التوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية . انظر .

Powell - Price: op. cit. pp. 250—251.

(١٦) اصبحت امبراطورية اكبر تضم ما يلي : افغانستان ، كشمير ، البنغال ، بيهار ، جولكندة ، احمد نكر ، كجرات ، دهلي الملتان ، اجمير ، اودة ، ملوة ، الله آباد .

الفلسفات الالهية • وانتهى به الامر الى اعلان المذهب الالهي •(١٧)

اما الفترة الاخيرة وهي تمتد من ١٦٠١ ـ ١٦٠٥ فكانت فترة من القلق النفسي والازمات العاطفية • فقد خلالها ابنه الاصغر وامه الحنون ، واعز اصدقائه وخلصائه ابا الفضل ، وغادر الى الابد عاصمته الرائعة فتحپور • واغلب الظن ان هذه الازمات النفسية الشديدة التي صاحبت ثورة ابنه سليم عليه هي التي اعادت اكبر الى حظيرة الدين الاسلامي فمات في ١٦٠٥ وهو يحاول ان ينطق باسم الله سبحانه وتعالى •(١٨)

كان اكبر في سبيل بناء تلك الامبراطورية قد خاض معارك دموية كلفت الهند الآلاف المؤلفة من الضحايا • فكم من حامية دافعت عن قلعتها حتى اصبح من المتعذر على الجند ان يتخطوا الجثث والاشلاء • وكم من اهرامات عالية بنيت من رؤوس القتلى الهنادكة والمسلمين على السواء • وكم من امير قتل اسرته قبل ان تقع في قبضة اعدائه المنتصرين • وكم من كنوز من ذهب وفضة جمعها المنتصرون بقسوة من المهزومين ليدور عليها من بعد ذلك صراع مرير بين المنتصرين انفسهم •

انها في الواقع لمأساة كبرى عاشها اكبر واشترك فيها ودبر بعض اطرافها وهو كاره لبشاعتها ولقسوتها • واخذ يطلق العنان لفكره لعله يجد تفسيرا واضحا لتلك المذابح البشرية التي بدأت منذ أن دب الانسان على الارض •

وتساءل اكبر : هل يمكن اتحاد الهندوكيين والترك والفرس والمسلمين والبراهمة والزرادشتيين والجينيين جميعهم في بوتقة واحدة مثلما حدث للغات الهندية والفارسية والتركية ؟

لقد كانت اللغة الفارسية هي لغة الادب والمثقفين في الهند ، وكانت اللغة التركية هي لغة الجيش المغولي الذي كان يضم اعدادا كبيرة من الاتراك في العهد المغولي الاول • ثم اصبح يضم تركا وهنودا مسلمين وغير مسلمين• فقد اختلطت اللغة الفارسية بالتركية بالهندية ونتج عن هذا الخليط لغة جديدة عرفت الى يومنا هذا باللغة الاوردية التي اصبحت منذ عهد المغول اللغة الاولى في الهند •

---

(١٧) Smith: op. cit. p. 357.
(١٨) Binyon: op. cit. p. 157.

فلماذا لا يتفق الناس ويتوحدوا ويمتزجوا سلميا وفي هدوء ليشكلوا شعبا متماسكا مترابطا متحدا من جميع الوجوه ، مثلما اتحدت اللغات المختلفة وكونت لغة واحدة جديدة ذات طاقات حيوية نشطة ؟

لقد كان اتحاد اللغات واللهجات مثالا واقعيا اثر على تفكير اكبر تأثير كبيرا وجعله يعمم الفكرة على جميع المستويات الاقتصادية والفكرية ، واتجه كذلك الى ان يعمم الفكرة في المجالات الدينية كذلك بان يوحدها في اطار واحد يعيش داخله جميع الناس .

ويصاب اكبر في بعض الاحيان بشطحات فلسفية فاذا به يرى هذه الضجة التي تملأ الحياة عجيبة مليئة بالمتناقضات ، فهو يرى امامه صورا من صراع لا يهدأ بين خليط من الاجناس والمعتقدات وكل جنس يرى في نفسه انه هو اسمى الاجناس ، وكل صاحب عقيدة يعتقد انه كسب الحياتين الدنيا والآخرة وان ما عداه في سجن .

ورأى اكبر ان من بين الهنادكة من دافع عن نفسه وجنسه ومعتقده حتى للموت وكذلك فعل المسلمون الذين تصدوا لاكبر وحاربوه حتى انتصر عليهم . فهم هنا سواسيه في مقاومته . ثم ان هناك ملايين من الهنادكة الذين تمسكوا بمعتقداتهم البرهمية والزردشتيه والجينية ولا يريدون لها بديلا .

فكيف لاكبر ان يحكم شعبا كهذا خليطا من معتقدات شتى ومن اجناس مختلفة . ان ادخال جميع الهندوكيين في الاسلام كان امرا بعيد الاحتمال . وان ترك هذه المعتقدات وتلك الاجناس تتصارع فيه خطر ساحق على مستقبل الدولة التي اسسها .

لقد سعى اكبر الى البحث عن المذهب او العقيدة الحقة التي يجب ان يتبعها والتي يجب ان يتبعها اهل الهند . فنظر حوله فاذا بالفرق الاسلامية متناحرة متعادية . واوضح مثل على هذا ذلك الصراع الدموي الذي كان بين الشيعة الصفوية من جهة والعثمانيين السنة من جهة اخرى . وهو صراع اشمأز منه اكبر .

أراد أكبر ان يتبين الطريق السوي بين الفرق الاسلامية ولكنه لم يستطع ان يتبين الطريق من شدة الاضواء التي كانت على جانبيه وفي وسطه ولاختلاف ألوانها • ولكنه كان في نفس الوقت طريقا مضرجا بالدماء مليئا بالمآسي التي خلفها صراع متطاول بين الفرق الاسلامية •

كان اكبر خلال بحثه عن الحقيقة يصاب بازمات نفسية حادة حتى لتجده فجاة قد امتطى صهوة جواده العربي العراقي « حيران » فيطلق له العنان الى اي اتجاه ويظل حيران منطلقا ، ويظل اكبر يحثه على المضي الى أي شيء ، حتى يعجز « حيران » عن الركض ، واذا باكبر في مكان موحش فيعيش فيه مع خيالاته الصوفية الفلسفية ، حتى تهدأ نفسه • واخيرا يجد « حيران » بين يديه فيعود به الى صخب الحياة وضجتها والى مآسي الحكم والقتال •

ولقد بلغ باكبر الهوس الصوفي والفلسفي الى الدرجة التي جعلته يجمع عددا من الاطفال ويربيهم بعيدا عن تأثيرات المجتمع ليعرض عليهم الاديان والمذاهب فلعل فطرتهم تهديهم الى الدين الاصيل الفطري الحقيقي • فلما عرض عليهم الاديان والعقائد فوجيء بان عزلتهم عن المجتمع جعلتهم جماعة من البكم لا تعي ما يقدم لها ولا تستطيع التعبير عما تفعل به[٢٠] •

اتجه اكبر كذلك الى دراسة الكتب السماوية : القرآن الكريم والانجيل • ولكنه وجد ان الافضل هو ان يجمع كل صاحب مذهب أو دين في مكان واحد ليتجادلوا في امور الدين وليدافع كل واحد عن معتقده لعله يصل الى الطريق الصحيح الى الله • ولهذا بنى « عبادة خانة » (١٥٧٤) في عاصمته الجديدة « فتحپور » لتكون مقرا لتلك الندوات الدينية •

دعا اكبر الى (عبادة خانة) فقهاء الدين الاسلامي من سنة وشيعة ، ورجال الدين البراهمة ، وكهنة زرادشت ، ورجال المذهب الجيني وكذلك دعا ثلاثة من المبشرين البرتغاليين الجزويت[٢١] ليشاركوا في تلك الندوات •

---

(١٩) Binyon: op. cit. p. 49.

(٢٠) احمد السباعي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية : ج٢ : ص ١٤٣ هامش •

(٢١) هم رودلفو اكوافيفا وانطونيو مونزرات وهنري جيز Rudolfo Aquaviva 9ntonio Monserrate, Henri - quez.

وكان الاول والثاني من الآباء الجزويت الاوربيين اما الثالث فكان مسلما فارسيا ارتد عن الاسلام وشهر سلاح التبشير في وجه المسلمين في الهند بالتعاون مع الاستعمار البرتغالي •

Binyon: op. cit. p. 93.

كان اكبر يفتح صدره لكل صاحب نحلة ، وظن الآباء الجزويت ان اكبر حين احاطهم برعايته واستمع بامعان الى احاديثهم عن المسيح وعن الديانة المسيحية قد مال الى معتقدهم وانه على وشك الايمان بالمسيحية ، وانه لو فعل هذا للعب دورا رائعا في تاريخ المسيحية لا يقل عن الدور الذي لعبه قسطنطين[٢٢] الاول حين اعترف بالمسيحية فانتشرت المسيحية بسرعة في الدولة الرومانية .

ولكن الآباء الجزويت لم يقدروا حقيقة ذكاء اكبر ، فلم يلبث ان انهال عليهم بالاسئلة المحرجة . لماذا هم فئات متناحرة ؟ لماذا هناك تلك التعقيدات العديدة المختلف عليها في العبادات ؟ لماذا هذا الاختلاف الشديد في تحديد طبيعة المسيح نفسه ؟ وحاول الآباء الجزويت ان يصمدوا امام ذكاء اكبر ولكن دون جدوى . فهذا حماسهم ومع هذا ظلوا على امل ان ينتصروا يوما ما .

واوقع اكبر الفقهاء والعلماء والكهنة والمبشرين في ميدان الجدل والنقاش ، وخلال ذلك الجدل كان اكبر يبتعد رويدا رويدا عن جميع تلك المعتقدات واخذ يكون لنفسه فلسفة قائمة بذاتها حتى اذا اكتملت الصورة لديه دعا الى « المذهب الالهي ».

« والمذهب الالهي » الذي دعا اليه اكبر يطالب الناس بان يعبدوا ربا واحدا واكبر ظله على الارض . وان يعيشوا نباتيين لا يشربون الخمر . ولا يكذبون . والمذهب يقوم على اساس المساواة التامة بين الرعية لا فرق بين شخص او آخر . فهو مذهب يريد أن يصهر الجميع في بوتقته . ولهذا أصدر اكبر سلسلة من التشريعات التي تمنع ممارسة بعض العادات والتقاليد المتضاربة مع الانسانية صفة عامة ومع مذهبه بصفة خاصة .

فقد منع الساتي منعا باتا . والساتي هو ان تنتحر الارملة ـ التي لا اطفال لها ـ في اعقاب وفاة زوجها .

وأحل اكبر زواج الهندوكيات الأرامل . وكان هذا محرما وفق العقائد

---

(٢٢) الامبراطور الروماني الذي اسس القسطنطينية . ويقال انه اعتنق الديانة المسيحية . فقد اصدر مرسوم ميلان ٣١٣ م معطيا الحرية الدينية للمسيحيين فانتشرت المسيحية بسرعة في الدولة الرومانية بعد ذلك . انظر The Cambridge Medieval History. Vol. I. pp. 5—6 (Cambridge 1936).

البرهمية • ووضع شروطا للزواج ، فلا يتزوج العجائز من هم في سن ابنائهم او بناتهم • ومنع زواج الفتى او الفتاة الا بعد اكتمال الصفات الجسمية والعقلية والفطرية حتى لا يصاب الزوجان بازمات نفسية خطيرة وحتى لا يخرج الى الدنيا اطفال مشوهون نتيجة لتلك الزيجات المبكرة • ودعا اكبر الناس الى التزاوج من اسرات لا يتصلون بها بصلة القربى • لان تزاوج الاقرباء يضعف النسل • وهو امر اثبته الطب الحديث • هذا الى أن التزاوج من خارج الاسرة يعين على تحطيم العصبية القبلية ويزيد من سرعة وسهولة التفاهم بين مختلف اجزاء البلاد• وفي نفس الوقت منع تعدد الزوجات[٢٣] • والحق ان الدين الاسلامي اباح التعدد ولكن بشروط[٢٤] وتطور الامر الى ان اصبح التعدد مباحا دون مراعاة لشروطه •

ان تلك التشريعات التي نفذها اكبر هي في الواقع اصلاحات اجتماعية اكثر من كونها دعايات دينية او لاهداف مذهبية • وهي من ناحية تعتبر ثورة على المذاهب الهندوكية اكثر منها ثورة على الدين الاسلامي • لان تلك المبادىء التي دعا اليها هي من مبادىء الدين الاسلامي أيضا • حقيقة الحياة النباتية ليست من الامور التي دعا اليها الاسلام ولكنها لا تتعارض معه • فعدد ليس بالقليل من علماء المسلمين كان نباتيا •

ولكن هناك من يقول ان اكبر كان شديد الوطأة على المسلمين متسامحا مع الهندوكيين ومع المبشرين المسيحين • وان بناء المساجد توقف في ايام اتجاهه الى فكرة المذهب الالهي ، وان الناس امتنعوا عن تسمية اولادهم باسم محمد (صلعم) •[٢٥]

ان الأمر الذي لا جدال فيه ان اكبر في محاولته تجميع الناس كلهم تحت لواء عقيدة واحدة اخذ يبتعد عن تعاليم الاسلام ويقترب من العلمانية • ولكنه

---

(٢٣) احمد السادات : ج٢ : ص١٣٩ وما بعدها •

(٢٤) ليس هناك من شروط نعلمها غير العدل في المعاملة ، هيئة التحرير ، وان لا يزدن على اربع •

(٢٥) Edwards and Garrett: op. cit. p. 45.

كتيرقي كان في حاجة الى دين سماوي ، وكامبراطور في حاجة الى توحيد الناس تحت لوائه ومن هنا اتخذ الاسلوب الالهي في عملية صهر الجميع في بوتقة واحدة • فاضطرب عليه الامر ، ولم يستطع ان يرى الطريق الذي كان يسير فيه لا شعوريا • لقد كان اكبر يسير في طريق القومية الهندية دون أن يدري هو بذلك •

فلو استبدل اكبر مذهبه الالهي بفكرة القومية لكان اجدى ولا تعرض لاتهامه بالخروج عن الدين الاسلامي • فالقومية تترك لكل انسان حق عبادة آلهته التي يؤمن بها في حرية تامة على ان يكون الولاء للهند • وبذلك تنصهر العناصر والعصبيات في بوتقة القومية وتعيش الاديان والمعتقدات جنبا الى جنب دون صراع • ان هذا هو ما نلمسه الآن في مختلف ارجاء العالم ، فالحرية الدينية والقومية شيئان متكاملان ، ولم يدرك اكبر هذه الحقيقة لا عن قصر نظر وانما لان فكرة القومية لم تكن قد ظهرت بعد في الشرق الاقصى ولان مفهوم القومية نفسه كان غريبا عند الناس في تلك الفترة •

ان العجيب حقا هو أن الثورة الدينية التي بدأها اكبر في الهند عاصرت ثورة دينية كبرى في أوربا ضد الكنيسة والبابوية ، وأن الفكرة القومية التي سار فيها اكبر لا شعوريا كانت هي أساس الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاوربا في عصر النهضة• فهل تأثر اكبر بتلك التيارات السياسية والدينية التي ظهرت في اوربا حينذاك؟

الواقع ان اكبر لم يتأثر بالفكر الاوربي البروتستنتي الثائر على الفكر الكاثوليكي البابوي • وانما تأثر اكبر بامرين هامين :

١ ـ واقع الأمور في الهند •

٢ ـ التيارات الحديثة الدينية في الهند القائلة بأنه على رأس الالف الثانية سيظهر المهدي المنتظر او المسيح ليعيد العدل الى الارض بعد ان ملئت ظلما وجورا •

لقد كانت هناك فعلا دعوات قوية تقول ان المهدي على وشك الظهور • وكان ذلك في القرن السادس عشر في الهند عدد من مدعي النبوة من امثال سيد محمد •

ولا شك ان اكبر علم بتلك التيارات الدينية ، فهل راى اكبر في نفسه انه اكثر من هؤلاء المدعين بالنبوة حقا في ان يكون ظل الله على الارض ؟ فهو اكثرهم علما ، واعرف الناس بالمذاهب واقدرهم على توجيه امور الرعية لما فيه الخير . (٢٦) قد يكون هذا تفسيرا لدعوته الى المذهب الالهي .

والحق ان ما قاله الدكتور احمد الساداتي في هذا الشأن هو خير بلورة للموضوع . فقد قال :

« كانت السياسة هي دينه ، ووحدة أهل الهند تحت سلطانه هي عقيدته »[٢٧] ويقول بول ـ بريس Powell - Price ان اكبر استهدف من مذهبه الالهي ان يصبح خليفة حتى يرتفع شأنه عن مكانة السلطان العثماني والشاه الفارسي[٢٨] .

والمعتقد ان اكبر لم يفكر في موضوع الخلافة ، ولم يضع نفسه موضع المقارنة بالشاه او بالسلطان العثماني . انما كان تفكير اكبر قاصرا على الهند وللهند ولا يريد الانطلاق الى ما وراء الهند ، ولا الى المحيط الذي كان يزخر بالاساطيل الأوربية .

هذا الموقف السلبي من القوى الاوربية والعالمية في المحيطات يفسر لنا علاقة اكبر بالبرتغاليين . وان موقف اكبر من البرتغاليين يعتبر نقطة ضعف شديدة في سياسة اكبر .

فلقد أطل أكبر على المحيط الهندي بعد استيلائه على امارة كجرات المطلة على المحيط الهندي . واصبح على مرأى من الاسطول البرتغالي الذي احتكر السيطرة على المحيط الهندي وعلى طريق رأس الرجاء الصالح الى اوربا واغلق مداخل البحر الاحمر والخليج العربي واخذ كل سفينة عربية او اسلامية غصبا ،

---

(٢٦) Ali: op. cit. pp. 219—220.

(٢٧) احمد الساداتي : تاريخ المسلمين : ج٢ : ١٤٣ ويشاركه هذا الراي كذلك

Ali: A Study in Muslim Rule. pp. 220, 223.

(٢٨) A History of India. p. 262.

يستولون على ما فيها ثم يحرقونها بما فيها من حجاج بيت الله الحرام[٢٩] .

ان هذا النشاط الصليبي البرتغالي في المياه العربية الجنوبية هو حلقة من حلقات الحرب الصليبية التي كانت تشنها شبه الجزيرة الايبيرية ضد المسلمين . فماذا فعل اكبر بالبرتغاليين ؟

تحدثنا اخبار اكبر عن انه اتصل بهم عندما شرعت الاميرة جلبادان في السفر بحرا الى الاراضي الحجازية لأداء فريضة الحج (١٥٧٥) . وهنا خشي اكبر عليها من عدوان الاسطول البرتغالي عليها ، فطلب من البرتغاليين عدم التعرض للاميرة وفي مقابل ذلك حصلوا على موقع على ساحل داماذ

ولما عادت الاميرة سالمة من رحلة الحج ، انقض جنود الدولة على داماذ وديو وسورات وكانت كلها معاقل برتغالية . ولكن لم تستطع تلك القوات المغولية ان تطرد البرتغاليين من تلك المعاقل . وعندما احتج نائب الملك البرتغالي على ذلك الهجوم ادعى اكبر ان ذلك كان من عمل بعض عماله وانه لم يأمر بذلك . وارسل أكبر رسالة ودية الى فرديناند الثاني ملك اسبانيا والبرتغال حينذاك مع احد المبشرين الجزويت ولكن الرسالة لم تصل الى الملك[٣٠] .

ويقول المؤرخ سميث ان السبب الرئيسي الذي جعل اكبر يتصل بالبرتغاليين هو رغبته في الحصول على مساعدتهم العسكرية . فلقد وجد اكبر في فتح حصن . صبر . مشقه كبيرة جدا لان العاملين على مدفعية ذلك الحصن كانوا من البرتغاليين[٣١] .

كذلك نلاحظ ان سليما ـ الذي ثار على ابيه اكبر ـ طلب من البرتغاليين مساعدته في ثورته ضد ابيه[٣٢] .

ومما سبق يتبين لنا أن اكبر كان يدرك حقيقة القوة البرتغالية البحرية ،

---

(٢٩) Pamkkar: Asia and Westesn. p. 42.

(٣٠) Powell - Price: op. cit. p. 264.

(٣١) The Oxford History of India. p. 353.

(٣٢) Ibid.

ولكنه لم يواجه تلك القوة بالاستعدادات اللازمة • أو بمعنى آخر أن اكبر لم يرتفع الى المستوى المطلوب بالنسبة للسياسات والاستراتيجية العالمية • فالعصر الذي عاشه اكبر كان نهاية القوى البرية ، وبداية القوى المحيطية •

ان عدم ارتفاع اكبر الى مستوى الأحداث العالمية جعل الهند محاطة بالقوى المحيطية واضطر الهند الى القوقعة وراء سواحلها ثم اخذت القوى البحرية تطرق ابواب الهند بقوة حتى انتهى الامر بوقوع الهند باسرها في قبضة الاستعمار الاوربي(٣٣) •

وكما كان اهمال اكبر لأمر القوى البحرية المحيطية من الاسباب التي مهدت للاستعمار الاوربي ، كان تسليم اكبر امر تعليم ابنه سليم الى مبشر برتغالي من العوامل الرئيسية التي ادت الى أن تصبح شخصية سليم مهزوزة ، والى أن يتحول الى ابن عاق •

ولعل السبب في اسناد امر تعليم سليم الى احد المبشرين الجزويت هو أن اكبر وجد فيه ما لم يجده في المعلم التقليدي الاسلامي الذي حصر نفسه في تعاليم الدين ومناقشة المسائل الدينية والتعقيدات اللغوية دون أن ينطلق في زحمة العلم والاختراع والحياة الحديثة •

اما المبشر الجزويتي الاوربي فكانت لديه معلومات أوسع في أمور الحياة لما كانت عليه أوربا من تقدم واضح منذ القرن الخامس عشر• وكانت الرحلات الطويلة البحرية والبرية التي يقوم بها المبشرون من أوربا الى مختلف بقاع العالم تكسبهم خبرات ومعلومات هائلة •

ولكن اكبر حين أسلم أمر تعليم سليم الى أحد المبشرين كان في الواقع كالمستجير من الرمضاء بالنار • فالمبشر الجزويتي معروف بشدة تعصبه للكاثوليكية ، ومقته الشديد للاسلام وللمسلمين حتى لقد جر تعصبهم عليه نقمة بعض ملوك أوربا حينذاك • وكانت البرتغال تتزعم حركة صليبية عسكرية تبشيرية واسعة النطاق • وتحث المبشرين على مضاعفة الجهد ضد القوى الاسلامية • ومن ثم حين يقوم مبشر جزويتي بتعليم سليم فان الاهداف الجزويتية

---

(٣٣) هذا ما حدث لمعظم الدول الشرقية ، كالدولة الفارسية والدولة العثمانية ، •

الى جانب الأهداف التبشيرية ستكون أمامه في كل درس من دروسه لسليم .

وهذا الاسلوب من التربية يتضمن تعاليم ليست فقط مخالفة لتعاليم الاسلام بل كذلك لطبيعية المجتمع الذي يعيش فيه سليم . فنشأ سليم مهزور الشخصية مضطرب الوجدان ، زائغ العقيدة ، ومما زاد من أمر اضطراب شخصية سليم أن اكبر نفسه كان لا يثق كثيرا بالاديان والمعتقدات . فعاش سليم في ضياع نفسي لا يستطيع أن يفر منه الا بواسطة كؤوس الخمر وقطع الافيون .

على أن ثورة سليم على أبيه وعقوقه صورة من صور ذلك العصر المتكررة . فلقد تصارع اولاد بابر بعد وفاته ، ولم يع اكبر هذا الدرس ، فلم يعمل على القضاء على داء الصراع الاسرى في بيته .

والغريب حقا هو ان ظروف اكبر وابنه سليم كانت تشير بكل تأكيد الى أن صراعا على العرش لن يقع بينهما أو حتى بين أولاد اكبر . فقد توفى مراد الابن الثاني لأكبر ، كما أن الابن الاصغر دنيال قد اصبح شبه أبله بسبب الخمر التي صرعت مراد واصبحت تهد دنيال لنفس المصير . وهكذا لم يكن هناك سوى الابن الاكبر سليم الذي يستطيع أن يرث العرش . حقيقة كان سليم مدمنا على الخمر ولكنه لم ينحدر الى ذلك المستوى المنحط الذي انحدر اليه اخواه مراد ودنيال . ومع هذا ثار سليم مطالبا باقصاء أبيه عن العرش !

هناك من يقول ان سبب ثورة سليم هو تحريض بعض الأمراء الهنادكة الحاقدين على اكبر ، وهناك من يعتقد أن سليم كان يشعر بضعف شخصيته والحاجة الى اثبات ذاته وأنه لا يقل عن أبيه قوة وعظمة وقدرة على أن يبني لنفسه ملكا بحد السيف .

والواقع ان شخصية اكبر كانت طاغية ، وكان تركيب جسمه ضخما بارز العضلات ، وتقاسيم وجهه صارمة ، وتاريخه ملىء بالانتصارات والمغامرات ، فضاعت شخصية سليم في دوامة شخصية اكبر الطاغية .

كان سليم قد بلغ الحادية والثلاثين من عمره سنة ١٦٠٠ وتشبع بفكرة تأسيس ملك لنفسه بسيفه وجهده وان يثبت للناس أنه لا يقل عن أبيه مقدرة

وعظمة • بل انه قادر على اسقاط ذلك الرجل الضخم الذي اذل كل من وقف ضده •

ولكن هل يكفي كل هذا لتفسير أسباب ثورة ابن على أبيه ليرث ملكا عريضا هو له ان آجلا او عاجلا ؟ اننا نعتقد ان الخمر والافيون من الاسباب الرئيسية وراء تلك النكبة الاسرية • فالخمور والافيون ذات تأثيرات متناقضة • فهي تصيب مدمنها بمركب العظمة وبخور في العزيمة وشفافية روحية زائفة مع اشراقات فلسفية تبرز ذلك الخور في العزيمة وتلك العظمة المدعاة •

والحق ان طبيعة الأعمال التي قام بها سليم خلال ثورته ضد أبيه تثبت أن شخصيته كان مهزوزة ومتناقضة • فقد بدأ عملياته الحربية مستهدفا احتلال اكرا ولكنه لم يلبث أن تحول عنها الى الله آباد لأنها كانت في نظره اقرب منالا • والواقع انه كان مترددا لا يثبت على خطة •

وتسمع حميدة ـ جدة سليم ـ بانباء تمرده ، وتتذكر سنوات الكفاح التي عاشتها مع هميون حتى استطاع ان يبني لنفسه ولولده اكبر ملكا • وخشيت ان يضيع ذلك الملك بسبب هذه الثورة الطائشة •

ذهبت حميدة الى سليم وحثته على الكف عن هذه الفتنة طالما ان كل شيء سيكون له • وان ينتظر حتى يرث هذا الملك متكاملا بدلا من أن يحصل عليه ممزقا ملطخا بالدماء •(٣٤)

وعبثا حاولت حميدة اقناعه ، ولم يعد هناك الا الاحتكام الى السيف بعد أن عاد اكبر من الجنوب مسرعا ليواجه تمرد سليم • وبعث اكبر جيشا ضد ابنه بقيادة ابي الفضل الذي كان أشد الناس اخلاصا لاكبر واحبهم الى قلبه ، واكثر علماء ذلك العصر عمقا في التفكير • وهو صاحب « اكبرنامه » التي تعتبر واحدة من روائع الانتاج الادبي والتاريخي في ذلك العصر • وقد كان ابو الفضل اديب القصر وفيلسوفه ، وقائد جيش اكبر •

ادرك سليم ان لا شك سيهزم ان هو واجه ابا الفضل في معركة مكشوفة • ولهذا لجأ سليم الى الغدر • ودبر خطة لاغتيال ابى الفضل نفذت بنجاح(٣٥) •

---

(٣٤) Ibid. pp. 147—148 ' Smith: op. cit. p. 354. (٣٥)

نأدى مصرعه على هذا النحو الى اثارة ثائرة اكبر • ولكن اكبر كان قادرا على أن يكبح جماح نفسه في مثل هذه الظروف العصيبة • ورأى أنه يجب التغلب على عقوق سليم بكل الطرق السلمية والا تعرضت الامبراطورية كلها للضياع • فكبت آلامه وبعث الى ابنه رسولا استطاع ان يقنع سليم بالعودة الى طاعة ابيه •

وأغلب الظن أن سليم وجد انه ان تمادى في ثورته قد يفقد كل شيء حيث ظهر حزب قوي في البلاط ينادي برفع خسرو بن سليم نفسه الى العرش بعد اكبر • وهكذا بدأ سليم يشرب من الكأس التي أراد أن يسقيها لأبيه اكبر •

وهذا يفسر لنا لماذا كانت طاعة سليم لابيه غير صافية فقد كان سليم ـ رغم تأكيدات اكبر له ـ يوجس خيفة من أبيه حتى تغلبت عليه اوهامه وشهر السلاح مرة أخرى ضد أبيه • فعزم اكبر هذه المرة ليزحفن على ابنه وليلقنه درسا يعيده الى رشده •

وخشيت حميدة على سليم من ثورة اكبر الطاغية • فغادرت سرير المرض تستعطف اكبر ليعود الى اكرا والا يتابع الزحف ضد ابنه • وكان اكبر يعتقد ان حميدة تدعي المرض استعطافا له ، فلم يتأثر لدموعها ، ولكنها لا تكاد تعود الى فراشها حتى ثلفظت انفاسها الاخيرة • فعاد اكبر اليها واشرف على مراسيم دفنها الى جوار شريكها في الجهاد همايون •وبعد قليل جاءه نعي ابنه الاصغر دنيال • وكانها كانت سنة من المصائب والمحن بعد ان طالب باكبر الحياة الحلوة • وعاش اكبر في عالم كئيب تعس • وكان فقدان الام الرءوم والابن وثورة ابن آخر عاق كل هذا قد اثر على نفسية اكبر • واثر اكبر ان يضمد بعض الجراح الغائرة قبل ان تستفحل • ولهذا عكف على محاولة جديدة للتفاهم مع ابنه سليم •

راسل اكبر ابنه مرة اخرى ودعاه الى ترك الخصام واكد له انه هو وارث كل شيء من بعده ولا داعي لاسالة الدماء • ونجح اكبر في اقناع ابنه بالعودة الى طاعته ، وظل وراءه حتى قبل سليم وذهب الى ابيه نادما • ولكن في هذه المرة اعتقله اكبر حتى توسط من اجله عدد من سيدات البلاط ورجاله • فاطلق سراحه • وبعد ذلك مرض اكبر مرض الموت ، وظهرت في القصر اتجاهات قوية نحو ابعاد سليم عن العرش واسناده الى خسرو بن سليم • ولكن ذهب سليم الى ابيه المحتضر وذرف دموع التوبة امامه ، فمد اكبر يده الى سيف همايون وسلمه الى سليم ليتولى به أمر الامبراطورية من بعده •

ومات اكبر بين يدى ابنه سليم الذي حمله الى مثواه الاخير في قلعة اكرا • وتمت مراسيم الدفن بسرعة أذهلت الآباء الجزويت الذين كانوا ينتظرون المشاركة في الوداع الاخير بشموعهم وموسيقاهم الجنائزية • فلم يدرك هؤلاء الآباء الجزويت أن من تعاليم الدين الاسلامي الاسراع في الدفن مع البساطة في المراسيم الجنائزية[٣٦] •

والملاحظ ان كتابات الآباء الجزويت عن اكبر كانت غير ودية حتى بعد وفاته حيث انهم اعتقدوا أنه غرر بهم عندما مال اليهم دون ان يتحول الى المسيحية واغلب الظن ان نقمة الآباء الجزويت كانت شديدة لانهم لم يظفروا بطائل من وراء مجهوداتهم التبشيرية فلم يتحول الى المسيحية الا افراد قلائل جدا[٣٧] •

لقد عاش اكبر طوال نصف قرن من الزمان والسيف في يده ، ولكنه كان في نفس الوقت صاحب حاسية فنية دقيقة ، وصاحب ذوق أدبي راق • ولقد كان بابر وهميون من المغرمين بالفنون والآداب ، ولكن لم يكن لديهما الوقت والفرصة والامكانيات التي توفرت لاكبر •

وتعتبر مدينة فتحبور اعظم مثال على روعه فن المعمار في ايام اكبر • فقد بناها لتكون عاصمته ، فاخرجها تحفة من تحف الهندسة ، واصبح فن المعمار فيها نقطة تحول في تطور ذلك الفن في الهند ، ونقطة انطلاقة جديدة له • وكانت حدائقها بورودها واشجارها ونافوراتها تضفي على المدينة جمالا شاعريا شرقيا ساحرا •

كان طول فتحبور ميلين ، وعرضها ميل وكانت محاطة بالاسوار من ثلاث جهات • اما الجهة الرابعة فكانت تمتد بها بحيرة صناعية مترامية • ولا تزال بعض مبانيها قائمة الى الآن شاهدة على روعة ذلك الماضي القريب ، وصورة تعكس تعاسة تلك المدينة البائسة •

فان عمر تلك العاصمة كان قصيرا جدا لم يتجاوز خمسة عشر عاما ثم

---

(٣٦) Binyon: op. cit. pp. 157—158.

(٣٧) Smith: op. cit. p. 356.

هجرها اكبر ، فاذا بالقصور خاوية ، والحدائق قد جفت اشجارها ، واخذت بنات اوى والكلاب والقطط تمرح على القباب الرخامية والقصور الفرمزية[٣٨] .

واذا كنا نجد هنا وهناك بعض بقايا تلك القصور الرائعة في فتحپور فاننا لا نجد اثرا على الاطلاق ، لعبادة خانة ، مع انها كانت قوية البناء مرتفعته واكثر الابنية فنا وابعدها صيتا .

ولعل اكبر في ايامه الاخيرة سام ذلك الانحراف عن الدين الاسلامي الذي وقع فيه خلال فتوته وجبروته ، فانتزع ذلك البناء من اساسه حتى تضيع ذكراه. او لعل بعض خلفائه هم الذين اقدموا على ذلك . ان الامر لا يزال محيرا .[٣٩]

لم تكن احاسيس اكبر الفنية بقاصرة على المعمار وهندسته وانما تعدتها الى فنون الرسم والتصوير . وتعتبر رسوم الفنان عبدالصمد من آيات ذلك العصر. ولشدة ولع اكبر بهذه الفنون أسس مدرسة ابتدعت جديدا في الألوان والرسم واخرجت لوحات فنية عالمية[٤٠] .

ان رجلا عرف عنه حب فنون المعمار والتصوير لابد وان يعشق الادب واساليب الفن الاخرى السماعية والوجدانية . فمع ان فنون الموسيقى كانت ضائعة بين فنون الهند الا انها اصبحت في عهد اكبر ذات مكانة ممتازة بين فنون العصر . وكان اكبر لشدة ولعه بالموسيقى يحتفظ في قصره بجوقة موسيقية تعزف له الأنغام كلما استشعر حنينا الى الشفافية الروحية .

اما اذا انتقلنا الى الادب في عهد اكبر فاننا نطرق فنا اصبح من ارقى الفنون حينذاك . فهو عهد ارتقاء الآداب الفارسية والهندية على السواء . فبالفارسية كتب ابو الفضل اروع انتاج ادبي في ذلك العصر . ونعني به « اكبر نامة » .

---

(٣٨) Powell - Price: op. cit. pp. 276—280 ' Lane - Poole: op. cit. pp. 270—271. Binyon: Akbar: p. 13. ' Smith: op. cit. p. 343.

(٣٩) Smith: The Oxfard Histoary of India. pp. 346—347.

(٤٠) Powell - Price: op. cit. p. 280.

والى جانبه كان يوجد عبدالقادر البدواني صاحب منتخب التواريخ الـذي كتب تاريخ اكبر من وجهة نظر اخرى تختلف عن « اكبر نامة » .

واما الشاعر فيضي فكان متعمقـا في الدراسـات العربيـة وفي الطب وظهر بجانبه عدد عديد من الشعراء الذين غطوا سماء الهند باغاني الحب والوجد[٤١].

ولم تتخلف سيدات البيت المغولي عن الخـوض في مجال الادب ، فقـد كانت جلبدان بيموم (ابنة بابر وعمة اكبر) في طليعة المثقفات والاديبات . فهي مؤلفة « همبون نامة » . كذلك كانت السلطانة سليمة (زوجة اكبر) وماهان انكرا من اديبات ومتذوقات الادب حينذاك . وكان اكبر متعلقا بهن وانـه لامر عجيب حقـا ان يعيش اكبر في بلاط مثقف هكـذا ، رجـالا وامراء واميرات وسلطانات ، وان يكون هواميا لا يعرف القراءة او الكتابة . ولكنه كان ذا ذاكرة خارقة ، يحفظ ما يسمع . وكان يستمع الى الكتاب بعد الكتاب، ويناقش عويص المشكلات الادبية والفنية ، ويقال ان مكتبته الضخمة حوت ٢٤ ألف مخطوط من انفس المخطوطات .

وكان في بلاطه اعظم الادباء والشعراء ويحصلون على جوائز كبيرة مقابل ما يبتدعون . ولقد كان العصر عصر المجـالس الادبيـة في البلاطـات الكبرى الاوربيـة ، في بلاط اليزابيث الاولى ملكـة انجلترا ، وفي بـلاط هنري الثامن كذلك ، وكلاهما كان صاحب ذوق ادبي رفيع . وكذلك كان الحـال في الهند على يد اكبر[٤٢] .

لقد كان عصر اكبر آخر عصر من عصور القوة الاسلامية في الشـرق . كان عصر السلطان سليمان القانوني العثماني ، وعصر الشـاه عبـاس الثاني في فارس ، وكان عصر هؤلاء يقابل عصر النهضة الأوربية الكبرى ، عصر اليزابيث الاولى وفرديناند الثاني ملك اسبانيا .

---

(٤١) Powell - Price: op. cit. p. 281 ' Prawdin: op. cit. p. 50.

(٤٢) Powell - Price: op. cit. p. 282.

ولكن في الوقت الذي كانت فيه الدول القومية الاوربية تنطلق نحو افاق جديرة من النمو الاقتصادي والفكر الحديث والنشاط العلمي العالمي كانت الدول الكبرى الاسلامية : العثمانية والفارسية والمغولية تتقوقع ويهبط مستواها السياسي والاقتصادي حتى سقطت هذه الدول الواحدة بعد الأخرى من قبضة الاستعمار لان حكام هذه الدول الاسلامية الكبرى لم يرتفعوا الى مستوى الاحداث العالمية التي عاصروها ٠

فليكن ذلك امام انظار ساسة العرب حتى يضعوا أنفسهم على مستوى المسؤوليات المحلية لربطها بمستقبل التطور العالمي ٠

الاحداث الهامة في عهد اكبر

- وفاة همايون واعتلاء اكبر العرش	١٥٥٦
- معركة پاني پت الثانية	١٥٥٦
- المجاعة	١٥٥٦
- اقصاء بيرم	١٥٦٠
- ثورة الازبك	١٥٦٥ - ١٥٦٧
- سقوط چتور	١٥٦٨
- بناء فتحپور	١٥٦٩ - ١٥٧٦
- فتح كجرات	١٥٧٢ - ٣
- اصلاحاته الادارية	١٥٧٣ - ٤
- فتح البنغال	١٥٧٦
- البعثة الجزويتية الاولى	١٥٨٠
- اعلان المذهب الالهي	١٥٨١
- وفاة محمد حكيم وضم كابل	١٥٨٢
- ضم كشمير	١٥٨٦
- البعثة الجزويتية الثانية	١٥٩٠
- ضم جنوبي السند	١٥٩٠
- ضم اوريسا	١٥٩٢
- ضم بلوخستان ومكران	١٥٩٤
- ضم قندهار	١٥٩٥
- البعثة الجزويتية الثالثة	١٥٩٥
- مجاعة	١٥٩٥ - ٨
- ضم برار	١٥٩٦
- سقوط احمد نكر	١٦٠٠
- سقوط عسير	١٦٠١
- ثورة سليم	١٦٠١ - ١٦٠٤
- وفاة أكبر	اكتوبر ١٦٠٥

المراجـــــع

- Ali, K.

  A Study in Muslin Rule in Lndo - Pakistan. 3rd Edition. The Famous Publishers. Dacca 1963.

- Barthold, W.

  Turkestan Down to the Mongol Invasion. Translated from the Original Russian and Revised by the Auther with the Assistance of H. A. R. B. Gibb. Oxford University Press. 1928.

- Binyon, L.

  Akbar. Thomas Nelson. London. Reprinted 1942.

- Chand, Dr. Tara.

  Society and State in the Mughal Empire. The Publication Divisions. Ministry of Information. India. 1961.

- Edwards, S. and Garrett, H.:

  Mughal Rule in India. Chand & Co. 1956.

- Fraser - Tytler:

  Afghanistan. A Study of Political Devclopment in Central Asia. Oxford University Press. 1950.

- Garrett, G.:

  The Legacy of India. London, 1937.

- Lane - Poole, S.:

  Medieval India under Muhammedan Rule. Book HI. The Maghul Empire. London 1917.

- Moreland, W.

  India at the Death of Akbar. On Economic Study. Delhi. 1962.

- Moeland, W. and Chatterjee, A.:

  A Short History of India. 2nd Edition. London 1944.

- Panikkar, K. M.

  Asia and Western Dominance. Allen and Unwin. London. 2nd Impression. 1954.

البقية على الصفحة ١٣٢

من وحي الحج

يا ظلال الاسلام : رفي على قلبي ظلالا عفيها عافة النسمات
تحمل العطر والرياحين والالطاف والخير في ربيع الحياة
اغنيتي بالذكريات الندية .. فظلي يحن للذكريات
ذكريات النبي والآل والصحب .. ووحي الهدى .. وسر الصلاة

* * *

يا ظلال الاسلام .. حيرتا أنا في الدرب .. في درب أحمد وعلي
في الخطى الطيبات .. في المسجد الخاشع .. في وجهه الطهور الندي
في التسابيح : وهي تنساب بالايمان .. في سحر البرى النقي
في انطلاق القرآن .. بالنغم المحلق .. واشعاعه الحبيب الشجي

* * *

يا ظلال الاسلام .. هذا الصدى الهادي ، احس انطلاقه في عروقي
في دمي .. في مشاعر النور .. في اعوار قلبي .. في اغنيات الطريق
ها هنا كانت البداية .. الآن الوحي منسلا مبرعما بالشروق
والنبي الكريم .. يفتح العقبة بالحب والنداء الرقيق

* * *

يا ظلال الاسلام : أي حياة خطرت ها هنا .. وأي وجود
ها هنا خطوه المبارك .. في المسجد .. في البيت ، في الصفا في النجود
لكأني أحس أنفاسه الحرى .. وأحيا لهاثها في نشيدي
كف كانت خطاه هونا تكاد الارض تغفو على مداها الوئيد

* * *

ها هنا كان .. يا لقلب المسافر المدارى .. على ظلال حمراء
كل نسيجة على خاطر الصحراء .. تسبح من الرؤى والرواء
ونداء يعلو من الأرض .. رفافا .. فيخطو على جناح السماء
ربّ : ، هذا الانسان ازعجه الليل .. فنور حياته بالسناء

* * *

رب : اني هنا ، وروحي على وحيك تغفو في شوق الإنباء
أنا أهفو اليك ، من لي بربّاك ، بنبع الحقيقة البيضاء
انا اليوم حب البرية في قلبي ، واخشو على رؤى البأساء
غير اني اتو اليك فهبني يا دينك الحق .. انطلاق الذكاء

* * *

يا ظلال الاسلام : اين الرؤى البيض .. رؤى الوحي اذ تجلى وقع خطاها؟
أين جبريل .. يحمل الوحي ربانا ، فيروي سهولها ورباها
يا نبي الاسلام (اقرأ) .. فهذا الوحي يلقى الحياة في مسراها
الله رحمة الاله .. فمن شاء حياة ، فليحتضن لجواها

* * *

يا ظلال الاسلام .. وامتد للتاريخ دوب ـ على الرسالات ـ وحب
لم تضق آفاقه نزعة اليأس ، ولم تحتكر مجاليه سحب
كل دنيا فكرة .. تنثر الخير .. واخرى تهفو ، فيشرق حب
وامانيه ان يعيش معا في خاطر الكون ، منه ، فكر وقلب

* * *

يا ظلال الاسلام : وارتاعت الاحلام رعبا في أعين المشركينا
فاستثارت احقادها .. وهي تزرع ـ بالشوك ـ ملتقى المسلمينا
وتحدت مواكب الله .. حتى روع الشرك موكب المؤمنينا
غير ان الايمان مد جناحيه عليهم .. سكينة ويقينا

* * *

بيروت — « أبو علي »

- Prasad, I.:
  A Short History of Muslim Rule in India. Allahabad. 1938.
- Prawdin, M.:
  The Mongol Empire. Its Rise and Legacy. Allen and Unwin. 2nd Impression. 1941. Translated by Eden and Cedar Paul.
- Smith, V. A.:
  The Oxford History of India. 3rd Edition. Edited by P Spears. Clarendon Press. London 1961.

* أحمد بن محمد الحموي :

الدر المنظوم في أفضل الروم • مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد •

أحمد محمود الساداتي :

تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم • الجزء الثاني (الالف كتاب ١٥٨) مكتبة الآداب ومطبعتها القاهرة •

رصيدهم لأهلاك البشرية

كشف روبرت مكنمارا وزير الدفاع الأمريكي النقاب عن أن الولايات المتحدة تتفوق على الاتحاد السوفياتي في القوة النووية بأكثر من ثلاث مرات ، وابلغ مكنمارا لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ في عرض للتوازن الاستراتيجي بين البلدين : أن الاحصاءات حتى تشرين الأول سنة ١٩٦٦ اظهرت أن الولايات المتحدة تملك ١ر٤٤٦ صاروخاً عابرا للقارات منها ٩٣٤ صاروخا من نوع بولاريس تحملها غواصات مقابل ٤٧٠ صاروخا سوفيتيا منها ٣٤٠ صاروخا على البر و ١٣٠ صاروخا في البحر وبالاضافة الى ذلك تملك الولايات المتحدة ٦٨٠ قاذفة قنابل نووية مقابل ١٥٥ قاذفة قنابل سوفياتية .

وقال مكنمارا : أن من المتوقع أن تظل الولايات المتحدة حتى اوائل العقد القادم متفوقة كثيرا على الروس من حيث العدد وفعالية القتال الاجمالية .

ونقلت وكالة رويتر ان الميزانية الدفاعية للولايات المتحدة والتي تسببت في تضخمها احتياجات الحرب الفيتنامية تبلغ ٧٣ الف مليون دولار اي بزيادة قدرها ٥٠٠٠مليون دولار عن ميزانية العام الماضي وجدير بالذكر أن ميزانية السنة المالية الجديدة في الولايات المتحدة تبلغ ١٣٥ الف مليون دولار .

جريدة المنار ١٣ شوال ١٣٨٦
جريدة المنار ١٨ شوال ١٣٨٦

يوغسلافيا تكفر بالشيوعية

في رسالة من بلغراد أن يوغسلافيا ماضية في خطتها الاقتصادية الجديدة ،

الرامية الى تشجيع رؤوس الأموال الغربية على الاستثمار في مختلف المشاريع في يوغسلافيا ، علاوة على فتح ابواب البلاد امام السياح ، ومنحهم جميع التسهيلات واغراء مشاهير العالم الغربي ببناء دور لهم على الشاطيء الادرياتيكي الجميل الذي ينافس الآن شواطيء الريفيرا الفرنسية والايطالية . والهدف الواضح لهذه السياسة الجديدة هو دعم النقد اليوغسلافي ، والأقتصاد اليوغسلافي ولو كان في هذا انحراف عن مبادىء النهج الشيوعي .

ويبدو أن تيتو قصد الرد على منتقدي هذه الخطة من غلاة الشيوعيين عندما صرح في حديث خاص « لقد مات كارل ماركس منذ زمن بعيد ولكم وقعت من احداث منذ ذلك الوقت » .

فقد اصدرت الحكومة اليوغسلافية قرارا يجيز للشركات والهيئات الاجنبية الغربية استثمار اموالها في يوغسلافيا على أن توزع الارباح بالعدل بين الحكومة وبين الشركات المستثمرة .

وكان ان بادرت مائة شركة كبيرة من مختلف البلدان الغربية الى تقديم عروضها ، دون أن تنتظر اقراره في الجمعية الوطنية اليوغسلافية وبين تلك الشركات شركة بان اميركان ، بنك فيكرمان الالماني ، وكالة السياحة السكندنافية هالسو ، ريسبز ، وشركة شل وغيرها .

وتعاقدت شركة فولكسفاكن الالمانية على بناء مصنع في بلدة « سبليت » وتعاقدت شركة س . ك . ف على بناء مصنع سرايفو . واتفقت بعض شركات البترول الاميركية على بناء فنادق كبيرة بين دبيكا واوباتيا .

ووراء هذا التحول نحو الاستثمار الرأسمالي اقتصادي شاب هو الكسندر جرليكوف مدير العلاقات بين المنشآت اليوغسلافية والبلدان الاجنبية يؤيده بيترستامبوليك رئيس المجلس التنفيذي الذي صرح قوله : « ان اقتصادنا الاشتراكي بانشائه علاقات جديدة مع الاقتصاد الرأسمالي يحتل مكانا جديدا في العالم ، ويصبح بذلك نظاما عالميا جديدا » .

جريدة اخبار العالم الاسلامي العدد ٢١/٢٣ في ذي الحجة ١٣٨٦

تصدع الرأسمالية

اقر مجلس العموم البريطاني مشروع قانون ، يقضي بتأميم ٩٠ بالمئة من صناعة الصلب البريطانية واقر مشروع القانون ، باغلبية ٣٠٦ اصوات مقابل ٢٢٠ صوتا اي بزيادة ٨٦ صوتا وبهذا فقد اضطرت الرأسمالية الطاغية تحت ضغط الواقع ، أن تخطو هذه الخطوة ، المخالفة بخطها العام .

وتصدع الشيوعية

وقبل هذا قرأت ما نقلناه لك عن منهج يوغسلافيا الجديد ، الذي فسح المجال للاستثمار الرأسمالي ومن قبل نشرنا نقلا عن مجلة العلم الأحمر الصينية « ان الاتحاد السوفيتي باعترافه بالحوافز المادية ، وحوافز الربح ، واعطائه لرؤساء المعامل استقلالا في سياسة العمال ، ودفعهم للانتاج عن طريق المكافأة ، انما يسلك اسلوبا رأسماليا يخالف الخط الشيوعي وبهذا يثبت واقع الحياة ، أن الرأسمالية وأن الشيوعية نظامان متطرفان ، يبعدان كثيرا عن منطق الواقع ، ومنطق الحياة .

فضيحة امريكية

ظهرت وكالة الاستخبارات الامريكية الآن على أنها اخطبوط ضخم تمتد ارجله الى كل مكان داخل الولايات المتحدة ، وخارجها ، انها في منظمات الطلبة ، والجامعات ، والمؤسسات القضائية والعلمية والصحفية ، والعمالية ، ولقد انكشف امر هذا التغلغل، واطاح بسمعة تلكم المؤسسات وتواجه الآن وكالة الاستخبارات المركزية « سي . آي . أ » الآن عاصفة ساحقة في الولايات المتحدة اثر انكشاف صلتها بمنظمة الطلبة الوطنية وتقديمها ٢٠٠ الف دولار في السنة كمساعدة مالية .

وقد حملت النيويورك تايمس في افتتاحية لها على عمل الوكالة ، وقالت انه (عمل دنيء) واشارت الى أن الفضيحة حطمت ثقة الرأي العام بالمنظمات الخاصة .

وقالت : « ان هذا العمل الدنيء وجه ضربة خطيرة اخرى الى الثقة بالطلاب ، والباحثين الامريكان في الخارج » .

واحدثت الفضيحة رد فعل عنيف في الاوساط العامة فقد اعلن ان تحقيقا نيابيا سيجرى في هذه القضية من قبل لجنة التعليم والعمل في مجلس النواب ، وبعث ثمانية من النواب برسالة الى جونسون قالوا فيها : ان الوكالة « افسدت ـ بعملها هذا ـ اكبر منظمة طلابية في اكبر بلد ديمقراطي في العالم » .

وقد سخط الكثير من الطلاب ، على اساس ان العلاقة هذه ستشوه دوافعهم في نظر بقية طلاب العالم . حيث ينظر اليهم على أنهم عملاء لوكالة الاستخبارات ، وقد اثر ذلك على نظام البعثات بين امريكا والبلدان الاخرى .

وبهذا يثبت ان منطق الأستعمار ، واساليبه بعيدة عن الالتزام بالموازين الخلقية ، فهو في سبيل مآربه الدنيئة لا يتورع أن يسلك ابشع الاساليب ، واحطها ، من هذه الناحية .

الصين تتهم موسكو

اتهمت الصين الشعبية امس الاتحاد السوفيتي بالدخول في حلف مع امريكا لمقاومة الشيوعية . وقال بيان صيني أن السوفيت تعاونوا تعاونا مطلقا مع الولايات المتحدة الامريكية لمقاومة الشعب الصيني .

جريدة المنار العدد ٣٦٣٦ السنة ١٢

وموسكو تهاجم الصين

ان القادة في بكين يؤمنون من وراء شن حملتهم الشعواء ضد الاتحاد السوفياتي حصول صرف اهتمام الشعب الصيني عن الحرمان الذي بات يعانيه والعراقيل والمصاعب التي بات يواجهها بسبب الاخطاء الفادحة والعديدة التي ارتكبتها عصابة المخاطرين من اتباع ماوتسي تونج .

على أن قادة الكرملين مقتنعون بأن العناصر الطاهرة والسليمة ستكون لها الغلبة في النهاية !! وانه من الخطأ حمل جميع المسؤوليات للهفوات المرتكبة اثناء ابتلاع الثورة الثقافية على عاتق ماوتسي تونج وحده فبقدر ما تسود عادة وتقديس الأشخاص في بلد ما بقدر ما تكثر الأطماع ومرامي الطامعين فتؤدي افكار الرجل المقدس والجماعة المحيطة به الى القاء البلد في قعر الهاوية وجلب المصائب العظمى له .

صحيفة كومونيست السوفياتية

التفسير في عصر الصحابة والتابعين

محمد باقر الحكيم

مدرس علوم القرآن

طبيعة التفسير في هذا العصر

من الممكن ان نجزم بان الظاهرة التي كانت تعم التفسير في هذه المرحلة هي مواجهة القرآن الكريم كمشكلة لغوية • ومن اجل ان نكون اكثر ادراكا لطبيعة هذه المرحلة لابد لنا ان نعرف ما تعنيه (المشكلة اللغوية) من معنى :

فالكلام في اللغة ـ وعلى الاخص اللغة العربية ـ تشترك في تحديد معناه عوامل مختلفة يمكن ان نلخصها بالامور التالية :

أ ـ الوضع اللغوي للفظ • فان كل لفظ في اللغة نجد في جانبه معنى خاصاً محددا له •

ب ـ القرائن اللفظية ذات التأثير الخاص على الوضع اللغوي والتي تسبب صرف اللفظ عن معناه الحقيقي • وهذا هو الشيء الذي يحصل في الاستعمالات المجازية بما للمجاز من مدلول عام يشمل الاستعارة والكناية وغيرهما •

ج ـ القرائن الحالية التي يكون لها ايضا تأثير خاص على المدلول اللفظي ونعني بها الظروف الموضوعية التي يأتي الكلام بصددها او يكون مرتبطا بجانب من جوانبها •

فهذه العوامل الثلاثة تشترك في تكوين المدلول العام للفظ والكلام • وحين نواجه الكلام من اجل التعرف على مدلوله ونصطدم بشيء من هذه الامور الثلاثة في سبيل ذلك فنحن نواجه مشكلة لغوية •

وعلى ضوء هذا المفهوم للمشكلة اللغوية يمكننا ان نتبين طبيعة المرحلة التي مر بها الصحابة والتابعون حين واجهوا الكلام الالهي (القرآن الكريم)

وحاولوا معرفة معانيه ومدلولاته • فنحن ـ حين نتصفح التفسير الذي وصلنا عن هذا العصر ـ نجد امورا ثلاثة كانت موضع اهتمام الصحابة والتابعين من بعدهم وهي كالتالي :

أ ـ التعرف على ما تعنيه المفردات القرآنية من معنى في اللغة العربية مع مقارنة الكلام القرآني بالكلام العربي لتحديد الاستعارة القرآنية ••

ب ـ تتبع اسباب النزول والحوادث التاريخية او القضايا التي ارتبطت ببعض الآيات القرآنية •

ج ـ التفصيلات التي اوردتها النصوص الاسرائيلية عن قصص الانبياء او غيرها من الحوادث التي اشار اليها القرآن الكريم •

وهذه الامور الثلاثة لها علاقة وثيقة في تحديد المعنى من ناحية لغوية لانها تنتهي بالنسب الى العوامل المؤثرة في تكوين مدلول اللفظ والكلام •

ولعل من الشواهد على ما نذكره عن طبيعة هذه المرحلة هو ما نعرفه عن ابن عباس الذي يعتبر من ابرز الصحابة في التفسير حيث كان يعتمد في تفسيره للقرآن في اغلب الاحيان على ما يعرفه من مفردات اللغة العربية وما يحفظه من شعر العرب •

وقد اعتبر هذا الاطلاع الواسع على مفردات اللغة من قبل ابن عباس اساس امتيازه في التفسير وعلو شأنه •

وهذا الطابع العام نجده ايضا في محاولات بقية الصحابة والتابعين ايضا • فاذا لاحظنا صحيح البخاري ـ وهو احد الكتب التي تعرض للتفسير في هذه المرحلة ـ نجده يذكر التفسير في حدود هذه المشكلة ذاتها ولا يكاد يتعداها • وهذا الشيء نفسه نجده عندما نلاحظ الكتب التفسيرية الاخرى التي تنقل الينا آراء الصحابة والتابعين بدقة •

والى جانب هذا الاستقراء توجد لدينا بعض الشواهد التاريخية ذات الدلالة البينة على طبيعة المرحلة والتزام الصحابة لحدودها في محاولاتهم التفسيرية • فقد روي ان رجلا يقال له : (ابن صبيغ) قدم المدينة ـ في زمن عمر بن الخطاب ـ فجعل يسأل عن متشابه القرآن • فارسل اليه الخليفة وضربه بعراجين النخل حتى ترك ظهره دبَرة • ثم تركه حتى يرى • ثم عاد • وبعد

ان تكرر ذلك للمرة الثالثة دعابه ليعود • فقال ابن صبيغ ضارعا ! ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا أو ردني الى ارضي بالبصرة • فاذن له الى ارضه ، وكتب الى ابي موسى الاشعري الا يجالسه احد من المسلمين[1] •

وهذه الرواية تدلنا على مدى استنكار الصحابة للدخول في مشاكل عقلية حول فهم القرآن الكريم وتفسيره ، لأن البحث في المتشابهات يتصف بالطابع العقلي دون اللغوي •

ويمكن ان نفهم الشيء ذاته من جميع النصوص التي وردت في النهي عن تفسير القرآن بالرأي او تفسير القرآن بشكل مطلق[2] • اذ لا نشك في مزاولة الصحابة للتفسير في حدود المشكلة اللغوية • وهو في هذه الحدود ليس من تفسير القرآن بالرأي او القول في القرآن بغير علم • ولا يبقى في نطاق الشك والنهي غير مواجهة القرآن بشكل اعمق لا يتفق وطبيعة المرحلة ولا يعيش حدود المشكلة اللغوية •

وعلى هذا الاساس يمكن ان نشكك في كل محاولة تفسيرية تنسب الى الصحابة ولا تعيش حدود المشكلة وجوانبها ولا تتسم بسماتها وطابعها •

فمن المعقول ان يداخلنا الشك في صحة ما ينسب الى ابن عباس في تفسيره لسورة الفتح حين يحاول ان يحمل السورة معنىً فوق طاقتها اللغوية ويجعل من الفتح فيها رمزا وعلامة لمجيء اجل الرسول (ص) كما جاء في البخاري[3] •

---

(١) جولد تسيهر : مذاهب التفسير الاسلامي ص : ٧٤ • نقلا عن لوائح الانوار البهية •

(٢) راجع بصدد هذه النصوص : الترمذي ١١/٦٨ •

(٣) اخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه • فقال لم يدخل هذا معنا وان لنا ابناء مثله ؟! • فقال عمر انه ممن علمتهم • فدعاهم ذات يوم فادخلني معهم • فما رايت انه دعاني فيهم يومئذ الا ليريهم • فقال : ما تقولون في قوله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح ؟ • فقال بعضهم : امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا • وسكت بعضهم فلم يقل شيئا • فقال لي اكذلك تقول يا بن عباس ؟ • فقلت لا • فقال ما تقول ؟ • فقل هو اجل رسول الله (ص)

ويمكننا ان نؤاخذ على هذا الحديث بالاضافة الى خروجه عن نطاق طبيعة المرحلة .. هذا اللون الخاص من محاولة تمجيد ابن عباس ولو كان ذلك على حساب القرآن الكريم . الامر الذي يدعونا أن نلحقه بموضوعات العصر العباسي .

ويمكن ان يعترينا مثل هذا الشك ايضا حين ننظر الى المحاولة التفسيرية التي جاءت على لسان ابن عباس ايضا حين يريد ان يعين (ليلة القدر) المذكورة في القرآن الكريم على انها ليلة السابع والعشرين رمضان ويفهم ذلك على اساس اهتمام الاسلام بالعدد (سبعة) حيث اخذ في متعلق بعض الاحكام الاسلامية[٤] .

فان هذا الاستنتاج بالاضافة الى بعده عن المنطق الصحيح لا يتفق مع البساطة والذوق العربي الذي كان يعيشهما ابن عباس .

ولقد كان من الطبيعي ان ينظر الى القرآن الكريم في هذه المرحلة على اساس انه (مشكلة لغوية) لان هذه المرحلة تمثل بداية التطور في المعرفة التفسيرية عند المسلمين بعد ان كانوا يفهمون القرآن فهما ساذجا وفي مستوى الخبرة العامة المتوفرة لديهم حينذاك .

اعلمه له : فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا . فقال عمر لا اعلم منها الا ما تقول » . الاتقان : ١٨٧/٢ .

(٤) « اخرج ابو نعيم عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس ان عمر ابن الخطاب جلس في رهط من المهاجرين من الصحابة فذكروا ليلة القدر فتكلم كل بما عنده . فقال عمر : ما لك يا ابن عباس صامت لا تتكلم ، تكلم لا تمنعك الحداثة . قال ابن عباس : قلت يا أمير المؤمنين ان الله وتر ويحب الوتر فجعل ايام الدنيا تدور على سبع وخلق ارزاقنا من سبع وخلق الانسان من سبع وخلق فوقنا سموات سبعا وخلق تحتنا ارضين سبعا واعطى من المثاني سبعا ونهى في كتابه عن نكاح الاقربين عن سبع وقسم المواريث في كتابه على سبع وتقع في السجود من اجسادنا على سبع فطاف رسول الله (ص) بالكعبة سبعا وبين الصفا والمروة سبعا ورمى الجمار بسبع .. فاراها في السبع الاواخر من شهر رمضان . فتعجب عمر . فقال ما وافقني فيها احد الا هذا الغلام الذي لم تستو شؤون راسه . ثم قال يا هؤلاء من يؤديني في هذا كاداه ابن عباس ؟! » الاتقان ١٨٨/٢ .

مصادر المعرفة التفسيرية في هذا العصر :

وعلى ضوء معرفتنا لطبيعة هذه المرحلة يمكن ان نتعرف ايضا على المصادر التي كانت تعتمد عليها المرحلة في معرفة مدلول النص القرآني والادوات التي كانت تستعملها لمواجهة المشكلة اللغوية • ويمكن ان نلخص هذه المصادر بالامور التالية :

أ ـ (القرآن الكريم نفسه) لان القرآن الكريم بحكم طريقة نزوله والاهداف التي كان يتوخاها من وراء هذه الطريقة التدريجية • جاء في بعض الاحيان مبينا لما قد اجمله سابقا او مقيدا او مخصصا لما كان مطلقا او عاما ، او ناسخا لحكم كان ثابتا في وقت سابق • وهذه الطريقة من القرآن الكريم تسمح لنا ان نستفيد من بعض الايات القرآنية لنفهم بها بعض الايات الاخرى •

وقد سلك المفسرون هذا المنهج في طريقهم للتعرف على المعاني القرآنية واكتشاف اسرارها • ويمكن ان نعتبر الرسول الاعظم (ص) ـ بما لدينا من شواهد ـ الرائد الاول لهذه الطريقة التي سار عليها بعض الصحابة من بعده واتخذها بعض المفسرين منهجا عاما لتفسير القرآن •

فقد روى عن عبدالله بن مسعود انه لما نزل قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون[٦] شق ذلك على اصحاب رسول الله وقالوا اينا لم يلبس ايمانه بظلم • فقال : انه ليس بذاك • انما هو الشرك • الم تسمعوا قول لقمان (ان الشرك لظلم عظيم) [٧] •

كما ان التاريخ يحدثنا ايضا ان عليا ابن ابي طالب (ع) اتخذ مثل هذه الطريقة للتعرف على بعض المعاني القرآنية • فقد اخرج الحافظان ابن ابي حاتم والبيهقي عن الدئلي : (ان عمر بن الخطاب رفعت اليه امرأة ولدت لستة

---

(٥) يراجع الاتقان ١/١١٥ ـ ١٤٢ • ففي هذه الصفحات نجد ان جميع ما يروى عن ابن عباس او غيره يعيش هذه المشكلة •

(٦) الانعام : ٨٢ •

(٧) لقمان : ١٣ • رواه البخاري بصورة مختلفة راجع فتح الباري ١/٩٥ • و ١٠/١٣١ •

اشهر فهم برجمها فبلغ ذلك عليا فقال : ليس عليها رجم . فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فارسل اليه فسأله . فقال : قال تعالى (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين)[٨] وقال تعالى : (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)[٩] فستة اشهر وحولين فذلك ثلاثون شهرا فخلص عنها)[١٠] .

فقد فسر الامام علي (ع) مدة الحمل بستة اشهر على اساس الاية الاخرى التي تذكر ان مدة الرضاع هي حولين كاملين .

ب ـ المأثور عن النبي (ص) في تفسير القرآن . فقد كان الرسول الاعظم (ص) يقوم بتفسير القرآن الكريم على المستوى العام كما عرفنا ذلك في بحث (التفسير في عصر الرسول) وهو على هذا المستوى وان لم يكن قد فسر القرآن كله الا انه كان يفسر بمقدار ما تفرضه ظروفه كصاحب رسالة وقائد دولة تواجهه مشاكل المسلمين واسئلتهم وتقتضيه الدعوة الى الله وتبيان المفاهيم العامة عن الاسلام وتشريعاته فكان هذا الشيء الذي يصدر منه بهذا الصدد يتلقاه المسلمون ويحفظه الكثير منهم واعتمدوا عليه من بعده في ايضاح بعض جوانب القرآن بالنسبة الى غيرهم .

وفي كتب الحديث شواهد كثيرة على ذلك فعن سعيد ابن جبير : في تأويل قوله تعالى : (واذا قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو امضي حقبا)[١١] . قال قلت لابن عباس ان نوفا يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني اسرائيل . فقال ابن عباس : حدثني ابي ابن كعب انه سمع من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم . يقول : ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل . فسئل : اي الناس اعلم ؟ . فقال : انا . فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه . فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك . قال موسى : يا رب فكيف لي به ؟ . قال : تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما

---

(٨) البقرة : ٢٣٣ .
(٩) الاحقاف : ١٥ .
(١٠) الغدير ٦/٩٣ .
(١١) الكهف : ٦٠ .

فقدت الحوت فهو ثم .... الحديث[١٢] .

فمن اجل ان يظهر ابن عباس خطأ توف في دعواه استند الى رواية ابي ابن كعب عن رسول الله (ص) .

ج ـ حديث بعض الصحابة الذين عاصروا احداث نزول القرآن . لان من المعروف ان بعض القرآن الكريم ارتبط في نزوله ببعض الاحداث التي عاشتها الدعوة الاسلامية في مراحلها المختلفة وبما ان هذه الاحداث تشكل جزءا من عوامل تحديد المعنى القرآني وتساهم في حل المشكلة اللغوية ذات الجوانب المتعددة التي واجهت المسلمين بعد الرسول .. فمن الطبيعي ان يلتفت المسؤولون عن حل هذه المشكلة الى الاشخاص الذين عاصروا هذه الاحداث ليتعرفوا منهم على ظروفها وخصوصياتها . وبالتالي على ما تمنحه للمعنى القرآني من ايضاح وبيين .

وقد اهتم الباحثون بمعرفة اسباب النزول على اساس الارتباط الوثيق بينها وبين تحديد المعاني القرآنية واعتبروا فهم القرآن الكريم متوقفا على معرفتها .

فقد قال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن .

وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية[١٣] .

والشواهد في حياة الصحابة على هذا الارتباط بين اسباب النزول وفهم الآية القرآنية كثيرة عرفنا منها قضية قدامة بن مظعون[١٤] وقد ذكر السيوطي لذلك بعض الامثلة[١٥] .

د ـ مفردات اللغة العربية المتداولة في الكلام العربي على اختلاف لهجاتها .

---

(١٢) رواه البخاري : فتح الباري ١٠/٢٤ .

(١٣) نقل هذه الاقوال السيوطي في مقدمة كتابه اسباب النزول ص : ٣

(١٤) راجع بحث التفسير في عصر الرسول .

(١٥) الاتقان : ١/٢٩ .

فان القرآن الكريم ـ كما نعرف ـ نزل بلغة العرب • ولم يكن الصحابة على اطلاع كامل بمفردات اللغة العربية • ولذا كانوا يتوقفون في بعض الاحيان عند بعض الكلمات القرآنية لعدم معرفتهم معناها • حتى يقع في ايديهم شيئا من كلام العرب يتضح به ما غمض لديهم من القرآن •

وقد اشرنا الى بعض الشواهد التي حصل بها مثل هذا الشيء في بحث سابق[١٦] •

كما ان طبيعة المرحلة وهي مواجهة القرآن كمشكلة لغوية تفرض ان يكون من ابرز المصادر للتفسير هو اللغة العربية نفسها • ولذا نجد ان علماء التفسير يؤكدون ضرورة الاطلاع على اللغة العربية كشرط اساسي في محاولة تفسير القرآن الكريم[١٧] •

ويبدو انه قد اثير الجدل في فترة متأخرة عن هذا العصر حول صحة الاعتماد على نصوص اللغة العربية لمعرفة معاني القرآن وخصوصيات اسلوبه • وقد اشار السيوطي الى ذلك في كلام نقله عن ابي بكر بن الانباري ، هذا نصه « قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وانكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك ••• وقالوا اذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر اصلا للقرآن قالوا : وكيف يجوز ان يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث ؟! » •

قال : وليس الامر كما زعموا من انا جعلنا الشعر اصلا للقرآن بل اردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لان الله تعالى قال : (انا جعلناه قرآنا عربيا) وقال (بلسان عربي مبين) • وقال ابن عباس : (الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه)[١٨] •

ففي هذا النص نجد ابن الانباري يناقش المسألة على اساس طبيعة

---

(١٦) التفسير في عصر الرسول •

(١٧) البرهان للزركشي ٢/١٦٠ و ١٦٤ •

(١٨) الاتقان : ١ : ١/١١٩ ط المكتبة التجارية الكبرى •

الموقف التفسيري وتصرف الصحابة والتابعين الذين كانوا يعتمدون على نصوص اللغة العربية عند محاولتهم التعرف على المعاني القرآنية • ويستشهد بما روى عن ابن عباس في ذلك •

والشواهد العملية من حياة الصحابة وتفسيرهم على ذلك كثيرة ويكفينا ان نذكر منها ما رواه السيوطي في الاتقان بسنده المتصل عن حميد الاعرج وابي بكر بن محمد قالوا :

(بينا ابن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع ابن الازرق لنجد بن عويمر : قم بنا الى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به • فقاما اليه • فقالا : انا نريد ان نسألك عن اشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصاديقه من كلام العرب • فان الله تعالى انما انزل القرآن بلسان عربي مبين • فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما • فقال نافع : اخبرني عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال العزون حلق الرفاق • قال : وهل تعرف العرب ذلك : قال نعم• اما سمعت عبيد ابن الابرص وهو يقول :

فجاؤا يهرعون اليه حتى يكونوا حول منبره عزينا[١٩]

وعلى هذا الشكل يستمر نافع في السؤال ويستمر ابن عباس في الجواب حتى يصل العدد الى حوالي مأتي مسألة[٢٠] •

---

(١٩) المصدر السابق ١/١٢٠ •

(٢٠) من المعقول ان يأخذنا الشك في صحة هذه الرواية بتفاصيلها المروية في الاتقان على اساس استبعاد وقوع مثل هذه المناقشة الطويلة في مجلس واحد واستحضار ابن عباس لكل هذه النصوص العربية ـ كما تحاول الرواية ادعاء ذلك ـ ولكن من المعقول ايضا ان يكون لهذه الرواية اصل يقتصر على بعض هذه المناقشة واضيف اليها بعد ذلك الاجزاء الاخرى • خصوصا اذا لاحظنا ان المحدثين الذين اخرجوها في وقت سابق على السيوطي لم يخرجوها بهذا التفصيل كما يصرح السيوطي نفسه بذلك • والذي نريد اثباته هنا بهذه الرواية هو ان نصوص اللغة العربية كانت مصدرا لتفسير القرآن • وفي هذا يكفي ان نثبت اصل هذه الرواية •

٨ ـ اقوال اهل الكتاب من اليهود والنصارى . ذلك لان القرآن الكريم عالج موضوعين مهمين لهما صلة باهل الكتاب . وهما ما يلي :

١ ـ تحدث القرآن الكريم عن الحوادث والوقائع التي وقعت لبعض الانبياء والشعوب التي سبقت الاسلام من اجل ان يستخلص العبرة والموعظة للمسلمين من خلال ذلك . ولذلك جاء الحديث القرآني عنها غير مستوعب للتفاصيل والجزيئات التي لاتمت الى هذه الغاية بصلة في الوقت الذي تتحدث فيه التوراة والانجيل المتداولان عند اهل الكتاب فعلا عن هذه الامور حديث المؤرخ للقضايا والوقائع فتسرد فيها الحوادث بشكل تفصيلي محدد .

٢ ـ انتقد القرآن الكريم اهل الكتاب في الكثير من عاداتهم وتقاليدهم واساليبهم كما كشف التحريفات التي تعرض لها كتاب التوراة والانجيل . وكان في بعض الاحيان يخاطب اهل الكتاب انفسهم مشيرا الى انحرافاتهم . (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون)[٢١] .

وقد كان من الطبيعي ان يلجأ الصحابة الى اهل الكتاب لاستيضاح هذه الجوانب ومعرفة التفصيلات ـ بعد اقصاء اهل البيت عن المرجعية الفكرية ـ عندما تواجههم الاسئلة عنها . ولا يجدون فيما لديهم من معرفة تفسيرية ما يسد هذا الفراغ ويجيب عن هذه الاسئلة . خصوصا اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان بعض اهل الكتاب ممن رجع اليهم الصحابة في هذه التفصيلات قد اظهر الاسلام واسجم مع القادة المسلمين في احكامهم واطاراتهم الامر الذي ادى الى ان يصبحوا من المقربين والمستشارين لهؤلاء القادة .

وخير ما يشهد لنا على رجوع بعض الصحابة الى اهل الكتاب في تفسير القرآن هو التفصيلات التي وردت على لسان الصحابة في التفسير عن الاحداث التاريخية السابقة المرتبطة بقصص الانبياء . لاننا نعرف ان الرسول (ص) لم تسمح له ظروفه الخاصة ان يفسر القرآن بهذا الشكل الواسع الدقيق وعلى المستوى العام للمسلمين واضف الى ذلك اتفاق تفاسيرهم مع ما جاء في التوراة والانجيل في

---

(٢١) المائدة : ١٠٣ .

الخصوصيات[٢٢] ونحن حين نقول ذلك لا يعني ان النصوص التي تصرح بهذا الاعتماد غير متوفرة[٢٣] كما ان العلماء اعترفوا بهذه الحقيقة التاريخية عندما تحدثوا عن التفسير[٢٤] .

> اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي
>
> رسول الله (ص)

(٢٢) تفسير الطبري ١/٢٢٥ ـ ٢٢٧ وغير ذلك من المواضع .
(٢٣) راجع تفسير الطبري ١/١٥١ ـ ١٥٢ و١/٢٣٠ و١/٢٣١ و١/٢٣٥
(٢٤) راجع الاتقان ٢/٢٠٥ . فقد نقل عن ابن كثير ان ابن عباس تلقى حديثا طويلا من الاسرائيليات .

فتاوى تهمك

مسائل متفرقة

اجاب عليها المرجع الاسلامي الاعلى الامام الحكيم

مدّ ظله الوارف

هذه مسائل هي موضع حاجة المسلمين جميعا من الناحية العلمية وهي من فتاوى مرجع المسلمين الحكيم مدّ ظله توالي « رسالة الاسلام » تقديمها خدمة للامة ، واسهاما في تفقيهها .

اصلاح الموقوف

س١ ـ اذا تعرضت العقارات الموقوفة الى ما يستدعي إصلاح بنائها فهل يجوز ان يصرف عليها من وارداها ؟

ج - نعم - اذا احتاجت الاملاك الموقوفة الى التعمير او الترميم لأجل بقائها وحصول النماء منها ، فأن عيّن الواقف لها ما يصرف فيها عمل عليه ، والا صرف من نمائها وجوبا مقدما على حق الموقوف عليهم .

الرجوع بالهبة

س١ - هل يجوز لي الرجوع بما سبق ان وهبته لقريب او صديق ؟

ج - ليس للواهب الرجوع بعد الأقباض ان كانت لذي الرحم،او بعد التلف او التعويض ، وفي التصرف خلاف ، والأقوى جواز الرجوع اذا كان الموهوب باقيا بعينه ، فلو كان الموهوب ثوبا فقطعه او خاطه ، او نقله الى غيره لم يجز له الرجوع .

التصرف بالملك فيما يضر الآخرين

س١ - هل يجوز لي التصرف بملكي بما يورد الضرر على جيراني ؟

ج - لا يجوز للجار أن يتصرف في ملكه تصرفا يوجب الضرر المعتد به على جاره اذا كان الضرر غير متعارف وقوعه فيما بين الجيران فلو تصرف كذلك وجب عليه رفعه الا اذا كان ترك التصرف يوجب ضررا على المالك فيجوز له ذلك ولكنه يضمن الضرر الوارد على جاره اذا كان مستندا اليه عرفا .

اللقطة

س - ما الذي يجب ان افعله بخصوص ما اعثر عليه من لقطات ؟

ج - اللقطة ان كانت قيمتها دون الدرهم جاز تملكها بمجرد الأخذ ولا يجب فيها التعريف ولا الفحص عن مالكها ، ثم اذا جاء المالك فان كانت العين موجودة ردها اليه وان كانت تالفة ، لم يكن عليه البدل ، وقيل عليه البدل وهو ضعيف ، وان كان احوط ، وان كانت قيمتها درهما فما زاد وجب عليه التعريف بها ، والفحص عن مالكها فأن لم يعرفه فان كان قد التقطها في الحرم (مكة) تخير بين امرين التصدق بها عن مالكها ، وابقائها عنده

لمالكها ، وليس له تملكها ، وان التقطها في غير الحرم تخير بين امور ثلاثة : تملكها مع الضمان ، والتصدق بها مع الضمان ايضا ، وابقائها امانة في يده بلا ضمان .

الشركة

س ـ سمعت ان هناك انواعا من الشركة غير جائزة من الناحية الشرعية فما هي ؟

ج ـ تصح الشركة في الأموال ، ولا تصح في الأعمال بأن يتعاقدا على أن تكون اجرة عمل كل منهما مشتركة بينهما ، فاذا تعاقدا على ذلك بطل ، وكان لكل منهما اجرة عمله ولا تصح الشركة ايضا في الوجوه بأن يتعاقدا على أن يشتري كل منهما مالا بثمن في ذمته الى أجل ثم يبيعانه ، ويكون ربحه بينهما والخسران عليهما ، ولا تصح شركة المفاوضة بأن يتعاقدا على أن يكون ما يحصل لكل منهما من ربح تجارة أو زراعة او ارث او غير ذلك بينهما ، وما يرد على كل منهما من غرامة تكون عليهما معا .

الوكالة

س ـ توكلت عن رجل في عمل معين ، فهل يجوز لي ان اوكل للقيام به ، نظرا لكثرة اعمالي ؟

ج ـ لا يجوز للوكيل ان يوكل بغير اذن صاحب العمل " الموكل " .

بسم الله الرحمن الرحيم

شريكة الحسين

محمد جمال الهاشمي

بـاب البطـولات فالتمـه وقف وزر ... واستوح روح العلا من جوه العطر
هنا القداسة في اسمى مراتبهـا ... مصونة عـن يد الاحـداث والغـير
هنا الجهاد الذي في ذكره ارتعـدت ... فرائص الدهر في الاجيال والعصـر
هنـا الجلال جلال الله تخشـع من ... جمـاله الفـذ حتى اعين القـدر
هنـا لزينب افـق فيـه قـد القـت ... الاؤهـا كائتلاق الانجـم الزهـر
بنـت الولايـة بل بنـت النبوة مـن ... سـمت بامجادها عن عالم البشـر
اخت الحسـين التي سـارت متابعـة ... خطـاه في كـل درب للعـلا خطـر
ففـي المـواقف قـد لاحت مكانتهـا ... بهـالة اين عنهـا هـالة القمـر
مضى الحسين شهيد البغي وهي مضت ... سـبية كسـبايا الـروم والخـزر
وقاسمته وسـام الخلد فهـو لـه ... شـطر وشطر لهـا في كل مفتخـر
لئن زهـت كربلا بالسـبط ناشـرة ... نـور المعـارف من احدائـه الغـرر
فالشـام من زينب عـادت تشع وقـد ... كـانت بليـل من الآثـام معتكـر
شريكة السبط في الامجاد قد شهدت ... بـذاك لي كتب الاخبـار والسـير
لولا مواقفهـا في الطف مـا خفقت ... للدين فيـه بنـود الفتح والظفـر
هما معاً دمرا حكما اقيـم لكـي ... يمحى بـه اثـر الايات والسـور
صـلى الاله عليهـا من مجاهـدة ... للبغي بالصـبر لا بالبيض والسـمر

الدعوة الى اللغة العامية
وعلاقتها بالتبشير والاستعمار

سعدي الطويل

السنة الثانية

نظرة عامة :

ان الدعوة الى اتخاذ العامية اداة للكتابة بدل العربية الفصحى ، التي نودي بها تحت ظل الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٠م .[١] كانت ولم تزل من اخطر الدعوات التي يتعرض لها التراث الاسلامي . ذلك اذا عرفنا ان منطق الاستعمار هو : اقطع صلة الشعب بماضيه فعله ينسى ذلك الماضي ويألف الحاضر[٢] . ومن هنا انطلق الغزو الفكري واتخذ أساسا لاحداث القطع المراد فتجارب الحروب الصليبية القديمة كانت قد دلت دلالة قاطعة على ان مواجهة العالم الاسلامي بالانقضاض المسلح ، لا تجدي شيئا بل ربما عملت على انبعاث قوة متماسكة شديدة البأس والخطر ، خليقة ان تسترد شبابها ، مهما كان في كيانها من العيوب ، ففي الحروب الصليبية سرعان ما لمت الامة شعثها ودخلت معركة فاصلة ردت غزاة الصليبيين على اعقابهم[٣] . فكان من الحكمة اذن تجنب المواجهة المكشوفة على طول الخط . وهكذا يتبين لنا جليا مدى حدية السلاح الخفي وفتكه .

---

(١) راجع كتاب ـ الدعوة الى اتخاذ العامية واثارها في مصر ـ للدكتورة نفوسة زكريا سعيد . او مجلة الاقلام العراقية ج١ السنة الثالثة مقالة الاستاذ هادي طعمة بعنوان ـ الدفعيلة بدعة لتبديد فن الشعر العربي .

(٢) فروخ د. عمر . وثبة المغرب ص٧٩ .

(٣) شاكر العلامة محمود محمد اباطيل واسمار ج١ ص٢٠٧ بتصرف .

وكان الاستعمار قد مهد لهذا الغزو بالدراسة التي قام بها رسله ، من المبشرين والمستشرقين للعالم الاسلامي ، بنواحيه المختلفة ، حيث خرجوا من تلك الدراسة بصورة مشوهة او ساخرة في بعض الاحيان للمسلمين وللاسلام • على حد تعبير واحد من الامريكان[٤] ، وان كان كلامه يتعلق بالاصل بعمل المبشرين من قومه غير انه يمكن ان يعد تعميما يكاد يصل الى حد الاطلاق بالنسبة لكل من كتب منهم عن الاسلام واهله • وكانوا قد خططوا لكيفية ما خرجوا به بين المسلمين انفسهم فاعتمدوا بذلك وسائل مختلفة ، لا مجال لعرضها بهذا المقام وسنكتفي هنا ببسط ما اتخذناه عنوانا باعتبار ان الدعوة للعامية وما رافقها من دعوات منكرة اخرى ، من الاساليب التي جهدوا في سبيل امضائها كثيرا • فاللغة العربية الفصحى هي التي تصل الامة الاسلامية بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وهما المصدران الاساسيان للشريعة الاسلامية فالدعوة الى العامية اذن تستهدف في المدى البعيد فصل الامة عن دينها ، وشريعتها ، التي هي سر اصالتها ، وقوتها • كي يتمكنوا عن هذا الطريق من اذلالها ابدا •• والدعوة التي تبنت الثورة والتمرد على قواعد اللغة العربية واصولها ، ليغدو النحو العربي حرا ، كما سموه ، شبيهة بالدعوة الى ما اسموه بالشعر الحر وهو جانب من عملية القضاء على اصالة اللغة وابعاد الادباء والمتأدبين عنها •

وقد كشف لنا الاستاذ هادي طعمة في مقالته المنشورة بمجلة الاقلام العراقية علاقة هذا (الشعر) بما وراء الحدود ، ثم اظهر مراميه التخريبية بشكل لا يقبل الجدل •

وكانت تلك الدعوات قد تبرقعت بشعارات زائفة ، كالتجديد والادب الحي ولغة العصر وما الى ذلك من ترهات ارادوا بها خداع البسطاء من الناشئة • وكان (سلامة موسى) ـ وهو احد انشط الدعاة ـ قد ترجم لنا المراد بشكل جلي بقوله ، فيما يرى بالادب الجديد وضرورة سوقه نحو الغرب : في وقتنا الحاضر في مصر والاقطار العربية يجب ان يكون الادب كفاحا نحارب به رواسب القرون المظلمة ••• وندعو فيه الى الحضارة العصرية اي حضارة اوربا • اذ

(٤) فروخ • د ، عمر ، خالدي • د ، مصطفى • التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٢٤ •

نحن على يقين بانه اذا كانت الشمس تشرق من الشرق فان النور يأتي الينا من الغرب • فتأمل جيدا ما يراد بالجدة المزعومة ، ثم قوله : (الأدباء الأوربيون لا يكتبون في الخواء وانما يعالجون المشكلات الاجتماعية الانسانية ، وهم يكتبون للشعب بلغة الشعب • ولذلك فهو يعتبر الاديب المجدد من يكتب للشعب بلغة الشعب المستطاعة وان تكون موضوعات دراسته واهتمامه)[٥أ] • وتراه يعرف لغة الشعب او لغة الادب الجديد الذي يدعو اليه بانها ـ لغة ديمقراطية ـ يستطيع جمهور الشعب ان يفهمها ـ ومن هنا شن هذا الداعية هجومه على الادب العربي فقال : (يجب ان يموت هذا الادب الملوكي ادب المجاز والاستعارة والتورية والبهارج والمحسنات ، هذا الادب الذي ينأى عن احساس العصر ووجدان الشعب ويخلو من الاهداف الانسانية يجب ان يكون للادب دستور جديد بحيث يحترم الشعب اولا والشعب اخيرا والانسانية في كل زمان ومكان •[٥ب]) ونجده هنا قد اتخذ من موضوعي المديح والغزل مقياسا للحكم على الادب العربي القديم كله ـ كما تناسى ان المجاز والاستعارة والتورية لم تكن مقتصرة على اللغة العربية وحدها فهي في كل اللغات •[٦] ثم ان المحسنات اللفظية البالغ في كثرتها التي يصف بها الادب القديم ، ما هي في خواصه وانما ظاهرة اعترته في فترة ضعف[٧] •

وله علينا ان ننصفه لحظة حتى نرى صدق وطنيته وانسانيته المدعاة ، فلنتأمل معا قوله هذا فيما جاء بكتابه ـ اليوم والغد ـ الذي ملأه بذاءة على العرب والمسلمين •

(ينبغي ان لا نغرس في ذهن المصري انه شرقي ، فانه لا يلبث ان ينشأ على احترام الشرق وكراهة الغرب ، وينمو في كبرياء شرقي ، ويحس بكرامة لا يطيق ان يجرحها احد الغربيين بكلمة) •

(٥أ و ٥ب) نقلا عن كتاب ـ الدعوة الى اتخاذ العامية وانارها في مصر ص ١٤٧ ـ ١٤٨ بتصرف •

(٦) راجع كتاب ـ دراسات في اللغة ـ تاليف الدكتور ابراهيم السامرائي ص ٢٤٠ •

(٧) الدعوة الى اتخاذ العامية ص ١٤٧ •

ثم يقول بحماس عجيب : (الرابطة الشرقية سخافة ، والرابطة الدينية وقاحة ، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا باوربا)[٨] .

وارانا الان وقد وقفنا على هويته وتبين لنا اي داعية هو ، انه داعية الى الذل والهوان ، والخضوع للمستعمرين . فاين وطنيته واين تباكيه المحموم على الشعب الذي تظاهر بالحرص عليه . ؟ وعلى الرغم من وضوح عبودية سلامة موسى للغزاة ما زال يوصف بالتقدمية والديمقراطية وما الى تلك من نعوت ، انه عبد للغرب وكفى ، عبد يخدمهم في بلادنا ويدعو اليهم لتصديع اصالة الامة ، ووجودها المستقل .

كما يجدر بنا ايراد بعض العبارات والرموز التي اكثر استعمالها دعاة التجديد المزعوم لنميط اللثام عن حقيقتهم فنزداد بذلك يقينا . نجدهم مثلا قد استعملوا ـ البوم والغراب والقطط العمياء ليرمزوا بها عن العربي متى ارادوا شتمه واهانته مع انهم رمزوا للغربي بال (بحر) واتاشوا لفرط حقدهم ومقتهم للعرب ، النبي العظيم محمد (ص) فوصفوه ـ وما ساووا ذرة غبار في نعله ـ بالفأر تارة ، والجرباء تارة اخرى !) .

كما اكثروا فيما كتبوا من ترديد كلمات معينة ، كالخطيئة والفداء والصلب والخلاص . تلك الالفاظ التي تلخص ديانة النصارى ، مع ان بعضهم من المسلمين نسبا ، متذرعين باعتبارها رموزا . ولا نعلم لم كانت هذه رموزا دون غيرها من مرادفاتها اللغوية ؟[٩]

ونراهم فضلا عن هذا يسعون الى استخدام الاساليب الضعيفة في العربية ، ويعملون على تهشيم الجملة ، فنقرأ في شعرهم :

---

(٨) شاكر العلامة محمود محمد . اباطيل واسمار ج١ ص١٦٥ .
(٩) الاقلام ـ ج١ السنة ٣ مقالة الاستاذ هادي طعمة .

الواحة الهناك

الخاطىء الاصيب بالعمى

بالغريب الوراء قرطاجنة

ونرى بعضهم يكتب ديوانه بالحروف اللاتينية ، وناهيك عن النرجسية القبيحة عند كلا الجنسين وعن التحلل والتخلع كقول احدهم : اغتصبت ألف ألف مرة • وكل حجتهم فيما ذهبوا اليه هو الدعوة الى تجديد المضمون – اي المعاني – والثورة على القديم •)[١٠]

واجدنا قد لمسنا الان مكنة الغزو الفكري في عقول البعض هذا اذا افترضنا غفلتهم • ولكن حينما يكون ذلك مقصودا وواعيا فان القضية تبدو مختلفة في هذه الحالة ، اي اننا يجب ان نتهم اولئك دون اي تردد بالعمالة •

وبعد هذا العرض البسيط لمذهب القائلين بالزيف – بدراية او بجهل – بالنسبة للادب العربي الذي هو روح الامة وعصارة افكارها المرتبطة بشخصيتها الاسلامية المتميزة يقر في عقولنا ان حركة تهجين الادب العربي والدعوات المشابهة بخصوص اللغة تريد لفكرنا الانسلاخ عن لغتنا ، لغة قرآننا وحديثنا وتراثنا العظيم ليسهل على الاستعمار هز كياننا كيفما يشاء •

مواطن دراستها الاولى :

قلنا فيما تقدم ان الاستعمار لم يلق دعواه الا بعد دراسة وتخطيط – واليكم ما دونته الدكتورة نفوسة زكريا سعيد بخصوص هذه الدعوة في كتابها القيم (تاريخ الدعوة الى اتخاذ العامية وآثارها في مصر) وهو اطروحتها لنيل الدكتوراه •

في ايطاليا درست العامية في (مدرسة نابولي للدروس الشرقية) التي انشئت سنة ١٧٢٧ وجددت سنة ١٨٨٨ •

وفي النمسا انشئت مدرسة في فينا سنة ١٧٥٤ اطلقوا عليها اسم (مدرسة الفناصل) لانها كانت تعلم القناصل لغات الشرق ومنها العربية مهتمة بلهاجاتها

---

(١٠) المصدر السابق •

العامية(*) . وكان من مدرسيها في القرن الماضي حسن المصري الذي الف كتابا في العامية المصرية سنة ١٨٦٩ هو (احسن النخب في معرفة لسان العرب) ثم اسست سنة ١٨٥١ مدرسة للهجات الشرقية .

وفي فرنسا درست اللهجات العربية العامية في اواخر الثلث الاول من القرن الماضي في (مدرسة باريس للغات الشرقية الحية) التي انشئت سنة ١٧٥٩ ، وكان اول من قام بتدريسها المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي مستعينا بميخائيل الصباغ السوري .

وفي روسيا انشئت مدرسة لازارف الاكليرية للغات الشرقية في مدينة موسكو الروسية سنة ١٨١٤م وكانت تعلم العربية ولغات الشرق الاخرى . وكانت هذه المدرسة فرعا من الجامعة الامبراطورية في بطرسبرغ (لينغراد) الان(١١) .

وفي المانيا انشيء مكتب كبير في برلين لتدريس اللغات الشرقية ومنها العربية ولهجاتها المحلية وفي المجر انشئت الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية ودرس اللهجات ومنها العربية وذلك سنة ١٨٩١م . وفي انجلترا انشأت جامعة لندن في اوائل القرن التاسع عشر فرعا فيها لتدريس العربية الفصحى والعامية ، وكان من مدرسيها حبيب انطوان السلموني اللبناني ، ولما ذهب احمد فارس الشدياق الى لندن اقترحت عليه المدرسة تأليف كتاب في العربية المحكية اي العامية فوضعة بالانجليزية في لندن وهو (اصول اللغة العربية المحكية) سنة ١٨٥٦ .

التاليف الاجنبية التي تضمنت الدعوة ودراستها :

نتيجة للدراسة السابقة وبعد ان اختمرت فكرة اعتمادها للدعوة الى اتخاذ العامية كسلاح فعال ، ظهرت مؤلفات عدة نذكر بعضها لمقتضى العرض ، ثم نستقريء بعد ذلك اهدافها من خلال ما كتبه روادها الاوائل :

(*) لا يخفى الهدف الاستعماري من تدريس العامية في هذه المدرسة وهو امكان التفاهم بها في مستعمراتهم واستغلالها في التجسس والاتصال بالعامة .

(١١) الكتاب ص٩ ، ١١ .

١ ـ كتاب لهجة بغداد العامية : تأليف لويس ماسنيون(*) ، مؤلف بالفرنسية طبع مصر سنة ١٩١٢(١٢) . وترجم الى العربية في بغداد .(١٣)

٢ ـ لغة بيروت العامية : تأليف امانوئيل ماتسون بالفرنسية سنة ١٩١١ .

٣ ـ لغة مراكش العامية وقواعدها : تأليف Ben Smail مؤلف بالفرنسية وفيه نبذ عربية ١٩١٨ .

٤ ـ قواعد العامية الشرقية والمغربية : تأليف كوسان دوبرسفال بالفرنسية وفيه نبذ عربية ١٨٥٨ .

٥ ـ عربية مراكش تأليف Louis Mercier مؤلف بالفرنسية طبع باريس ١٩٢٥ .

٦ ـ عامية دمشق : تأليف Berj etraser مؤلف بالالمانية طبع هانوفر سنة ١٩٢٤(١٢) .

٧ ـ كتاب (قواعد العربية في مصر) : للدكتور(**) ولهلم سبيتا .

ومؤلفه هو الرائد الاول لكل من كتب في العامية المصرية من الاجانب ، وكان ذلك عام ١٨٨٠ حيث ظهر كتابه هذا بالالمانية . ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة الى اتخاذ العامية لغة ادبية ، ومن هذا الكتاب انبعثت الشكوى من صعوبة الفصحى . وفي هذا الكتاب ايضا وضع اول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية تلك الحروف التي نودي باستخدامها فيما بعد .. بكتابة العربية الفصحى(١٤) .

٨ ـ كتاب (اللهجة العربية الحديثة في مصر) : للدكتور كارل

---

(١٢) الدعوة الى اتخاذ العامية وآثارها في مصر . ص١١ هامش .

(١٣) ترجمه الدكتور اكرم فاضل وسماه (تعليقات على لهجة بغداد العامية) واصدره مركز الفولكلور العراقي في وزارة الارشاد ١٩٦٢ .

(*) لويس ماسنيون ـ المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية ـ نقلا عن التبشير والاستعمار ص٢٢٤ .

(**) ولهلم سبيتا ـ المستشرق الالماني الذي كان مديرا لدار الكتب المصرية ابان عهد الاحتلال البريطاني لمصر .

(١٤) الدعوة الى اتخاذ العامية ص١٨ .

فولرس وهو من زملاء ـ سبنيتا ـ وكان قد ظهر كتابه هـذا بالالمانية ايضـا سنة ١٨٩٠ ثم ترجم الى الانكليزية سنة ١٨٩٥ .

وقد نهج فيه نهج زميله . فاستنبط حروفا لاتينية لكتابة العاميـة ودرس قواعدها واورد كثيرا من نصوصها .

٩ ـ كتاب (العربية المحكية في مصر) لسلدن ولمور .

الذي ظهر سنة ١٩٠١ بالانكليزية حيث كان مؤلفه قاضيا بالمحاكم الاهلية بالقاهرة . وكانت لهذا وسائله الخاصة في تدعيم تلك الدعوة التي صادفت هوى في نفسه فاستغلها ليحقق هدفا من اهداف الاستعمار البريطاني وهو فصل المسلمين والعرب عن ماضيهم وتفتيت وحدتهم اللغوية بالقضاء على العربية الفصحى[١٥] .

١٠ ـ كتاب (المقتضب في عربية مصر) لفيلوت وباول بالانكليزية .

ظهر في مصر سنة ١٩٢٦ حيث كان احد مؤلفيه قاضيا بالمحاكم الاهلية بالقاهرة . وكان نهجهما في هذا الكتاب هو ـ ذكر الكلمة العامية مكتوبة بالعربية ثم بحروف لاتينية مع ترجمة لها بالانكليزية مثل :(زيطة Noise — Zayta) وهكذا فعلا مع الجمل . وكانت هذه محاولة عملية لتسهيل دراسة ما يدعون اليه .

١١ ـ رسالة المهندس والمبشر الانكليزي وليم ولكوكس بعنوان (سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربيـة) وفي سنة ١٨٩٣ القى ولكوكس محاضرته (لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الان) في نادي الازبكية ونشرها باللغة العربية في مجلة الازهر بعد ان آل امرها اليه ، وزعم فيها ان العربية الفصحى هي التي حالت دون الاختراع والتقدم العلمي[١٦] .

ويجدر بنا ان نوضح هنا بانه لم يكن للجهود التي بذلوها فيما درسوا وكتبوا بهذا الميدان اية علاقة بالعلم اطلاقا . فقد جاءت جهودهم تلك مدعمة

---

(١٥) المصدر السابق ص٢٤ ، ٢٥ .
(١٦) أيضا ص ٣٠ ، ٣٢ .

للسياسة الاستعمارية التي لخصها المبشر وليم جيفورد بلجراف ـ في كلمته المشهورة (متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ ان نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة ـ يعني الحضارة المسيحية ـ التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه) فكان بينا انه لا يمكن ان يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته[١٧] . وسنرى ذلك واضحا في بعض من سطور دعاتها من المستشرقين والمستغربين .

وكانت كتابة تلك التآليف بلغاتهم ترجع الى غاية شيطانية ـ كديدنهم في كل ما يعملون ـ هي ان العرب الذين كانوا قد تعلموا لغاتهم تلك لم يكونوا يجاوزون الحصر . فكان يرى احدهم في اكتشافه لواحد من تلك الكتب كنزا ثميناً خص به دون غيره من قومه فيصبح اذاعة سيارة لمضمونه ، يتحدث فيه بأي مكان يحله ، فتتلقفه الاسماع وترددده الالسن وشأن الناس أن يكثروا الكلام في الاشياء الجديدة العادية ولك تقدير افاضتهم في الحديث عن الغريبة منها ، واية غرابة كانت في الدعوة الى العامية يومها !

الدعوة كما هي دون براقع :

قيل قديما ان اعتراف المرء على نفسه حجة ولنا من هنا استقراء ما اشرنا اليه آنفا بخصوص هذه الدعوة المنكرة . بشكل مجرد من تبريراتهم وادعاءاتهم الكاذبة . ولنبدأ الان بقراءة ما قاله الرائد الاول ـ ولهلم سبتا ـ في مقدمة كتابه (قواعد العربية العامية في مصر) وهو يتوجس خيفة من دعواه فتأمل قوله هذا :ـ

واخيرا سأجازف بالتصريح عن الامل الذي راودني على الدوام طول مدة جمع هذا الكتاب ، وهو امل يتعلق بمصر نفسها ، ويمس امرا هو بالنسبة اليها والى شعبها يكاد يكون مسألة حياة او موت . ثم يقول (فكم يكون الامر سهلا لو اتيح للطالب ان يكتب بلغة ـ ان لم تكن هي لغة الحديث الشائعة فهي على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة ، بدلا من ان يجبر على الكتابة بلغة هي من الغرابة بالنسبة الى الجيل الحالي من المصريين مثل غرابة اللاتينية بالنسبة

---

(١٧) اباطيل واسمار ج١ ص١٧٨ .

الى الايطاليين ، وبالتزام الكتابة بالعربية القديمة لا يمكن ان ينمو ادب حقيقي ويتطور ـ)[١٨] عجبا لصلافة هذا الدعي في تغاضيه عن تراثنا الادبي الضخم الذي اعترف بعظمته بعض ابناء جلدته هو[١٩] . ثم يخلص بعد ذلك الى القول : (فلماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة الى ما هو احسن ؟ ببساطة لان هناك خوفا من تهمه الأعتداء على حرمة الدين اذا تركنا كلية لغة القرآن ـ وهنا بيت القصيد كما يقال . بالاضافة الى قوله هذا (وحتى ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الاسلامية لا يمكن ان يقلقها تبني لغة الحديث العامية اذ ان لغة الصلاة والطقوس الدينية الاخرى ستظل كما هي في كل مكان) وهذا زعم يفضح بطلانه بنفسه لان الناس ان اعتمدوا العامية لغة استحالت لغة الطقوس والصلاة الى ترديد آلي بارد في السنتهم لا يلبث ان يهجر كما انصرف مسيحيو مصر عن تلاوة صلاتهم بالقبطية كغيرهم من المسيحيين في الاماكن الاخرى ، ثم انه قارن ـ كغيره ـ العربية باللاتينية وهذا لا يجوز ابدا ، لان اختلاف العامية عن الفصحى لم يؤل يوما الى عجز العامة عجزا مطلقا عن فهم الفصحى في الوقت الذي نجد فيه ان اللاتينية تعتبر لغة اجنبية بالنسبة للهجاتها العامية التي اصبحت لغات حديث وكتابة ، ولان الظروف التي مرت بها اللاتينية غير الظروف التي مرت بها العربية ، ثم ان اللاتينية لم تحظ بالقداسة التي حظيت بها العربية بصفتها لغة دين سماوي[٢٠] . فاذا عرفنا ان مجرد اللحن في العربية كان يعد ضلالا فكيف بنا اذا تركنا كلية لغة السماء المقدسة .

ويروى عن النبي (ص) انه قال لرجل لحن : (ارشدوا اخاكم فانه قد ظل) ، وقال أيضا : (رحم الله امرءا اصلح لسانه)[٢١] .

وهكذا نفث هذا المبشر الصفيق سمومه وهو يتحدث عن الثقافة والادب المتطور واهمية حياة مصر وشعبها ـ وتناسى انه انما نشر ما كتب برعاية الاحتلال

---

(١٨) الدعوة الى اتخاذ العامية ص ٢١ـ٢٢ بتصرف .
(١٩) راجع التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص٢٢٠ .
(٢٠) الدعوة الى اتخاذ العامية ص٢٢ . بتصرف .
(٢١) ابن جني الخصائص ٢/٣٤٥ . نقلا عن كتاب ـ دراسات في اللغة ص ٧ ـ للدكتور ابراهيم السامرائي .

البريطاني للبلد الذي يدعي الحرص عليه فأي تخريف هذا ؟!

والذي يلفت النظر ان جميع من ساهموا في الدعوة الى العامية كانوا يشيرون الى ما حل باللاتينية • وكيفية استحالة لهجاتها الى لغات عدة ، كما لم يغفلوا ذكر القرآن الكريم فكتب (ماسينيون) بصدد تعليقه على رأى الزهاوي ما نصه •

(لقد اذاع حديثا احد ادباء بغداد المعروف بانه فيلسوف وشاعر مطبوع للغاية واتهم بالزندقة (التفكير الحر !) الا وهو « الشيخ » صدقي الزهاوي ، بخصوص اللهجة البغدادية الدارجة ـ لقد اذاع الزهاوي حديثا ومعززا رأيه بالامثلة (كذا !) بان اللهجة البغدادية الدارجة ستحل قريبا محل العربية الفصحى ـ وها قد مضى اكثر من نصف قرن ولم يتحقق غرضهم وخسأ الحالمون بذلك ـ فارتطمت نظريته ارتطاما عنيفا بالرأي الديني السائد الذي يؤكد على ان لغة القرآن هي العربية الفصحى التي لا تبديل لها ولا تحويل ـ واثارت فكرته هذه مجادلات ومشادات حادة مشابهة كل المشابهة تلك التي اطلقتها منذ عهد قريب اللغة اليونانية الدارجة المسماة (معركة الاناجيل) الى ان يقول بعد ان استنتج سريان التحوير الى اللغة العربية الفصحى ـ كما سرى (اي التحوير) الى الايطالية الوليدة ـ عندما عقد دانتي في كتابه (اللغة العامية) الامارة للهجة التوسكانية من بين مختلف الاشعار الايطالية ذات اللهجات المتباينة فكان لثلاثياته الفوز والسيادة[٣٢] •

وقال (ولمور) بعد ان تشكى من صعوبة العربية المدعاة ورد اليها سبب انتشار الامية • (ومن الحكمة ان ندع كل حكم خاطىء وجه الى العامية وان نقابلها على انها اللغة الوحيدة للبلاد ، على الاقل في الاغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية •) ، ثم قال : وهناك سبب يدعو الى الخوف هو انه اذا لم يحدث ذلك (اي اعتبار العامية وحدها لغة للبلاد في الاغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية على الاقل) واذا لم تتخذ طريقة مبسطة للكتابة (اقترح من قبل اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية) فان لغة الحديث ولغة الادب ستنقرضان وستحل محلهما لغة اجنبية نتيجة الاتصال بالامم الاوربية • ثم

---

(٣٢) ماسينيون • لويس • تعليقات على لهجة بغداد العامية ص٣٢ •

جادت (عبقريته) فيما يراه من اساليب الامضاء فقال : وانجع الوسائل للقيام بحركة في سبيل تدعيم اللغة القومية ـ يعني العامية المصرية ـ هي ان تتخذ الصحف الخطوة الاولى في هذا السبيل ، ولكنها ستكون في حاجة الى عون قوي من اصحاب النفوذ ، ـ تأمل جيدا ! ـ فاذا نجحت هذه الحركة فان وقتا قصيرا في التعليم الاجباري وليكن سنتين سيكون كافيا لنشر القراءة والكتابة في البلاد • وتجده يعتذر اخيرا من القراء ويرجو منهم ان يلتمسوا له المبررات فيما يمكن ان يلاحظوه من نقص في بحثه لانه كتبه في ظروف غريبة ! في اوقات الفراغ وفي القطارات والبواخر الا ما اكذبه ! وبعدئذ قدم شكره لرؤساء بعض المصالح في الحكومة المصرية لاكتنابهم في عدد من نسخ كتابه مما مكنه من طبعه • ومرة اخرى تقول الا ما اكذبه ! وناشد الانكليز لتدعيم العامية ـ وكأنها لم تكن من عنديانهم ـ ليساعدوا على تقدم الشعب الروحي كما ساعدوا على تقدمه في الحياة المادية • وذلك حيث قال (ويمكن للحكومة الحاضرة في مصر ان تمديد المساعدة (يعني للعامية) وهي الان واخيرا في مركز يمكنها من ذلك • وكانت الحكومة القائمة في مصر انذاك هي حكومة مصطفى باشا فهمي وهو من اكبر اصدقاء انكلترا واشهرهم في مصر ، وقد اشاد بصداقته كرومر في كتابه (Modern Egypt))[٢٣] •

وكان اتباع الدعاة وصيانهم قد ساروا بنفس خط سادتهم واجتروا نفس الفاظهم فهذا لويس حنا ميخائيل عوض تلميذ سلامة موسى والمحرر الثقافي لجريدة الاهرام القاهرية ، يتحدث لنا عن تجربته في مسألة العامية وذلك في كتابه (بلوتولاند وقصائد اخرى من شعر الخاصة) فيقول : كان لويس عوض ١٩٣٧ يتعلم مبادىء اللغة الايطالية بين الحشائش السحرية التي تملأ الفلاة بين كامبريدج وجرانشتر واسترعى انتباهه ان البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة ، ولهجتها المنحطة الايطالية ـ اقل من البعد بين العربية المقدسة ، ولهجتها المنحطة المصرية ، فعجب لاصرار المصريين على اللغة المقدسة !!

وكان يحدث اصدقاءه بخلاصة تفكيره فوجد منهم اعراضا رقيقا مؤدبا

---

(٢٣) الدعوة الى اتخاذ العامية ص ٢٧ـ٢٨ بتصرف •

فعجب • فلما عاد الى مصر عام ١٩٤٠ جاهر برأيه ، فلم يصادف اعراضا وانما صادف غلظة فازداد عجبه ، ولكن سرعان ما افهمه بعض اصدقائه ان المسألة حساسة ، لأنها تتصل بالدين رأسا ، لان استخدام (اللغة) المصرية كأداة للكتابة قد ينتهي بعد قرن او قرنين لترجمة القرآن الى (اللغة) المصرية • كما حدث للانجيل ان ترجم من اللاتينية الى اللغات الاوربية الحديثة فزال عجبه • ثم انتقل فجأة دون ان يفتينا فتوى صريحة بجواز ترجمة القرآن الى العامية المصرية، وعقلية لويس عوض عقلية زمنية حقا ، فهو يفهم ان هذا الانقلاب لم يقوض اركان الدين في اوربا ، وانما قوض اركان الكنيسة التي خشيت ان يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها ، فتسقط عن بصره الغشاوة ، ويدرك ان رجال الدين انما يزيفون عليه دينا ليسلس قياده ويبقى راكبا أمام الاشراف • ـ وهو يفهم كذلك ـ (اي لويس عوض يفهم !) ان الاعتراف باللغة المصرية ، لا يتبعه بالضرورة موت اللغة العربية اذا احتاط الناس لذلك (واكبر احتياط هو وجود لويس عوض بالطبع !) فليس هناك ما يمنع من قيام الادبين جنبا الى جنب ، اللهم الا اذا شككنا في جدارة اللغة العربية والادب العربي وقدرتهما على الحياة • ثم يختم تجربته هذه بتصريح غريب جدا ، ارجو ان يقرأه القارىء بدقة ، لان وراءه معان لم تعد خافية بعد ان عرفنا تاريخ الدعوة للعامية فيقول : (واني لاعلم انه قد عاهد الثلوج الغزيرة المنثورة على حديقة مدسمر ، في خلوة مشهودة بين اشجار الدردار عند الشلال بكامبردج ، الا يخط كلمة واحدة الا باللغة المصرية (يعني العامية) ، وقد بر بعهده في العام الاول بعد عودته ، فكتب شيئا بالمصرية سماه (مذكرات طالب بعثة)[٢٤] !! • فمن هو لويس عوض هذا ؟ ومن شهد خلوته تلك ؟ اراانا قد عرفنا مع من شهد خلوته فلنرمه اذن •

وقال انيس فريحة وهو من المتحمسين لهذه الدعوة : " ولكن للناس ان يسألوا : ماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وماذا سيحل بالادب القديم ؟ وجوابنا هو ان القرآن الكريم سيخلد ـ على الرف كما يريد ـ سيبقى على ما هو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة تلك الكتب " •

---

(٢٤) اباطيل واسمار ١٥٩ ـ ١٦٠ بتصرف •

وفريحة هذا من العباقرة العظام ! فقد خرج علينا بحل للخروج من ازمتنا اللغوية المستعصية يحمل معه جانبا اقتصاديا ايضا ـ حيث ادعى بان الطبع بالحرف اللاتيني سيوفر علينا اذا ما اخذنا به كثيرا من الوقت والمال بعكس الحرف العربي تماما[٢٥] . فيا له من تبرير رخيص تافه لعملية النسف الشاملة لكل ما يتعلق باللغة باعتبارها اداة بقائه المفروض .

وهكذا انطلقت هذه الدعوة كما رأينا في اساسها في مراكز التبشير والاستعمار ، غير انا وان طال بنا المقام لم نجد سعة للوقوف على كل ما اعتراها من الوان ومظاهر مختلفة وآخر ما وقفنا عليه بما هو قريب منها ـ وهو ليس اخيرا طبعا ! ـ الدعوة المشبوهة التي دعا اليها الدكتور مراد كامل ، ولخصها بخلاصة تقول بضرورة الخروج من كل ما في معاجم اللغة من مواد ومفردات بـ (١٥٠٠ كلمة هي قوام ما ندعو اليه من لغة عربية فصحى بسيطة) على حد تعبيره الذي ختم به مقالته بعد ان اجهد نفسه بالمبررات وبعقد المقارنات مع محاولات قام بها البعض في لغاتهم . وكان قد ملأ مقالته هذه سبا وتجريحا وطعنا على العربية وعلماء نحوها العظام ، لا يختلف ابدا عمن سبقه بالقول عن لغة القرآن من عملاء الاستعمار ورسله وخدامه فقال مثلا : ليس من لغتنا هذه القواعد المتحجرة التي تضللنا عن جوهرها وتسير بنا في دروب ملتوية . ليس منها هذه الاوزان والقوافي التي تحجرت وركدت بعد ان كانت بسيطة بساطة الطبع العربي البدوي . ولكن من سوء حظ اللغة الفصحى ان امتحنت بهذه الاغلال التي كبلتها واوثقتها في عصور الظلام وفي غفلة من اهلها ، ولقد كانت الضربات التي لاحقتها كافية لوأدها الى الابد[٢٦] .

ولا يخفى ما نفث بقوله المتقدم من تحامل اسود على اللغة والتاريخ الاسلامي فنحن نعرف ان العهد الذي وضعت فيه القواعد ـ والصحيح ان نقول استقرئت لانها لم تفارق اللغة ابدا ـ وكذلك بحور الشعر العربي والتي يسميها هو بالاغلال

---

(٢٥) كتابه « نحو عربية ميسرة » ص١٩٨ نقلا عن التبشير والاستعمار ص٢٢٨ .

(٢٦) راجع مقالته في ج٥ من السنة الثانية لمجلة الاقلام العراقية بعنوان (حاجة العالم الى لغة عربية فصحى بسيطة) .

لم يكن عهد ظلام بالنسبة للعربية واهلها • فلا شك اذن انه يريد بذلك عهد ازدهار دولة المسلمين • ثم انه تكلم عن الضربات التي كادت تميت اللغة ولم يفصح عنها • ولكن القلم يستغفل حامله احيانا فيفضح سره • ويبدو لنا ان دعوة هذا الدكتور ما هي الا عملية استدارة من خلف لا تختلف في مرماها عن الدعوة الام • ولنا ان نسأله وان اصبحت حكايته قديمة نسبيا عما اذا كان لديه مشروع لترجمة المكتبة العربية الاسلامية بواسطة الـ (١٥٠٠) هذه ام لا ؟ والا ماذا سيجل بها يا دكتور ؟ • الأجل ان تكون اللغة العربية عالمية ـ تلك من مبرراته ـ نلقى تراثنا في نهر (السين او الراين وبحر المانش ! وغيرها) بربك ايجوز هذا ؟ ، ثم ما الضمان في قبول العالم للغتنا تراثك تعاقدت معهم ام ماذا؟ ولكن الذي نريد ان نعلمه هو ان الشعار الجديد هذا لا ينطلي على احد اطلاقا ومن الافضل ان تجهد بالبحث عن مبررات اخرى ، ولكن من حقك علينا ان نسجل لك صفة الابداع • اذا كانت هذه من عندياتك طبعا • ولسنا ندري ومن اين لنا أن ندري ـ فيما اذا كنت حصلت على براءة اختراع من الدوائر المختصة ام لا •

وتجدر الاشارة قبل الختام الى نقطة هامة تتعلق باهتمام مدارس التبشير باللغة الانكليزية دون العربية • وهذا ما سيؤدي بشكل تدريجي الى اماتة الروح الاسلامية لدى طلابها المسلمين وذلك يعني انفصالهم نهائيا عن امتهم حيث سيغرقون بالثقافة الغربية فضلا عما يمررونه من تضليلاتهم الاخرى ومن المؤسف حقا ان نجد من الناس من ينخدع بهذا الافساد البين فيسارع بتسليم ولده في يد عدوه الذي لا يريد بعمله الا خدمة بلده وربطنا بعجلة استعمار بلده متذرعا بدعوى تقويتهم بالانكليزية • ومن المؤسف ان تبلغ بنا الغفلة واللا مبالاة الى هذا الحد •

وقبل ان ندع القلم ينبغي ان ندرج خلاصة ما ترمي اليه هذه الدعوة باشكالها المتعددة لتكون على هدى من امرنا في ضرورة المحافظة على لغة كتاب السماء المقدسة

١ ـ محاولة القضاء على القرآن الكريم والحديث الشريف عن طريق اغراء الناس بالتخلي عن لغتهما وهذا محال فقد قال تعالى (وهم ينهون عنه

وينئون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون)[٢٧] .

على ان هذا لا يعني السكوت ابدا لان الله يطالبنا بالنصر وهو القاهر فوق عباده .

٢ ـ تفتيت الوحدة اللغوية والفكرية القائمة بين العرب باعتبارهم جزء صخما من الامة الاسلامية ، والانتهاء بالعربية الى عشرات اللهجات المحلية المتباينة .. وبذلك يحدث الصدع الذي لا سبيل لرتقه ، فتبعد الشقة بين ماضيهم وحاضرهم فيصبحون بذلك غرباء لا سمات لهم ، حيث الضياع السائب والذل الدائم .

٣ ـ القضاء على الوحدة الاسلامية وامل عودتها بطابعها السياسي ... بعد تحطيم قاعدة الاسلام الحصينة بشكل نهائي وبالغاية التي يسعون لاجلها عن طريق الضغط على الشعوب الاسلامية التي تكتب بحروف عربية ـ لان تتخلى عنها ـ كما فعلوا ذلك في تركيا حيث استبدلوها باللاتينية .

وكما فعلت فرنسا مع البربر في المغرب العربي ، عندما الغت تعليم الدين الاسلامي واللغة العربية في مدارسهم واغلقت المساجد والكتاتيب القرآنية في اراضيهم وكتبت لغتهم باللاتينية بعد ان كانت عربية لتقطع علاقتهم بالاسلام وبكل ما هو اسلامي او متصل بالاسلام .[٢٨] والى هنا نأمل ان نكون وقفنا على اخطار هذه الدعوة وبعض من وجوهها ، وعلى الله قصد السبيل وله الحمد .

---

(٢٧) الآية ٢١/الانعام .

(٢٨) وثبة المغرب ص١٣٣ .

لامية المسلمين

داود العطار

اني اقول الحقَّ من غيرِ وجلْ ... فقد قلى عزمي تصبري ، ومل
هل عقْمتْ امثنا ؟! فلا فتى ... يطهر الارض ، ولا سيف يسل
ما للملايين التي باهى بها ... الله تعالى ، قد اصابها الشلل
الم تكنْ للناس خيرَ ئمةٍ ... ماذا دهاها !؟ فغدت هي الاذل
خيراتُها منهوبة ، وارضها ... مغصوبة ، وجيلها بلا عمل
ترتع بالكفرِ وتكرعُ الردى ... قد اسلمت لجامها لمن سفل
يسمنها ابتغاء ذبحها كما ... يسمن قصاب شياها وابل
ماذا عليها لو تحدَّتْ لاتها ؟ ... او صفعت يافوخ « عزى هو » هبل » ؟
او اغرقت فرعون في مياهها ؟ ... او قذفت في بئرها ابا جهل ؟
ماذا عليها لو ازاحت خوراً ... ران عليها ؟ ورقادا وكسل ؟
وشمرتْ عن ساعد الجد ؟ كما ... قد شمرت اجدادنا الصيد الاول
تعيش ليل الكفر وهي ترتجي ... للدين اشراقا بـ (ليت) و (لعل) !!
يا ويلها والصمت عن سيطرة الطغا ... غوت والجبت حرام كيف حل ؟!
كلا ، فما اخلص في اسلامه ... الا الذي اقتدى بسيد الرسل
ممن فدى بنفسه الشرع ومن ... امواله دون حمى الدين بذل
ومن اطاع ربه ، ومن دعا ... بدعوة الاسلام ، قولا وعمل
لا من يعيش خانعا ، وقد رأى ... تقاسمت دولته شتى الدول
تسومه الظلم ويقضي صامتا ... يعلل الصمت بمفضوح الحيل
اسلم للذل وظن ان مشـ ... ـكلاتنا بقول « لا حول » تحل
يرى الفساد واقعا محتما ... قدره الهنا !!! عز وجل
أستغفر الله ، لتلك حجة الجبا ... هل بالله ، وآية الكسل

من هم اهل الكتاب؟

عدنان البكاء

مفهوم اهل الكتاب ، حدوده ومصاديقه .

آراء المذاهب الاسلامية في المجوس ، والصابئة ، والبوذيين والكنفوشيوسيين ، والبراهمة .

حكم المنتسبين لاهل الكتاب ، بعد التبديل .

حكم المنتسبين بعد البعثة .

قال الاردبيلي « والكتابي من له كتاب فيعم جميع اهل الكتاب »[1] .

ولكن من هؤلاء الذين لهم كتاب؟ انها المشكلة . فنحن نعلم اجمالا ان الله ارسل لكل امة من الامم السابقة نبيا « وان من امة الا خلا فيها نذير » . وقد ذكر القرآن الكريم اسماء عدد من هؤلاء الانبياء واغفل البعض الآخر « ورسلا لم نقصصهم عليك » .

لكن المشكلة ان القرآن لم يذكر من اهل الكتاب ، بصورة واضحة لا تسمح باختلاف الا اليهود والنصارى ، وقد ذكر المجوس والصابئة ايضا لكن في مواضع اختلف فيها الفهم وتغاير الرأي .

اما الرسول (ص) فلم يواجه من الامم في حياته غير اليهود والنصارى ، والمجوس ، لنعرف موقفه بهذا الخصوص ، ونطلع على سنته في هذا المجال ولهذا فقد بقيت هذه المسألة موضوعا ، يتناوله البحث بين الفقهاء، والمفسرين .

فذهب الجمهور الى ان مفهوم اهل الكتاب لا يتناول الا اليهود والنصارى فلا يدخل فيهم غيرهم من الصابئة أو المجوس ، وانما يلحقون باهل الكتاب في اخذ الجزية فقط دون بقية الاحكام الخاصة باهل الكتاب من حلية ذبائحهم ، ونكاح نسائهم ، ولم يخالف الا ابو ثور في المجوس ، وابو حنيفة واسحق في الصابئة[2] .

---

(١) الاردبيلي ، المقدس (زبدة البيان في احكام القرآن) ص ١٦١ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن ج١ ص١٠٤ . محمد رشيد رضا المنار ج ٦ ص ١٨٥ .

وقد ورد للشافعي في المجوس قولان يرى الشيخ الطوسي ان اصحهما ما يدل على ان لهم كتاب[٣] غير ان اغلب اتباعه لا يعدونهم اهل كتاب .

قال ابواسحاق الشيرازي الشافعي وهو يذكر الآية « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم » (فان كان مرتدا او وثنيا او مجوسيا لم يحل لقوله تعالى (وذكر الاية) ثم قال وهؤلاء ليسوا اهل كتاب[٤] .

واستدل صاحب المنتقى (في شرح الموطأ) على انهم لا يعدون اهل كتاب بقول روى عن رسول الله « سنوا بهم سنة اهل الكتاب »[٥] وبه استدل المذهب الحنفي أيضا[٦] .

وتبدو المسألة من الوضوح لدى أحمد بن حنبل بالدرجة التي ينكر فيها تبني الخلاف ، فقد قال حين بلغه رأي ابي ثور ابراهيم بن خالد الكلبي احد الفقهاء من اصحاب الشافعي قال عنه معلقا « ابو ثور كاسمه » ومن الطريف ان ابن كثير حين ذكر رأي ابي ثور وتعليق الامام احمد عليه ذكر ان الحديث السابق الذي كان قد استدل به على اخراجهم هو نفسه الذي استدل به ابو ثور على ادخالهم قال : « وكأنه تمسك بعموم حديث روى مرسلا عن النبي (ص) انه قال « سنوا بهم سنة اهل الكتاب » ولكن لم يثبت بهذا اللفظ ، الى ان يقول « ولو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم » فدل بمفهومه مفهوم المخالفة على ان طعام من عداهم من اهل الاديان لا يحل[٧] .

ومع غض النظر عما يملك ابو ثور من ادلة لرايه ، فان في مناقشة ابن كثير ، للحديث مجالا واسعا للرد فالحديث بهذا اللفظ على انه مرسل مشهور بين الفقهاء ، يحتجون به لشهرته وقد سبق ان ذكرنا بعض هؤلاء غير ان البعض يضيف اليه « غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم » .

---

(٣) الطوسي ، الخلاف ج٢ ص ٥٠٩ ط طهران .

(٤) ابو اسحاق الشيرازي ، المهذب ج١ ص٢٥١ .

(٥) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ج٦ ص١٨٩ .

(٦) ابو السعود ، التفسير ج٢ ص٧ .

(٧) ابن كثير ، تفسير القرآن ج٢ ص٢٠ .

اما تخصيص عمومه بمفهوم المخالفة في الاية ، فهو عجيب حقا فمع ترك النقاش في ما اذا كان للقب مفهوما يصح التخصيص به اولا فان مفهومه ـ لو ثبت ـ لا يكاد يجدى في محل النزاع شيئا لان تحريم طعام ما عدا اهل الكتاب لا يثبت ان المجوس ، ليسوا من اهل الكتاب . على ان مقام الحديث مقام الحاكم من الاية .

وقد ناقش الشوكاني استدلال الباجي السابق في المنتقى قال : عند قوله : « واستدل بقوله « سنوا بهم سنة اهل الكتاب » على انهم ليسوا اهل كتاب ، ما نصه : لكن روى الشافعي وعبدالرزاق وغيرهما باسناد حسن عن علي (ع) « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرؤونه فشرب اميرهم الخمر فوقع على اخته فلما اصبح دعا اهل الطمع فاعطاهم وقال : ان آدم كان ينكح اولاده بناته فاطاعوه ، وقتل من خالفه فاسرى على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء .

وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج باسناد صحيح عن ابن ابزى لما هزم المسلمون اهل فارس قال عمر اجتمعوا « اى قال للصحابة اجتمعوا للمشاورة كما هي السنة المتبعة ، والفريضة اللازمة » فقال : « ان المجوس ليسوا باهل كتاب فنضع عليهم الجزية ولا من عبدة الاوثان فنجرى عليهم احكامهم فقال علي (ع) بل هم اهل كتاب فذكر نحوه لكن قال فوقع على ابنته وقال في آخره فوضع الاخدود لمن خالفه[8] .

المذاهب الاخرى

وقد وافق الجمهور من المذاهب الاسلامية الاخرى المذهب الزيدي .

جاء في مسند زيد حديث رواه زيد عن ابيه عن جده علي (ع) قال : « لا تأكلوا ذبائح المجوس ولا نصارى العرب فانهم ، ليسوا بأهل كتاب[9] .

اما الامامية فانهم مجمعون على ان المجوس اهل كتاب ، لهم ما لاهل الكتاب ، من احكام . ولم يخالف في ذلك الا العماني من الفقهاء الاقدمين .

قال الجزائري وهو يتحدث عن الآية (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) قال « وخصها ابن ابي عقيل باليهودي والنصراني »[10] .

---

(٨) نقلا عن محمد رشيد رضا ج٦ ص١٨٩ .

(٩) مسند زيد ص ٢٤٧ ط بيروت .

(١٠) الجزائري ، قلائد الدرر ج٣ ص٣١٠ ط النجف .

وليس لرأي ابن ابي عقيل في هذه المسألة قيمة بين فقهاء الشيعة لضعف مستنده ، بل ان اغلب آرائه موضع نظر لديهم لما كان عليه من وضع خاص فقد صرح العلامة في المنتهى بكذبه اجماعيا ، بين العلماء[11] .

ولهذا ذكر الشيخ الطوسي ان الدليل هو اجماع الفرقة ، واخبارهم ، ثم ذكر ما رووا عن علي (ع) انه قال : « كان لهم كتاب احرقوه ونبي قتلوه » ثم قال : فثبت انهم اهل الكتاب[12] .

وقد ورد في كتب الحديث كثير من الروايات عن اهل البيت (ع) تلتقي ومضمون الرواية السابقة فعن أحمد عن ابي يحيى الواسطي قال سئل ابو عبدالله عن المجوس ، فقال : « كان لهم نبي قتلوه وكتاب احرقوه اتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر الف جلد ثور وكان يقال له جاماسب[13] .

وعن محمد بن علي بن الحسين (ع) قال : المجوس تؤخذ منهم الجزية ، لان النبي (ص) قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وكان لهم نبي اسمه « داماست » فقتلوه وكتاب يقال له « جاماست » كان يقع في اثني عشر الف جلد ثور فحرقوه[14][15] .

وعن محمد عن أحمد عن ابي يحيى الواسطي عن بعض اصحابنا قال : سئل أبو عبدالله (ع) عن المجوس كان لهم نبي قال نعم ، اما بلغك كتاب رسول الله (ص) الى اهل مكة : ان اسلموا والا لانابذنكم الحرب ، فكتبوا الى النبي (ص) ان خذ منا الجزية ودعنا الى عبادة الاوثان ، فكتب اليهم النبي (ص) : اني لست آخذ الجزية الا من اهل الكتاب ، فكتبوا اليه يريدون بذلك تكذيبه زعمت انك لا تأخذ الجزية الا من اهل الكتاب وقد اخذتها من مجوس هجر ، فكتب اليهم النبي (ص) ان المجوس كان لهم نبي فقتلوه ، وكتاب احرقوه اتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر الف جلد ثور[16] .

---

(١١) حاشية اللمعة (باب الجهاد) ج١ ص٢٥٧ .

(١٢) الطوسي ، الخلاف ج ٢ ص٥٠٩ ط طهران .

(١٣) الحر العاملي ، الوسائل ج٦ ص٩٦ ط طهران .

(١٤) الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٧ .

(١٥) يبدو ان هناك تصحيفا في اسم كتابهم وقع في احدى الروايتين .

(١٦) الفيض الكاشاني ، الوافي ج٦ ص٤٨ ط طهران

ويتفق الفقه الظاهري اتفاقا كاملا مع وجهة النظر الامامية في شأن المجوس ، قال ابن حزم :

« واما المجوس فقد ذكرنا في كتاب الجهاد انهم اهل كتاب فحكمهم كحكم اهل الكتاب في كل ذلك . فان ذكروا ما رويناه عن طريق وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم الجدلي عن الحسن بن محمد « كتب رسول الله (ص) الى مجوس من أهل هجر يدعوهم الى الاسلام ، فمن اسلم قبل منه ، ومن لم يسلم ضربت عليه الجزية ، ولا تؤكل لهم ذبيحة ولا تنكح منهم امرأة » فهذا مرسل ولا حجة في مرسل .

ثم استمر مستشهدا يدلل على وجهة نظره قال :

حدثنا حمام حدثنا عبدالله بن محمد الباجي حدثنا أحمد بن مسلم حدثنا ابو ثور ابراهيم بن خالد حدثنا عبدالوهاب عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب انه سئل عن رجل مريض امرمجوسيا ان يذبح ويسمي ففعل ذلك فقال ، سعيد بن المسيب لا بأس بذلك وهو قول قتادة وابي ثور واستمر قائلا : قال أبو محمد : لم يفسح الله تعالى في اخذ الجزية من غير كتابي واخذها النبي (ص) من المجوس وما كان ليخالف امر ربه تعالى .

فان ذكروا قول الله تعالى : « ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » قلنا : انما قال الله تعالى هذا بنص الآية نهيا عن هذا القول لا تصحيحا له وقد قال تعالى: « ورسلا لم نقصصهم عليك »[17] .

●

الصابئة

وقد اختلف الفقهاء في الصابئة أيضا فذهب بعضهم الى انهم من اهل الكتاب .

قال ابو العالية والربيع بن انس والسدى وابو الشعثاء جابر بن يزيد ، والضحاك واسحاق بن راهويه: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور .

وقال ابو جعفر الرازي : بلغني ان الصابئين قوم يعبدون الملائكة ، ويقرؤن الزبور ، ويصلون للقبلة ، وكذا قال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة ، وفسر الرازي عبادتهم للكواكب

---

(١٧) ابن حزم ، المحلى ج ٤ ص ٥٣٥ .

بمعنى ان الله جعلهم قبلة للعبادة او الدعاء او بمعنى ان الله فوض تدبير امر هذا العالم اليها وبناء على هـذا حكم ابوحنيفة واسحق بحلية ذبائحهم وجواز مناكحتهم(١٨) .

قال أبو السعود « وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنـده ـ يعني أبا حنيفة ـ وقال اصحابه هم صنفـان صنف يقرؤون الزبور ، ويعبـدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتـابا ويعبدون النجوم ، فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب »(١٩) .

ويبدو ان بعضهم يلحق الصابئة بالنصارى ولا يرى فيهم ملة مستقلة ، قـال الحريري وهو يذكـر رأي الاحناف في ذبائح أهل الكتاب : « ولا فرق في النصراني بين ان يكون عربيا او تغلبيا او افرنجيا ، او ارمينيا او صابئيا اذا كان يقر بعيسى (ع)(٢٠) .

وجاء في المحرر في الفقه الحنبلي « ومن تدين بكتاب التوراة او الانجيل كالسامرة والفرنج والصابئـة الموافقة للنصارى فهو من اهله »(٢١) .

ويستقرب الشيخ محمد عبـده ذلك مؤيدا رأيه بما تعطيه المقـارنة بينهما من اشتراكهما في كثـير من العقائد والطقوس قال « اما الصابئون فان كانوا فرقة من النصارى كمـا يظهر من الوفاق بينهما في كثير من التقاليـد كالمعمـودية والاعتراف ، وتعظيم يوم الاحـد فالامر ظاهر أن حكمهم كحكمهم ، وان كان الخلط عندهم اكثر والبعد عن الاصل اشد حتى انهم اعتقـدوا تأثير الكواكب ، واحاطت بهم البدع من كل جانب على انهم اقرب الى روح المسيحية مـن النصارى ، فان عندهم من الزهـد والتواضع اللذين يفيضان من كـل كلمة تؤثر عن المسيح (ع) والنصارى صاروا اشد امم الارض عتوا وطمعا ، واسرافا في حظوظ الدنيا(٢٢) .

ونقل عن الحسن البصري انـه يلحقهم بالمجوس(٢٣) .

---

(١٨) ابن كثير ج١ ص١٠٤ .
(١٩) ابو السعود ، التفسير ج٢ ص٧ .
(٢٠) الحريري ، عبدالرحمن ، الفقه على المذاهب الاربعة ج٢ ص٢٣ ط٥ .
(٢١) مجدالدين ابو البركات ، المحرر في الفقه ج٢ ص١٨٣ .
(٢٢) محمد رشيد رضا ، المنار ج١ ص٣٣٧ .
(٢٣) ابن كثير ، التفسير ج ١ ص١٠٤ .

ويذهب قسم آخر من الفقهاء الى ان الصابئة ليسوا من اهل الكتاب فلا تشملهم احكامهم ومن هؤلاء سفيان الثوري ، وعطاء وسعيد بن جبير وغيرهم فقد نقل عنهم « ان الصابئين قوم بين المجوس واليهود ، والنصارى، ليس لهم دين » .

وممن افتى بكفرهم ايضا ابو سعيد الاصطخرى[٢٤] وقد ورد ذلك عن اهل البيت (ع) أيضا جاء في تفسير القمي قال قال (ع) الصابئون قوم لا مجوس ولا يهود ، ولا نصارى ، ولا مسلمون ، وهم يعبدون النجوم والكواكب[٢٥] .

والى ذلك يذهب فقهاء الامامية ، فيحكمون بكفرهم ولا يرتبون عليهم شيئا من الاحكام الخاصة بأهل الكتاب .

قال الشيخ الطوسي رحمه الله « الصابئة لا تؤخذ منهم الجزية ولا يقرون على دينهم وبه قال أبو سعيد الاصطخري .

وقال باقي الفقهاء انه تؤخذ منهم الجزية .

ومضى الشيخ اعلى الله مقامه يسرد ادلته : دليلنا اجماع الفرقة واخبارهم، وأيضا قوله تعالى « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وقال تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » ولم يؤمر باخذ الجزية منهم . وايضا قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ... الى قوله من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فشرط في اخذ الجزية ان يكونوا من اهل الكتاب ، وهؤلاء ليسوا باهل الكتاب[٢٦] .

ومن الواضح ان ما ساقه الشيخ (رحمه الله) من ادلة غير ناهض باثبات رأيه في هذا المجال فليس اجماع الفرقة - لو ثبت - في شبهة موضوعية كهذه - حجة يلزم الاخذ بها ، الا اذا اتصل بالمعصوم (ع) وهذا ما لا يمكن اثباته .

اما الاخبار فليس ثمة ما يمكن ان يعتمد من هذه الناحية فهي ما بين مضمرة ومرسلة كالذي ذكرناه سابقا عن تفسير القمي (ره) .

اما عدم الامر بأخذ الجزية منهم - كما يذكر الشيخ - فقد يكون

---

(٢٤) ابن كثير ج١ ص١٠٤ .
(٢٥) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان .

(٢٦) الطوسي ، الخلاف ، ص ٥١٠ ج٢ ط طهران ١٣٨٢ .

لمجرد عدم مواجهتهم ، وبالتالي انتفاء الحاجة لبيان ذلك . بقيت الآيات التي تذكر « المشركين » و « الذين كفروا » و « الذين لا يؤمنون بالله » ومن الواضح انها لا تثبت ان الصابئة مشمولون لها ، اما الآية التي تذكر ان الجزية ، تؤخذ من اهل الكتاب فهي لا تخرج الصابئة عنهم ، فنحن في حاجة اذن الى دليل آخر يثبت المدعى على ان القرآن الكريم يعدهم فئة مقابلة للذين اشركوا قال تعالى :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ، والمجوس ، والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة » .

رأي صاحب المنار

ويذهب صاحب المنار الى ان مفهوم اهل الكتاب يشمل مضافا الى المجوس، والصابئة غيرهم من البراهمة والبوذيين ، والكنفوشيوسيين قال بعد الآية السابقة :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا » ... الخ .

فهذا العطف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والمجوس طائفتين مستقلتين ليستا من الصنف الذي يعبر عنه الكتاب بالمشركين وبالذين اشركوا ، وذلك ان كلا من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون انها الهية ، ولكن بعد العهد ، وطول الزمان ، جعل اصلها مجهولا لنا ، ولا يبعد ان يكون من جاءوا بها من المرسلين لان الله تعالى يقول :

(انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا، وان من امة الا خلا فيها نذير) وقال « انما انت منذر ولكل قوم هاد » .

وانما قويت الوثنية فيهم لبعد العهد بانبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى « الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما انزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

ومعلوم ان فسق الكثير من اهل الكتاب عن هداية كتبهم ، ودخول نزعات الوثنية في عقائدهم لا يخرجهم عن الصنف الذي يطلق عليهم لفظ المسلمين ، ولفظ المؤمنين .

ثم يجيب عما قد يحدث من تساؤل لترك القرآن لذكرهم « والظاهر ان القرآن ذكر من اهل الملل القديمة الصابئين ، والمجوس ،

ولم يذكر البراهمة ، والبوذيين واتباع كونفوشيوس لان الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند العرب الذين خوطبوا بالقرآن اولا لمجاورتهم لهم في العراق ، والبحرين ، ولم يكونوا يرحلون الى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخرين والمقصود من الآية حاصل بذكر من ذكر من الملل المعروفة فلا حاجة الى الاغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون في عصر التنزيل من أهل الملل الاخرى[٢٩] .

والحق ان الامر فيما عدا اليهود والنصارى والمجوس ، والصابئة الذين ذكروا في نصوص خاصة من الكتاب ، والسنة مكنتنا من تحديد الموقف منهم غير واضح ، فليس لنا ان نخرجهم ابتداء ما دامت ليست هناك نصوص تقصر مفهوم اهل الكتاب على امم معينة ، وليس لنا ايضا ان ندخلهم لمجرد علمنا اجمالا ، ببعثة انبياء كثيرين من قبل الله في الامم السالفة ، وانما يلزمنا ان نبحث المسالة ، كموضوع من الخارج ، ليتاكد لنا تاريخ كل امة من هذه الامم ، وتتضح لنا عقيدتها .

ولا عبرة بما عليه الامة المدروسة من واقع فعلي منحرف ، فهذا شأن الامم التي يبعد بها العهد ، وليس هناك من يشك بأن اليهود والنصارى والمجوس ، بعدوا بعدا كليا عن دينهم السماوي ، وحرفوا مفاهيمه ، واحكامه وان من يدرس واقعهم القائم يكاد ينكر صلتهم بدين الله الا ان الاسلام عاملهم مع ذلك على أساس انهم اهل دين واذن فواقع الامة القائم لا يتخذ أساسا للحكم عليها وانما علينا ان نفحص ، فاذا ما ثبت لنا ، ان لهم دينا سماويا في الاصل ونبيا مبعوثا من قبل الله عاملناهم على هذا الاساس شأن المجوس والعكس بالعكس .

(٢٩) محمد رشيد رضا ، المنار ج٦ ص١٨٨ .

قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون .

« قرآن كريم »

دستور اسلامي للسودان

ادلى السيد اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة السوداني بتصريح حول الدستور الاسلامي جاء فيه :

ان دعوتنا للدستور الاسلامي وقيامه في السودان نبعت أساسا من ايماننا العميق بمبادىء العقيدة الاسلامية الحقيقية السمحة وهو ايمان ثابت وراسخ الى يوم الدين ، ولن يتبدل او يتغير لانه ايمان يعبر عن تمسك شعبنا المسلم القوي بمقدساته بكل ما فيها من مثل عليا ، وقيم واقية . وان العقيدة الاسلامية كانت وستظل هي الدستور الذي يكيف حياتنا الاجتماعية والسياسية ، وانه لمفخرة أن نرفع شعار الدستور الاسلامي ، ونناضل من أجل تحقيقه وبقائه . واضاف سيادته يقول ان لنا تخطيطنا المفصل لاقرار دستورنا الاسلامي ، وكسب أكبر قدر من التأييد له واننا لواثقون من نجاح تخطيطنا والعبرة بالنتائج وقال : انه ليسرني شخصيا أن اسهم في وضع الدستور الاسلامي موضع التنفيذ في بلادي التي احبها وأن أرى مواطني يعيشون تحت كنف الدستور الاسلامي وعدالته الاجتماعية ، وروحه السمحة ، والتي اضاءت انواره العالم فأفاضت عليه الرحمة والمحبة والامن والسلام .

واختتم السيد الازهري تصريحه بقوله : انني لارجو من كل الجهات المعنية ان لا تتخذ من موضوع اقرار الدستور الاسلامي مناورة سياسية بالشكل الحزبي فالدستور الاسلامي اكبر من أن يكون موضعا للمناورات السياسية والدعوة الحزبية ولندعو الله جميعا مخلصين له الدين أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل ، وأن يدعم استقلالنا وحرية بلادنا بقوة من عنده انه هو القوي العليم .

جريدة السياسة الكويتية
٢ محرم ١٣٨٧هـ

٨٠ نائبا يوقعون للدستور الاسلامي

بلغ عدد النواب الذين وقعوا اقتراحا يقضي بالزام لجنة وضع مسودة الدستور بالاسلام في نطاقه بلغ ثمانين نائبا حتى ٢٤ رمضان ٨٦ كما نقلته جريدة الميثاق الاسلامي في حينه وصرح السيد محمد صادق الكاروري « الميثاق » بأن الاتجاه الى وضع الدستور الاسلامي يجد تأييدا قويا من كل الكتل البرلمانية ، وأضاف السيد الكاروري يقول : ان العدد الذي سوف يؤيد الدستور الاسلامي ، سيكون أغلبية ساحقة .. هذا وسيتقدم السيد الكاروري باقتراحه الرامي الى الزام لجنة الدستور القومية بالاسلام الى الجمعية التأسيسية بعد أن تستأنف نشاطها عقب اجازة العيد .

جريدة الميثاق الاسلامي

الخرطوم

سنفرض الدستور الاسلامي بالقوة

قال الامام الهادي المهدي زعيم طائفة الانصار وراعي حزب الامة السوداني : انه سيفرض الدستور الاسلامي بالقوة اذا فشل نواب الجمعية التأسيسية في اقراره عند عرضه عليها . جاء ذلك في خطاب سياسي القاه الهادي المهدي في جماهير من طائفة الانصار كان يقدر عددهم بأربعين الفاً خلال فترة عيد الفطر .

واضاف الامام الهادي المهدي قائلا : انه لا مكان للشيوعيين بين صفوفنا ، وأشار الى القضية الدستورية التي اثارها حل الحزب الشيوعي فقال انه لا يعترف بالحكم الذي صدر عن المحكمة العليا بعدم شرعية حل الحزب .

جريدة المنار البغدادية

٦ شوال ١٣٨٦

تهيأت الاسباب لوضع دستور اسلامي بالسودان

منحت جامعة الخرطوم الرئيس اسماعيل الازهري ـ الدكتوراه الفخرية بالقانون ـ في حفل توزيع الدرجات العلمية الكبرى التي شملت مختلف الحقول .

ويذكر ان فخامة السيد الازهري قد تحدث في الرابع عشر من هذا الشهر ، وفي حفل افتتاح المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم فقال : انني انتظر أن يجيء اليوم الذي تسود فيه كلمة الاسلام ، ويكون دعاة الاسلام هم السادة المكرمون .. وأرجو أن يتمكن الاسلام من شق طريقه في السودان وفي افريقيا والعالم .

جريدة « اخبار العالم الاسلامي » مكة المكرمة

٢٥ في ذي القعدة ١٣٨٦

ثورة اسلامية في الصين

لم يعد خافيا على العالم كله ما يعانيه المسلمون في الصين من الظلم والاضطهاد تحت ظل العسف الشيوعي ، والحكم الارهابي الذي يقاسيه الشعب الصيني كله في تلك البلاد الحمراء ، وقد تواترت الاخبار في فترات متعاقبة عن سوء أحوال المسلمين ، في البلاد الصينية الشيوعية ، وما ينصب عليهم من الأذى وما يتعرضون له من الضغط سواء في معيشتهم واحوالهم الشخصية او في عقائدهم الدينية .

وقد وافتنا الأنباء في الأيام الاخيرة ، باخبار قيام ثورة اسلامية في تلك البلاد ، هذا ملخصها .

بكين ـ الوكالات ـ دفع المسلمون في الحي الاسلامي في بكين نشرات جدارية هاجموا فيها النظام الشيوعي ، ودعوا المسلمين الى نفض السيطرة الصينية عنهم . وقالت نشرات جدارية أخرى « الموت في سبيل المسلمين عظيم اما الموت في سبيل الصينيين فلا شيء » و « المسلمون جميعا عائلة واحدة وهم يضعون الدين فوق الوطن » .

وقد جاءت هذه النشرات في أعقاب هجمات ضد الحراس الحمر وأنصار ماوتسي تونغ زعيم الحزب الشيوعي الصيني ذكر انها بقيادة « جيش الثورة الاسلامي » ، وهي منظمة حملت عليها صحف بكين بعنف ووصفتها بأنها معادية

للثورة ، وعدوة ماو ، والحزب الشيوعي ، واتهمتها بأنها « تضع الدين فوق الوطن » .

اشتباكات دامية

وذكرت انباء وصلت هذا الاسبوع الى هونغ كونغ أن المسلمين الصينيين في بكين اشتبكوا في معارك دامية مع الحراس الحمر ، ورجال الشرطة الشيوعيين في شهري كانون الثاني ، وشباط الماضيين .

وقالت انباء اكثر من ٤٠٠ مسلم من سكان بكين هاجموا مركز الشرطة في الحي الاسلامي بالهراوات والحجارة ، واختر قوا صفوف الشرطة وحاصروا المركز عدة ساعات واجبروا السلطات على الافراج عن عدة مسلمين كانوا قد اعتقلوا قبل ذلك بتهمة معاداة ماو وثورته الثقافية .

وقالت هذه الانباء ان حوالي ٨٠٠ مسلم اقتحموا في مطلع شباط الفائت احدى دوائر الامن العام الموالية لماو في الحي الاسلامي وبعد تحطيم محتوياتها هاجموا الحراس الحمر الذين كانوا قد احتلوا مسجدا اسلاميا وذكر ان المسجد اصيب باضرار جسيمة قبل ارغام الحراس الحمر على الفرار .

وعلم ان المسلمين ضربوا عشرات من الحراس الحمر ، ومزقوا نشرات جدارية وصورا للطلاب .

اخبار العالم الاسلامي ـ مكة المكرمة

١٦ ذي الحجة ١٣٨٦هـ

مجلس استشاري للمسلمين في الهند

ان النداءات والتوجيهات لا تغني الا اذا رافقتها الصرامة ، وان النجاح دائما يكون في جنب المجتهد الصارم ، وان الفشل دائما يكون في جنب المترهل الضعيف وهذه سنة الحياة في تاريخ العالم وعلى هذا الاساس انشأ المسلمون أخيرا في الهند مجلسا استشاريا ضم ممثلين عن حزب رابطة المسلمين التي هاجر معظمها الى باكستان وتقلص بعضها فبقي في جنوبي الهند وحزب الجماعة الاسلامية في

الهند ، جمعية علماء الهند وغيرها .

واما الذي قام به هذا المجلس كأول عملٍ من اعماله فهو اعادة الثقة والجرأة في نفوس الاقلية الاسلامية التي اصبحت منهارة الثقة والهمة لما كانت تلقت من صدمات معنوية ومادية في المجالات جميعا (باختصار عن مجلة الايمان المغربية) (العدد ٩ السنة الثالثة) .

جماعة النور كما عرفها أساتذة جامعة تركيا

عندما اعلن مصطفى كمال اتاتورك علمانية تركية ، وقضى على مظاهرها الاسلامية ، وحاول تغريبها شكلا ومحتوى ، تسانده في ذلك الدول الكافرة ، ويدعمه جهل الامة بالاسلام ، نهض عالم مسلم كردي الاصل هو سعيد النورسي الذي اطلق عليه بديع الزمان يقابل المنكر هناك ، ويجمع قوى الامة في عملية جهادية رائعة والف لهذا الغرض مجموعة من الرسائل يشرح فيها مفاهيم الاسلام وانظمته ، فقامت على هذه الرسائل حركة ما برحت تنتشر ويكثر اتباعها في تركيا ، وكان لهذه الجماعة اثر في مجرى الاحداث هناك وعندما قدمت الحكومة جماعة النور الى المحاكم رغبت أن تعرف شيئاً عنهم فكلفت لجنة من اساتذة الجامعة لدراسة الحركة ورفع تقرير عنها فرفعت التقرير التالي :

« تغلب عليهم الصبغة الدينية اوهم مظهر من مظاهر الحركات الدينية الخالصة ، وهي دعوة شاملة لجميع المسلمين ، تدعو المسلمين ليغيروا تفكيرهم حتى يطابق التفكير الاسلامي وهم يدعون الناس الى تفهم القرآن الكريم ، وأن يتخلقوا باخلاق الاسلام ، وحين تصبح عقولهم وقلوبهم مطابقة لتعاليم الاسلام يدعون يومها طلبة النور .

وهم جماعة متساندة متعاونة تحاول درأ اي خطر قد يمس جماعتهم .

والخلاصة هي جماعة رائدها الاخلاص متمسكة بحبل الله المتين مستعدة للجهاد في سبيل الله وفي سبيل اقامة شرع الله في الارض وفي سبيل اقامة وحدة اسلامية مع البلدان الاسلامية عامة والعرب بصورة خاصة .

وهم ليسوا من اولئك الذين يؤمنون بترك نعم الحياة وينفرون من العمل

في السياسة ، والاكتفاء بالحياة الأخرة دون الحياة الدنيا ، ويتبعون لذلك الانزواء البعيد عن الحياة .

كلا . فهم ليسوا من هؤلاء المنعزلين في سبيل الوصول الى الهدف . ولكنهم جماعة يحبون العمل والحركة ، ويستعدون لأعلان الجهاد المقدس في سبيل اعلاء كلمة الله في الارض ، ولذا فهم يحرصون على تربية افرادهم تربية روحية وعقلية كاملة بحيث تصبح الشهادة في سبيل العقيدة مطلبهم الرئيسي .

وهم لن يلجأوا الى تغيير الاوضاع بالقوة ، ولكنهم سيمهدون لهذا التغيير بالامور الدعوية المعنوية حتى يعم الوعي وينتشر نور الاسلام في كل مكان .

ويجب عدم التفريط باي جهد مادي او معنوي في سبيل اتحاد كلمة المسلمين . وعلى الدولة ان تطبع رسائل النور ، وأن توزعها حتى تكون الدعامة الفكرية الاولى ، في سبيل حرب الشيوعية ، وافكارها ، وهذه الحركة تغاير كثيرا تلك الحركات التي تحاول توجيه نفسيات الافراد نحو الهروب من هذه الحياة الدنيا والتعلق بالمجهول فقط حيث أن هذا الهروب بعيد كل البعد عن التصور الاعتقادي الاسلامي ، وهو بعيد كذلك عن عرف المسلمين وعاداتهم الصحيحة ، ولن تكون الهروب من واقع الحياة طريقا للاصلاح في وقت من الاوقات . وحركة النور في تركيا ... تعرف ان الاحكام الاسلامية وما يتصل بها من قوانين حقوقية خاصة بالدولة قد استبدلت باحكام مدنية ولا دينية ... وهي تعلن انها تستنكر هذا الامر .

وطلبة النور يؤمنون انه لابد لهم من جماعة يعملون معها وأن تكون هذه الجماعة هي عملية الانقاذ لهذه الامة .. ولابد لطلبة النور من الاستكمال بعلم الوحدة ، وأن يضموا الساعد الى الساعد باخوة عالية ، وتصميم اكيد وأن يتدارسوا رسائل النور في كل وقت ، وأن يضموا اليهم شباب الامة ، وأن يبذلوا في سبيل هذه الاهداف كل جهد مادي ومعنوي .

فاهداف حركة النور اذاً تتلخص في العمل على اتحاد المسلمين وتحقيق الجهاد المقدس الاكبر بالوسائل المعنوية والمحافظة على مقدسات الامة التركية .

ولن يكون توحيد المسلمين بالقسر والحرب ولكن يكون بالفهم والادراك ونشر رسائل النور في كل مكان حيث يتخذون لهم مراكز في تركيا وفي خارجها مثل باكستان والعراق وسوريا وحتى في البلدان غير المسلمة مثل المانيا وامريكا ، وفعلنا ينشرون فيها رسائل النور ، وينشرون الفكر الاسلامي ، واخيرا فحركة النور هي حركة سلفية تدعو المسلمين للاخذ بالنبع الاصيل وهو القرآن والاقتداء بسنة الرسول الكريم واصحابه الكرام البررة .

وهي واثقة من أن الاسلام قادر على ايجاد كافة الحلول لكل ما يجد من امور في هذا الزمان وغيره من الازمان ومن المؤكد ان هذه الحلول ستفوق في قيمتها وحكمتها حلول الانظمة الوطنية الموجودة الآن والسلام .

التواقيع

البروفسور	البروفسور	البروفسور
حميد طوبجو اوغلو	فاروق آدام	نشأت جاغاتاي

عن جريدة الشهاب اللبنانية
العدد الخامس ـ السنة الاولى
٢١/شوال ١٣٨٦

١٢ الف لاجيء ارتيري في السودان

لا زال العنف الاستعماري الذي يمارسه اسد يهوذا ، والدماء التي يريقها على ارض ارتيريا المسلمة ، حقدا ووحشية لا يزال هذا العنف مستمرا دون ان يجد صدى استنكار من قبل تلكم الدول التي تملأ العالم ضجيجا بدعوى حمايتها للسلام ، ودفاعها عن الحرية ، فقد اعلن وزير الداخلية السوداني ان حوالي الف لاجيء من ارتيريا قد دخلوا الاراضي السودانية خلال الايام الماضية ، وان عدد اللاجئين من ارتيريا الى السودان قد بلغ حتى الآن ١٢ الف لاجيء .

جريدة اخبار العالم الاسلامي ـ ٢٣ في ذي الحجة ١٣٨٦هـ

لغـة القرآن

وضع الدكتور عمر فروخ كتابا اسماه «لغة القرآن» بالانجليزية والفرنسية .الدكتور فروخ من كبار الادباء والباحثين في لبنان ، واحد مؤلفي كتاب « التبشير والاستعمار » ، وقد اسدى بهذا الكتابين خدمة كبيرة للاجانب الذين يرغبون في فهم معاني القرآن .

كلية اسلامية في لندن

قررت هيئة المعارف الاسلامية في لندن انشاء كلية اسلامية نموذجية وذلك للاحتفاظ بالطابع الاسلامي ، والآداب الدينية في المراحل العليا للتعليم العصري الامر الذي يقصد لأجله عدد كبير من ابناء المسلمين الى اوربا وامريكا .

والجدير بالذكر ان الهيئة المذكورة نجحت في أن تقيم في القسم الداخلي ، للطلبة المسلمين قاعة للصلاة ، والمحاضرات الاسلامية ، واعلن السيد افتخار رئيس الهيئة ان الحكومة البريطانية قد منحت رخصة رسمية لانشاء الكلية الاسلامية في لندن بدون تعرض في المقررات الدراسية ونظامها الخاص ، والمعلوم ان الكلية ستكون مرتبطة بجامعة لندن ، بدون تقيد في مناهجها ومقرراتها الدراسية !

اعتقال العلامة المودودي

لاهور ـ اصدر الاستاذ طفيل محمد امير الجماعة الاسلامية باكستان بيانا عن اعتقال الشيخ ابي الاعلى المودودي قال فيه انه نقل الى مدينة « بنون » المتاخم لحدود افغانستان ووضع في دار الضيافة هناك الأمر الذي يشكل خطرا على حياته. وقد حمل البيان الجهات المعنية مسئولية اي ضرر يتعرض له الشيخ المودودي وطالبها بأتخاذ الاجراءات الكفيلة بحراسته .

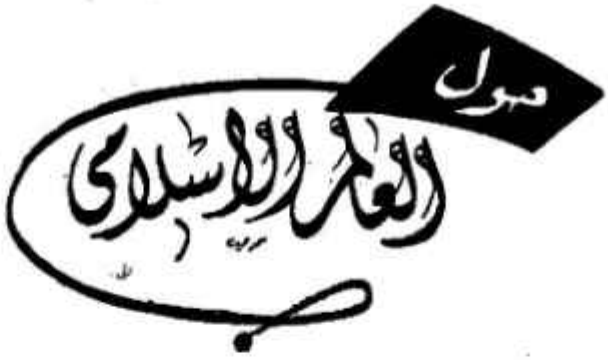

شنقيط

دراسة اي قطر من اقطار العالم الاسلامي تعطي صورا ، واضحة لأثر الاستعمار فيه ، فالتقسيمات الجغرافية للحدود السياسية ، لكل بلد من بلدانه ، وضعت بحيث تؤدي الى مشاكل دائمة ، مشاكل اقتصادية ، او مشاكل اقليمية او قومية الخ • بحيث تبقى لقدمه موضعا ثابتا تتبدل فيه الأشكال ، ويبقى الجوهر •

وشنقيط مثال بارز من امثلة دهاء الاستعمار واساليبه في التخطيط لخلق المشاكل التي تؤدي الى بقاء نفوذه الى ابعد مدى ممكن •

نلاحظ مثلا تدخل الاستعمار حتى في تبديل اسم البلاد امعانا في فصل البلاد عن تاريخها قبل غزوهـا من قبل الاستعمار ، وربط اهل البلاد نفسيا بالعلاقات التي اسسها هو اثناء وجوده فيها •

فالبلاد اسمها شنقيط غزاها الاوربيون ، واسمها (موريتانيا) وهي تقريبا بلاد « السمر » على اعتبار أن بشرة سكانها سمراء خلافا لكثير من البلاد المجاورة لها التي يسكنها الزنوج والجيل الجديد ، ينشأ في دويلة تسمي نفسها «موريتانيا» يتربى على تقديس استقلال بلاده ، ويتربى على احترام علم بلاد موريتانيا ، وينفصل بذلك عما كان جيل آبائه مجبولين عليه من احترامهم لعلاقات الاخوة بينهم وبين الاقطار الاسلامية وينسى ولاء جيل آبائه للدولة التي يعتقدون بها انها تتصف بالاسلام ، وتحمل لواءالاسلام • ينسى هـذا ويتمسك بافكار انفصال المسلمين بعضهم عن البعض الآخر ، او ما يسمى بالاستقلال •

والاستقلال هذا له مداليل كثيرة ، احد مداليله في العالم الاسلامي هو الانفصال عن الاستعمار ، ويرتفع معنى الاستقلال بهذا المدلول الى حد التقديس والى مدى بعيد وعميق في نفوس جميع الناس ، ولكن الاستعمار بدهائه وخبثه يبدل صورة علاقته في البلد الاسلامي من علاقة مباشرة الى علاقة غير مباشرة ، ويوحي لأهل البلاد بأن الشعار المقدس « الاستقلال » قد تحقق ، ويوحي ايضا بوسائله الخبيثة غير المباشرة ، بأن عمل المخلصين من أهل البلاد هو للمحافظة على هذا المكسب العظيم لا عن الاستعمار بل حتى عن البلاد الاسلامية ، نفسها التي تقوم على نفس القاعدة ونفس الاتجاه .

وهنا يتحول هذا الشعار الى شعار انفصالي ، وبهذا الاسلوب الخبيث نجح الاستعمار في تمزيق العالم الاسلامي شر ممزق .

التيارات السياسية في موريتانيا

فصل الفرنسيون شنقيط عن المغرب اذ كانت ولاية تابعة لها وبعد أن غزوها اتبعوها الى حكمهم المباشر في السنغال سنة ١٩٠٣ وفي سنة ١٩٥٨ وهبت فرنسا الاستقلال لبلاد شنقيط ضمن الاتحاد الفرنسي تحت أسم الجمهورية الاسلامية الموريتانية ، وخلقت بذلك مشكلة سياسية جديدة في شمال افريقيا من العالم الاسلامي نسمع صداها بين آونة واخرى في الاخبار السياسية .

يتوزع الناس في موريتانيا الى ثلاثة تيارات سياسية تيار استقلالي يريد الحفاظ على العهد مع فرنسا ، وتيار يريد الانضمام الى المغرب مركز الولاء الديني لسكان البلاد ، وتيار يريد الالتحاق باتحاد مالي يمثل هذا التيار المثقفون من الاقلية الزنجية في البلاد على الضفة الشرقية من نهر السنغال ، بينما يمثل التيار الثاني اكثرية السكان وهم عرب وعلى هذا يعتمد الساسة المغربيون في مطالبتهم بضم شنقيط الى المغرب بالاضافة الى كون شنقيط كانت ولاية تابعة لسلاطين المغرب قبل الاستعمار الفرنسي ، ولهذه المشكلة اشباه ونظائر في القارة الافريقية بين الصومال وكينيا والصومال والحبشة وبين غانا وتوجو ... الخ

وهناك اجزاء من شنقيط يحكمها الاسبان مباشرة كمقاطعة الساقية الحمراء

والتي تطالب بها حكومة المغرب ايضا .

هذه المشاكل واشباهها يعمل المسلمون على حلها بعقلية الاستعمار ومفاهيم الاستعمار ، واساليبه التي خطهالنا . فالمفاوضات بهذه العقلية لا تنتج ابدا ، وتحل هذه المشاكل بمنطق القوة سواء اكانت قوة سياسية ام قوة مسلحة .

والمسلمون يجب ان يطيعوا الله في حل مشاكلهم مع الاعداء باستعمال منطق القوة اذا لزم ذلك ، واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، فالقوة هي التي اوجدت الكيان الاسلامي العظيم والقوة هي التي مكنت اوربا من استعباد العالم الاسلامي وتمزيقه والقوة هي التي تطردهم ، وتوحد العالم الاسلامي مرة اخرى .

بدء الدعوة الاسلامية في شنقيط

انتشر الاسلام من الشمال الافريقي عبر الصحراء الى قلب افريقيا عن طريق بعض قبائل البربر الرحل وكانت التعاليم التي وصلت الى هناك قد فقدت كثيرا من اصالتها ، واختلطت بالتقاليد الوثنية التي تعيش في تلك البيئات ، وفي سنة ١٠٣٣م سافر امير البرابرة الامير يحيى بن ابراهيم الى مكة لاداء فريضة الحج ، فوجد البون الشاسع بين ما سمعه من تعاليم اسلامية وبين ما يعرفه المسلمون في بلده فرجع الى بلده بروحية داعية اصلاحي ، وارتطم هناك بمعارضة الاهلين لعدم اتباعه اساليب ملائمة لعقلية الاهلين فقرر الالتجاء الى العزلة والاعتكاف بعد اليأس . وكان هذا الاسلوب غير المقصود ذا تأثير عظيم على الناس هناك ما تنبهوا اليه حتى تهافتوا على الانضواء تحت قيادته فقام بدعوته الاسلامية ، وأسس دولة المرابطين التي تغلغل نفوذها داخل افريقيا ، وانتشر الاسلام في تلك الربوع .

دستور البلاد

نرى دستور موريتانيا يعطي صورة عن تشابك عدة قضايا متناقضة ، فالفرنسيون يريدون من ناحية بقاء نفوذهم كما انهم من ناحية اخرى يريدون ارضاء مطامح ، ورغبات اهل البلاد .

يقول المشرع الفرنسي في مقدمة الدستور الموريتاني :

يعلن الشعب الموريتاني متوكلا على الله ارادته أن تضمن وحدة اقليمه ويؤمن حرية تطوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ويؤكد تمسكه بدينه وبتقاليده ، وبحقوق الانسان ، ومبدأ الديموقراطية كما حددها تصريح سنة ١٧٨٩ • وعممها تمهيد دستور سنة ١٩٤١ • وتأكدت في دستور يوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٥٨ وبهيئة الجامعة الفرنسية الافريقية التي اشترك فيها بحرية ونلاحظ من هذه المقدمة ما يلي :

١ ـ التأكيد على انفصال شنقيط عن اي قطر اسلامي مقابلة لمطالبة المغرب بضمه اليه كما كان قبل الاستعمار الفرنسي •

٢ ـ وضع كلمة تطور اقتصادي وسياسي يعنى منع الناس في شنقيط من اي عمل لا يرضى فرنسا على اعتبار أن مرحلة التطور السياسي والاقتصادي بعد لم تصل هذه النقطة •

٣ ـ التزلف لمسلمي شنقيط بذكر اسم الله العظيم ، واسم الدين الاسلامي والتقاليد •

٤ ـ ربط شنقيط بنصوص دستورها بالمفاهيم السياسية والاجتماعية الغربية، وبنصوصها الفرنسية خاصة •

٥ ـ ربط شنقيط بفرنسا بنص الدستور على انه عضو الرابطة الفرنسية الافريقية ، ويظهر ذر الرماد في العيون بذكر الاشتراك بحرية في هذه الرابطة •

ويقول في المادة الاولى :

موريتانيا جمهورية غير قابلة للتقسيم ديموقراطية واشتراكية اسمها الجمهورية الاسلامية الموريتانية •

ويقول في المادة الثانية •

دين الشعب الموريتاني هو الاسلام

ويقول في المادة الثالثة : اللغة الوطنية في موريتانيا هي العربية واللغة الرسمية هي الفرنسية •

ويقول في المادة الثالثة والاربعين :ـ ستبقى مراقبة القضاء من اختصاصات الجامعة الفرنسية الافريقية الى أن يظهر الشعب الموريتاني بقرار من جمعيته ، رغبة في توليها ، ويقول في المادة ٤٤ : الشريعة المدنية لموريتانيا تتحرى وتحكم حسب الفقه الاسلامي في جميع المواد المدنية والتجارية .

ونلاحظ في هذه المواد اظهار الاسلام كمعتمد قانوني في البلاد لكن القضاء يبقى باشراف فرنسا ، ونرى ذكر الاشتراكية والديموقراطية مراعاة للتيار السياسي السائد في العالم العربي ، وذكر اسم الجمهورية الاسلامية الموريتانية ارضاء لعامة الناس الذين يوالون ملك المغرب على اعتباره السلطان الاسلامي ، وصرف ولائهم للجمهورية الاسلامية ، ونلاحظ كذلك أن اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية اي ان لغة الثقافة في المدارس واللغة المستعملة في الدوائر الرسمية هي اللغة الفرنسية مع الاعتراف بأن اللغة العربية هي اللغة الوطنية ، وهو تقرير لواقع الناس على اعتبار ان لغة التخاطب بينهم هي اللغة العربية .

الثروة في شنقيط

شنقيط بلد اكثره صحراوي واقله اراضي صالحة للزراعة على شاطىء نهر السنغال .

الثروة الزراعية تتمثل في أكثر من خمسة ملايين نخلة تنتشر في الواحات وارضه تنتج حوالي نصف مليون طن من القمح ، ويقل عن هذا المقدار انتاج الشعير ، وهناك تزرع بعض الحبوب الاخرى .

وشنقيط غنية بالمواشي ففيها اكثر من سبعة ملايين رأس غنم واكثر من مليون رأس بقر ، وحوالي مليون من الابل عدا الحيوانات الاليفة الاخرى .

وفيها من المعادن النحاس ، والحديد وما لا تعلم مما تخبئه صحراء شنقيط من معادن دفينة .

بينما المنصور في الطواف بالبيت ليلا اذ سمع قائلا يقول : اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض ، وما يحول بين الحق واهله من الطمع • فخرج المنصور فجلس بناحية من المسجد ، وارسل الى الرجل يدعوه • فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الارض ؟ • وما الذي يحول بين الحق واهله من الطمع ، فوالله لقد حشوت مسامعي ما اومضني • فقال ان أمنتني يا أمير المؤمنين اعلمتك بالامور من أصولها والا احتجرت واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل • قال فأنت آمن على نفسك فقل • فقال : يا أمير المؤمنين ، انالذي دخله الطمع وحال بينه وبين ماظهر فيالارض منالفساد والبغي لأنت فقال: فكيفذلك ويحك! يدخلنيالطمع والصفراء والبيضاء فيقبضتي والحلو والحامض عندي ؟ • قال : وهل دخل احد من الطمع ما دخلته ، ان الله استرعاك امر عباده واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحراسا معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك عنهم فيها • وبعثت عمالك في جبايات الاموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع وامرت أن لا يدخل عليك احد من الرجال الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير اليك ، ولا احد الا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا دونك ، تجبى الاموال وتجمعها ، قالوا : هذا قد خان الله فمالنا لا نخونه فأتمروا أن لا يصل اليك من علم اخبار الناس شيء الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل خالفه امرهم الا خونوه عندك وقفوه حتى تسقط منزلته عندك فلما انتشر ذلك

عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم فكان اول من صانعهم عما لك بالهدايا والاموال ليقووا بها على ظلم رعيتك • ثم فعل ذلك ذوو المقدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم من دونهم ، فامتلأت بلاد الله ظلما وبغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وانت غافل ، فان جاء متظلم حيل بينك وبينه •

فان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، واقفت رجلا ينظر في مظالمهم ، فان جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سالوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته اليك •

فان كنت انما تجمع المال لولدك ، فقد اراك الله عبرا في الطفل يسقط من بطن امه ما له على الارض مال وما من مال الا دونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس اليك ، ولست الذي تعطي بل الله الذي يعطي من يشاء ما يشاء وان قلت انما تجمع المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها ، فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة ، لا تدرك الا بخلاف ما انت عليه •

يا امير المؤمنين • هل يعاقب من عصاك باشد من القتل ؟ فقال المنصور : لا ، فقال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود في العذاب الاليم ؟ • قد ارى ما عقد قلبك وعملته جوارحك • ونظر اليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت اليه رجلاك لا يغني عنك ما شحت عليه ملك الدنيا اذا انتزعته من يدك ودعاك الى الحساب ؟

قال ـ فبكى المنصور ، ثم قال : ليتني لم اخلق ، ويحك فكيف احتال لنفسي ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، ان للناس اعلاما يفزعون اليهم في دينهم ويرضون بهم في دنياهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك • وشاورهم في امرك يسددوك ، قال ـ فقد بعثت اليهم فهربوا مني ، قال ـ خافوك أن تحملهم علي طريقتك ، ولكن افتح بابك • وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات من حلها واقسمها بالحق والعدل على اهلها ، وانا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الامة •

العقد الفريد ـ ٣ ـ ١٥٩

وفدت سودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية على معاوية بن ابي سفيان • فقال لها • كيف انت يا ابنة الاشتر ؟ قالت : بخير يا امير المؤمنين • قال لها • انت القائلة لاخيك :

شمّر كفعل ابيك يا ابن عمارة يسوم الطعان وملتقى الاقران

وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان

قالت • يا امير المؤمنين : مات الرأس ، وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي ، قال : قد فعلت • فقولي حاجتك • قالت انك للناس سيد ، ولأمورهم مقلد ، والله سائلك عما خصم من حقنا ، ولا تزال ترسل علينا من يحصدنا حصاد السنبل ، ويسومنا سوم الخسيسة ، هذا ابن ارطأة قدم بلادي ، وقتل رجالي ، واخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان لنا عزة ومنعه فاما عزلته فشكرناك ، واما لا فعرفناك ، فقال معاوية ، اياي تهددين بقومك ؟ ، والله لقد هممت أن اردك اليه على قتب اشرس حكمه فيك • فقالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ـ ومن ذلك ؟ • قالت ـ علي ابن ابي طالب رحمه الله • قال ـ ما ارى عليك منه اثرا ، قالت : بلى اتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا • فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلي ، فأنفتل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتعطف • الك حاجة ؟ فاخبرته خبر الرجل ، فبكى ورفع راسه الى السماء • فقال • اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك • ولا بترك حقك ، ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا بالكيل ، والميزان ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ، ولا تعثوا في الارض مفسدين ، بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ، وما انا عليكم بحفيظ ، واذا اتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام) •

فقال معاوية ـ اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها ـ قالت ـ الي خاصة ام لقومي عامة ؟ • فقال ـ وما انت وغيرك ؟ • فقالت ـ هي والله اذن الفحشاء

واللؤم • ان لم يكن عدلا وشاملا ، والا يسعن ما يسع قومي •

قال ـ هيهات ـ لغلكم ابن ابي طالب الجرأة على السلطان • وغركم قوله :

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ثم ضحك وقال ـ والله لوفاؤكم له بعد موته اعجب من حبكم له في حياته ثم قال اكتبوا لها بحاجتها وانشد :

اذا لـم اعـدّ بـالحلم مني عليكم فمن ذا الـذي بعدي يؤمل بالحلم

عن ـ العقد الفريد

أاقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها او المرسله شغلها تقممها •

وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما قال القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد

نهج البلاغة امير المؤمنين علي بن ابي طالب

طرحت الزميلة « المجتمع الاسلامي » التي تصدر عن مدارس جمعيتنا السؤالين التاليين :

١ ـ ما هي الاسباب التي ادت الى تدهور اوضاع المسلمين بصورة عامة ٠

٢ ـ ما هي الوسائل الناجعة التي ترونها كفيلة باسترداد الاسلام سيادته المشروعة ٠

وقد طلبت الى مفكرى المسلمين ، وعلمائهم والواعين منهم ، ان يجيبوا عليهما متعهدة بنشر ما يردها في هذا المجال فتلقت اجابات كثيرة ، طال بعضها ، فجاوز حدود ما تهضمه المجلة ٠

ولما كانت زميلتنا « المجتمع الاسلامي » لا تزال محتجبة رغم شوق قرائها اليها ، وتطلعهم لصدورها ٠ آثرنا ان ننشر بعض تلكم الاجوبة على صفحات رسالة الاسلام في هذا الحقل :

هيئة التحرير

كيف انحسر الاسلام عن الحياة ؟!

بقلم الاستاذ عزالدين سليم ـ بصرة

لولا المناعة الطبيعية التي تتمتع بها الرسالة الاسلامية في مواجهة التيارات المعادية لها لكان نصيبها الانحسار عن واقع الحياة الانسانية بعد أقل من قرن من الزمان من ميلادها ، ذلك لان هذه الرسالة قد تعرضت لمحن ومصائب لا تخضع للحصر منذ أن جلجل نداء السماء بميلادها المبارك ، وتراكمت الويلات بمر السنين حتى استطاعت ان تحقق غايتها في اقصاء الاسلام عن واقع الانسان ، ونحن لا نستطيع هنا الا أن نستعرض أهم تلك المحن الكثار التي ساهمت ـ متحدة ـ في تحقيق عملية الاقصاء المقيتة هذه وهذا بعضها :ـ

١ ـ اقصاء القادة المبدئيين عن

الميدان العملي للرسالة الاسلامية الذين يمتلكون من المؤهلات ما تجعلهم قادرين على اعطاء الرسالة الاسلامية صيغتها الحضارية التي تستجيب لمتطلبات كل الظروف والملابسات فضلا عن انهم قد ترسموا خطى الرسالة في شتى مرافق حياتهم ، وتسنم زمام الحكم وادارة شؤون الامة أناس لم ينضج الاسلام في نفوسهم بعد ، فضلا عن أن النفس البشرية تتعرض للهبوط والانهيار على مذبح الشهوات اذا لم ترتبط ارتباطا وثيقا بمثل عليا ترتفع بها من الصفة « الترابية » الى الآفاق العليا آفاق الكرامة الالهية للانسان ، وكان نصيب الامة الاسلامية ـ ما خلا فترات قصيرة ـ أن تولى ادارة شؤونها أناس من النوع الاخير ، وهؤلاء ـ سيما وانهم لم يحظوا بنصيب وافر من النضج ـ قد اخفقوا في اعطاء الشريعة الاسلامية صيغتها وروحها الاصيلة في استيعاب مشكلات الانسان المستجدة وقد دفعهم انحطاطهم الفكري وافقرهم السياسي أن يتلاعبوا في التشريع ـ على حسابه ـ كأن يضعوا حلولا طبقا لشتهياتهم الرخيصة أو يستوردوا تشريعات لعلاج بعض القضايا المستجدة في حياة الامة كما حدث لحكام الدولة العثمانية يوم راح بعضهم يطعم دستور الامة الاسلامية بالقوانين الفرنسية وهذا مما هيأ للاجيال عن أن تفتقر لفهم الاسلام فهما يتسق وجوهره الصافي سيما بعد ان عمل الحكام على أن يدعموا حكمهم بالقوة والعنف تجاه الواعين من ابناء الامة .

٢ ـ ظهور الزنادقة والوضاعين الذين كان لهم دور خطير في مقاومة الاسلام فكريا كما فعل الزنادقة أو عن طريق الدس في السنة النبوية كما فعل الوضاعون مما هيأ لظهور بلبلة فكرية ، ولئن استطاع المسلمون أن يدحضوا آراء الزنادقة فانهم عجزوا في مواجهة عملية الوضع لاسيما وان انصار هذه العملية الهوجاء قد ابطنوا النفاق وتجلببوا بالاسلام مما جعل اكثر الرواة يأخذون عنهم فنشأت في المجتمع الاسلامي ثغرات اتسعت بمرور السنين مما هيأ لكثير من المسلمين أن يبتعدوا قليلا أو كثيرا عن ضيع الاسلام الرائق تبعا لمدى تلوثهم بآراء الوضاعين .

٣ ـ زرع بذور الفرقة من قبل الحكومات المتعاقبة في صف الامة بوسيلتين : أولاهما : بتقريب عنصر بشري الى الحكومة واسناد المهام

السياسية والاجتماعية له على حساب غيره كما فعل الامويون بتقريبهم العرب دون غيرهم ، والعباسيون بتقريبهم الفرس ثم استبدالهم بالاتراك، والعثمانيون بتقريبهم الاتراك دون غيرهم من الشعوب الاسلامية •

وثانيهما : بتقييد نشاط بعض المذاهب الفقهية دون غيرها ومطاردة اصحابها وتابعيهم مما جعل النزاع يتحول الى الصعيد السياسي حيث راحت المذاهب المغبونة تطلب حقها عن طريق العنف والثورات السياسية مما عرض البلاد الاسلامية الى نوع من الاضطراب السياسي كما حدث للعراق وايران وقد تمخض هذا الاضطراب عن انقسامات في جسم الدولة الاسلامية لكل قسم وجهه نظر خاصه حيث قامت الدوله الصفويه في ايران والدوله العثمانية في بلاد الاناضول كما كانت الدولة الفاطمية في شمال افريقية والاموية في الاندلس فضلا عن ظهور دويلات متناحرة فيما بعد وقد أدى كل ذلك الى ظهور نزعات عدائية بين المسلمين وعدم اهتمام رعايا كل دولة من هذه الدول بالآخرين •

٤ ـ ضعف الجهاز التربوي سيما في العهد العثماني الذي امتد قرونا عديدة والذي أهمل فيه شأن العلم والمدارس والثقافة بشتى أنواعها حيث ساد الجهل الفظيع ولعبت الكتاتيب دورها في التعليم بطرقها الملتوية ومناهجها الصعبة التلقينية وقد أدى هذا الوهن في جهاز التربية الى انطماس معالم الثقافة الاسلامية تماما والتي ازدهرت في العصور السابقة كالعصر العباسي الاول والعصر الاموي في الاندلس الذي أصبح أساسا للمدنية الاوربية الحديثة (في الجانب العلمي لا الفكري) ـ طبعا ـ وهكذا اصيبت الامة في مطلع هذا القرن بفراغ ذهني مقيت هيأها للاصابة والتقبل لكل فكر غازي •

٥ ـ تعرض الوطن الاسلامي للغزو الاستعماري في مطلع هذا القرن مدعوما بمخططات جهنمية مدروسة قوامها الاساس للغزو الفكري المدعوم بالمناهج المعوجة والمعلمين اللا اسلاميين والثقافة الغربية التي استخدمت الصحف والمجلات ووسائل الاعلام الاخرى والتي عملت على هدم الاسلام وحشو الذهنية العامة بمفاهيم غربية معوجة كبديل لها ، وفضلا عن ذلك كله عمل المستعمرون على زعزعة الايمان بالاسلام عن طريق

التبشير المسيحي الاهوج الذي يعتبر خير معوان للسياسة الاستعمارية حيث انتشر المبشرون في طول البلاد وعرضها على شكل كتاب ومعلمين وأطباء وممرضين وممرضات فضلا عن المدارس بشتى المستويات ، والى جانب ذلك استحدث الاعداء مذاهب جديدة صبغوها بصبغة الاسلام كالقاديانية والاحمدية فضلا عن تشجيعهم لهراء البابية والبهائية ونحوها حيث كان لها الدور الاكبر في زعزعة ايمان ابناء الامة سيما في الهند وايران وغيرها ، ويقابل هذا كله تفتح عيون المسلمين على مدنية رائعة قائمة في التقدم التكنولوجي والعلمي الهائل الذي حظيت به أوربا مما أبهر عقولهم وراحوا يصدقون ما يملى عليهم في اعدائهم ، ومن هنا بدأ الربط بين الحضارة الغربية الزائفة وبين ما توصل اليه الانسان الاوربي من تقدم مدني حيث راح المستعمرون يؤكدون للمسلمين ان هذه المدنية هي نتاج للحضارة الحديثة والتي فجرت للغرب ينابيع الحكمة ، وبداهة انه لا وجود لاية علاقة بين الحضارة والمدنية مطلقا لان المدنية ان كانت مرتبطة بحضارة معينة لكانت وقفا على النظام الاقطاعي الذي نشأت تحت ظلاله مع العلم اننا نرى مدنية واحدة تعيش تحت ظلال حضارات متناقضة فهي نشأت في روسيا الشيوعية وبريطانية الرأسمالية واليابان الاقطاعية بنفس الجوهر والمظهر ، لان المدنية انسانية ـ ان صح التعبير ـ لا تخضع للحدود ، وفضلا عن هذه العملية الهوجاء عمل الاستعمار على نشر الفساد بين شباب الامة عن طريق الخمر والدعارة والافلام العارية والملاهي والغناء وغير ذلك مما أبعد الشباب عن الحس الثوري وعن التفكير بمعنى الحياة مما جعلهم يعيشون في متاهة عقيمة وضياع تام .

٦ ـ عدم قيام حركة فكرية واعية تواجه التيارات الغازية وتواجه الفراغ الذهني وتواجه السطحية اذ أن الواعين من ابناء الامة لو تظافرت جهودهم يومئذ على خلق حركة فكرية واعية تستهدف خلق شخصيات اسلامية قائدة يحملون الامة على مواجهة الغزو الجديد لتمكنت الامة أن تفوت الفرصة على الاستعمار ولاستطاعت أن تعيد سيادة الاسلام السياسية بعد فترة وجيزة . ولكن افتقار الامة لمثل هذه الحركة عجل لعملية انحسار الاسلام

عن الحياة تماما ، صحيح أن بعض الواعين قاموا بنهضة اسلامية واسعة ولكنها نهضة تفتقد الخبرة والتخطيط حيث اهتمت بالدعوة لصون الخلافة أو لاعادتها وغير ذلك في وقت اصبحت الذهنية العامة من الهبوط الفكري بمكان بحيث أصبحت لا تملك مناعة لمقاومة الغزو الفكري ، ولهذا كان حريا بالواعين أن يلتمسوا طريقة أفضل وأضمن وأقصر في العمل لمواجهة التيار وبعث الوعي الاسلامي . هذه أهم العوامل التي ساعدت مجتمعة على اقصاء الاسلام عن الحياة .

●

من دعاء الثغور

اللهم صلي على محمد وآله وحصن ثغور المسلمين بعزتك وايد حماتها بقوتك واسبغ عطاياهم من جدتك .

اللهم صلي على محمد وآله وكثر عدتهم واشحذ اسلحتهم واحرس حوزتهم وامنع حوفهم والف جمعهم ودبر امرهم وواتر بين مبرهم وتوحد بكفاية مؤمنهم واعضدهم بالنصر واعنهم بالنصر والطف لهم في المكر اللهم صلي على محمد وآله وعرفهم ما يجهلون وعلمهم ما لا يعلمون وبصرهم ما لا يبصرون .

اللهم اغز بكل ناحية من المسلمين من بازائهم من المشركين اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول اطراف المسلمين . اللهم وايما مسلم اهمه امر الاسلام واحزنه تحزب اهل الشرك عليهم فنوى غزوا او هم بجهاد فقعد به ضعف او ابكأت به فاقة ما فاكتب اسمه في العاملين واوجب له ثواب المجاهدين .

الامام علي بن الحسين (ع)
الصحيفة السجادية

وسائل النهوض بالمسلمين

بقلم : محمد علي حسين
السنة الثانية ـ كلية اصول الدين

يكاد يكون البحث الموضوعي عن وسائل النهوض بالمسلمين وارجاع دور الاسلام القيادي لهذا العالم من أهم ما يجب ان يعنى به رجال الاصلاح الاسلاميون في هذا العالم .

ولموضوعية البحث في هذا المجال صعوبات عدة ، نظرا لان الطريق ليس محدودا بكل معالمه بل يتغير تبعا « للحكمة » المفروضة في عملية الدعوة للاسلام ، ولان مفهوم الحكمة بما يحمل من مرونة تفتح امام الباحث بعد دراسة الظروف الراهنة والقواعد الشرعية التي تتصل في هذا المجال طرقا شتى تحتاج الى اندفاع جهادي وتحسس عميق بالمسؤولية الكبرى لاختيار الطريق الاصلح .

وتأتي اهمية ودقة هذا الموضوع من الفجوة الواسعة التي تركتها ظروف الانحراف بين المسلمين وبين عقيدتهم، حتى أصبح المسلم لا يستسيغ اطلاقا أن يسمع اسلامه على حقيقته الموضوعية ، بل وتبرز هذه الاهمية بشكل اكبر حينما نجابه أفرادا من الامة تكتلوا لمحاربة الاسلام وقد سخرهم المستعمر لتنفيذ اغراضه التي لا تتحقق بوجود العقيدة على صعيدها الحركي المعطاء .

والبحث عن وسائل النهوض ذو علاقة كبيرة بالبحث عن أسباب التأخر وهذه العلاقة ناشئة من قاعدة طبيعية هي « ان الهدى لا ينتشر الا من حيث انتشر الضلال » .

وتبرز مشكلة « الفراغ العقائدي » كأول حلقة من سلسلة المأساة التي حلت بالمسلمين .. هذا الفراغ الذي لم يتح له أن يسد لفترات طويلة مرت « بعد أن خلا الميدان من القادة المبدئيين أو كاد » والذي استطاعت فيه قوى الكفر ان تلعب دورها لفصل الامة عن لب المبدأ ولتترك لهم القشور التي زادت الطين بله .

وللقشور دور في هذه المأساة ، فالاستعمار لم يترك الامة بلا دين خوفا من رجوعها الى مصدر عقيدتها وسر سعادتها ، بل ترك لابنائها القشور ليدينوا بها ولتصبح اسلام عامة الناس .

وبدأت بعد ذلك عملية تربية الامة تربية لا تمت لعقيدتها بصلة . بدأت بعملية فصل الدين عن الدولة وانتهت بأدخال المسلمين حانات الخمور ودور الدعارة وسحق القيم

والمثل الاسلامية التي لا تستطيع قوى الظلام أن تقف امام عطائها التغييري .

واليوم حين يقف دعاة الاسلام وقد وعوا مسؤوليتهم الكبرى لاداء واجبهم الشرعي في انقاذ هذه الامة ، ليس امامهم سوى عملية تغيير هذه الامة كي تفهم رسالتها وتعي دورها القيادي في هذا العالم وتتحسس كيانها الذي أراد له المستعمر ان يذوب في حماة الحضارة المادية .

وعملية التغيير عملية معقدة متشابكة وتشابكها متأت من كثرة الظروف الداخلية والخارجية التي أدت الى انحراف الامة عن جادة الاسلام ومن عمق التخطيط الذي بدأه المستعمر لفصم هذه الامة عن مبدئها .

ونستطيع من خلال دراسة الظروف الراهنة دراسة عميقة موضوعية وتدبر الاحكام الشرعية في مجال السير والدعوة بذهنية حركية تغييرية ان نضع الخطوط العامة التي يجب ان تراعى في عملية التغيير .

أن أول ما يتطلبه التغيير وجود مغيرين ولابد لهؤلاء أن يكونوا متغيرين متحسسين، قد وعوا ضخامة المسؤولية وسمو الامانة الكبرى التي حملها الله للانسان .

ومن ثم فلابد لهذه الجماعة من خط سير تمتاز جميع معالمه بصفة تغييرية ولابد لوضع هذا الخط من مراعاة عنصر الحكمة والاقتداء برسول الله (ص) والى غيرها من الخطوط العامة التي رسمها الشارع مع مراعاة متطلبات الوضع الراهن امتثالا للحكمة المفروضة في رسم الطريق .

ويبرز لنا بعد ذلك جانب من أهم الجوانب التي يجب مراعاتها في عملية التغيير ، هذا الجانب يبرز من طبيعة صفة الشمول التي تمتاز به الشريعة الاسلامية ، لذا فأن تطبيقها على جميع مناحي الحياة يتطلب تغييرا لجميع هذه المناحي أيضا . من هنا كان لزاما أن يكون خط الدعاة خطا تغييراجذريا شاملا ، وبدونه لا تقوم للاسلام قائمة .

ومما يجب التأكيد عليه في هذا المجال أن قلب المؤسسات الاجتماعية فقط ليس بعملية انقلابية بل انها اصلاحية تبغي جانبا اجتماعيا معينا تاركة الجانب الاهم وهو جانب تغيير مفاهيم الامة وافكارها .

وفق الله العاملين لنيل رضاه التي هي غايتهم ونصرهم وسدد خطاهم انه نعم المولى ونعم النصير .

من السيد مهدي صادق الحسني ـ لندن

س١ : هل صحيح ما يروى عن أمير المؤمنين (ع) « الغدر لاهل الغدر وفاء لله ، الوفاء لأهل الغدر ، غدر عند الله تعالى » .

وكيف يمكن ان يكون الغدر وفاء ؟ وكيف يلتئم ذلك وما يطالعنا به التاريخ من سيرة الامام (ع) واخلاقيته ؟

ج١ : الذي يعنيه الامام (ع) هنا بهذا الحديث ـ على فرض صحته ـ من الغدر هو الخيانة ونقض العهد ، مقابل الوفاء بالعهد الخاص والالتزام بالعقد القائم بين طرفين وهو احد معاني الغدر وليس ما يعنيه الغدر من الخدعة والاخلال بالمبادىء الاخلاقية الاولية والغدر بالمعنى الثاني من الصفات التي يجب ان يترفع عنها المسلم مع الغادر وغير الغادر ولا يجوز للمسلم ان ينزل الى هذا المستوى الاخلاقي في سلوكه وعلاقاته مع الآخرين ، مهما كان نوع العلاقة القائمة بينهما ، ومهما كانت قيمة الطرف الآخر الاخلاقية والتزاماته بالنسبة اليه ، فليس مما يسوغ للمسلم الاخلال بمبادىء الاخلاق ان لا يجد في الطرف الآخر استجابة لهذه المبادىء اما الغدر بالمعنى الاول ـ وهو ما ينصرف اليه معنى الحديث ـ بقرينة وقوع الغدر في الحديث في مقابل الوفاء فليس فيه ما يتنافى مع مبادىء الاخلاق لو كان معاملة بالمثل فحين يخل احد الطرفين بالتزاماته الخاصة مع الطرف الآخر ويغدر به فلا يملك الطرف الآخر الا ان يخل هو الآخر من جانبه ، بما يقابله من التزامات خاصة من جانبه .

وليس من الصحيح ان يخل احد الطرفين بالتزاماته في العقد ويبقى الطرف الآخر متمسكا بالتزاماته الخاصة في العقد القائم بينهما .

وبهذا يرتفع التنافي الظاهر بين هذا الحديث وما يطالعنا به التاريخ من سيرة الامام (ع) .

س٢ ـ هاتني ما وجدته في « علل الشرائع للصدوق رحمه الله » من امور لا تلتئم والعقل في تعليل بعض الاحكام .

ج٢ ـ ليس لدينا من الاحكام المنصوصة العلة الا عدد محدود والعلة معناها تلك التي يدور الحكم مدارها . اما ما يذكر من أمور تعلل بها الاحكام الشرعية مما قد يكون صحيحا أو لا يكون فيطلق عليها « الحكم » وما اورده الصدوق من أحاديث ، في هذا المجال ، قد تكون قصد بها المعنى الاخير ، على أنك لا تجد أحدا من الشيعة يلتزم بحديث يخالف حكم العقل أو ينافيه ، فليس لديهم « صحاح » يلزمون انفسهم بصحة ما ورد ما فيها جملة وتفصيلا ، فكتبهم جميعا توضع بكل ما فيها موضع الدرس والمحاكمة سندا ومتنا ، ومن هنا فأنت لست ملزما بقبول جميع الاحاديث وخاصة اذا كانت مخالفة لحقيقة علمية ، أو وجدانية .

دراسات في القرآن الكريم

٢٨٧ صفحة من مطبوعات مكتبة النجاح ـ النجف الاشرف ـ العراق ، تأليف العلامة الشيخ علي محمد الآصفي •

بحث عن حقيقة الروح وقدمها أو حدوثها وتعلقها بالمادة العنصرية حسب نظرية افلاطون ومن قبله وارسطوطاليس ومن بعده •

مشاهداتي في ايران

١٢٧ صفحة ـ مطبعة الايمان ـ بغداد ـ للدكتور عبدالله الفياض

وصف شامل لسفرة طلاب جامعات العراق الى ايران في شباط سنة ١٩٦٧ للتعرف على المناطق التاريخية والادبية في ايران مزين بالصور للمناطق التي شاهدوها ويمتاز بدقة في الوصف وأدب في المقال •

الاسلام والتطور الاجتماعي

٣٢٠ صفحة ـ ٣ أجزاء ـ مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف

تأليف فضيلة الشيخ عبدالعالي المظفر

محاولة واعية للاستفادة من بعض أضواء الاسلام ومن سني هديه في واقع حياتنا الخارجية واستجابة لما نأمله لها من تطوير وتقدم في ظلال العقيدة

الرعاية الاجتماعية ومعاملة المذنبين في ضوء المفاهيم الحديثة

عدد صفحاته ١٣٨ صفحة ـ مطبعة دار التضامن للطباعة والنشر ـ بغداد

تأليف الاستاذ السيد سلمان العطار

بحث موضوعي يستعرض التطبيقات العملية للنظريات الحديثة التي أقرتها المؤتمرات العالمية الخاصة لاصلاح السجون مع قسم من المحاضرات التي ألقيت على منتسبي كلية الشرطة .

مبادىء أصول الفقه

١٣٢ صفحة ـ مطبعة الآداب . النجف الاشرف

تأليف فضيلة الشيخ عبدالهادي الفضلي

وهو موجز واف لاهم موضوعات أصول الفقه وتعريفاته ومصطلحاته .

تفسير عبدالله شبر

٧٠٠ صفحة من القطع الوزيري الكبير . منشورات مكتبة النجاح بالقاهرة

تأليف السيد الحجة السيد عبدالله شبر

قدم له الدكتور حامد حفني داود استاذ الادب العربي في كلية الالسن العليا في القاهرة

وهو تفسير جامع ، سهل العبارة ، بين المعنى التي فيه المؤلف على جملة من الآراء التفسيرية محاكما اياها على ضوء الكتاب والسنة وما صح عن أهل البيت عليهم السلام .

من هدى أهل البيت

٦٨ صفحة في قطع الربع ـ تأليف العلامة الشيخ مهدي السماوي

وهي لمحات خاطفة حول الحديث عن شخصية أمير المؤمنين (ع) الفذة .

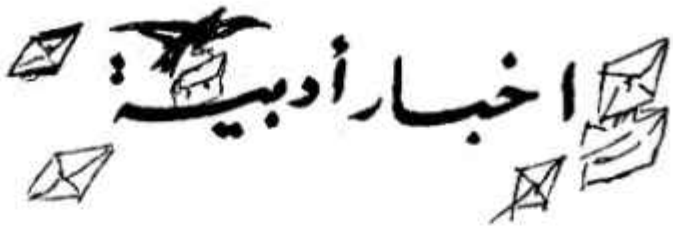

◆ صدر عن سلسلة بحوث اسلامية التي يشرف عليها الاستاذ عبدالكاظم البديري :ـ

الاسلام والطبقات المثقفة للسيد عبدالجبار شرارة •

ولماذا اليأس لفضيلة الشيخ عبدالهادي الفضلي •

والاسلام والانظمة الوضعية للاستاذ الفاضل عبدالكاظم البديري •

تتمنى للسلسلة (الاسلامية) هذه اطراد التقدم لخدمة الامة وتوعية الجيل على المفاهيم الاسلامية الصحيحة •

◆ وصدر عن سلسلة (في مرحلة البناء) التي يحدب على رعاية دوامها واستمرارها الاخ الاستاذ عبدالحسين البهبهاني الذي ما انفك ينفخ فيها من روحه وفنه فجاءت هادفة رغم ضآلة حجمها وخفة وزنها • صدر عنها أخيرا :

ساعات الفراغ تحت رقم (١٠) تأليف العلامة الجليل الشيخ محمد مهدي الآصفي •

◆ صدر العدد الثاني من (رسالة الجمعية الخيرية الاسلامية) في كربلاء المقدسة وهي حافلة بالكلمات التوجيهية الهادفة •

◆ وصدر عن كلية الآداب (مجلة الفكر الجديد) يشرف على اصدارها الدكتور جعفر آل ياسين ويحررها قسم الفلسفة في الكلية وهي فيما تضمنته من بحوث موضع تقدير المعنيين بشؤون الفكر والمعرفة •

◆ صدر المجلد الاول من (خزانة الفقه) والمجلد الثاني من (عيون المسائل) للفقيه السمرقندي من فقهاء الحنفية للقرن الرابع للهجرة وقد حققهما وقدم لهما وترجم لمصنفهما المحامي الدكتور صلاح‌الدين الناهي •

◆ وصدر في مصر كتاب جمال‌الدين الافغاني تأليف العالم المصري الباحث المعروف الشيخ محمود أبو رية وهو أوسع كتاب جمع فيه أخبار السيد جمال‌الدين الافغاني وحركته الاصلاحية •

شؤون الجمعية ..

كلية أصول الدين

◆ جرت امتحانات نصف السنة للعام الدراسي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ بتاريخ ١٨-٢-١٩٦٧ واستمرت لمدة أسبوعين في جو يسوده النظام والجدية •

◆ عين استاذنا الفاضل الدكتور عبدالله الفياض استاذ التاريخ الاسلامي المحاضر في الكلية معاونا للعميد نرجو له الموفقية في مهمته الجديدة هذه •

لجنة تعضيد النشر والتاليف

اولت الكلية كبير اهتمامها لتشجيع بعض العلماء والباحثين ومن ضمنهم أساتذة الكلية وطلبتها على التأليف والنشر وقد شكلت لجنة قوامها :ـ

١ ـ الدكتور عبدالله الفياض ـ معاون العميد ـ رئيسا •

٢ ـ السيد عدنان البكاء ـ سكرتير الكلية ـ عضوا •

٣ ـ السيد محمد عبد الساعدي ـ ملاحظ الكلية ـ عضوا •

وذلك للنظر في دراسة الطلبات التي قدمت لتقوم الكلية بطبعها على نفقتها أخذة بنظر الاعتبار مكانة البحث أولا وامكانات الكلية المالية ثانيا •

◆ وكان من بين الكتب التي ساعدت الكلية على طبعها كتاب (المعالم الجديدة للاصول) للعلامة الحجة السيد محمد باقر الصدر وطبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف وكتاب (الاجازات العلمية عند المسلمين) للدكتور عبدالله الفياض الذي طبع ببغداد وهناك طلبات ماثلة امام اللجنة سيبت فيها في القريب العاجل •

بحوث طلابية :

مضت الكلية منذ تأسيسها حتى الآن بتوجيه طلابها نحو كتابة البحوث في مواضيع الاختصاص المختلفة وفق الطريقة العلمية لكتابة البحث حيث الزم الطلاب بها ـ شكلا ومضمونا ـ وقد توفرت لدى الكلية مجموعة قيمة من البحوث التي تعتز بها الكلية في موضوعات التأريخ الاسلامي وقد امتازت بحوث طلبة الصف الثالث بعمقها واصالتها من بين البحوث التي قدمت في موضوعات العقيدة والقصص القرآنية مقارنة بالديانات الاخرى ودروس علوم القرآن للطلاب التالية أسماؤهم :ـ

كريم لازم الموسوي ـ لوط والقرى ـ عبدالله بن عباس

محمد داود منخي ـ اصحاب الكهف ـ مسروق بن الاجدع

يحيى جودي ـ هارون ـ ابي بن كعب
عبد علي حسين ـ بنو اسرائيل في مصر ـ عبدالله بن مسعود
محمد حسين الصغير ـ هابيل وقابيل ـ سعيد بن جبير
نورالدين العسكري ـ زكريا ويحيى ـ عطاء بن ابي رباح
غالب الشابندر ـ أيوب وآدم ـ سعيد بن جبير
جاسم البلداوي ـ يوسف ويونس ـ عكرمة
حمودي هاشم ـ ابراهيم الخليل ـ مجاهد بن جبر
عبدالامير الاعسم ـ عيسى ـ الحسن البصري
عدنان ربيعة ـ نوح ـ عامر الشعبي

مكتبة الكلية :

لقد اعارت عمادة الكلية وجهازها الاداري كبير اهتمامها للمكتبة فزودتها بالمصادر الضرورية للبحث ، وخاصة تلك التي لها علاقة مباشرة بالمواضيع الاسلامية العقائدية والتأريخية واللغوية بحكم كونها موضع اختصاص طلبة الكلية .

وقد رتبت المكتبة حسب طريقة ديوي العشرية ليسهل على الطلبة الحصول على الكتب بسهولة وسرعة وقد توجه الاهتمام للحصول على بعض الكتب النادرة

وقد انفقت الكلية ما يقارب المائة دينار لشراء دورة واحدة من الكتب النادرة •

◆ بلغ عدد الكتب في المكتبة حوالي الثلاثة آلاف مجلد • وتفتح المكتبة أبوابها للاستعارة صباحا ومساء •

◆ تعتزم الكلية تزويد المكتبة بصور بالدفلوب لمجموعة من المخطوطات النادرة حتى تصبح تلك المخطوطات في متناول الطلاب والاساتذة للاستفادة منها في بحوثهم من جهة ولاستعمالها لتدريب الطلبة على كيفية نشر المخطوطات المذكورة واعدادها للطبع •

الندوة الاسبوعية :

اعتاد طلبة الكلية ان يعقدوا ندوة اسبوعية افردت لها الحصتان الاخيرتان من خميس كل أسبوع وتعتبر ساعاتها جزء من الدوام ويشرف على الندوة فضيلة العلامة السيد محمد باقر الحكيم استاذ علوم القرآن المساعد في الكلية والندوة هذه حقل فكري تمريني مفتوح تعرض فيه الافكار والمفاهيم العامة وتناقش من قبل الطلبة نقاشا علميا وفكريا يعيد للاذهان روح النقد الرائد الموصل للحقيقة أمل الجميع وبغية الطالب التي كانت ولا تزال تسود الدراسات الاسلامية في محافلها العلمية والادبية •

◆ والغاية من الندوة هي التوعية بالافكار الاسلامية والمفاهيم الصحيحة التي تركز القواعد الرئيسة لبناء شخصية (المسلم الداعية) عند الطالب •

ويشارك في النقاش الى جنب الطلاب الاساتذة الحاضرون في جو يسوده التفاهم المتبادل والروح الاسلامي العالي •

◆ بمناسبة حلول شهر محرم الحرام فقد قام لفيف من طلبة الكلية بتوجيه الكلية وبدافع من حرصها على تمرين طلابها على مشاركة الامة آلامها بهذه الذكرى (الثرية) وفي سبيل توعيتها على العقائد الاسلامية وتجلية المبادىء الكبرى التي نهض من أجلها الامام الحسين (ع) وانطلاقا من بعض اغراض الكلية التي تنشد بناء شخصية (المسلم الداعية) في الطالب وبالتالي تسليحه بالافكار والمفاهيم التي يخاطب بها الامة في هذا السبيل فقد ارتقى المنبر الحسيني خطيبا خلال

العشرة الاولى من المحرم ـ في مناطق مختلفة من بغداد الطلاب التالية أسماؤهم :

من الصف الاول الحاج ناجح عبد هادي ومحمد حسين عبدالكريم وكريم البحراني ومحسن عباس الراضي ومن الصف الثاني سعدي ذياب الطويل وجبار حمودي والشيخ قاسم عباس ومن الثالث السيد كريم السيد لازم وغالب الشابندر .

ان امام هذا الانسان المعاصر ان يختار احد امرين اما ان يسلم نفسه وذاته طوعا لتتحجر في عالم مادي كان قد فقد كل زخمه الروحي والمعنوي منذ امد طويل وهو في طريق التصلب المتكامل التدريجي وعند ذلك يصبح الانسان كائنا يوجه ويصمم حسب العوامل المادية المسيطرة او ان يقوم ببعث البقية الباقية من القوى الروحية والمبادىء السامية الخالدة الموجودة والكامنة في اعماق النفس وهي بامس الحاجة الى من يوقد الجذوة المنطفئة فيها عن طريق الالهام العقلي الخلاق وعند ذلك تنفجر ابداعات وطاقات جديدة تقود الانسان نحو عالم المثل والغايات .

وبهذا « الحل » الانساني العظيم نستطيع انتشال الحضارة المعاصرة من واقعها المادي المنخفض ورفعها الى مستوى الحضارة الانسانية .

اشبنجلر

في كتابه سقوط الغرب

مدارس الإمام الجواد "ع"

طلبنا الى ادارات مدارس جمعيتنا موافاتنا بخلاصة عن اخبار مدارسهم فجاءنا للنشر ما يأتي :

هيئة التحرير

◆ بمناسبة حلول سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي دام ظله في بغداد للاستشفاء من مرض الم بسماحته فقد نظمت ادارة المدارس زيارة جماعية من الهيئات التدريسية والتعليمية وبعض الطلبة للمثول بين يدى سماحته والتزود بدعائه وارشاداته فكان ان انطلق موكب المدارس يتقدمهم الاستاذ محمد الساعدي مدير المدارس حيث وصلوا الدار العامرة ، وقت حلول صلاة المغرب فافرشوا الارض في حديقة الدار للصلاة جماعة خلف الامام الكبير وما ان انهى سماحته الصلاة وتفضل الى حيث مكان راحته وموضع جلوسه حتى استاذن « الموكب الجوادي » بالمثول بين يديه فاذن له وبعد السلام عليه من قبل اعضاء الوفد واحدا واحدا تقدم الاستاذ مدير المدارس بكلمة ارتجالية حيا فيها الامام الكبير بما ينبغي ان يحيا به القائد الواعي والرائد الفريد وذكر ان هذه الباقة المؤمنة التي جاءت من الاراضي الشريفة لتقعد بين يدى سماحته انما تعبر له في وقفتها هذه عن روح الولاء والانقياد للواء العلماء المجتهدين الاعلام الذين هم مراجع هذه الامة وقادتهم والضاربين على حصون الجاهلية والكفر ضربات تعيد للمسلمين مجد الاسلام ودولته .. ثم ذكر الاستاذ المدير كيف عمل الاستعمار الكافر واجهزته الاجتماعية على محق التربية الاسلامية والمقولات الاسلامية من نفوس الجيل الماضي حتى زرعوا فيه الشبهات واماتوا فيه الايات فصار على ما خططوا له لا يجد بدعا في التشبه بهم ولا يجد بأسا من التمثل باخلاقهم والتعبد بشرائعهم وانظمتهم ... من هنا كان لابد من مواجهته بما يدرأ عن شبابنا مغبة ذلك التخطيط ، فقامت جمعية الصندوق الخيري الاسلامي بهمة

رائدها ورئيسها الحجة المجاهد السيد مرتضى العسكري ايده الله باحتضان ناشئة الامة رجال الغد في مدارس اسلامية قوامها الدين والاخلاق وحب العلماء والانقياد لهم من دون الناس من ابتدائية وثانوية وكلية .. في مجتمع عمس فيه ظلم الجاهلية وفساد الاخلاق .

ولما ذكر الاستاذ المدير كيف انه في اللحظة التي تحط فيها سيارات طلبة كلية اصول الدين امام بناية الكلية مساء لدخول قاعاتها لدراسة علوم القرآن وتفهم السيرة النبوية والفقه والحديث تحط سيارات اهل الفسق والفجور مقابل هذه البناية ليعيش روادها ساعات لهو وحرام في نادي مقابل الكلية حينما ذكر الاستاذ ذلك، امام سماحته اغرورقت عيناه بالدموع ..

وبعد ذلك اخذ سماحته يعقب على حديث الاستاذ المدير بحديث قيم رائع دعا فيه للعاملين في ان يحالفهم توفيق الله وان تظهر نتائج اعمالهم واضحة للامة واكبر فيهم جميعا هذه الروح الجهادية العالية ، فعقب على حديث سماحته الاستاذ الحاج ناجح عبد هادي مدير الابتدائية ومعاون مدير المدارس بكلمة قيمة شرح فيها طرفا من اهداف المدارس وبعضا من مشكلاتها والعقبات المزروعة في طريقها وطريق العاملين فيها .

* * *

◆ تلقت ادارة مدارس الامام الجواد هدية قيمة من سماحة آية الله الخوئي دام ظله هي ساعة جدارية علقت في ادارة الثانوية .

◆ كما تلقت ادارة المدارس جوائز ثمينة لطلبة الابتدائية الذين زاروا سماحته بمعية ابائهم وكانوا قد قدموا امام سماحته بعضا من فعاليات المدارس الدينية وبعض الاناشيد التي لاقت من سماحته والجماعة الحاضرين استحسانا وقبولا بالغين وزعت عليهم بعد تسلمها مباشرة .

◆ مثل وفد مدارس الامام الجواد بمعية بعض الوجهاء يتقدمهم اعضاء جمعية الصندوق الخيري الاسلامي بين يدى سماحة آية الله الامام الشاهرودي ايده الله وذلك بمناسبة مجيئه من الديار المقدسة بعد ادائه فريضة الحج ونزوله

في دار السبزواري في الكاظمية •وقد تلقى الوفد دعاء سماحته بالنصر والتوفيق في عملهم التربوي الاسلامي لتنشئة جيل يحب الاسلام ويحترم العلماء •

الاستاذ مدير التربية :

◆ زار مدارسنا الاستاذ المربي السيد يوسف محمد فريد مدير تربية لواء بغداد/الرصافة للاطلاع على سير التدريسات ونظم الامتحانات في المدرسة ، وقد تجول في قاعات الثانوية وتحدث حديثا اخويا مفتوحا الى بعض الاخوة المدرسين رجاهم فيه بعث المزيد من الهمم العالية في سبيل اشاعة المقولات الاسلامية في التربية وتربية الجيل تربية اسلامية صحيحة ، وبعد ان انهى الاستاذ الكبير زيارته للثانوية طلب منه الاستاذ الساعدي مدير مدارس الامام الجواد (ع) القيام بزيارة مدرسة الامام الجواد (ع) الابتدائية والاطلاع على جميل ما فيها من تنظيم وادارة وعمل دائب مخلص يتمثل في مدير الشباب وشباب الادارة الاستاذ الحاج ناجح عبد هادي • ولقد سر الزائر الكريم بما شهدته عيناه من روائع المشاهد التربوية سيما بعد ان شنفت آذانه اناشيد الطلبة وقصائدهم التي راحت تشد السيد مدير التربية الى مثل الاسلام العليا وادابه العامة فاخذه هذا المشهد فراح يداعب اولاده الصغار مما كان له الوقع الحسن في نفوس زهرات الامة طلبة المدارس كافة •

وفي ختام جولته سجل كلمة في سجل الزيارات هنأ فيها الاستاذ المدير ناجح عبد هادي بنجاحه في اداء مهمته وتربية طلابه وشكر فيها جهود المعلمين كافة •

◆ تقرر تعين الاخ فضيلة الاستاذ الشيخ عارف البصري مفتشا لشؤون التوجيه الديني في مدارس الامام الجواد (ع) الابتدائية والامام الكاظم (ع) الابتدائية والثانوية وثانوية الامام الجواد (ع) المسائية •

فمرحى مرحى •• وحي على خير العمل •

◆ تقرر فتح « دورتين صيفيتين » في مدارسنا لطلبة المدارس الابتدائية والثانوية خلال العطلة الصيفية وقد هيأت لها ادارة المدارس الملاك المناسب من الناحيتين العلمية والاسلامية وقد بوشر فعلا بتشكيل لجان لوضع منهج للرياضيات

والفيزياء والكيمياء لتدريسه خلال الدورة بدقة •

يبدأ التسجيل يوم ٢٨-٥-١٩٦٧ الجاري •

الندوة الطلابية والصلاة في المدارس :

من اهم ما تعنى به مدارسنا النهارية والمسائية هي الندوة الطلابية حيث تعقد في الثانوية النهارية الحصة الرابعة من يوم الثلاثاء من كل اسبوع وهي مجال يعرض الطلبة فيه اراءهم في مختلف حقول المعرفة ثم يناقش الطلبة الاراء المعروضة نقاشا مفتوحا بتوجيه مدير الندوة الأخ الاستاذ يعقوب الغلامي ، اما في الثانوية المسائية حيث استطاع الاستاذ المدير الاخ حسن الجبوري بهمته ونشاطه وروحه الاسلامي العالي ان يهيىء الاجواء الاسلامية لعطاء الندوة مساء في الساعة السابعة من يوم الاثنين من كل اسبوع وقد كان حصادها مفاهيم صحيحة يعيشها الطلبة في افكارهم وفي متبنياتهم وسلوكهم •• وهكذا اسهمت الندوة في توعية الطلاب على الصلاة وفي شدهم اليها ، حيث تقام الصلاة جماعة في مدارس الامام الجواد الصباحية والمسائية بروح عالية وارادة واعية وجهاد جمعي •

* * *

مفتش الوزارة الاداري :

زار مدارسنا المفتش الاداري الاستاذ السيد عبدالحميد راضي الجرجفجي المفتش الاداري والاختصاصي وبعد ان ادى مهمته في تفتيش سجلات المدرسة والاطلاع على تنظيماتها الادارية واسهم في النقاش مع الاستاذ المدير حول نظم الامتحانات في المدارس عامة والنظم الداخلية لثانوية الامام الجواد خاصة سر لما وجده من ضبط وتنظيم بالغين بالنسبة الى الامتحانات الصفية والشهرية مما كان له اثره على مستوى الطلاب العلمي والدراسي •

واستنادا الى تقرير المفتش الوزاري اشعرت الوزارة مديرية تربية اللواء بكتابها المرقم ٢٧٣٠ في ١٢-١-١٩٦٧ بتوجيه شكر الى المدارس ، فكان ان وجهت مديرية تربية الرصافة كتاب الشكر التالي تنقل هنا صورته :

« صورة كتاب الشـكر »

بسـم الله الرحمن الرحيم

الجمهوريـة العراقية

مديرية التربية للواء بغداد/الرصافة

العـدد ٦٩٥١

التاريخ ٧-٢-١٩٦٧

الى السيد محمد عبد السـاعدي

مدير ثانوية الامام الجواد الاهلية للبنين

م / ملاحظـات وشـكر

نرفق طيا ملاحظات وتوصيات المفتش الاختصاصي السيد عبدالحميد راضي الجرجفجي بتقريره المرقم (٨) في ٢٢-١٢-١٩٦٦ واستنادا إلى توصية مديرية التعليم العامة الاهلي بكتابهـا المرقم ٢٧٣٠ في ١٢-١-١٩٦٧ وبناء على الجهـود المبذولة في رفع مستوى الطلاب العلمي والثقافي لامر يبعث على الارتياح والفخر ، لذا نقدم لكم شكرنا آملين الاستمرار على ما أنتم عليـه من حيوية ونشاط في المستقبل .

الموقـع

يوسف محمد فريد

مدير التربيـة

نسـخة منه الىٰ :

مفتشية التربية العامة

مديرية التعليم العامة/الاهلي/ للتفضل بالاطلاع واشارة لكتابكم اعلاه .

المفتش الاختصاصي السيد عبدالحميد الجرجفجي

جمعية الصندوق الخيري الاسلامي

ذاتية التعليم الاهلي .

مدارس الامام الكاظم (ع)

◆ استمرت « ندوة الخميس » على الانعقاد حتى نهاية الموسم الدراسي الحالي ، أن هذه الندوة تعقد مساء كل خميس بأشراف الاستاذ المجاهد السيد داود العطار ويحضرها معظم طلاب المدرسة ويشارك فيها بعضهم بكلمات تعبر عن مشاعرهم الاسلامية وما تنطوي عليه جوانحهم من آمال في بناء مجتمع اسلامي رصين يقوم على الاسس التي أرساها نبينا الكريم «ص» ، ثم تختتم الندوة بتوجيهات الاستاذ العطار النيرة وارشاداته القيمة •

◆ أثمرت الجهود الخيرة التي بذلها الاستاذ المشرف السيد داود العطار والاستاذ مدير المدارس السيد عبد الصاحب قرمان وبعض الغيارى من المؤمنين في جمع تبرعات عينية ونقدية أمكن عن طريقها تقديم بعض المساعدات لعوائل ٦٠ طالبا فقيرا • فكان لها أطيب الاثر في نفوسهم وفي نفوس عوائلهم التي رأت في هذا العمل الإسلامي النبيل تطبيقا صادقا لما تدعو اليه مدارسنا •

◆ قام الاستاذان الحاج عبدالامير الربيعي « الاقتصاد » والسيد جاسم محمد العلوي « العربية » بالقاء بعض المحاضرات المجانية على طلاب الصف الخامس الادبي بالنسبة للاول والسادس الابتدائي بالنسبة للثاني وقد كان سرور الطلاب بهذه البادرة النبيلة عظيما دل عليه حرصهم على حضور هذه المحاضرات ، نسأل الله أن يجزي الاستاذين الفاضلين أوفر الجزاء بما بذلا من جهود مشكورة •

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »

قرآن كريم

مستوصف الرعاية الاسلامية في الكرادة الشرقية

مستوصف الرعاية الاسلامية في الكاظمية

◆ أجازتنا وزارة الصحة بفتح مستوصف في الكرادة الشرقية (باسم مستوصف الرعاية الاسلامية المجاني في الكرادة الشرقية) تحت ادارة واشراف الدكتور عبدالغني زلزلة والمضمد الحاج مهدي الربيعي وذلك برقم (٢١٦٧) وتاريخ ٢٣-١-٦٧ وقد باشر اعماله بنجاح •

◆ وكذلك أجازتنا وزارة الصحة بفتح مستوصف آخر باسم (مستوصف الرعاية الاسلامية المجاني في الكاظمية) تحت رقم (١١٩٣٩) بتاريخ ٢٧-٤-٩٦٧ تحت ادارة واشراف الدكتور رؤوف الاسترابادي ويقوم بوظيفة الموظف الصحي فيه السيد عبدالزهرة عبد هادي وقد اتخذ مقر المشروع الكائن في الكاظمية - عطيفية بستان السادة رقم ١١٢/١٤ مركزا له وهي الدار التي تبرع بها التاجر الوجيه السيد عباس الكاظمي فجزاه الله خيرا •

سرعان ما باشر « مشروع الرعاية الاسلامية » التابع لجمعية الصندوق الخيري الاسلامي المجاهدة اعماله في بغداد - الكرادة الشرقية الا ووجدنا عناية الله ترعاه ببركته • فقد هزت الاريحية الاسلامية اصحاب البر والاحسان والذكاترة واصحاب المذاخر وشركات النقل والصيادلة فتطوعوا مساهمين في خدمات المشروع الاجتماعية •

فاستطاع في غضون عام واحد ان يقوم بـ :-

* تسفير عدد غفير من ابناء السبيل الى بلدانهم •
* معالجة وفحص المرضى والزمنى •
* تقديم اعانات مالية مقطوعة في مناسبات مختلفة للمحتاجين •
* رواتب لـ (١٩) عائلة فقيرة •
* تشغيل عدد وفير من العمال العاطلين •

* اعانات ومساعدات للطلاب في مختلف مراحل الدراسة وفي الاقسام الداخلية .

* اسس مستوصفا بقسمين الصباحي (للباطنية والاطفال) والمسائي (لجراحة وطب العيون) بادارة الاطباء الانسانيين المساهمين في المشروع . وقد تم معالجة (٩٤١) مريضا مجانا وتوزيع (٥١) نظارة طبية تبرع بها المحسنون .

هذه الاعمال الجليلة دفعتنا لفتح مشروع مماثل في مدينة الكاظمية المقدسة ونواحيها وقد صدر القرار التالي .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

جمعية الصندوق الخيري الاسلامي

القرار رقم ١٠

استنادا الى المادة الحادية عشرة والخامسة والثلاثين من نظام الجمعية وتحقيقا لاهداف الجمعية قررنا تشكيل لجنة باسم (الرعاية الاسلامية في الكاظمية ونواحيها) من السادة التالية اسماؤهم :

١ ـ السيد صادق السيد احمد المشاط رئيسا
٢ ـ السيد داود العطار مقررا
٣ ـ الحاج جواد الحاج حميد عضوا
٤ ـ عبدالحسين القتال عضوا
٥ ـ الحاج عبدالرحيم الشيخ عبدالغفار عضوا
٦ ـ الحاج عبدالرزاق العويناتي عضوا
٧ ـ محمد جواد النجفي عضوا
٨ ـ الحاج مسلم الحكاك عضوا
٩ ـ الحاج يوسف الشيخ عبدالغفار عضوا

للقيام بـ :

أ ـ رعاية الايتام والارامل •

ب ـ مساعدة الفقراء والعاجزين والمعوزين •

جـ ـ معالجة المرضى والزمنى من المحتاجين •

د ـ تسهيل السفر لابناء السبيل لاوطانهم •

هـ ـ ايجاد عمل للعاطلين •

و ـ ختان الاطفال الفقراء •

وعلى اللجنة المذكورة ان تعين امينا للصندوق ومحاسبا وتمسك السجلات النظامية لتسجيل جميع الواردات والمصروفات ويقتصر عملها في الوقت الحاضر ضمن حدود الكاظمية ابتداء من جسر الصرافية العطيفية ، ومدينة الحرية الى الشعلة ، ومن كرادة الكاظمية الى جسر الائمة • وفق الله الجميع للعمل بما يرضيه وتقبل عملهم انه ولي التوفيق •

حرر بتاريخ ٩/ذق/٨٦هـ الموافق ١٨-٢-١٩٦٧م •

مرتضى العسكري
رئيس الجمعية

ان مشروع الرعاية الاسلامية في الكاظمية
يتقبل :

١ ـ اي مقدار من المبالغ النقدية لمرة واحدة او بصورة دورية ويسجل صاحبه عضوا مشاركا في المشروع •

٢ ـ من الاطباء على اختلاف اختصاصتهم ما يتبرعون به من فحوص ومعالجات مجانية •

٣ ـ من الصيادلة واصحاب المذاخر ما يقدمونه من ادوية •

٤ ـ من اصحاب شركات النقل موافقتهم على تسهيل سفر المنقطعين •

٥ ـ استعداد اصحاب المعامل على تشغيل العاطلين حسب مهنهم •

٦ ـ جميع التبرعات العينية من ملابس او اطعمة وجميع الحاجات الاستهلاكية. لتوزيعها على ابناء البلدة المعوزين •

قال الله تعالى :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين • الذين ينفقون في السراء والضراء ••• • •

« الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار » • (حديث شريف).

العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق •

حديث شريف

whatsoever between technological change and the intellectual and legislative aspects of human life. The Islamic religion commands its adherents to follow its values and to set all the material aspects of life within its ethical framework. It, further, requires that the results of experimental science be used in its service. It is only the ignorant who ask, how can Islam encompass all the aspects of contemporary life, how can Islam accomodate continuing legislative change?

While Islam does demand a belief in its permanence, it does not require a belief in the permanence of the by-laws written for a specific community at a specific time, in which case, obviously, the passage of time may entail a transformation of need. Islam keeps abreast of the changing needs of man, and is a permanent source of whatever new legislation man may require. The interpretors of Islamic law can derive from its permanent and general principles new rules whenever they are needed.

When the enemies of Islam claim that they are maintaining the spirit and essence of Islam, they tell a lie that will deceive only the simple and the naive. Where is the spirit and the essence whereof they speak, when Islamic rules are invalidated, its teachings cast out and its values trodden upon? Any principle that claims to accomodate the spirit but not the letter of Islam is fated to fail.

Even in the political world, we see China in sharp disagreement with The Soviet Union because the latter failed to adhere to articles in the Communits code and has overstepped the limits set by the letter of Marxism-Leninism. In this, China sees a destruction of the Communist fabric.

How far have we Moslems overstepped the limits set by our eternal law! How far are we from the truth of Islam! Are there any Islamic terms fit to describe us? Are we blind? Are we dissipated? Are we atheists? The answer is to be found in the Qur'an.

In this way Moslems were deceived into losing contact with Islam and into accepting a new way of life based upon ungodly principles, which have distorted Moslem ideas, feelings and conduct. Neither the awareness nor the the warnings of the perceptive could stem the flood of the these new ideas. And so it has become a problem, now, that such solutions could no longer solve.

We have taken it upon ourselves to alert the Moslem community to the reality of the situation and to guide it to a truer understanding of the principles of Islam.

The Question of Evolution

Islam perceives that all socio-cultural change is effected by the individual human being; it is the individual who transforms history and guides the development of the social system. For this reason, Islam has always emphasized the individual responsibility to spread its teachings, to accept the sacrifices required by Islam and to insist upon good and forbid evil.

Man, therefore, is the centre of all historical change. He interacts with external influences in a variety of ways; he may remain uninfluenced, he may make no active response, or he may be influenced ond change, or not, accordingly. His human activity, his daily life is dictated by the values, the concepts and the attitudes that exist within him. The changes that occur in any field are the product of his inner values. Therefore, the elements of material reality do not influence man. Rather, man subjects material reality to internally-held values and concepts.

Islam sees that the material theory of history - its emphasis upon the inevitability of change and its insintence on the centrality of external influences upon man - has nothing to do with truth, a fact that is clearly evident in human history. "God changeth not the conditions of a folk until they (first) change that which is in their hearts." Therefore, when Islam gives its judgements, it is with a belief in the eternality of its precepts and values. Islam also believes that there is no relation

the principles of Islam. "What was permissible in the time of Mohammed will be for ever permissible, and what was forbidden in the time of Mohammed will be for ever forbidden." The propagators of this new concept faced determined resistence because Islamic principles were set for all time .

At first, the holders of these new theories used force to legislate and excute laws against Islam. Later, becoming more subtle, they sought to deceive the people into acceptance by discussion and by an insistence upon the notion that Islamic law is unchangeable only with respect to matters of worship. The social system which is ever-changing is, as the advocators of the new theory hold, an area in which man, not God, has complete dominion. Others, more devious still, while pretending to acept traditional values and concepts, work secretly to undermine them.

We are all familiar with the sophestry of these rebels. They sey thet only the spirit if Islamic laws is immutable, while the interpretation of the law must change in accordance with the continually changing demands of modern life. By this argument, the Immutability of Islam must give way to almost every new legislation that man makes. The substance of Islam, its laws and its precepts, as they allege, has no relevance to contemporary life. Unfortunately, ideas like these have seduced many Moslems who are not fully enough aware of Islamic laws.

Many Moslems have been deceived by the claim that the new laws honour religion and recognise its spirit, and further deceived by the acceptance of such laws by some "educated" people who claim a connection between the new laws and the Islamic religious laws. People have not recognised this as an Anesthetic to lull them into accepting the expulsion of Islam from daily life, ending for ever, its influence on the social scene.

ISLAM AND SOCIAL CHANGE

Some people believe in the inevitability of revolutionary change in values, concepts and legislation. They attribute such change to historical laws on the basis of which a society develops from one phase to another in terms of its ethics, laws and individual relationships.

These people seize every opportunity to propagate this theory and impress it on the minds of other people, especially, in the Moslem community. They use such words as "development", "developed" and similar terms not only to describe material and technological change, but also to define a change in the spiritual and intellectual aspects of life. For them, there is no distinction to be made between the dynamics of the spiritual and material sides of life. They assign every deviation and aberration in ethics and morals to this so-called theory of change.

The idea is repeated so often thet people are almost seduced into accepting it as true and ceasing to oppose this theory of "inevitable change".

The new generation in the East and in the West is a generation of rebels, and their rebellion is against ethical values and social conventions purely because they are old, age, in their view, being inimical to efficacy. The new generation thinks that these traditional values must be discarded, just as anything which is outworn must be discarded. They demand new standards and new values. But how?

The older generation in the West gave in to the situation, reacting with nothing but looks of astonishment and pain. In the Islamis countries, however, despite the long-standing designs of imperialism, this concept of change came into collision with a deeply rooted belief in the eternal nature of

RISALAT AL - ISLAM

ISSUED

by

USUL AL — DEEN COLLECE

BAGDAD

No L , 1967

عدد خاص

لمرور ١٤ قرنا على البعثة النبوية الشريفة

لما كان النبي (ص) كما يذكر المؤرخون قد قضى بعد بعثته المباركة ثلاث عشرة سنة في مكة قبل أن يهاجر الى المدينة ، ولما كان قد مضى على الهجرة سنة ١٣٨٧هـ يكون بهذا قد تم على بعثته «ص» اربعة عشر قرنا كاملة بالتاريخ الهجري •

وبهذه المناسبة الكريمة قررنا اصدار عدد خاص من « مجلة رسالة الاسلام » خلال سنتها الفعلية ، يتضمن دراسات خاصة حول الرسالة والرسول ، وقد شكلنا لجنة من ذوي الفضل لتحديد الموضوعات الهامة ، التي ينبغي أن يكتب حولها بهذه المناسبة ، ثم اتصلنا بكبار العلماء والكتاب الاسلاميين في انحاء العالم الاسلامي للاشتراك في كتابة دراسات حولها ، ليكون هذا العدد ـ بعون الله تعالى ـ ملتقى لاقلام اعلام الامة في اطراف الارض ، في احتفائها ، بولادة الرسالة المباركة واستجلائها ، مواضع بركاتها ، وعظيم آثارها •

وقد هزت الفكرة مقدما اريحية رجل مؤمن فرغب ان يسهم بشيء من نفقات الطباعة التي قدر انها سترهق كاهل المجلة ، فحيا الله مشاعره والى اللقاء احياءنا القراء في العدد الخاص انشاء الله •

رسالة الإسلام

كلية أصول الدين

كلية أصول الدين

السنة
الثانية
العددان ٣ و ٤

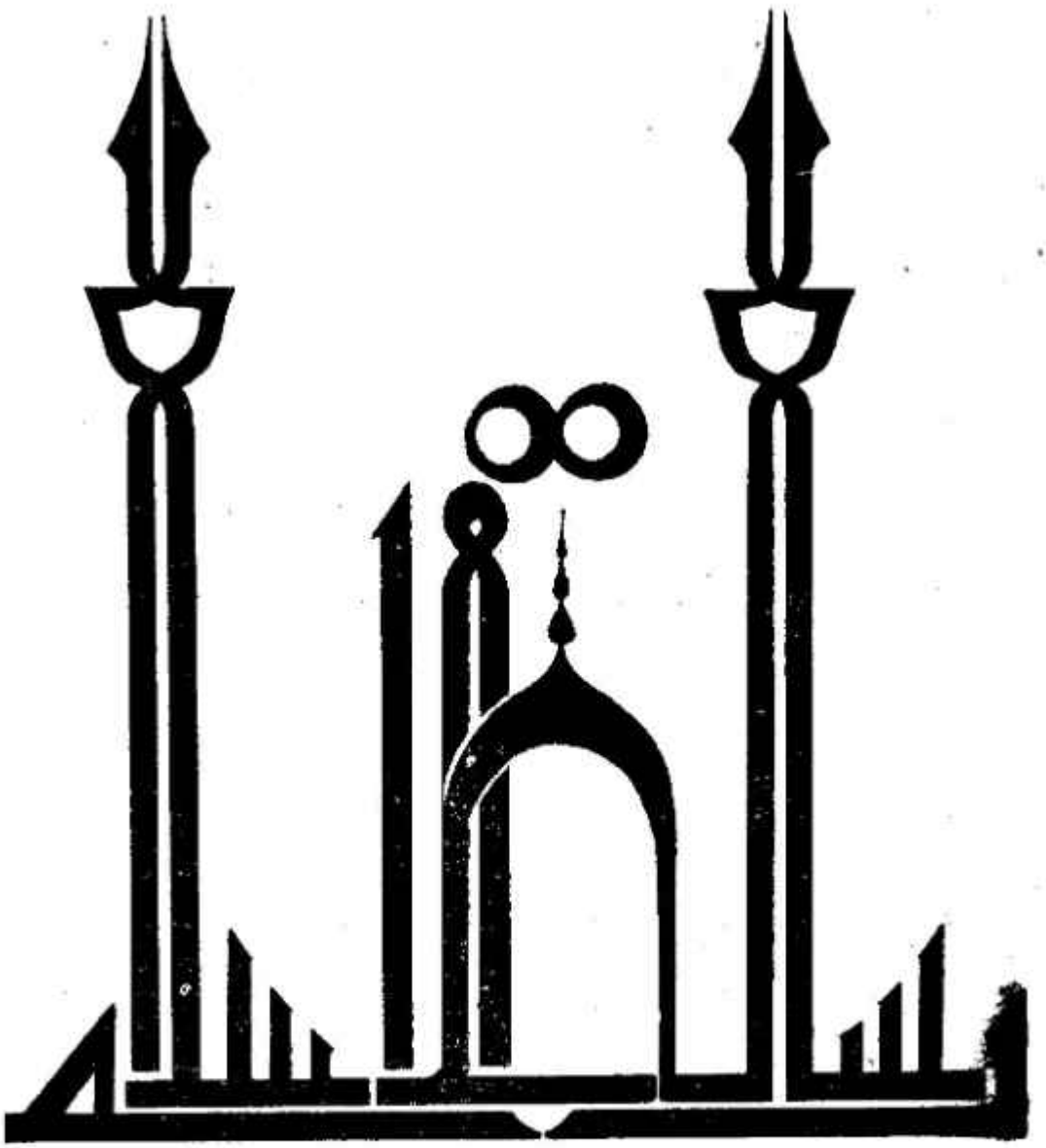

مطبعة المعارف ـ بغداد

رسالتنا ٥
كلمة التحرير : لماذا خسرنا المعركة ٨
نقد التفسير في عهد الصحابة ٩٥
ضرورة الحكم الاسلامي بعد زمن
المعصوم ٣٤
قال وقلت ٣٩
النظام الاسلامي مقارنا بالنظام
الراسمالي والماركسي .. ٤٢
الخلافة العباسية في عهد السلاجقة ٥٤
رباعيات : ياظلال الاسلام .. ٦٨
مواقف جريئة ٧٠
الشجر في القرآن الكريم .. ٧٤
درب النصر ٨٨
كتب وآراء في الميزان .. ٩٠
حصاد الحضارة المادية .. ٩٤
دراسة نقدية لحالة الحجاز قبل
الاسلام ٩٨
المأساة الكبرى في الشرق الاوسط ١١٢
حول العالم الاسلامي .. ١٢٦
مع صحافتنا الاسلامية .. ١٣٤
اخبار اسلامية ١٤١
بيان علماء الاردن ١٤٥
مبدأ الاباحة العامة في الثروات
الطبيعية ١٦٥
الشرق الاسلامي في المسرحية البريطانية
في القرن السابع عشر ١٧٣
وغيرها .. .. ..

رسالة الإسلام
مجلة شهرية فكرية تصدر باللغتين العربية والانكليزية
تصدر عن
كلية أصول الدين
بغداد
رئيس التحرير
عدنان الباكير
تلفون : ٩٤٥٢٢
المراسلات
باسم رئيس التحرير
الحوالات المالية
باسم
الحاج عبد الامير الحاج سعيد
الشيخ عباس
شورجة - تحت الطاق
بدل الاشتراك
داخل العراق : دينار واحد
خارج العراق : دينار ونصف
للمؤسسات الرسمية : ديناران

نص الرسالة التي وجهها سماحة المرجع الاسلامي

الامام السيد محسن الحكيم

دام ظله الوارف

الى المؤتمر الاسلامي المنعقد في عمان بتاريخ ١٦-٢٠/١/٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

اصحاب الفضيلة رئيس واعضاء مؤتمر العالم الاسلامي المحترمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فاني اذ أحيي مؤتمركم الموقر وأرجو له التوفيق في أداء مهمته أحس احساسا واضحا بأن المسلمين احوج ما يكونون اليوم الى التفكير العملي في الواقع المر الذي تعيشه الامة ، واعادة النظر في هذا الواقع بكل جوانبه الفكرية والاجتماعية والسياسية ومناقشته على ضوء المأساة المروعة التي أصيب بها المسلمون في هذه الايام ، والتي لم تكن الا نتيجة لانحراف أساسي في ذلك الواقع الذي ساهم المسلمون بكل أسف مع اعدائهم المستعمرين في اقامته وترسيخه وفصله عن الله سبحانه ، وقطع صلاته برسالته المقدسة .

وقد وضع الله سبحانه المسلمين جميعا امام مسؤوليات كبيرة في اعقاب هذه المأساة المفجعة ، كما وضع الحكام منهم ، بصورة خاصة ، أمام مسؤوليات اكبر ، وليست هذه المسؤوليات الا امتحانا جديدا للامة وارادتها وللحكام في العالم الاسلامي ، ومدى قدرتهم على الارتفاع الى مستوى القيادة الواعية الحريصة على كرامة الاسلام والمسلمين .

وبحكم تلك المسؤوليات الضخمة ، فأن المسلمين جميعا حكاما ومحكومين ، مدعوون للتوبة الى الله سبحانه والرجوع الى صراطه المستقيم ، وبناء حياتهم ، على أساس تعاليمه وتشريعاته ، وتغيير الوضع الاجتماعي للامة تغييرا اسلاميا شاملا ليغير الله ما بنا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ويبدل ذلنا بعز ، وانكسارنا بنصر ، وضيعتنا بوجود حقيقي فعال .

وان حكام المسلمين جميعا مدعوون بصورة خاصة الى مواجهة مسؤولياتهم أمام الله والتاريخ والامة الاسلامية بروح مخلصة ، وايمان صامد ، وحشد كل قواهم ، وامكاناتهم لاعادة الاراضي السليبة الى دار الاسلام ، والعمل بكل ما يملكون من حول في سبيل تحرير القدس والمسجد الاقصى الذي أسرى اليه رسول الله (ص) من المسجد الحرام ، واستنقاذ اولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين من ايدى اليهود المجرمين الذين أباحوا حرمة تلك البقعة الطاهرة ، وداسوا بأقدامهم أرضها التي باركها النبي (ص) في مسراه العظيم .

ولابد للحكام في العالم الإسلامي أن يعلموا أن استنقاذ القدس والاراضي السليبة الاخرى من براثن الاعداء لا يمكن الا باتخاذ موقف اسلامي صارم يتمثل فيه الاصرار الهائل المستميت على تطهير البقعة المقدسة والارض الطاهرة من الاعداء الغاصبين ، ورفض أية محاولة يقوم بها المستعمر الكافر لتمييع الموقف ، أو تقديم انصاف الحلول أو استغلال المأساة الراهنة لطرح فكرة التدويل .

ولابد لنا أن نؤكد هنا ، كما أكدنا في مجالات سابقة أن قضية فلسطين عموما والقدس خصوصا هي قضية الاسلام مهما حاول البعض أن يضعها في اطار أضيق أو يفسرها على أساس آخر ، ولهذا فأن مسؤوليات الموقف

العظيمة يواجهها المسلمون عموما ، وحكامهم بشكل خاص على اختـــلاف لغاتهم وقومياتهم ، وان التاريخ سوف يقيّم والامة سوف تحدد مفهومها عن الحكام اليوم ، العرب منهم وغير العرب ، على أساس مواقفهم من المأساة ، ودرجة الصمود الذى يتحلون به فى معركة تحرير القبلة الاولى ، للاسلام ، وطرد الغاصبين من ارضنا الاسلامية الطاهرة .

وختاما أسأل المولى سبحانه أن يوفق الجميع لمراضيه ويأخذ بيدكم لما فيه عزة الاسلام ، وخير المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم

١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٧

فهم طبيعة المعركة
أحد شروط النصر

لكي تخوض الامة المعركة وترد على التحدي الذى يجابهها ـ اي معركة وأى تحد ـ يتحتم عليها ان تدرك المضمون الحقيقي للمعركة ووجهها الكامل وتكتشف طبيعة التحدي وصيغته الواقعية وما لم يستطع احد المتخاصمين أن يستوعب خصمه ويفهم موقفه فهما كاملا لا يمكنه ان يكون على مستوى المعركة فى تخطيطه ولا ان يمتد على كل جبهاتها ٠

ونحن الآن فى معركة فاصلة من اخطر واهم المعارك التى خاضتها امتنا العظيمة فى تاريخها الطويل ونجابه فى هذه المعركة بكل قسوة تحديا اجراميا هائلا وتآمرا كافرا على كياننا وكرامتنا ومقدراتنا فيتوجب علينا في سبيل أن نخوض المعركة على كل جبهاتها ونجيب على التحدي بمستواه أن نفهم الموقف الحقيقي للعدو وابعاده وطبيعة المعركة ودوافعها ٠

وفى هذا المجال يعتبر الاطلاع الكامل على التكييف العسكري لموقف العدو وامكاناته الماديةوالحربية شرطا أساسيا فى اكتشاف الموقف وفهم طبيعة المعركة ولكن استيعاب الجانب العسكري من المعركة بالرغم من ضرورته لا يكفي وحده لتكوين المفهوم الكامل المعمق الذى تحتاج الامة الى تكوينه عن المعركة وطبيعتها

وابعادها .

ان المعركة التي تعيشها الامة اليوم وتواجه فيها أفظع الوان الاعتداء من الصهاينة اليهود حينما ننظر اليها في اطارها الكامل التاريخي الفكري والسياسي نراها جزءا من معركة أكبر ودورا من ادوار الحركة التاريخية الكبيرة للاعتداء التي مارسها أعداء الامة على مر الزمن ضدها ومنذ انبثق نور الاسلام الى يومنا هذا .

فان الاسلام حينما نزل من السماء على أنبل وأروع قائد للبشرية بوصفه الرسالة المحررة للانسان من الجاهلية احست كل الجاهليات على وجه الارض بالرغم من اختلاف أشكالها ومعالمها بان وجودها في خطر وان رسالة الاسلام المحررة في طريقها للقضاء على كل أصنام الانحراف البشري التي تقدسها تلك الجاهليات وتعيش على حسابها وكان من الطبيعي على هذا الاساس أن تدرك جاهليات الارض بغريزتها انها مدعوة لاجل الحفاظ على وجودها الى خوض المعركة ضد النور الجديد بكل طاقاتها وامكاناتها.

ويدل تاريخ الاسلام على ان تلك الجاهليات لم يحل تناقضها الظاهري واختلافها الشكلي عن التحالف وتجميع كل قواها في معركة حياة او موت ضد الرسالة المنقذة لانها تشعر حينما تواجه الاسلام بالتعاطف فيما بينها والالتقاء في القاعدة الاساسية التي تقوم عليها كل جاهليات الارض وهي فصل الانسان عن ربه في حياته العامة .

وفي غزوة الاحزاب مثال بارز على التحالف الطبيعي بين الجاهليات على اختلاف أنواعها ضد الاسلام فقد واجهت الامة الاسلامية التي تحمل الرسالة المحررة غزوا واسع النطاق من جيش ضخم يشتمل على جاهليات متعددة وقف فيه الانسان اليهودي الى جانب الانسان المشرك وتجمعت فيه مختلف قوى الانحراف الجاهلي ليطفئوا النور الذي كان الانسان المسلم يحمله الى العالم وكلنا نعلم من تاريخ الاحزاب كيف شهد اليهودي لمشركي مكة ان شركهم افضل من الاسلام وهو يعلم انه كاذب لانه كان يحس بان معركته ومعركتهم ضد الاسلام واحدة لانها في حقيقتها معركة الجاهلية ككل ضد الرسالة المنقذة .

ولم تكف الجاهلية ككل عن حركتها ضد الاسلام والتآمر عليه وقد قدر لفلسطين أن تشهد في تاريخنا الاسلامي كثيرا من مؤامرات الجاهلية وغزوها الذي تمثل في حروب الصليبية خلال قرنين من الزمان .

ولم تتحرج الجاهلية باشكالها

المختلفة يوما ما عن الالتقاء والتحالف ضد الاسلام وفقا لمتطلبات الصراع التاريخي الدائم بين الاسلام والجاهلية .

وحينما نرتفع بادراكنا الى مستوى هذا الصراع ونتبين طبيعة المعركة بين الاسلام والجاهلية ككل نستطيع ان ندرك بوضوح عدونا الحقيقي في جهادنا المقدس الذي نعيشه اليوم ونستوعب أبعاد المعركة فليس اليهودي وحده يقف في معركته ضدنا بل الجاهلية كلها تخوض حربها بشكل وآخر الى جانبه وليس اليهود والصهاينة الا جزءا من الجاهلية ككل المتحالفة بطبيعتها ضد الاسلام ويبدو من الطبيعي على هذا الاساس أن نواجه التحالف الكافر بين اليهودية والصليبية والالتقاء الفعلي في المعركة بين الاستعمار والصهيونية فان هذا ما يحتمه المنطق التاريخي للمعركة وتركيبها الحقيقي كمعركة بين الاسلام والجاهلية .

وفي هذا الضوء سوف لن ننظر الى معركتنا المصيرية ضد اليهود بانها معركة بين شعبين او قوتين وانما هي معركة بين رسالتين بين رسالة الاسلام المحررة النازلة من السماء وجاهليات الانسان المنحرف النابعة من الارض .

وما دامت المعركة في واقعها معركة الاسلام والجاهلية فيجب ان نخوضها على مستواها وان نعبئ كل امكاناتنا وطاقتنا لتصفية الجاهلية في داخل وجودنا الفكري والاجتماعي لنستطيع أن نسدد الى الجاهلية العالمية الضربة الحاسمة .

يجب ان نقضي وبصورة كاملة على القاعدة الفكرية للجاهلية القائلة بفصل الانسان عن ربه في حياته العامة ونقيم بدلا عنها القاعدة الاسلامية التي جاءت لتحرر الانسان من كل جاهليات الارض وتربطه بالله في كل مجالات حياته وتهديه الى سواء السبيل .

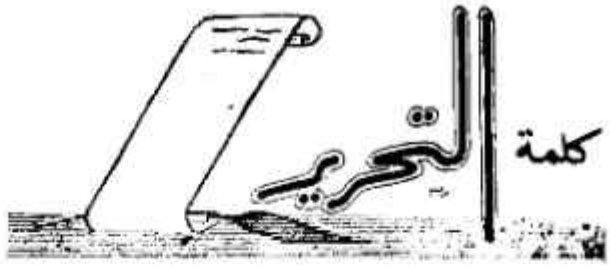

لماذا خسرنا المعركة؟

عدنان البكاء

لا يزال كثير من الناس يقف ذاهلا ازاء النتائج المرعبة التي تكشفت عنها الحرب مع اسرائيل ، ذلك انهم مهما امعنوا في التشاؤم بخصوص عقبى المعركة - على ضوء معرفتهم بالواقع الذي نعيشه - ما كانوا ليصلون - في حسابهم - حتى الى احتمال ما حدث بعد ذلك .

فاسرائيل مهما اصر اسيادها على تمكين اقدامها من الارض فيما يقدمونه لها من اسناد وتعضيد ، ومهما منحتها قوى الصهيونية العالمية - بواجهاتها المختلفة - من اسباب القوة ، وعوامل النماء على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري ، فانها تظل على كل حال وليدة غير طبيعية لا يؤهلها الجو الذي تعيشه من جهة ، والفترة الزمنية التي مرت عليها من جهة اخرى أن تكون من صلابة العود ، ومن الطاقة بحيث تصارع دولا ذات قدم راسخة ، دولا تملك من القوة المادية ، والبشرية ما لا تستطيع اسرائيل بكل ما وراءها

من عـون أن تكتسب نظيره ولذلك ، فالناس يضربون أخماسا باسداس بصدد التماس تفسير مقبول يقفون عنده ، ويستقرون اليه .

فهنـاك من يحلو له أن يتهم ان يشكك بجدية القائمين بالمعركة من جانبنا وقـد لا يجد بعضهم من دلائل الاثبات لهذه التهمة أكثر من اطمئنانه اليها في تفسير ما حدث . لقد سمعنا ـ وللاسف ـ من يقول ان دخول الحرب اساسا على مثـل هذا المستوى ، وفي مثل هذه المفاجأة قبل أن تعبىء الامة قواها ، وتجمع امكاناتها ليس الا فصلا من مؤامرة يرمي من ورائها الى تمكين اسرائيل من النصر ، ومن ثم حمل الامة على الاعتقاد بقوة اسرائيل وتقبل الامر الواقع في وجودها على أساس ايهام الامة بفقدان القدرة على تهديمهـا وازالتها . وربما وجد بعض هـؤلاء في ظروف المعركة وملابساتها ما ساقوه على انه دليل يعضد رأيهم في هذا المجال ، وكما ينتشر هـذا التفسير لدى بعض الناس هنا ، وجدناه شائعا لدى الكثير في شعوب العالم الاسلامي على مستوى من الاقتناع عسر علينا ـ لدى البعض ـ حتى أن نناقشه ، وفي باكستان خاصة توجد نشرات في مختلف المدن تفسر حدوث النكبة للناس مثل هذا التفسير

ومهما تكن قسوة هذه التهمة ، وفضاعتها ، فانها تعبر عن رفض الامة للهزيمة ، وايمانها بالنصر ، مما يرفع من معنوياتنا في مجال الاعداد للمعركة مرة اخرى .

ان ما يحمل هؤلاء على تبني مثل هذا التفسير ـ فيما اخال ـ هو أن ما حدث لا يقع ضمن تقديرهم للقوى والامكانات لدينا ولدى العدو ، فهم اذ يقصرون نظرهم على اسرائيل منفردة ـ كطرف مقابل لنا في المعركة ـ يرونها من الضآلة من ناحية الكم ـ وهذا ما يأخذونه في أغلب الظن بنظر الاعتبار ـ أقل من أن تقف على أقدامها ازاء ما تملكه الدول العربية من قوة في هذا المجال، دونما استيعاب للاوضاع العامة التي تعيشها البلاد العربية ، مما يمكن لاسرائيل في المعركة ودونما حساب لدى الاسناد المباشر الذي تلقاه من الاستعمار الغربي على اختلافه . ان تفسير الاحداث على أساس ما يظهر من الامور هو الذي يقصر نظر هؤلاء على جزء من اسباب الهزيمة بينما يغفلون الاسباب الاخرى وكما اطمأن هـؤلاء الى هـذا التفسير ، فهنـاك من النـاس من شـاء أن يطمئن الى تفسير آخر هـو اشتراك الانجليز والامريكان، بصورة مباشرة في المعركة مما يجعل امر النكسة

لديه واقعا لا مناص منه أمام ضخامة القوى العدوة كما وكيفا وهم باصرارهم على مثل هذا التفسير انما يدفعون عن أنفسهم ثقل الشعور بالعار والم الاحساس بالتقصير ٠

وهناك تفسيرات اخرى لا تجاوز في مستواها هذين التفسيرين يستنبطها الناس استنباطا ، أو يحدسونها حدسا ، ليرفعوا عن انفسهم الحيرة الخانقة ، والازمة النفسية المربكة التي تأخذ عليهم اسباب الراحة والطمأنينة ازاء النكبة التي نعيشها ٠

ورغم ان في بعضها وجهات نظر صائبة الا اننا لم نجد فيها من استوعب العوامل والاسباب استيعابا يعطي التفسير الصحيح لما حدث من نكبة مروعة ٠

وما نراه ان للنكبة المريرة التي واجهناها أسبابا عديدة تتعلق بواقع العدو من ناحية وبواقعنا من ناحية اخرى ٠ ولابد لنا لكي نتعرف موطن الخطر في موقفنا ، ونقاط الضعف فيه أن نكشفها بصراحة ونتمعن في قوة كل منها في تسبيب الكارثة لنواجهه على ما يقتضيه من مستوى في الجهد والعمل والتخطيط ٠

اما ما يتعلق بواقع العدو فأمورمنها:

١ ـ ان وراء اسرائيل حركة هي من اخطر الحركات التي شهدها ويشهدها العالم ، تلكم هي حركة الصهيونية العالمية الحركة التي ترتبط بها أجهزة كثيرة تمثل مختلف الواجهات في الشرق والغرب ، تعمل كلها ـ باستمرار ـ ضمن اطار الغاية التي تستهدفها الحركة ، وهي تدعيم دولة اسرائيل وتوسيع مداها ، ووضع الدراسات والخطط اللازمة بسبيل ذلك ، والذي يقرأ تاريخ الحركة الصهيونية ويطلع على ما يتحدثون عنه من شبكاتها وأعمالها ويتأمل ما وضعته من تخطيط وما سلكته من أساليب لتحقيق مطامحها وغاياتها ، قبل تأسيسها لدولة اسرائيل وبعده بحيث ان ما قدرته منذ البدء تحقق وللاسف شيئا فشيئا وعلى نفس المراحل والمستوى الذي قدرته يعلم أنئذ خطأ تقديره لقوة اسرائيل ، ويعلم أن ما هناك من مقاييس لتقدير قوى الدول الناشئة والصغيرة ، لا يصلح مقياسا لقوة اسرائيل ٠

ان الحركة الصهيونية التي اقامت اسرائيل تمد أذرعها كالاخطبوط الى مختلف مراكز القوة والتأثير في العالم ، لتجرها الى خدمة اسرائيل أو تشلها عن الاضرار بها ، ومن الجهة الثانية تمدها لتعيث خرابا فيما تخشى ان يكون موضع

قوة من جانبنا ، فاسلامنا الذى يمنحنا بمفاهيمه وقيمه الصمود والثبات ووحدة صفنا ـ واتجاهنا ـ نحن المسلمين ـ التى تهبنا قوة مدمرة وامكانات هائلة فى المعركة ، تعرضت لحملات مستمرة من قبل الصهيونية ، قضت على امكانية الاستفادة منها فى هذا المجال .

٢ ـ يرتبط وجود اسرائيل ـ لدى الغرب ـ بغايات استعمارية ودينية دفعت الغرب منذ البدء الى أن يتبناها ويقف الى جانبها شعوبا وحكومات ، ولذلك فان من يظن ان موقف الغرب سيتغير بمجرد أن نزيد من عملنا لايضاح قضيتنا ، وبيان حقنا هناك انما يجهل أو يتجاهل هذه الحقيقة . فالغرب لم يقف مع اسرائيل لانها انشط منا فى مجال الدعاية لقضيتها لنعمل على مقابلتها فى هذا المجال ، وانما وقف معها لان وجودها يحقق له اغراضا ومصالح خاصة داخل العالم الاسلامي . والشعوب الغربية لم تستطع حتى الآن ، أن تنسى حقدها الصليبي وعداءها التاريخي لهذا العالم ، ولذلك فهى تسعى جاهدة بكل وسيلة للانتقام منه وتحطيمه ، ولقد كان اصحاب الملايين من مسيحي الغرب ، أول من بادر ـ لدى تشكل الحركة الصهيونية ـ الى تاييدها ومدها بالمال كما تذكر « دائرة المعارف البريطانية » وحين دخل اللنبي (القائد الانجليزي المعروف) بيت المقدس قال : (الآن انتهت الحروب الصليبية) ويذكرون انه دخل هذا الحرم بين يدى جشد طويل من القسس والرهبان ، والمباخر والصلبان والتراتيل الدينية » ولا زال موقف الشعوب الغربية ثابتا من هذه الناحية ، لم تهزه اطلاقا المظالم التى ترتكبها الصهيونية بحق شعب وديع آمن فى أرضه .

أما الحكومات الغربية فانها ـ مضافا الى تحسس الكثير من رجالها بالدافع السابق فانها تعضد اسرائيل لكونها قاعدة تؤمن نفوذها في المنطقة اذ تستطيع أن تتخذ منها منطلقا للعدوان ، تهدد بها أمن المنطقة بصورة مستمرة ، وبذلك تحملها على الرضوخ لاغراضها الاستعمارية ، وتقاوم منها الحركات المعادية التى تهدد مصالحها فيها .

وهذه هي سياسة الاستعمار فى البلاد الاسلامية بصورة عامة ، فما من جهة فى هذا العالم الا وقد ثبت فيها قاعدة على هذا المستوى .

ولم ينس بعضهم أن يشير الى سر آخر يجعل الغربيين يعطفون على اسرائيل ويتبنون الدفاع عنها ذلك أن اسرائيل لا تختلف فى طبيعة

افكارها وقواعدها الحضارية عن العالم الغربي ، ولذلك فهم يعتبرونها جزءا من هذا العالم وهي قد تساعد على تمكين مفاهيم الحضارة الغربية في المنطقة قال روبرت كندي : (انه يعتبر اسرائيل منارا للحضارة الغربية في الشرق) واذا ثبت هذا علمنا مدى القوة التي تحصل عليها اسرائيل من العالم الغربي اموالا واسلحة ، وخبراء على حين تقف الدول العربية وحدها في المعركة او هكذا شاءت او شاء لها الاستعمار والصهيونية حتى العالم الاسلامي لم تحاول اشراكه في المعركة ، والاستفادة من طاقاته فيها وهكذا كانت المعركة، وظهر تفوق اسرائيل فيما تملك من قوة وفيما تملك من سلاح . تفوقا لم يخطر على بال اطلاقا انها قوة العالم الغربي مجتمعة تسند صنيعته .

٣ ـ ومما ساعد اسرائيل أن تكون على هذا القدر من القوة في المعركة ، والتهيؤ لها هي أنها تعيش في خطر دائم ، ذلك ان طبيعة وجودها الذي قام اساسا على الاغتصاب والعدوان لا يسمح لها بالاخلاد الى الطمانينة والركون الى الترف واللهو كما كنا نفعل ولهذا فقد كانت كل لكم المدة منذ الهدنة حتى نشوب المعركة تعد نفسها اعدادا مستمرا وحثيثا ، للاحتفاظ بمواقع عدوانها . فخططت لقراها ، ومدنها على هذا الاساس ، فكل شارع هناك يصلح أن يكون مدرجا للطائرات تهبط فيه، وتنطلق منه هذا يضاف الى المطارات العسكرية الخاصة. ثم اعدت سكانها للحرب فكل فرد هناك يتقن صنعة الحرب ، وعملية القتال مستفيدة في دفع سكانها لمثل هذا التهيؤ وفي كسب المزيد من عطف أصدقائها في العالم الغربي ، مما نفعله دائما من عرض عضلاتنا ، والتلويح بقوانا والتهديد بتدميرها وافنائها دونما طائل كلما اضفنا شيئا ولو كان بسيطا الى عدتنا ، أو حتى اذا لم نضف شيئا على الاطلاق . وفي الوقت الذي كانت امكاناتنا وعدتنا واضحة لدى اسرائيل كنا نجهل ـ كما اثبت الواقع ـ أهم ما يهمنا في المعركة معها ولا أنسى كلمة قالها لي أحد المفكرين في هذا المجال « لو كانت اعمالنا بعنف اقوالنا ، واقوالنا بهدوء اعمالنا ، لدحرنا اسرائيل

اما ما يتعلق بنا من أسباب الهزيمة وهي ـ فيما اقدر ـ أكثر اهمية من حيث تسبيبها لخسارتنا من تلك التي تتعلق بواقع العدو فامور :

١ ـ بعد الامة عن قاعدتها الفكرية الاسلامية التي كانت تمنحها مميزاتها وملامحها الشخصية « كامة » تشعر بذاتها ، وتنافح عن وجودها القاعدة

التي كانت تهب الامة من التماسك والارتباط ومن وحدة الهدف والمنطلق، ما يحقق لها القوة والمنعة ازاء اي عدوان يقدر لها أن تواجهه ، وعلى أي صعيد لقد أصبحنا نعاني ـ في اطار واقعنا الراهن، وبتأثير التيارات الحضارية الغربية ـ أصبحنا نعاني من التمزق والاختلاف ما لا حدود لفضاعته وخطورته .

نعاني تمزقا في الصف الاسلامي على أساس القومية وتمزقا في الصف القومي على أساس الاقليمية وتمزقا في وحدة الاقليم على أساس الحزبية وقد ادى هذا الوضع بطبيعته الى الامور التالية :

أ ـ انشغلنا بمعارك داخلية ، وجانبية ـ وقد استنزفت هذه المعارك ـ بمستوياتها المختلفة مخزون الطاقة التي كانت تملكها الامة وارهقتها ارهاقا أضعف جبهتها في مقابل العدو ، وأشغلها عن مواجهته.

ب ـ هذا الواقع ـ الذي ذكرناه ـ جعل من المتعذر ان تقوم الامة بعمل متناسق في الوقت المناسب لمواجهة المواقف الخطيرة ، فما دامت الاتجاهات مختلفة والآراء متناقضة ، فليس من الممكن أن يتاح والحالة هذه الاتفاق على خطة موحدة في الاعداد للمعركة على المستوى المادي والمعنوي داخل الامة . ان اختلاف وجهات النظر على أساس اختلاف القواعد التي يصدر عنها الاطراف هنا ، من شأنه ، أن يعوق ، وجود مثل هذه الخطة ، والالتزام بها من قبل البعض ان فقدان الثقة بين هذه الأطراف ، وتنازع البقاء الذي يحدث بينها عادة ، من شأنه ان يحول دون وجود ارتباط قوي بينها على المستوى الذي تحتاجه المعركة .

ولا تقتصر آثار هذا الاختلاف على سياسة القضية داخل الامة ، بل حتى في خارجها أيضا ، فالانشطار الداخلي من شأنه أن يعرض السياسة الخارجية التي تتبع ازاء القضية الى كثير من الارتباك والضعف ، تسبب ذلك المواقف المتناقضة ، والتفسيرات المتباينة للقضية حيث يتوزع بسبب ذلك الجهد المبذول بسبيلها بل يصادر بعضه البعض الآخر احيانا .

٢ ـ ان الاوضاع التي يعيشها المسلمون منذ ان ابتعدوا عن الاسلام كقاعدة للدولة والمجتمع . هذه الاوضاع التي كان من نتائجها ذلكم التمزق الذي تحدثنا عنه وعن آثاره ، ومضاعفاته لها اثر آخر على الصعيد الاخلاقي ايضا فضياع الفرد المسلم ، وفقدانه الركائز الفكرية ، والمقاييس التي يتعامل على اساسها

مع الواقع الركائز التى تنبع من عقيدته كمسلم ، عرضه الى الانجراف مع التيارات الفكرية والسلوكية ، التى اوجدتها الحضارة المادية ، وكان من ابرز مظاهر هذا الانجراف ، الميوعة ، والترف والتحلل التى يعيشها جيل هذا اليوم ، ان المفاهيم الفاسدة والاوضاع المتعفنة ، وما انتشر من مواطن الفجور والرذيلة اماتت فيهم روح الرجولة وخلال الفروسية التى تبنيها الحياة الاخلاقية النظيفة ، والبيئة الاجتماعية الاسلامية ، ولذلك فهو اضعف من ان يقف فى معركة تقتضى قدرا من التضحية ، ونكران الذات ، بسبيل القيم العليا بسبيل الشهادة بسبيل « احدى الحسنيين » كما كان يفعل المجاهدون من المسلمين الاولين .

تلكم هي أسباب خسارتنا ...

نقد التفسير في عصر الصحابة والتابعين *

محمد باقر الحكيم

مدرس علوم القرآن

يجدر بنا ـ ونحن نريد أن نمحّص نتاج هذه المرحلة التفسيرية ـ أن نستذكر حصيلة أبحاثنا السابقة فيما يتعلق بالمحتوى الداخلي لرجال المرحلة من الصحابة والتابعين . ذلك لان المعرفة التفسيرية تتأثر بطبيعة الحال ـ بخصائص هذا المحتوى ومقوماته لانها عطاؤه ونتاجه .

ولابد لنا قبل هذا من أن نتعرف على هذا المحتوى الداخلي فنقسمه الى جانبين رئيسين :

---

* حينما ندرس التفسير في عصر الصحابة والتابعين لا يفوتنا أن نؤكد على أمرين منعا لما يمكن أن يقع فيه البعض من الالتباس .

١ ـ اننا ندرس الصحابة على أساس المستوى العام الذي كان يتمتع به هؤلاء الرجال والذي كان يمثل روح ذلك العصر من ناحية فكرية واجتماعية ، وهذا لا يعني وجود بعض الرجال من الصحابة والتابعين ممن كانوا على درجات متفاوتة وكبيرة من الوعي والاخلاص والعلم .

٢ ـ لا يمكننا ـ بالرغم من كل نقاط الضعف التي اصيبت بها المعرفة التفسيرية في عصر الصحابة والتابعين ـ ان ننكر عظيم الخدمات التي قام بها هؤلاء الرجال والعطاء الذي وهبوه للمعرفة التفسيرية . الشيء الذي كان موضع استلهام كثير من المدارس التفسيرية حتى عصرنا الحاضر .

الأول : الجانب الفكري ، ونعني به مقدار الثقافة الاسلامية التي كان يتمتع بها الصحابة وما يستلزم ذلك من وعي وشعور بالمسؤولية تجاه الثقافة ومعرفة الاساليب العملية لحمايتها .

الثاني : الجانب الروحي . ونعني به درجة التفاعل مع الثقافة الاسلامية والامتزاج الروحي والوجداني بها ومدى الايمان بصحتها والاخلاص لها .

وبهذا الصدد عرفنا سابقاً : ان الصحابة بالنسبة الى الجانب الاول كانوا على جانب من السذاجة الفكرية وذلك بحكم ان الرسول الاعظم (ص) لم يخطط الى تهيئة الصحابة لقيادة التجربة الاسلامية بشكل رئيسي وانما أوكل القيادة الى أشخاص معينين هيئهم لهذه المهمة القيادية[1] ولكنهم انصوا عنها بعد وفاة الرسول (ص)[2] . فكان من نتائج ذلك :

أ ـ عدم استعاب الصحابة للثقافة الاسلامية ، نتيجة لعدم تفسيرالرسول الاعظم للقرآن بشكل شامل على المستوى العام .

ب ـ سذاجة الصحابة في ضبط وحماية أقوال الرسول وسلوكه .

ج ـ بقاء الصحابة على سذاجتهم الفكرية وميلهم للبساطة وعدم التعمق وتأثرهم في فهم الاسلام باطاراتهم الفكرية الخاصة .

وكما عرفنا ـ سابقا ـ ان الصحابة بالنسبة الى الجانب الثاني كانوا مختلفين في درجة الانفعال بالثقافة الاسلامية والاخلاص لها نتيجة لمختلف الظروف الموضوعية التي أحاطت ظروف انتمائهم الى الاسلام واتصالهم بالنبي (ص) ومدى طموحهم وآمالهم . وقد رجعت الامة الى جميع هؤلاء

---

(١) راجع التفسير في عصر الرسول : رسالة الاسلام : العدد الاول ـ السنة الاولى .

(٢) ذكرنا ذلك في التمهيد من تاريخ التفسير محاضرات علوم القرآن : السنة الثانية من كلية اصول الدين .

دون تمييز بين المخلصين منهم أو الأقل اخلاصاً أو المنافقين • فكان من نتائج ذلك تأثر الثقافة الاسلامية التي اعطيت للمسلمين من قبل الصحابة •

أ ـ بالاتجاهات السياسية المختلفة التي عاشتها تلك الفترة •

ب ـ بالاتجاهات المصلحية ذات الطابع الشخصي أو القبلي •

مظاهر هذه النتائج في المعرفة التفسيرية

وقد تأثرت المعرفة التفسيرية بهذه النتائج التي فرضها المحتوى الداخلي للصحابة على الثقافة الاسلامية فاتسمت بدورها بنفس نقاط الضعف التي اتسمت بها الثقافة الاسلامية بشكل عام •

ومن أجل أن نحدد هذه النقاط ونوضح مدى تأثير المعرفة التفسيرية بها يجدر بنا أن نذكر بعض الشواهد من المعرفة التفسيرية على مظاهر نقاط الضعف • ولنأخذ كل واحد منها بشكل مستقل •

أولا ـ عدم استيعاب الصحابة للثقافة الاسلامية :

لسنا بحاجة هنا الى أن نرجع مرة اخرى لنعرف مدى صحة هـذا الحكم بعد أن عرفنا ذلك في بحث (التفسير في عصر الرسول) ولا نريد هنا الا ان نبحث عن المظاهر التي أشاعتها في المعرفة التفسيرية نقطة الضعف هذه ، ويمكن أن نلخص ذلك في النقاط التالية :

أ ـ ان طبيعة المرحلة التي عرفناها سابقا وهي مواجهة القرآن الكريم كمشكلة لغوية يمكن أن نرجع ببعض جوانبها الى هـذه النقطـة • لان الصحابة حين فقدوا العنصر الخارجي الذي كان من الممكن أن يساهم في معرفتهم التفسيرية مساهمة فعالة كان من الطبيعي أن ينحصر تناجهم التفسيري بما يقتضيه المحتوى الداخلي لهم • ولم يكن ذلك المحتوى بالمستوى الذي يمكنه أن يواجه القرآن الكريم بشكل أعمق من المشكلة اللغوية فجاءت المرحلة وهي لا تعنى بكثير من الجوانب العقلية والاجتماعية التي اهتمت بها مراحل متأخرة •

ب ـ انفتاح باب الرأي والاستحسان الامر الذي أدى الى نتائج خطيرة في المعرفة التفسيرية وانتهى الى ظهور الصراع التاريخي بين مذاهب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي • ولعلنا نوفق لدراسة هذا الصراع وأسبابه بشكل خاص •

ج ـ اعتماد الصحابة على أهل الكتاب في تفسير القرآن لأن السبب الرئيسي لوقوع الصحابة في مثل هذه المفارقة هو الفراغ الذي كانوا يعانونه في المعرفة التفسيرية نتيجة لعدم الاستيعاب من جانب والمتطلبات الفكرية التي كانت تواجههم كقادة فكريين من جانب آخر • وسوف نعرف قريبا مدى الخطأ الذي وقع فيه بعض الصحابة نتيجة هذا الرجوع منهم الى هذا المصدر في التفسير •

د ـ بعض المضاعفات التي سوف نتعرف عليها في نقاط الضعف الآتية حيث كان من الممكن تفادي هذه الاخطاء لو تهيأت للصحابة الظروف التي تجعلهم في مستوى الثقافة الاسلامية في التفسير • ومن هذه المضاعفات تأثرهم ببعض الاطارات الفكرية الخاصة في تفسيرهم للقرآن ، أو فهمهم للاستعارة القرآنية بشكل آخر لا ينسجم مع الواقع القرآني • بسبب عدم اطلاعهم على الاطار الفكرى لتلك الاستعارة القرآنية •

ثانيا ـ سذاجة الصحابة في ضبط وحماية المعرفة الاسلامية

لم يكن اكثر الصحابة في عصر الرسول الاعظم يتمتعون بالمقدارالكافي من الوعي للظروف والمضاعفات وما يستدعيه مرور الزمن وانتهاء عصر الوحي من وضع ضمانات لحماية المعرفة التفسيرية وغيرها من المعرفة الاسلامية وضبطها • فنجم عن هذا الاهمال مجموعة من المضاعفات ونقاط الضعف اصابت جوانب من المعرفة التفسيرية •

فقد عرفنا : ان المعرفة التفسيرية في عصر الصحابة والتابعين اعتمدت على مجموعة من المصادر كان منها النص القرآني ، والمأثور عن الرسول ،

وأقوال الصحابة الذين عاشوا الاحداث الاسلامية التي ارتبط بها النص القرآني • ومن أجل أن تكون هذه المصادر ذات دور ايجابي في عملية التفسير كان يجب أن تكون موضع اهتمام في صيانتها وضبطها وحمايتها ليمكنها أن تؤدي مهمتها في تغذية المعرفة التفسيرية •

ونحن نلاحظ مجموعة من نقاط الضعف اكتنفت عمليّة الاستفادة من هذه المصادر نتيجة للسذاجة في الضبط والحماية •

١ ـ نلاحظ ان بعض الالفاظ القرآنية تقرأ بأساليب مختلفة تؤدي في بعض الاحيان الى الاختلاف في معنى اللفظ ومؤداه ، هذا الشيء الذي أدى في نهاية تطوره الى ولادة علم القراءات •

وقد عولجت ظاهرة تعدد القراءات في البحوث التفسيرية العامة على أساس ان القرآن الكريم جاء به الوحي الى الرسول الاعظم (ص) بهذا الشكل المختلف •

ولكننا لا يمكن أن نقبل مثل هذه المعالجة بشكل مطلق وفي جميع الحالات خصوصا في الحالات التي يكون لاختلاف القراءة تأثير على المعنى ويكون المعنى بدوره مرتبطا بحكم كما في (يطهرن) بالتخفيف و (يطهّرن) بالتشديد • اذ في مثل هذه الحالة لا يمكن أن تتعقل الترديد في الحكم الشرعي المستفاد منها[٣] •

وحينئذ نجد أنفسنا أمام تفسيرين لهذه الظاهرة بشكل عام أو على الاقل في بعض الحالات :

الاول : هو اهمال ضبط الكلمات القرآنية بشكل معين في عهد

---

(٣) يحسن بهذا الصدد مراجعة البيان في تفسير القرآن لآية الله الخوئي (المدخل) ص : ١٠٢ ـ ١١٧ •

الرسول من قبل بعض الصحابة أنفسهم أو نسيان الطريقة الصحيحة لنطق اللفظ نتيجة عدم التدوين .

الثاني : تدخل عنصر الاجتهاد والاستحسان في القراءة بعد فقدان حلقة الوصل التي كانت تربط بين بعض الصحابة والرسول .

ومن الممكن أن يكون النسيان مشتركين في نشوء هذه الظاهرة .

ويبدو لنا بشكل واضح تأثير اختلاف القراءات على فهم النص القرآني اذا لاحظنا هذا النص التاريخي عن مجاهد أحد كبار مفسري التابعين : (لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود ثم احتج الى أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن)[٤] .

٢ ـ ولعل من أبرز مظاهر عدم الضبط وأبعدها أثرا في القرآن الكريم هو ما يقال عن نسخ التلاوة ، حيث لا يمكن تفسير بعض النصوص التي تتحدث عن هذا النسخ ـ اذا أردنا أن نحسن الظن في الصحابي الذي رواها ـ الا على أساس انه كان يسمع من النبي (ص) الحديث أو الدعاء فيتصوره قرآنا أو يختلط عليه الأمر بعد ذلك . والا فكيف نفسر ادعاء عمر بن الخطاب آية الرجم مع أنه يصرح انها مما مات عنه الرسول وهو يقرأ من القرآن ؟!![٥] .

٣ ـ والى جانب القرآن الكريم تعرض المأثور عن رسول الله الى هذه الظاهرة ونلاحظ ذلك في اختلاف ما يروى عن رسول الله (ص) في التفسير[٦] .

---

(٤) الترمذي : ٦٨/١١ .

(٥) البخاري : ١٢٠/٤ باب رجم الحبلى من الزنا في كتاب الحدود. والاتقان ٥٨/١ .

(٦) كمثال على ذلك قارن بين الروايات التي يذكرها السيوطي في الاتقان ١٩١/٢ ـ ٢٠٥ .

كما نجد مثل هذا الشيء في نقل الحوادث التاريخية التي ارتبطت بها بعض الآيات القرآنية • حيث نلاحظ مفارقات كثيرة في ذلك مما أدى في بعض العصور المتأخرة الاسلامية الى نشوء بعض الفرق والمذاهب المختلفة • ويظهر ذلك بمراجعة أي كتاب من كتب أسباب النزول(٧) ومن الواضح أن تفسير هذه الظاهرة انما يكون بموجب نفس الاسس السابقة التي عللنا بها ظاهرة تعدد القراءات حيث يمكن ارجاع ذلك لعدم ضبط الصحابة لاقوال الرسول وسلوكه أو الى عدم التدوين الذي أدى في عصرنا ما بعد الصحابة الى هذا الاختلاط •

٤ ــ وقد تعرضت المعرفة التفسيرية الى نقطة ضعف هامة نتيجة لهذه البساطة في الشعور بالمسؤولية وعدم التقدير الواعي لظروف الحماية وأساليبها • حيث نجد المرحلة تعتمد بشكل رئيسي على أقوال أهل الكتاب ونظرياتهم •

---

(٧) وبصدد أسباب النزول نجد علماء التفسير يأخذون قول الصحابي بمنزلة المرفوع في أسباب النزول من دون تردد والكثير منهم يعمم هذا الحكم الى جوانب المعرفة التفسيرية • في الوقت الذي يجب علينا كباحثين أن نميز بين الصحابة الذين عاشوا هذه الاحداث عن كثب وشاهدوا تفاصيلها • وبين الآخرين الذين اعتمدوا في نقلهم لها على الشائعات والاقاويل • الامر الذي يؤدي في أكثر الاحيان الى الالتباس في نقل الخصوصيات والتفصيلات • فنحن حين نشاهد بعض المسلمين يختلفون في المسجد الذي اسس على التقوى هل هو مسجد (قبا) أو مسجد الرسول (ص) في زمن الرسول ويرفعون هذا الاختلاف للرسول الاعظم ليحكم فيه* •• نسمح لانفسنا أن نشكك في كل ما يروى عن الصحابة بهذا الشأن اذا لم يكن الشخص الراوي قد عاش الحادثة بنفسه •

---

* الترمذي : ١١/٢٤٥ ــ ٢٤٦ ويروي الترمذي بعد هذه الرواية نصا آخر يدل بالدلالة الالتزامية على أن المسجد هو مسجد (قبا) في الوقت الذي نجد هذه الرواية تصرح بأن المسجد هو مسجد النبي •

وقد وقع بعض الصحابة نتيجة لهذا الاعتماد في مفارقات فكرية وعقيدية تختلف عن الاتجاهات الاسلامية الصحيحة • فهناك كثير من الافكار الاسرائيلية عن الانبياء وعالم الآخرة والملائكة اضيفت الى القرآن الكريم نتيجة هذا الربط التفسيري بين الوقائع التي تسردها الكتب الاسرائيلية أو التي يرويها الاسرائيليون والوقائع التي يشير اليها القرآن الكريم لاستخلاص العبرة والموعظة منها •

والشواهد على هذه المفارقات في النصوص التفسيرية الصحيحة المأثورة عن الصحابة كثيرة واليك نماذج منها •

أ ـ عن أبي هريرة في قوله تعالى : (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم •••) (الاعراف : ١٧٢) قال : قال رسول الله (ص) (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا[٨] من نور ثم عرضهم على آدم • فقال آدم : أي رب من هؤلاء ؟ • قال هؤلاء ذريتك • فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال : أي رب من هذا ؟• فقال : رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود • فقال رب كم جعلت عمره • قال ستين سنة قال : أي رب زده من عمري أربعين سنة • فلما قضى آدم جاءه ملك الموت • فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟!• قال أولم تعطها ابنك داود ؟ فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته • وخطىء آدم فخطئت ذريته)[٩] •

وهذا الحديث وان كان يرويه أبو هريرة عن رسول الله (ص) ولكننا نقطع بعدم صدوره من رسول الله لوجود صلة الرحم بينه وبين الاسرائيليات في نظرتها الى الانبياء واتهامها لهم بعظائم الامور كما انه يحاول

---

(٨) (الوبيص) : البريق • ابن الاثير : البداية والنهاية ٤/١٩١ •
(٩) الترمذي : ١١/١٩٦ ـ ١٩٩ •

أن يصور بني اسرائيل على أساس أنهم آخر الامم • وعدم وجود ارتباط واضح بين الفقرات الثلاثة الاخيرة وواقع القصة • ان لم نقل بتناقضها •

ب ـ عن ابن عباس ان النبي (ص) قال لما أغرق الله فرعون قال : آمنت بأنه لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل • فقال جبرئيل فلو رأيتني وأنا آخذ من حال[١٠] البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة[١١]

فان هذه الرواية تصور لنا جبرئيل شخصا يحب الانتقام والهلاك للناس • فاذا قارنا ذلك بما ينظر اليهود به الى جبرئيل وانه ملك العذاب كما جاءت بذلك بعض النصوص التاريخية في أسباب نزول قوله تعالى : (ومن كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ••• الآية) [البقرة : ٩٨] ••• نعتقد ان هذه الرواية لم تأت عن النبي وانما جاءت على لسانه تأييدا لوجهة النظر الاسرائيلية • أو تأثرا بأفكار الاسرائيليات • والا فنحن لا نفهم لماذا يخاف جبرئيل أن تدرك رحمة الله أحدا من الناس حتى لو كان ذلك فرعون ؟!!•

ج ـ عن أبي هريرة رفعه : « لم يكذب ابراهيم الا في ثلاث : قوله : اني سقيم ولم يكن سقيما • وقوله لسارة : اختي • وقوله : بل فعله كبيرهم هذا »[١٢] •

ولا يمكننا الا أن ننسب هذا الحديث الى الاسرائيليات لما فيه من اتهام ابراهيم بالكذب على هذه الصورة المشينة خصوصا اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدم ورود قصة ادعاء ابراهيم ان سارة اخته في القرآن الكريم •

---

(١٠) الحال : الطين الاسود كالحمأة • ابن الاثير : البداية والنهاية ١/٢٧٣ •

(١١) الترمذي : ١١/٢٧١ راجع الحديث الذى بعده •

(١٢) الترمذي : ١٢/٢٤ •

د ـ جاء في الطبري عن سعيد بن المسيب انه كان يحلف ان آدم لم يأكل من الشجرة الا بعد أن شرب من الخمر[١٣] .

وسعيد بن المسيب هذا نجده في موضع آخر لا يرضى أن يقول في القرآن شيئاً من التفسير ؟![١٤] فكيف يمكن أن نوفق بين يمينه ذاك ورأيه هـذا ؟؟!.

هـ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قرأ رسول الله (ص) (وانذرهم يوم الحسرة . مريم : ٣٩) قال يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار . فيقال : يا أهل الجنة . فيشرئبون . ويقال يا أهل النار . فيشرئبون . فيقال : هل تعرفون هذا ؟. فيقولون : نعم هذا الموت . فيضجع فيذبح . فلولا ان الله قضى لاهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحا . ولولا أن الله قضى لاهل النار الحياة فيها لماتوا ترحا)[١٥] .

ويمكن أن نعرف مدى صحة هذا النص اذا درسنا النصوص التي تروى عن أبي سعيد هذا . ووجدنا انها تلتقي في نقطة واحدة وهي التحدث عن أشياء غريبة ترتبط بعالم الآخرة وكأنه شخص اختصاصي لا يمارس الا هذا اللون من التفسير[١٦] .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن المفارقات التي وقع فيها بعض الصحابة والتابعين نتيجة اعتمادهم على الاسرائيليات في التفسير أن نعرف مدى قيمة هذا المصدر من ناحية اسلامية في المعرفة التفسيرية .

ويمكننا أن نجزم بسهولة بأن هذا المصدر لا يمثل في وجهة النظر الاسلامية أي قيمة حقيقية بعد أن نلاحظ الامرين التاليين :

---

(١٣) تفسير الطبري : ١/٢٣٧ .
(١٤) المصدر السابق : ١/٣٨ .
(١٥) الترمذي ١٢/١٤ .
(١٦) يمكن ملاحظة ما رواه السيوطي في الاتقان عنه ٢/١٩١ـ٢٠٥ والترمذي في كتاب التفسير .

أولا : ان القصص والتفصيلات التى سردتها التوراة والانجيل بوجودهما الفعلي لا يمكن الاعتماد عليها لانها محرفة ؛ وفيها اتجاهات أخلاقية وعقيدية لا يقرها الاسلام الحنيف • وقد صرح القرآن الكريم في مواضع مختلفة بهذا التحريف الذي أصاب هذين الكتابين • وذم أهل الكتاب بصورة عامة على قيامهم بهذا التحريف والتزامهم له • فكيف يصح لنا بعد هذا كله أن نعتمد على شيء من هذه التفصيلات في تفسير القرآن الكريم •

ثانيا : ان الصحابة والتابعين حين كانوا يأخذون من أهل الكتاب هذه التفصيلات لم تكن لديهم وسائل الاطلاع على ذات التوراة والانجيل • وانما كانوا يعتمدون فى ذلك على بعض من دخل الاسلام من أهل الكتاب وغيرهم• وقدكان بعضهؤلاء قد تظاهر بالاسلام وهو غيرمخلص له • فمن الطبيعي أن يقوم بعملية تشويه للمفاهيم الاسلامية بادخال بعض الاتجاهات الفكرية والاخلاقية فيما يرويه عن التوراة والانجيل • وهذا الشيء وان كان غير وارد فعلا على أساس انتشار العهدين القديم والجديد •• ولكنه كان ذا مفعول ايجابي فى تشويه الفكر الاسلامي أيام الصحابة والتابعين •

وقضية اعتماد بعض الصحابة على الاسرائيليات فى التفسير يمكن أن نعتبر بداية المشكلة لعصر التابعين حيث كان هذا الاتجاه اتجاها رئيسيا فى عصرهم قامت عليه بعض المدارس التفسيرية وتبنته بعض الاساليب الثقافية كمصدار لهم من مصادر التدوين •

فقد ظهرت فى هذه الفترة من الزمن حركة اتخذت من سرد الحوادث التاريخية حرفة خاصة(١٧) • وبرزت الاسرائيليات التى تتحدث عن حياة

---

(١٧) يشير الى هذا ما ذكره هبة الله ابن سلامه فى كتابه الناسخ والمنسوخ المطبوع بهامش اسباب النزول للواحدي ص : ٦ـ٨ •

الانبياء السابقين ـ كجزء من الثقافة الاسلامية العامة ـ الى جانب السيرة النبوية وتفصيلاتها .

وبعد هذا كله يمكننا أن ندرك بوضوح مقدار ما أصاب الثقافة الاسلامية من ضياع وتشويه نتيجة هذه السذاجة في الضبط والحماية .

ثالثا : سذاجة الصحابة الفكرية وميلهم للبساطة وتأثرهم في فهم الاسلام باطاراتهم الخاصة :

لقد كانت السذاجة الفكرية لجمهور الصحابة وتأثرهم في فهم الاسلام باطاراتهم الخاصة احدى النقاط الهامة التي كانت لها نتائجها ومضاعفاتها في المعرفة التفسيرية .

١ ـ فقد كان من مظاهر ذلك ما أشرنا اليه سابقا من طبيعة المرحلة التي فرضت على الصحابة أن يعيشوا القرآن كمشكلة لغوية . فان ذلك كان بسبب عاملين :

أحدهما خارجي وهو عدم استيعاب الصحابة للثقافة الاسلامية . والآخر : داخلي . وهو المستوى العقلي والفكري الذي كان يعيشه رجال المرحلة حيث كانوا ينظرون الى البحث والتأمل خارج حدود المشكلة اللغوية بحثا غير اسلامي قد ينتهي بهم الى الانحراف في فهم الدين والضلال عنه في الوقت الذي نجد القرآن الكريم يحض على التأمل في الكون والتدبر في القرآن الكريم ومفاهيمه واستعمال العقل كأداة لادراك بعض المفاهيم الكونية والاجتماعية من خلال النظرية الاسلامية ومفاهيمها .

٢ ـ كما كان من نتائج هذه السذاجة موقف الصحابة من القرآن الكريم ـ كمصدر مهم من مصادر المعرفة التفسيرية في ذلك العصر ـ حيث لم يتمكنوا من الاستفادة الكاملة من العطاء القرآني في هذا المجال . ويلاحظ ذلك في ندرة ما ورد عنهم من محاولات تفسيرية تعتمد في فهم القرآن الكريم على القرآن نفسه . في الوقت الذي نعرف ان طبيعة نزول القرآن الكريم واسلوبه وترابط النظرية الاسلامية وتكاملها يحتم علينا فهم المقطع القرآني

على ضوء جميع ما ورد في القرآن الكريم بصدد معناه .

وفي بعض الموارد الذي يحاول الصحابة الاستفادة من عطاء هـذا المصدر الاصيل نجدهم يخضعون النص القرآني لاطاراتهم الفكريـة الخاصة .

ومن الشواهد التي تدل على ذلك تلك المحاولة التي تنسب الى بعض الصحابة حين حاول التعرف على حقيقة ابليس وماهيته وانه من الجن أو الملائكة حيث خرج ـ بعد مقارنته لقوله تعالى : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى ... الآية) [البقرة : ٣٤] مع قوله تعالى : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ... الآية) [الكهف : ٥٠] بنتيجة معينة تقول : ان ابليس كان ينتمي الى قبيلة من الملائكة تسمى بالجن[١٨] .

٣ ـ وعملية اخضاع النص القرآني للاطارات الفكرية الخاصة التي كان يعيشها بعض الصحابة والتابعين هي احدى المظاهر التي اصيبت بهـا المعرفة التفسيرية في ذلك العصر نتيجة للسذاجة الفكرية . ولدينا شواهد كثيرة على هذا التأثر في العمليات التفسيرية المنسوبـة الى بعض الصحابـة والتابعين[١٩] .

٤ ـ والى جانب ذلك كانت تبدو البساطة في فهـم المعنى القـرآني والاستعارة القرآنية واضحة المعالم في تفاسير بعض الصحابة والتابعين :

فعكرمة أحد التابعين يرى في قوله تعالى (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) [٢٦ : ص] على انه من تقديم ما حقه التأخير . اذ يفهم

---

(١٨) الطبري : في تفسير قوله تعالى الآية الاولى .
(١٩) راجع بهذا الصدد الاتقان : ١/١٤٤ و ٢/١٤١ . والترمذي : ١١/٢٤٦ .

الآية على أساس ان تركيبها الاصلي (لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا) حيث لا يرى عكرمة ان نسيان يوم الحساب يمكن أن يكون سببا معقولا للعذاب الشديد(٢٠) .

وكذلك ابن عباس يرى في قوله تعالى : (فقالوا أرنا الله جهرة) [النساء : ١٥٣] ان (جهرة) كان حقها التقديم في الكلام فتأخرت حيث لا يعقل ن تتصف الرؤية بـ (الجهرة) لانهم اذا رأوا فقد رأوا وانما كان قولهم جهرة وعلنا(٢١) .

وهكذا نجد الصحابة في هذا ونظائره يفسرون القرآن حسب مدركاتهم العقلية الخاصة ويخضعون المجاز القرآني باقسامه المختلفة لبساطتها وبداجتها .

٥ ـ وقد انفتح بعض الصحابة والتابعون نتيجة لهذه السذاجة الفكرية على بعض الافكار الاسرائيلية وتفسيراتهم لبعض الالفاظ القرآنية حين لم يجدوا فيها ما يتنافى مع أفكارهم الخاصة ومدركاتهم العقلية . خصوصا ما يرتبط منها بعالم الغيب . هذا العالم الذى كانوا يجهلون الكثير من تفاصيله ودقائقه(٢٢) فكان ان فرضت على الثقافة القرآنية مجموعة غريبة من الافكار والمفاهيم ونظر اليها في العصور المتأخرة على أساس انها جزء من الثقافة الاسلامية .

رابعا : التفسير لاغراض سياسية وشخصية

لقد عرفنا سابقا ان تسلم الصحابة لقيادة المسلمين فكريا لم يتم على أساس التمييز بين رفاق النبي (ص) الذين أخلصوا له ولرسالته ، وبين

---

(٢٠) الاتقان ٢/١٣ .
(٢١) نفس المصدر السابق : المكان نفسه .
(٢٢) راجع الترمذي : ١١/٢٨٤ . والاتقان ٢/١٤١ وغير ذلك .

الآخرين الذين لم يكونوا قد انفعلوا بدرجة كافية برسالة الاسلام وامتزجوا بها روحياً .

وكان لهذا التوجيه الخاطىء نتائجه الكثيرة في الثقافة الاسلامية بشكل عام . ولم تسلم المعرفة التفسيرية من مضاعفاته وآثاره . فتعرضت ثقافة القرآن الكريم للتزوير والتشويه بقصد الاستفادة السياسية أو الشخصية .

ويلاحظ الباحث في المعرفة التفسيرية لذلك العصر مواقف كثيرة كانت تتسم بهذا الاتجاه الخاص وتحقق أغراضا وأهدافا معينة .

وهناك شواهد كثيرة تشير بأكثر من اصبع باتهام اولئك الابطال الذين اشتروا آيات الله بأثمان قليلة فراحوا يخدمون جهات معينة سياسية او شخصية ويتقاضون اجر ذلك منصباً زائلا او ذهباً رنانا .

ولعل من أبرز هذه الشواهد هو ما نفهمه حين نقارن بين ما يذكره علماء القرآن في شأن المفسرين من الصحابة . حيث يذكرون : ان علياً (ع) من أكثر الصحابة تفسيراً للقرآن وان أبا هريرة من أقلهم تفسيراً[٢٣] .. وبين ما يذكر في كتب التفسير الصحيحة حيث نجد ما يروى عن أبي هريرة أكثر مما يروى عن علي (ع)[٢٤] .

ولا شك ان هذه المفارقة ذات دلالة على الظروف السياسية التي منعت من الرواية عن علي (ع) ودفعت الناس للاخذ من أبي هريرة الامر الذي سمح لهؤلاء نسبة ما يقولونه الى رسول الله (ص) والقرآن الكريم .

أ ـ نماذج من التفسير لاغراض سياسية :

١ ـ احتج أبو بكر على الانصار يوم السقيفة بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وكونوا مع الصادقين) [التوبة ١١٩] وفسر الصادقين

---

(٢٣) الاتقان ١٨٧/٢ و ١٨٩/٢ .

(٢٤) قارن ما ذكرناه ، بالروايات المذكورة عن علي وابي هريره من كتابي التفسير للبخاري والترمذي .

في هـذه الآية بالمهاجرين بقرينة قوله تعـالى : (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) [الحشر : ٨][٢٥] . اذ من الواضح ان هذا اللون من التفسير لم يقصد منه الا الغرض السياسي مع ابتعاده عن الغرض القرآني الاصيل .

٢ ـ عن علي بن أبي طالب : قال صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا الخمر فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون ! قال فانزل الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون !!)[٢٦] [النساء : ٤٣] .

ولا يشك أي مسلم يعرف القليل عن شخصية الامام (ع) بوضع هذا الحديث على لسانه. حيث ان الامام (ع) تربى في حجر الرسول منذ أن كان طفلا وتخلّق باخلاقه فكيف يمكن ان تتصور وقوع هذا الشيء منه خصوصا اذا أخذنا بعين الاعتبار نزول بعض الآيات القرآنية في ذم الخمر . واذا لاحظنا وجود بعض النصوص التي تذكر نزول الآية في شخص آخر من كبار الصحابة ممن كان قد اعتاد شرب الخمر في الجاهلية .

ب ـ نماذج من التفسير لاغراض شخصية

١ ـ عن عمر بن الخطاب ، قال قال رسول الله يوم احد اللهم العن أبا سفيان . اللهم العن الحرث بن هشام . اللهم العن صفوان بن امية .

---

(٢٥) ذكر هذه الواقعة الزركشي في كتابه : البرهان في علوم القرآن ١/١٥٦ . ولسنا على يقين من صحة صدور هذا التفسير عن شخص ابي بكر ولكن الرواية مع ذلك تدل على لون من الوان الوضع السياسي في عصر متاخر عن أبي بكر .

(٢٦) الترمذي ١١/١٥٧ .

فنزلت (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم • آل عمران : ١٢٨) فتاب عليهم فأسلموا فحسن اسلامهم[٢٧] •

ومن الواضح أن هذا الحديث وضع لصالح الامويين على لسان عمر ابن الخطاب اذ لا يتفق هـذا الحديث مـع الواقع التاريخي المعروف عن هؤلاء الاشخاص بعد اسلامهم في حياة النبي (ص) وبعدها •

ولكن يبدو ان التزوير غير متقن لانه يفرض صدور التوبة من الله قبل اسلامهم !!•

٢ ـ عن أبي بكر قال كنت عند رسول الله (ص) فانزلت عليه هـذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجدون من دون الله ولياً ولا نصيرا) [النساء ١٢٣] قلت يا رسول الله بأبي أنت وامي أينا لم يعمل سوءاً وانا لمجزون بما عملنا فقال رسول الله (ص) أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الآخرون فيجمع لهم حتى يجزوا به يوم القيامة)[٢٨] •

فهذا الحديث بالرغم من مخالفته لظهور كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية يحاول أن يبرىء موتى المسلمين كما ـ ترى ـ من التبعات الاخروية لاعمالهم ليبقوا اولياء على كل حال في نظر الناس •

٣ ـ روى مسلم عن ابن عباس في رواية باذان : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في سرية الى حي من أحياء العرب • وكان معه عمار بن ياسر فسار خالد حتى اذا دنا من القوم عرّس لكي يصبحهم • فأتاهم النذير ، فهربوا عن رجل قد كان أسلم فأمر أهله أن يتأهبوا للمسير • ثم انطلق حتى أتى عسكر خالد ودخل على عمار فقال :

---

(٢٧) الترمذي ١٣١/١١ •
(٢٨) الترمذي : ١٦٩/١١ ـ ١٧٠ •

يا أبا اليقظان اني منكم وان قومي لما سمعوا بكم هربوا وأقمت لاسلامي أفانفعي ذلك ، أو أهرب كما هرب قومي ؟. فقال : أقم فان ذلك نافعك . وانصرف الرجل الى أهله وأمرهم بالمقام .

وأصبح خالد فغار على القوم فلم يجد غير ذلك الرجل فأخذه وأخذ ماله . فأتاه عمار فقال اخل سبيل الرجل فانه مسلم ، وقد كنت آمنته فأمرته بالمقام . فقال خالد أتت تجير عليّ وأنا الامير فقال : نعم أنا أجير عليك وأنت الامير . فكان في ذلك بينهما كلام.فانصرفوا الى النبي (ص) فأخبروه خبر الرجل فآمنه النبي (ص) وأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير بعد ذلك على أمير بغير اذنه .

قال واستب عمار وخالد بين يدي رسول الله (ص) فأغلظ عمار لخالد . فغضب خالد وقال يا رسول الله أتدع هذا العبد يشتمني . فو الله لولا أنت ما شتمني . وكان عمار مولى لهاشم بن المغيرة . فقال رسول الله (ص) : يا خالد كف عن عمار فانه من يسب عماراً يسبه الله ومن يبغض عماراً يبغضه الله . فقام عمار فتبعه خالد فأخذ بثوبه وسأله أن يرضى عنه فرضي عنه . فأنزل الله تعالى هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) [النساء : ٥٩] وأمر بطاعة اولي الامر)[٢٩] .

والتلفيق في هذه الرواية واضح لما فيها من التناقض في الاحكام والمواقف بالشكل الذي لا ينسجم مع أوضاع أبطالها الثلاثة رسول الله وعمار وخالد . فلماذا يحتاج هذا الرجل المسلم الى أن يجيره شخص من السرية ليكون آمناً ولا يكفيه اسلامه في ذلك حتى يقع النزاع بين عمار وخالد فيمن يجير ؟!. وكيف يسب عمار خالداً بعد أن حقق عمار هدفه

---

(٢٩) الواحدي : اسباب النزول : ١١٨ .

في الحصول على أمان للرجل من رسول الله (ص) وبعد نهي رسول الله له ـ كما تفرض الرواية ـ بمخالفة أمير السرية ؟!. ثم كيف ينتصر النبي لعمار على خالد والرواية تظهر عماراً كظالم لخالد ؟!. ثم كيف يترضى خالد عماراً بعد ظلم عمار له ، وبعد أن تكشّف خالد عن نفسية جاهلية تأبى عليه هذا الذل ؟!. وبعد كل هذا ألا يجوز لنا أن نحكم بتزوير هذه الرواية لمصلحة خالد بن الوليد على حساب الصحابي المجاهد المناضل المظلم عمار بن ياسر ؟ .

ستكثر عليّ القالة من بعدي فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

رسول الله (ص)

لا تقبلوا علينا حديثا الا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه او تجدون معه شاهداً من احاديثنا المتقدمة فان المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في احاديث ابي احاديث لم يحدث بها ابي فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف كتاب ربنا وسنة نبينا .

الامام الصادق (ع)

ضرورة الحكم الإسلامي
بعد زمن المعصوم

عبد الهادي الفضلي

يعتبر وجوب قيام حكم اسلامي زمن الغيبة من ضروريات الدين التي لا تحتاج الى محاولة اثبات أو تجشم استدلال .

يقول الفيض الكاشاني : « فوجوب الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى والافتاء والحكم بين الناس بالحق ، واقامة الحدود والتعزيرات وسائر السياسات الدينية من ضروريات الدين وهو القطب الاعظم في الدين ، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين ، ولو تركت لعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفتنة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، نعوذ بالله من ذلك[1] .

ويقول الشيخ صاحب الجواهر : « وبالجملة .. فالمسألة من الواضحات التي لا تحتاج الى أدلة[2] .

ويقول السيد البروجردي « اتفق الخاصة والعامة على أنه يلزم في مجيط الاسلام وجود سائس وزعيم يدبر أمور المسلمين بل هو من ضروريات الاسلام[3] .

ولعل ما يترتب على ترك امتثال هذا الوجوب من محاذير شرعية يكفي

---

(١) مفاتيح الشرائع ، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
(٢) جواهر الكلام « كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٦١٧ » .
(٣) البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر ص ٥٢ .

في لفت النظر الى ضروريته الدينية • وربما كان أهمها مايلي :

١ ـ تعطيل التشريع الاسلامي في أهم جوانبه وهو الجانب السياسي•

وحَرمته من الوضوح بمكان ، نظراً الى انه تشريع عطل والى ما ينجم عن تعطيله من ارتكام المحارم ، وانتشار الجرائم وشيوع الموبقات وامثالها •

يقول العلامة ، في تعطيل الحدود ـ وهي فرع من فروع التشريع السياسي ـ : « ان تعطيل الحدود يفضي الى ارتكاب المحارم ، وانتشار المفاسد ، وذلك مطلوب الترك في نظر الشرع »(٤) •

ويقول الشهيد الثاني : « فان اقامة الحدود ضرب من الحكم وفيه مصلحة كلية ولطف في ترك المحارم ، وحسم لانتشار المفاسد »(٥) •

٢ ـ الخضوع للحكم الكافر •

وهو مما ينجم عن تعطيل التشريع السياسي الاسلامي ايضا ، وافردته بالذكر هنا نظرا لاهميته ولوضوحه لانه ليس وراء عدم الخضوع للحكم الاسلامي ممن يعيش في بقعة جغرافية سياسية الا الخضوع للحكم الكافر ، لانه لا ثالث للاسلام والكفر ، اذ الحكم حكمان : حكم الله وحكم الجاهلية•

والذي يبدو لي : ان اتخاذ القدامى من فقهائنا هذا المنهج من الاستدلال ، انما هو لما حكي عما يستظهر من السيد ابن زهرة الحلبي ، والشيخ ابن ادريس الحلي ، من ذهابهما الى عدم وجوب اقامة الحدود زمن الغيبة •

والتحقيق في الوقوف على وجهة نظر هذين العلمين حول المسألة ـ

---

(٤) مختلف الشيعة في احكام الشريعة « كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » •

(٥) مسالك الافهام الى شرح شرائع الاسلام « كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » •

حسبما حرره الفقيه صاحب الجواهر ـ هو خلاف ما حكى عن ظاهرهما .

يقول قدس سره : « لا اجد فيه خلافا الا ما يحكى عن ظاهر ابني زهرة وادريس ، ولم تتحققه بل لعل المتحقق خلافه ، اذ قد سمعت سابقا معقد اجماع الثاني منهما » يعني به ابن ادريس ، الذى يمكن اندراج الفقيه فى الحكام عنهم « يعنى الائمة المعصومين ـعـ » فيكون حينئذ اجماعه عليه لا على خلافه » [٦] والذى يشير اليه ـ هنا ـ بقوله « اذ قد سمعت سابقا » هو ما يحكيه عن كتاب (الغنية) للسيد ابن زهرة ، وكتاب (السرائر) للشيخ ابن ادريس فى موضوع عدم جواز اقامة الحدود الا من قبل الامام او من نصبه ..

قال قدس سره : « وعلى كل حال فلا خلاف اجده فى الحكم ـ هنا ـ بل عن الغنية والسرائر : الاجماع عليه ، بل فى المحكي عن الثاني يعنى السرائر : دعواه من المسلمين . قال يعنى (ابن ادريس) : والاجماع حاصل منعقد من اصحابنا ، ومن المسلمين جميعا : انه لا يجوز اقامة الحدود ، ولا المخاطب بها الا الائمة ، والحكام القائمون باذنهم فى ذلك[٧] توجيه .

والذى اخاله ـ فى ضوء ما تقدم ـ : أن من يتوهم ذهابه من الفقهاء الى انكار الوجوب ،انما هو نتيجة سوء فهم لما يريده ، اذ ربما كان ذلك الفقيه يقصد سقوط امتثال الوجوب لا انكار الوجوب ، وذلك لعدم القدرة على القيام بامتثاله بسبب وجود موانع سياسية او غيرها .

على انه يحتمل ذهاب فقيه الى القول بانكار الوجوب ؛ لانه قول بما يخالف الضرورة من الدين ولاستلزامه جواز الخضوع للحكم الكافر ،

---

(٦) ص ٦١٦ .
(٧) ص ٦١٥ .

وهو محرم بالضرورة ايضا •

وسيقف القارىء الكريم ـ فيما بعد ـ على محاولة عرض معالجة مثال هذه الواقع ـ متى ثبتت ـ كمشكلة من مشاكل تطبيق النظام •

فصل الدين عن السياسة :

واود أن انبه الى شيء آخر ايضا وهو : اننا ربما عدنا ـ من ناحية منهجية ـ بسبب ما نعانيه اليوم من انتشار الذهنية الغربية التي تؤمن بفصل الدين عن السياسة لدى الكثير من ابناء امتنا •

اقول : وربما عدنا ملزمين بأن نشير في مداخل بحوثنا حول الحكم الاسلامي الى ما في هذه النظرة من مفارقة تبعدنا تماما عن واقع الاسلام الذي لا يعترف بفصل الدين عن السياسة ، وانما يعتبر السياسة جزءاً من الدين ، والذي يعد ذلك من ضروريات التي لا تحتاج ـ بطبيعتها ـ الى اكثر من الالتفات والتنبه اليها •

ولعل ماقدمته من واقع ذلك باستقراء التشريع الاسلامي وبقراءة تاريخ الحكومات الاسلامية كاف في لفت النظر اليه ، وفي التنبيه عليه •

على أن فقهاءنا ـ وبخاصة المعاصرين منهم ـ اكدوا كثيرا على جانبي اشتمال الاسلام على النظم الكاملة التي منها النظام السياسي ولزوم القيام بتطبيقها كاملة ولعله لما يرونه من شيوع هذه الذهنية الغربية لدى ابناء المسلمين • يقول السيد الحكيم جوابا للسؤال التالي الذي وجه لجملة من مراجع التقليد بتاريخ ٢٦ـ٣ـ١٣٨٩ حينما حاول اعداء الاسلام اثارة الغبار حول توفر الاسلام على نظام كامل للحياة مستغلين فرصة عدم تطبيقه ، وعدم فهم الأمة له نتيجة فصله عن الدولة ، وابعاده عن مناهج التربية والتعليم •

والسؤال هو :

• هل في الاسلام نظام متكامل شامل يتناول جميع مظاهر الحياة

بالتنظيم وجميع مشاكل الانسان بالحل الصحيح الناجح ، ويعني بشؤون الفرد والمجتمع عناية تامة في مختلف وشتى مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها ؟».

« وهل الدعوة الى تطبيق هذا النظام الاسلامي واجبة على المسلمين ؟»

يقول دام ظله العالي : «نعم » في الاسلام النظام الكامل على النهج المذكور في السؤال ، ويتضح ذلك بالسبر والنظر في الاوضاع التي كان عليها المسلمون في العصور الاولى ، وتجب الدعوة الى هذا التطبيق [٨] ويقول السيد ميرزا مهدي الشيرازي جوابا للسؤال المتقدم ايضا « نعم .. الاسلام نظام متكامل شامل لجميع مظاهر الحياة ، ويحل جميع مشاكل الانسان بافضل حل ، لم يسبقه في ذلك سابق ، ولا يلحقه فيه لا حق صالح للتطبيق في جميع الازمنة والامكنة قال الله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» و«الدعوة الى تطبيق الاسلام واجبة على جميع المسلمين ، قال الله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن)[٩] ويقول السيد ميرزا عبدالهادي الشيرازي جوابا للسؤال المتقدم نفسه : « لا ريب في أن دين الأسلام هو النظام الاتم الاكمل ، لما فيه الحل الصحيح لجميع مشاكل الانسان في جميع الاعصار والادوار ويجب الدعوة الى تطبيقه [١٠] .

ويقول السيد البروجردي : « لا يبقى شك لمن تتبع قوانين الأسلام وضوابطه ، في انه دين سياسي اجتماعي ، وليست احكامه مقصورة على العباديات المحضة المشروعة لتكميل الافراد ، وتأمين السعادة في الاخرة بل يكون اكثر احكامه مربوطة بسياسة المدن ، وتنظيم الاجتماع وتأمين سعادة هذه النشأة ، او جامعة للحسنيين ، ومرتبطة بالنشأتين ، وذلك كأحكام

البقية على صفحة ١٨٦

(٨ ، ٩ ، ١٠) مخطوطة لدى المؤلف .

قال وقلت

قال : ترى هل من أمل فى أن تدرك امتنا خطورة الظرف الذى تعيش فيه ، وما يتهدد وجودها من اعدائها الأقوياء الذين يخططون للاجهاز عليها بصورة كاملة ونهائية ؟ هل لها ان تفطن الى مظاهر هذا التخطيط وابعاده الخطيرة ، لتقوم بما يمكنها من وسائل الدفاع عن نفسها وعن وجودها ..؟

انني حين اضع امامي الأطار المادى الذى وضعنا فيه الكافر ، وحماه بما يملك من قوى وامكانات ، وحين اخذ بنظرى سلطان الفكر الغريب على ذهنيات ابنائنا وبناتنا وحين : أتمعن فى القوى الكبيرة التى تملكها الدعوات المادية الكافرة ، وما وراءها من اجهزة وما يرتبط بها من واجهات ، وما تقوم به من نشاط محموم داخل الامة اكاد ـ وبصراحة ـ انكمش على نفسى قنوطاً ويأساً .

قلت : هون عليك ، ليس من الصحيح أن يبلغ بك التشاؤم مثل هذا المستوى المحزن ، بل ليس من الصحيح أن تجعل للتشاؤم على نفسك سبيلا .

ان التأريخ قد تحول فى مسيرته مراراً ، وان الانسان عاش الجاهلية وخرج منها عبر هذه التحولات التأريخية مرات عديدة . والحضارة القائمة لا تملك من المقومات ما يؤهلها للبقاء والاستمرار ، حتى ان مبتدعيها ، وسدنتها باتوا يؤكدون اليوم مصيرها المحتوم . ويبحثون فى هلع عن البديل

المنقد ، ومهما تنس فلا تنس أن الحضارة المادية طارئة على أمتنا • تخالف حتى الآن لدى المنساقين وراءها من ابناء امتنا الركائز العميقة فى انفسهم ، حتى ان الكثير منهم يعاني صراعاً حاداً فى دخيلته من جراء ذلك ، وقد أناب غير قليل منهم الى اسلامه بعد طول تمرد واباق •

قال : اذاً انت ترى ان ذلك ممكن •

قلت نعم • ولم لا ؟ •

قال : كيف ، والاوضاع كما ترى ؟

قلت : المسألة تحتاج الى ان تتحرك القوى الأسلامية أن تخرج من تقوقعها ، وانكماشها ، فتفهم واقع العالم الذي تعايشه ، وتعمل فيه ثم تفهم ما تفرضه الأوضاع الراهنة اليوم من وسائل واساليب لتستفيد مما يصلح منها ، لابلاغ رسالتها ، ونشر مفاهيمها • ان الكثير من العاملين فى الحقل الاسلامي اليوم ، لايكادون يجاوزن فى مستوى عملهم كيفية وكماً ما درج عليه السلف قبل قرون يوم كانوا وحدهم القوة القائدة والمؤثرة ، ويوم كان كيان الأمة وذهنيات ابنائها فى حصن حريز من اخطار الغزو الخارجي •

ومن الطبيعي أن لايستطيعوا فى مثل هذا العصر بهذا المستوى من العمل أن يصدوا التيار الذى يملك آلاف المنافع المتدفقة الكبيرة والتي تمد حضارة العالم المادى اليوم بالوجود والقوة •

قال : وهل ترى ثمة اسلوباً معينا يمكن ان نبلغ به الغاية بهذا الصدد •

قلت : لو قدر أن يوجد مثل هذا الاسلوب فانه من المتعذر أن تجمع رأي العاملين عليه • ولهذا فلا يصح حصر العمل فى اسلوب معين ، وطريقة معينة ، انما يحسبنا أن نخرج من التقوقع والجمود الى مجاراة العالم المتحرك

من حولنا ، بحسبنا أن نجاري ما يعمله غيرنا من اصحاب الدعوات الأخرى المعاصرة • في نشاطهم وديناميكيتهم •

ان افضع ما نبتلي به في وسطنا الديني ـ وللاسف ـ مضافاً الى الركود العام أن لا يكتفي البعض منا بسلبيته ازاء مشاريع العمل القائمة بل يعمد الى محاولة تهديمها وتشكيك الأمة بها • وقد يكون ذلك صادراً عن حسن نية او بسبب ضيق في الأفق وسوء في التقدير • وقد يكون ذلك صادراً بعامل الأنانية وحدها • انه يحارب هذا المشروع او ذاك لا لشيء الا لانه لم يكن هو الذي انشأه وقام به •

ان ما يجب أن نفهمه اننا قد نختلف في اسلوب العمل ووسيلته ، ولكنا لا نختلف ابداً من حيث الغاية وهي خدمة الاسلام ، لنترك كلاً منا يعمل في الحقل الذي يعجبه ، في الميدان الذي يجيد الفروسية فيه تاركين ما يصادر عملنا من مهارشة مقيتة تسلبنا ثقة الأمة ، وتؤخرنا عن بلوغ الغاية • ان اعداءنا يتربصون بنا وهم يستغلون مواقفنا المتناقضة لصالح حربهم ضدنا وقد يدفعوننا من حيث نشعر ولا نشعر الى المزيد من التقابل والعداء فلنحذر •

قال : العجيب أن يبقى الى اليوم احد لا يدرك الخطر الماثل على وجود الأمة ، او يدركها ثم يبقى على انانيته ولا اباليته •

ع•ع•ب

النظام الاسلامي
مقارناً بالنظام الرأسمالي والماركسي

بقلم : كاتب اسلامي كبير

حاجه البشرية الى نظام

تتحكم فى الانسان منذ بدء وجوده غريزة حب الذات ، وهي اتجاه اصيل فى النفس البشرية ، يدفع الأنسان دائماً الى تحقيق الخير لذاته ، وتوفير مصالحه ، واشباع رغباته . ويحاول بحكم هذا الدافع الاصيل فى نفسه أن يستفيد من كل ما حوله من اجزاء الكون الكبير الذى يعيشه وقواه وامكاناته ، ويستعين بكل ما يُتاح له من ذلك فى سبيل تحقيق الخير الشخصى له ، وتوفير مصالحه الخاصة . وعلى هذا الاساس دخل الجماد والنبات والحيوان فى حياة الانسان ، لأن هذه الاشياء يمكن ان تقدم بطبيعتها كثيراً من الخدمات للأنسان فى حياته ، فاندفع الأنسان الى الإستعانه بها واستخدامها وتكييفها وفقاً لرغباته وحاجاته ، وكان من الطبيعي ان يجد الأنسان ان امكانات الاستعانة لاتستنفذها هذه الاشياء ، وان يندفع بحكم اتجاهه الفطرى الاصيل الى الاستعانة بأخيه الأنسان ايضاً ، والاندماج معه فى حياة واحدة تملك من الامكانات لاشباع الحاجات والرغبات اكبر مما تملكه الحياة المنعزلة للأنسان الواحد . وهكذا استطاع الأنسان ان يتوصل بالهام فطري ، من غريزة حب الذات ، الى اقامة العلاقات المتنوعة ، ذات الاشكال المختلفة ، مع كل ما يعيش حوله من اجزاء الكون . غير ان هناك فرقاً جوهرياً وجد منذ البدء بين نوع العلاقة التي اقامها الأنسان ، فطرياً ، مع الاشياء ، ونوع العلاقة التى اقامها مع اخيه الانسان . فان العلاقة الاولى

تمثل الايجابية من طرف واحد ، وتجعل الانسان هو سيد الموقف فيها بقدر ما تنمو خبرته بالكون وتتسع مداركه وامكاناته ، وأما العلاقة الثانية ، فهي بين انسانين او مجموعة من الناس ، ولكل انسان مصالحه وحاجاته ، ومن وراء هذه المصالح والحاجات الدافع الاصيل الذي يتمثل في غريزة حب الذات ، فالشعور بالانتفاع بالانسان الآخر هنا شعور متبادل . وعلى هـــذا الاساس يتكون المجتمع ، ويندمج الافراد في اطار واحد ، ويتم ضمن هذا الاطار تفاعل الافراد والتعاون المشترك .

وفي هذا الضوء نعرف ان تكون الحياة الاجتماعية نتيجة للميل الفطري عند الأنسان الذي يدفعه دائما الى استخدام كل ما يجد حوله لتحقيق الخير الشخصي .

ومن الطبيعي ان نتصور ـ وفقا للمفهوم القرآني للتأريخ ان الحياة الاجتماعية في بدايات تكون المجتمعات البشرية نشأت بسيطة خالية من التعقيد[1] ، وكان الدافع الذاتي الذي يدفع بالانسان نحوها كفيلا بتوفير الدرجة المطلوبة لها من الاستقرار . كما كان مستوى التصور البشري للحاجات والمصالح كفيلا بضمان وحدة المجتمع وتماسكه والحيلولة دون وقـــوع الاختلاف والتناقض الشديد في داخله لان البشر ، في بدايات حياتهـــم البشرية ، لم يكونوا يملكون من المعارف والتجارب في شؤون الحياة ، ووسائلها ، وطرقها ، ومجالات الاستمتاع فيها ، الا الشيء المحدود الذي لا يتجاوز الفطريات وبعض المكتسبات البدائية ، الأمر الذي كان يجعـــل الأنسان يتغذى من اعشاب الارض ونباتها ، ويتسلح بالاحجار والصخور ، ويلوذ بالكهوف والمغارات ، ويصطاد انواعا متعددة مـــن الحيـــوانات .

---

(١) وهذا المفهوم القرآني للتاريخ معطى في قوله تعالى (وكان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين .. الخ) .

والمجتمعات الفطرية التى لا تتجاوز هذه الحدود • لا يظهر فيها اختلاف ، لبساطة آمالها ، وبدائية همومها ومفاهيمها ، ومحدودية وسائلها ومجالاتها •

ولكن الانسانية داخل الأطار الأجتماعى تنمو وتتكامل مداركها خلال التجربة التى تخوضها عبر الزمن ولذلك يصبح من المحتوم ، بعد أن تستمر الأنسانية فى حياتها الاجتماعية ، وتواصل تجاربها مع الكون ، أن يتفتح وعيها ، وتتسع مجالاتها الحياتية ، وتنمو آمالها ، وتتعقد الامها ، وتتكاثر امامها فرص الاستمتاع بالحياة • وحينما تصل البشرية الى ذلك ، تبدأ بذور الاختلاف والتناقض والصراع تنمو داخل الاطار الاجتماعي ، ويصبح الميل الفطري عند الانسان الذي يدفعه الى الاستعانة بأخيه الانسان غير كاف ، وحده ، لضمان الاستقرار فى الحياة الاجتماعية ، كما كان كافيا فى بداية تكوّنها ؛ بل يصبح هذا الميل الفطرى نفسه دافعا الى تمزيق الوحدة الاجتماعية ، وخلق الصراع فى داخلها ، لان الناس ، خلال اجتماعهم الفطري ، سوف يختلفون فى تجاربهم ، وادراكاتهم ، ويتفاوتون فى مواهبهم وقواهم •• وكل ذلك ، يجعل غريزة حب الذات ، تدفع الانسان الى صرف امكاناته ، التى يمتاز بها على الافراد الآخرين ، فى سبيل مصالحه الخاصة ، وفى النهاية ، تدفعه الى استخدام الافراد الآخرين لتحقيق تلك المصالح • ومن ناحية اخرى ، يؤدي اتساع فهم افراد المجتمع للحياة ومجالات الاستمتاع فيها ، ووسائل هذا الاستمتاع ، الى محاولة توسيع مصالحه وحاجاته الخاصة على هذا الاساس ، فينشأ ويأخذ كل انسان بالعمل لصالحه الخاص ، وفقا لميله الفطري ، على حساب الآخرين •

ومن هنا تنشأ الضرورة الى تنظيم للحياة الاجتماعية يعالج التناقض ، ويحدد الحقوق ويعين الواجبات ، ويكفل للحياة الأجتماعية الاستقرار على صيغة معينة ، يعرف كل فرد ضمنها ، ما له وما عليه •

وهكذا نجد ان التنظيم الاجتماعي شرط ضروري لاستمرار الحياة الأجتماعية للبشرية ، بعد برهة من تجربتها الاجتماعية ، ولا يمكن ، بحال ، فصل تصور المجتمع عند تصور التنظيم الاجتماعي بشكل من الاشكال .

يجب ان يقوم النظام على اساس الدين

عرفنا ان دوافع الفطرة وغريزة حب الذات في الانسان ، هي العامل الأساسي في تكوين الحياة الاجتماعية ، وهي ، بنفسها ، تصبح بعد مرحلة من الشوط الأجتماعي للبشرية عاملاً في اثارة التناقض والصراع والتفكك ، وتجعل من الضروري وضع التنظيم الاجتماعي الكفيل بالقضاء على ذلك .

وهذا التسلسل المنطقي الذي يؤدي الى ضرورة التنظيم الاجتماعي ، يبرهن على حقيقة ، وهي : ان هذا التنظيم الاجتماعي اذا كان من وضع الأنسان نفسه ، فلن يكون الا اداة لتكريس ذلك التناقض لأن اتساع مجال المصلحة الشخصية للفرد ، ادى ، كما رأينا ، الى تناقض مستقطب بين المصلحة الشخصية ، ومصلحة الوجود الاجتماعي ككل . فبينما كان الوجود الاجتماعي في بداية الشوط يحقق ، بنفسه ، مصلحة للفرد ، بما يسمح له من مجال لتبادل التعاون مع سائر الافراد، اصبح بعد ذلك يتعارض مصلحياً مع ما تتطلبه الدوافع الذاتية في الفرد من توسع ، ولايمكن لتنظيم اجتماعي ، على ضوء هذا التحليل ، ان يحافظ على مصلحة الوجود الأجتماعي ، ويحد من الدوافع الذاتية ؛ اذا كان هذا التنظيم نفسه من وضع فرد او مجموعة من الافراد الذين يعيشون الصراع والتناقض المصلحي فان الدوافع الذاتية لغريزة حب الذات سوف تنعكس في تكوين النظام الاجتماعي وتمتد المشكلة اليه .

فلا بد اذن لكي يكون التنظيم الأجتماعي على مستوى حل المشكلة والحد من الدوافع الخاصة وحماية المصالح الموضوعية للمجتمع ان يربط بجهة قادرة على تكييف الدوافع الخاصة وتطويرها بشكل يتفق مع المصلحة

الأجتماعية ، وهذه الجهة لايمكن ان تتمثل الا في الدين ، فالدين هو الذي يستطيع ان يوفق بين الدوافع الذاتية والمصالح الأجتماعية العامة ويسبغ على القيم التي يمثلها التنظيم الأجتماعي المرتبط به طابع المصلحة الخاصة ، فيزول التناقض المستقطب الخاص والعام ، بين الانانية والاجتماعية • وتصبح غريزة حب الذات ، ودوافعها الخاصة نفسها في خدمة ذلك التنظيم وقيمه ومثله ، لأن الدين هو الطاقة الروحية التي تستطيع ان تعوض الانسان عن لذائذه الموقوته التي يتركها في حياته الارضية املاً في النعيم الدائم ؟ وتستطيع ان تدفع به الى التضحية بوجوده عن ايمان بأن هذا الوجود المحدود الذي يضحي به ، ليس الا تمهيداً لوجود خالد ، وحياة دائمة ؟ وتستطيع ان تخلق في تفكيره نظرة جديدة تجاه مصالحه ، ومفهوماً عن الربح والخسارة أرفع من المفاهيم التجارية المادية • فالغناء طريق اللذة ، والخسارة لحساب المجتمع سبيل الربح ، وحماية مصالح الآخرين تعني ضمناً حماية مصالح الفرد في حياة اسمى وارفع •• وهكذا ترتبط المصالح الاجتماعية العامة بالدوافع الذاتية ، بوصفها مصالح للفرد في حسابه الديني •

وفي القرآن الكريم نجد التأكيدات الرائعة على هذا المعنى ، في كل مكان ، وهي تستهدف جميعاً تكوين تلك النظرة الجديدة عند الفرد عن مصالحه وارباحه • فالقرآن يقول : « ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » « من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها » « يؤمئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم • فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون » « وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً

الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين • ولاينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم ليجزيهم احسن ما كانوا يعملون » •

نلمح في هذه الصورة الرائعة التي يقدمها الدين براعته في ربط الدوافع الذاتية بسبل الخير في الحياة ، وتطوير مصلحة الفرد تطويراً يجعله يؤمن بأن مصالحه الخاصة والمصالح الحقيقية العامة للانسانية التي يحددها التنظيم الاجتماعي الاسلامي مترابطان •

فالدين ، اذن ، هو الاطار الوحيد الذي يمكن للمسألة الاجتماعية ان تجد ضمنه حلها الصحيح ، ولايمكن لتنظيم اجتماعي ان يتغلب على مشكلة التناقض بين الدوافع الذاتية والمصالح الاجتماعية الا اذا كان أطاره دينياً •

وهكذا نعرف ان البشرية بحاجة الى نظام اجتماعي يقوم على اساس الدين •

النظام الاسلامي وحده يقوم على اساس الدين

وبين يدي البشرية اليوم اربعة مذاهب في التنظيم الاجتماعي ، يمكن أن تعتبر أهم المذاهب الأجتماعية التي تسود الذهنيات الانسانية المعاصرة ، ويقوم بينها الصراع الفكري او السياسي على اختلاف مدى وجودها الأجتماعي في حياة الانسان • وهي ١ ـ النظام الديمقراطي ، ٢ ـ النظام الاشتراكي ، ٣ ـ النظام الشيوعي ، ٤ ـ النظام الاسلامي •

ويتقاسم العالم اليوم اثنان من هذه الانظمة الأربعة ، فالنظام الديمقراطي الرأسمالي هو اساس الحكم في بقعة كبيرة من الارض ، والنظام الاشتراكي هو السائد في بقعة كبيرة اخرى ، وكل من النظامين يملك كيانا سياسيا عظيما يحميه في صراعه المستمر مع الآخر • وأما النظام الشيوعي والاسلامي فوجودهما فكري خالص ، ولكل من النظامين رصيده العقائدي الضخم •

وبالرغم من ان الاشتراكية بوصفها اطروحة للتنظيم الاجتماعي قدمت كنقيض لاطروحة الدمقراطية الرأسمالية فأن كلتا الاطروحتين المطبقتين عالميا اليوم متفقتان في الاعتراف بالتناقض المستطب بين حب الذات والدوافع الشخصية من ناحية والمصالح العامة للجماعة من ناحية اخرى ، ولهذا عجزتا معا عن التغلب على المشكلة وان اختلفتا في الموقف المتخذ تجاهها . فالدمقراطية الرأسمالية ، سلمت بذلك التناقض ولم تعتبر الدوافع الشخصية لحب الذات خطرا يجب ان يفكر بشأنه ، بل على العكس اعتبرت امتلاك الفرد حريته الكاملة في تحقيق تلك الدوافع والعمل على اساسها حقا مقدسا يجب أن يصان للافراد جميعا على السواء ، وبذلك اصبحت تلك الدوافع هي القاعدة للعمل في المجتمع الرأسمالي ، وأصبح المكسب الشخصي هو المقياس في التقييم ، ولم يعد للمصلحة الاجتماعية وقيمها ومثلها أي ضمان في خضم الصراع المحموم بين المصالح الفردية والدوافع الخاصة . واما الاشتراكية فقد اعترفت ايضا بالتناقض بين الدوافع الخاصة ، ومصالح الجماعة ، غير انها اتخذت موقفا آخر باعلانها عن قدرتها على محو تلك الدوافع الخاصة محواً كاملا عن طريق اجتثاث جذورها الموضوعية ، وترتكز الفكرة في هذا الموقف على مفهوم الماركسية عن حب الذات ، فان الماركسية تعتقد ان حب الذات ليس ميلا طبيعيا وظاهرة غريزية في كيان الانسان ، وانما هو نتيجة للوضع الاجتماعي القائم على أساس الملكية الفردية التي يحميها النظام الرأسمالي . فان الحالة للملكية الخاصة ، هي التي تكوّن ـ في نظر الماركسية ـ المحتوى الروحي والداخلي للإنسان ، وتخلق في الفرد حبه لمصالحه الخاصة ، ومنافعه الفردية ، فاذا حدثت ثورة في الاسس التي يقوم عليها الكيان الاجتماعي ، وحلت الملكية الجماعية محل الملكية الخاصة ، فسوف تنعكس الثورة في كل ارجاء المجتمع ، وفي المحتوى الداخلي للانسان فتنقلب مشاعره الفردية

الى مشاعر جماعية ، ويتحول حبّه لمصالحه ومنافعه الخاصة ، الى حب لمنافع الجماعة ومصالحها .

وأما النظام الأسلامي فيختلف في نظرته وعلاجه للمشكلة عن الرأسمالية والاشتراكية معا . فهو لا يُقر استسلام الرأسمالية بأزاء التناقض بين الدوافع الخاصة ومصلحة الجماعة ، وفسحها المجال لهذا التناقض على أوسع مدى ، ولا يتفق ، من ناحية أخرى ، مع الاشتراكية والمفهوم الماركسي لحب الذات الذى يعتقد بأن تحويل الملكية الخاصة الى الملكية العامة كفيل بتحويل حب الذات بقدر العلاقة بين الواقع الذاتي (غريزة حب الذات) وبين الاوضاع الاجتماعية بشكل مقلوب ، والا فكيف نستطيع ان نؤمن بأن الدافع الذاتي وليد الملكية الخاصة والتناقضات الطبقية التي تنجم عنها ؟ فان الانسان لو لم يكن يملك سلفا الدافع الذاتي لما أوجد هذه التناقضات ولا فكر في الملكية الخاصة والاستئثار الفردي ! ولماذا يستأثر الانسان بمكاسب النظام ويضمه بالشكل الذى يحفظ مصالحه على حساب الآخرين ما دام لا يحس بالدافع الذاتي في اعماق نفسه ؟ فالحقيقة بأن المظاهر الاجتماعية للانانية في الحقل الاقتصادى والسياسى لم تكن الا نتيجة للدافع الذاتي لغريزة حب الذات ، فهذا الدافع أعمق منها في كيان الانسان ، فلا يمكن أن يزول وتنقلع جذوره بازالة تلك الآثار ، فان عملية كهذه لا تعدو أن تكون استبدالا لآثار بأخرى قد تختلف في الشكل والصورة ، ولكنها تتفق معها في الجوهر والحقيقة ، فكما يمكن للدافع الذاتي أن يعبر عن نفسه في المجتمع الرأسمالى عن طريق شكل الملكية الخاصة والتناقض الطبقي ، كذلك يمكن أن يُعبّر عنه في مجتمع ماركسي عن طريق اشكال الادارة الخاصة ، واستقطاب السلطة ، والتناقض الحزبي ، كما يدلل عليه تأريخ التجربة الماركسية الحديثة .

فالواقع الذاتي اذن حقيقة لا يمكن محوها عن طريق التغيير القانوني

في العلاقات الاجتماعية ولا يمكن اقرار التناقض بينها وبين المصالح الاجتماعية . والنظام الاسلامي يعالج مشكلة هذا التناقض بالتوفيق بين القطبين المتناقضين ، والتأليف بينهما عن طريق الدين الذي يعطي للدافع مفهوما تربويا جديدا يتفق مع المصلحة الاجتماعية وقيمها ومثلها دون أن يزعزعه أو يفكر في محوه ، وبهذا كان التنظيم الاسلامي هو التنظيم الوحيد الذي يملك الاطار الديني اللازم لحل المشكلة والقادر حين يتسلم زمام القيادة والامامة الاجتماعية في العالم أن يضع حدا لألوان الصراع المسعور بين المصالح الخاصة مع كل المستويات .

حاجتنا الى النظام الاسلامي خاصة

وهو يعد حاجة ضرورية لنا بوصفنا مسلمين ، وذلك :

اولا ، لايجاد الانسجام بين التشريع والعقيدة ، فان مرد النظام الاسلامي الى احكام الشريعة الاسلامية ، وهي احكام يؤمن المسلمون بقدسيتها وحرمتها ووجوب تنفيذها بحكم عقيدتهم الاسلامية وايمانهم بأن الاسلام دين نزل من السماء وعلى خاتم النبيين (ص) ، وعلى عكس ذلك الانظمة والتشريعات الاخرى ، فانها في نظر المسلمين ، وبحكم عقيدتهم لا تحتوي على الحرمة والقدسية ولا يوجد أي مبرر شرعي لها ، وما من ريب في ان من أهم العوامل في نجاح القوانين والتشريعات التي تتخذ لتنظيم الحياة الاجتماعية احترام الناس لها ، وتجاوبهم العاطفي والنفسي مع أهدافها ، وايمانهم بحقها في التنفيذ والتطبيق ، وهذا ما لا يتوفر للمسلمين الا بالنسبة الى احكام الشريعة الاسلامية والنظام الاسلامي .

وثانيا ، لايجاد التوافق بين الجانب الروحي والجانب الاجتماعي من حياة الانسان المسلم ، وذلك ان الانظمة الاجتماعية الاخرى غير الاسلام لا تعالج الا جانب العلاقات الاجتماعية من حياة الانسان تاركة ، على الاغلب ، الجانب الروحي الذي يشمل علاقة الانسان بربه وتنميته لارادته واخلاقه

ومثله . فاذا أخذنا تشريعاتنا للحياة الاجتماعية ونظامها من مصادر بشرية بدلا عن النظام الاسلامي لم نستطع أن نكتف بذلك عن تنظيم آخر ، اي الجانب الروحي منه ، ولا يوجد مصدر صالح لتنظيم حياتنا الروحية الا الاسلام ، ولأجل ذلك ينشأ التناقض حينئذ بين طريقة تنظيم حياتنا الروحية المستمدة من الاسلام وطريقة القوانين الوضعية في تنظيم الحياة الاجتماعية ، لأن الطريقتين مختلفتان ومتعارضتان في أسسهما وقواعدهما مع أن الحياة الروحية والحياة الاجتماعية متفاعلتان ونتيجة ذلك أن يسود القلق ويتأرجح الفرد المسلم بين التيار الروحي والتيار الاجتماعي ، ويعيش في حالة تناقض بين المصادر التي يستلهمها في تنظيم حياته الروحية ، والمصادر التي تنظم حياته الاجتماعية ..

وعلى العكس من ذلك كله ، اذا اتخذنا الاسلام قاعدة للتنظيم والتشريع في مختلف شؤون الحياة الروحية والاجتماعية فاننا بذلك نبني **حياتنا كلها على أساس قاعدة واحدة وهي الاسلام ، بدلا عن قاعدتين متنافرتين .**

وثالثا ، ان تبني الامة للنظام الاسلامي المرتبط بعقيدتها وتأريخها بدلا من الانظمة والمذاهب الاجتماعية الاخرى ، يساهم بدرجة كبيرة في المعركة التي تخوضها الامة ضد الكافر المستعمر منذ غزا العالم الاسلامي بجيوشه العسكرية والفكرية ، لأنه يحررها من التبعية الفكرية لمذاهب المستعمرين أنفسهم ، ويؤكد للامة شخصيتها العقائدية الخاصة ، ووجودها المتميز ، ويقضي على كل أنواع الافكار التي نشرها الكافر المستعمر بقصد اعاقة حركات التحرر في العالم الاسلامي .

ومن ناحية اخرى ان شعور الامة الاسلامية بأن النظام الاسلامي مرتبط بتأريخها وامجادها ، ومعبر عن اصالتها ، ومنقطع الصلة تأريخيا

وفكريا بحضارات المستعمرين ، يجعل ضمير الفرد الشرقي المستعمر منفتحا عليه ، بينما ينكمش تجاه الانظمة الاخرى المستمدة من الاوضاع الاجتماعية في بلاد المستعمرين ويعيش حساسية شديدة ضدها ، وهذه الحساسية تجعل تلك الانظمة حتى ولو كانت صالحة ومستقلة عن الاستعمار من الناحية السياسية غير قادرة على تفجير طاقات الامة وقيادتها في معركة البناء فلابد للامة ، اذن بحكم ظروفها النفسية التي خلقها عصر الاستعمار وانكماشها تجاه ما يتصل به من اقامة نهضتها الحديثة على أساس نظام اجتماعي ومعالم حضارية لا تمت الى بلاد المستعمرين بنسب • وهذه الحقيقة الواضحة هي التي جعلت عددا من التكتلات السياسية في العالم الاسلامي ترتد في بعض الاحيان الى فكرة متخلفة ذهبت مرحلتها التاريخية وهي اتخاذ القومية نفسها فلسفة وقاعدة للحضارة ، واساسا للتنظيم الاجتماعي حرصا منهم على تقديم شعارات منفصلة عن الكيان الفكرى للاستعمار انفصالا كاملا غير ان القومية في الحقيقة ليست الا عبارة عن انتماء الفرد الى مجتمع معين له تاريخه ولغته وليست فلسفة ذات مبادىء ، ولا عقيدة ذات أسس ، ولا تعني رأسمالية ولا اشتراكية ولا دمقراطية ولا دكتاتورية ولا كفرا ولا إيمانا ، بل هي بحاجة الى الاخذ بوجهة نظر معينة تجاه الكون والحياة وفلسفة خاصة تصوغ على اساسها معالم حضارتها ونهضتها وتنظيمها الاجتماعي •

ويبدو ان كثيرا من الحركات القومية أحست بذلك ايضا وأدركت ان القومية كمادة خام بحاجة الى الاخذ بفلسفة اجتماعية ونظام اجتماعي معين ، وحاولت أن توفق بين ذلك وبين اصالة الشعار الذى ترفعه فنادت بالاشتراكية العربية • نادت بالاشتراكية لأنها ادركت ان القومية وحدها لا تكفي بل هي بحاجة الى نظام ونادت بها في أطار عربي تفاديا لحساسية الامة ضد أي ستار أو فلسفة مرتبطين بعالم المستعمرين فحاولت عن طريق توصيف الاشتراكية العربية تغطية الواقع الأجنبي المتمثل في الأشتراكية من

الناحية التاريخية والفكرية وهي تغطية كشفتها حساسية الأمة التي تحدثنا عنها لأن هذا الأطار القلق ليس الا مجرد تأخير ظاهري وشكلي للمضمون الاجنبي الذى تمثله الاشتراكية والا فأي دور يلعبه هذا الاطار في مجال التنظيم الاشتراكي ، واى تطوير للعامل العربي في الموقف وما معنى ان العربية كلغة وتأريخ تطور فلسفة معينة للتنظيم الاجتماعي بل كل ما وقع في المجال التطبيقي نتيجة للعامل العربي . ان هذا العامل اصبح يعني في مجال التطبيق استثناء ما يتنافى من الاشتراكية مع التقاليد السائدة في المجتمع العربي والتي لم تحتهم الفروق الموضوعية لتغييرها كالنزعات الروحية بما فيها الايمان بالله ، فالاطار العربي ، اذن لا يعطي الاشتراكية روحا جديدة تختلف عن وصفها الفكرى والعقائدى المعاش في بلاد المستعمرين ، وانما يراد به التعبير عن استثناءات معينة وقد تكون موقوتة ، والاستثناء لا يغير جوهر القضية والمحتوى الحقيقي للشعار .

ولا يمكن لدعاة الاشتراكية العربية ان يميزوا الفوارق الاصيلة بين **اشتراكية عربية ، واشتراكية فارسية واشتراكية تركية ، ولا أن يفسروا كيف تختلف الاشتراكية بمجرد اعطائها هذا الاطار القومي أو ذاك ، لأن** الواقع ان المضمون والجوهر لا يختلف ، وانما هذه الأطر تعبر عن استثناءات قد تختلف من شعب الى آخر لنوعية التقاليد السائدة في تلك الشعوب .

وبالرغم من أن دعاة الاشتراكية قد فشلوا في تقديم مضمون حقيقي جديد لهذه الاشتراكية عن طريق تأطيرها بالاطار العربي فانهم اكدوا بموقفهم هذا تلك الحقيقة التي قلناها وهي ان الامة بحكم حساسيتها الناتجة عن عصر الاستعمار لا يمكن بناء نهضتها الحديثة الا على أساس قاعدة أصيلة لا ترتبط في ذهن الامة ببلاد المستعمرين انفسهم ولا توجد هذه القاعدة الا في الاسلام نفسه ، فالاسلام كقاعدة للنهضة الجديدة ، والنظام الاسلامي كصياغة لهذه النهضة هو الطريق الوحيد الذى يمكن للامة ان تنفتح عليه ، ولا تشم منه رائحة الخطر ولا تتبين فيه اصابع اولئك الذين داسوا كرامتها واستعمروها .

الخلافة العباسية في عهد السلاجقة

الدكتور عبد الله فياض

عالجنا في العدد السابق من رسالة الاسلام الغراء موضوع « الخلافة العباسية في عهد البويهيين » وسنعالج في هذا العدد الخلافة المذكورة في العهد السلجوقي الذي تلاه العهد البويهي بصورة مباشرة •

دخل السلاجقة المحاربون الاشداء عاصمة الخلافة الاسلامية بغداد سنة ٤٤٧ هـ فاتحين • واقترن الفتح السلجوقي في العراق بكثير من اعمال القسوة والتخريب ويبدو ان قادة السلاجقة لم يعملوا على ردعهم عن الاعمال المنكرة من نهب وتخريب • وعند دخول الجيش السلجوقي لبغداد « نهب الغز درب يحيى ودرب سليم ••• ونهبت الرصافة وترب الخلفاء وأخذ منها من الاموال ما لا يحصى » • وعندما رجع طغرلبك في الأمر لم يتخذ اى اجراء لايقاف النهب واكتفى بأن اتهم الملك الرحيم البويهي بما حصل ، وحينئذ طلب الخليفة من الملك الرحيم مقابلة الامير طغرلبك ، فلما حضر عنده أمر بسجنه وسجن جماعة من اصحابه • فأرسل الخليفة ينكر « ما جرى من قبض الرحيم واصحابه ونهب بغداد ، ويقول انهم انما خرجوا اليك بأمري وأماني فان اطلقتهم والا فأنا أفارق بغداد ، فاني انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني أن تعظيم الاوامر الشريفة تزداد حرمة وحرمة الحريم تعظم ، وأرى الأمر بالضد ••• » • ويبدو ، ايضا ، ان اعمال النهب لم تنحصر ببغداد اذ انتشر « الغز السلجوقية ، في سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت الى النيل ، ومن الشرق الى النهروانات ، واسافل الاعمال ، واسرفوا بالنهب حتى بلغ ثمن الثور ببغداد

خمسة قراريط الى عشرة ، والحمار بقيراطين الى خمسة وخرب السواد واجلي اهله ... »[1] .

ويظهر مما سبق ان السلطان السلجوقي ، رغم قدومه الى بغداد بدعوة من الخليفة العباسي وبموافقته ، لم يعمل على تأديب جيشه وكف جنوده عن نهب البلاد ، كما انه لم يحترم أمان الخليفة الذى منحه للأمير البويهي . وكانت تصرفات السلاجقة غير مرضية الى حد ان الخليفة لم يطق البقاء ببغداد وهدد بالخروج منها .

ولكن بالرغم من ان جند طغرلبك كانوا « يغصبون الناس اموالهم وايديهم مطلقة فى ذلك نهارا وليلا » وان اميرهم طغرلبك كان « ظلوما غشوما قاسيا »[2] ، فأن السلاجقة كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ، وانهم قاموا بتدابير فى حقول النزاع الطائفي بين المسلمين جعلت حكمهم اكثر ملائمة للخليفة واكثر قبولا له ولفقهاء اهل السنة والجماعة ـ فى تلك الفترة التي يحتدم فيها الخلاف المذهبي ـ من حكم البويهيين الذين تساهلوا مع الشيعة وسهلوا لهم نشر عقيدتهم فى البلاد التي خضعت للحكم البويهي .

ولكي يبرهن السلاجقة على اخلاصهم لامام المسلمين ولأهل السنة أمر سلطانهم « أهل الكرخ[3] ان يؤذنوا فى مساجدهم سحراً الصلاة خير من النوم »[4] . واصدر الخليفة فى السنة التالية لدخول السلاجقة ، اى فى سنة ٤٤٨ هـ ، أمراً طلب فيه « بأن يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرهما

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ (القاهرة ، ١٢٩٠) ص ٢٢٩ .
(٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٠ .
(٣) كانت الغالبية العظمى من سكان اهل الكرخ ببغداد من المسلمين الشيعة .
(٤) ابن الاثير ، ج ٩ ، ص ٢٢٩ .

الصلاة خير من النوم ، وان يتركوا حيّ على خير العمل ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطة وقوتها »[٥] . وقد عمل السلاجقة ، فضلا عما سبق ، على مقاومة المؤسسات الفكرية عند الشيعة فلم يعملوا على منع العامة من حرق دار علم سابور ببغداد . روى ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٢ هـ ان ابا الحسن محمد بن هلال الصابي اوقف « دار كتب بشارع ابي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها نحو الف كتاب . وكان السبب ان الدار التي أوقفها سابور الوزير بين السورين احترقت ونهب اكثر ما فيها ، فبعثه الخوف على ذهاب العلم ان وقف هذه الكتب »[٦] .

يضاف الى ما سبق ان السلاجقة ، باشارة من وزيرهم الفارسي نظام الملك ، نظموا بأشراف الوزير المذكور حملة فكرية لمحاربة التشيع الذى انتشر في العهد البويهي ، كما أسلفنا في العدد السابق من مجلة « رسالة الاسلام » . وتجلت الحملة الفكرية المذكورة في انشاء المدارس النظامية المعروفة ببغداد ونيسابور وغيرهما من المدن الاسلامية الكبرى . وكان هدف الحملة الفكرية هذه نشر قواعد مذاهب اهل السنة والجماعة من جهة ومكافحة عقائد الشيعة وتعاليم الفلاسفة من جهة اخرى . وذات مرة قال الوزير نظام الملك للامير السلجوقي « جعلت لك من خراسان جنداً ينصرونك ، ولا يخذلونك ، ويرمون دونك بسهام لا تخطي وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من اعظم اعوانك »[٧] .

ونشط الخلفاء والفقهاء في مكافحة ما اسموه بالبدع وعلى رأسها في نظرهم ، التشيع مستعينين بسيوف السلاجقة واموالهم . ففي سنة ٤٦٠هـ

---

(٥) ايضا ، ج ٩ ، ص ٢٣٦ .

(٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ٨ (حيدر اباد الدكن ، ١٣٥٧هـ) ص ٢١٦ .

(٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٣ .

طلب الناس ان يقرأ عليهم الاعتقاد القادري والقائمي ، وفيه قال السلطان وعلى الرافضة لعنة الله وكلهم كفار . قال ومن لا يكفرهم فهـــو كافر . ونهض ابو فورك قائما فلعن المبتدعة وقال لا اعتقاد لنا الا ما اشتمل عليـه هذا الاعتقاد فشكرته الجماعة على ذلك »[٨] .

وطلب الخليفة من الغزالي تفنيد مذاهب التعليمية اى اولئك الذين يأخذون تعاليمهم الدينية من الائمة المعصومين (ع) . يقـول الغـزالي فى معرض كلامه عن الاسباب التي دفعته للرد على اصحاب البدع بما فيهـم التعليمية « ثم اتفق ان ورد علي أمر جازم من حضرة الخلافـة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته »[٩] .

ويبدو مما سبق ان الخليفة ، بكونه الرئيس الديني الاعلى للمسلمين رأى فى احتلال السلاجقة لمعظم البـلدان الاسلامية ، بما فيها العـراق ، وسيلة لاعادة نفوذه الديني فى البلاد التي فتحوها وذلك عن طريق مكافحة البدع وانعش الروح الاسلامية كما تصورها ورسم خطوطها اهـل السنة والجماعة ، واعادتها الى سابق عهدها . وتظهر اهمية تحقيق الهدف المذكور فى نظر الخليفة والامير السلجوقي معا ، من تعليق الامير الب ارسلان حين اخبر بأن « أهل حلب خطبوا له وللخليفة العباسي ، فقال اي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حيّ على خير العمل ... » . وشفع السلطان كلامه بالعمل ، وحالما فتح الشام منع « الأذان بحيّ على خير العمل »[١٠] .

وبناء على ماسبق يكون اعتقاد السلاجقة بسيادة الخليفة الدينية وعملهم على تأييد تلك السيادة ، الميزة الرئيسة التي يتميز بهـا عصرهم عن عصر البويهيين .

---

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٤٩ .
(٩) المنقذ من الضلال (القاهرة ١٩٥٢) ص ٧٩ .
(١٠) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤ .

اما فيما يتعلق بسلطة الخليفة السياسية فيبدو ان السلاجقة ما كانوا ميالين لمنح الخلفاء سلطة فعلية فى الحقل السياسي • ولذلك ما كانوا ميالين لمنح الخلفاء سلطة فعلية فى الحقل السياسي • ولذلك عمل الخلفاء كالسابق على استعادة سلطتهم الزمنية التي اغتصبها منهم السلاجقة مثل ما اغتصبها منهم البويهيون من قبلهم • ففي سنة ٤٥٢هـ عين الخليفة ابا الفتح منصور بن احمد بن دراست وزيرا له[١١] •

وعندما خطب السلطان طغرلبك ابنة القائم بأمر الله ارسل الخليفة • فى الجواب ابا محمد التميمي وأمره أن يستعفي فان عفي ، والا تم الامر على أن يحمل السلطان ثلثمائة الف دينار ويسلم واسط واعمالها •• ، •

وتظهر الجرأة على بيت الخليفة والاستهانة بحرمته بوضوح فى اقدام السلطان السلجوقي على خطبة ابنة الخليفة الهاشمي واصراره على زواجها • كما تظهر استكانة الخليفة وضعفه حين ربط قضية الزواج بمكاسب سياسية قليلة الاهمية • ويظهر ان الزواج تم دون أن تسلم مدينة واسط واعمالها للخليفة • ويعلق ابن الاثير على حادثة زواج طغرل من ابنة الخليفة بما يأتي : « وهذا ما لم يجر للخلفاء مثله فأن بني بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا فى مثل هذا ولا ساموهم فعله ••• »[١٢] •

ولم يتردد السلاجقة عن اتباع خطوات البويهيين فيما يتعلق بالاعتداء على سلطات الخليفة السياسية والحط من هيبته الزمنية • وعندما عاد السلطان طغرلبك فى سنة ٤٥٥ هـ الى بغداد من ايران طلب من « الخليفة أن يستقبله فاستعفا من ذلك »[١٣] • وبالرغم من موقف السلاجقة غير

---

(١١) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٥ •
(١٢) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٧ •
(١٣) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٩ •

الودي تجاه تمسك الخلفاء بسلطتهم الزمنية ، دأب الخلفاء على استعادة سلطاتهم تدريجيا . وفي سنة ٤٦٢ هـ استرد الخليفة شيئا من نفوذه الزمني وذلك بأن « صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة ... وضرب اسم ولي العهد على الدينار وسمي الاميري ، ومنع من التعامل بسواه »[١٤] . وفي السنة نفسها اعيدت الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الأذان بحي على خير العمل[١٥] . وفي سنة ٤٦٣هـ خطب محمود بن صالح بحلب «لأمير المؤمنين القائم بأمر الله وللسلطان الب ارسلان ...» وكان ذلك على أثر تخويف الأمير للمشايخ من بطش السلطان السلجوقي اذا دخل بلادهم بالقوة . فاجاب المشايخ طلبه «ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله وللسلطان ، فاخذت العامة حصر الجامع ، وقالوا هذه حصر علي بن ابي طالب فليأت ابو بكر بحصر يصلي عليها الناس[١٦] ».

وبالرغم من الانتصارات المعنوية السالفة التي حازها الخلفاء خاصة في النواحي الدينية ، فأن الأمراء السلجوقيين احتفظوا بالسلطة الزمنية . ومن مظاهر احتفاظهم بالسلطة المذكورة : أولا ـ ان السلاطين السلاجقة كانوا يعينون خلفهم دون علم الخليفة او موافقته كما كان يعمل الأمراء البويهيون من قبل ففي سنة ٤٥٨هـ « اخذ السلطان العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنه السلطان بعده .. وخلع السلطان على جميع الأمراء وامرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك[١٧] » .

ثانيا ـ كان امراء السلاجقة يطلبون من الخليفة تفويضا عاما كما كان

---

(١٤) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٢٢ .
(١٥) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٢٢ .
(١٦) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٢٣ .
(١٧) ايضا ، ج ١٠ ، ص ١٩ .

بنو بويه يفعلون . وفي سنة ٤٧٩هـ فوض « الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم ..[١٨] » . ثالثا ـ كان السلطان السلجوقي يعقد الاتفاقات والمعاهدات مع امراء الأطراف دون علم الخليفة او موافقته في كثير من الأحيان . ففي سنة ٤٨٢هـ ارسل السلطان « الى ملك كاشغر يأمره بأقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك واطاع وحضر عند السلطان فأكرمه ...[١٩] » . رابعا ـ اهتم امراء السلاجقة بالحصول على الالقاب خاصة بعد توسعت مملكتهم حيث خطب لسلطان ملكشاه « من حدود الصين الى آخر الشام ، ومن اقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ... »

وذات مرة قال الوزير نظام الملك لملكشاه السلجوقي « ياسلطان العالم [٢٠] » . وفي سنة ٤٩٢هـ خاطب كوهرآيين « الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له .. ولقب غياث الدنيا والدين »[٢١] .

وللقب الأخير اهمية خاصة لأنه يحمل في شقيه لقباً دينياً . وكان الخلفاء ، رغبة منهم في الحفاظ على رئاستهم الدينية المطلقة ، يترددون كثيراً في منح الألقاب الدينية . وربما نجد عذراً للأمير البويهي حين يسعى للحصول على لقب ديني من الخليفة لأنه لا يعترف بشرعية خلافة بني العباس بحكم كونه من الشيعة . أما الأمير السلجوقي ، وهو من اهل السنة ، فلا يمكنه ان يجد تبريرا لعمله المذكور الا في الاعتبارات السياسية وحب السلطة الزمنية .

---

(١٨) ايضا ، ج ١٠ ، ص ١٩ .
(١٩) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٦٣ .
(٢٠) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٧٨ ـ ٩ .
(٢١) ايضا ، ج ١٠ ، ص ١٠٧ .

ويبدو ان السلاجقة تعدوا الحدود المألوفة في مشاركة الخليفة بشارات الخلافة الرئيسة ، امثال ذكر اسمائهم في خطبة الجمعة ، وظهور اسمائهم بجنب اسماء الخلفاء على العملة ؛ حين طلب كوهرآين في سنة ٤٧١هـ ، وهو لم يكن سلطانا حينذاك ، ان يضرب الطبل على باب داره . ولم يسع الخليفة الا ان يجب طلبه فأمر بضرب « الطبل على باب داره اوقات الصلاة ، وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لأنه لم تجر به عادة » [٢٢] . وفي سنة ٤٧٥هـ ، قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من اصبهان .. ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول اوقات الصلوات الثلاث »[٢٣] . ولم اعثر على نص يظهر منه ان نجل احد وزراء بني بويه حصل على امتياز كهذا .

ويبدو ان الخليفة رغم ضعفه وانشغاله بالنزاع الصامت مع الأمير السلجوقي لم ينس ان ينصح الشيعة من اهل الكرخ وذلك بدعوتهم الى العودة الى السنة فأرسل اليهم في سنة ٤٨٢هـ الشحنة ليقرأ عليهم « مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون ، وحضور الجماعة والتدين بمذهب اهل السنة فأجابو الى الطاعة .. وكتب اهل الكرخ على ابواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله(ص)ابو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي .»[٢٤]

ويظهر ان مركز الخليفة اخذ يتحسن باطراد في اوائل القرن السادس للهجرة . ففي سنة ٥٢٠هـ ، اختلف شحنة بغداد مع نواب الخليفة فسار الشحنة الى السلطان محمود وحذره جانب الخليفة ، واعلمه انه قاد العساكر ولقي الحروب وقويت نفسه ،ومتى لم تعالجه بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه فتوجه السلطان نحو العراق فطلب منه

---

(٢٢) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٤١ .
(٢٣) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .
(٢٤) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٦٤ .

الخليفة ان يرجع هذه المرة لأن البلاد في ضيق فلم يسمع فهدده بالنزوح من بغداد فلم يقبل . فلما وصل السلطان الى بغداد حصل بينه وبين الخليفة خلاف . واستنفر الخليفة الناس ولكنه لم يستطع دحر السلطان واخيراً تم الصلح [٢٥] .

كان لاستنفار الخليفة للناس اهمية خاصة لأن ذلك يدل على ان نزاع الخليفة مع الأمير اصبح موضع اهتمام عامة الناس ببغداد .

يضاف الى ما سبق ان الخليفة اخذ يستغل نزاع خصومه فيما بينهم . وفي سنة ٥٢٧هـ حاصر الخليفة المسترشد الموصل ، وكان جماعة من الامراء السلجقية قصدوا باب المسترشد فقوى بهم ، واشتغل السلاطين السلجقية بالخلف الواقع بينهم ، فارسل الخليفة الشيخ بهاء الدين الأسفرايني برسالة فيها خشونة واداها ابو الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة ، فقبض عليه عمادالدين زنكي واهانه ، وسار [الخليفة] .. في الف مقاتل . ونازلها الخليفة وقاتلها وضيق على من بها ، [٢٦] . وفي سنة ٥٢٨ هـ سير المسترشد عسكراً الى تكريت لمحاصرة مجاهد الدين بهروز فصانع عنها بمال فعادوا عنه [٢٧] . وفي سنة ٥٢٩هـ امر الخليفة السلطان مسعود ، بالمسير الى همدان وجمع العساكر ومنازعة اخيه طغرل في السلطنة والبلاد ... ووعده ان يسير معه بنفسه .. وكان قد اتصل الأمير البقش السلامي وغيره من الامراء بالخليفة وطلبوا خدمته فأجابهم وصاروا معه ، [٢٨] . وفي سنة ٥٢٩هـ اتفق المسترشد مع جماعة من الأمراء ، وقطعت خطب السلطان.

---

(٢٥) ايضا ، ج ١٠ ، ص ٢٤٢ .
(٢٦) ايضا ، ج ١١ ، ص ٢ .
(٢٧) ايضا ، ج ١١ ، ص ٦ .
(٢٨) ايضا ، ج ١١ ، ص ٧ .

مسعود من بغداد ، وسار الخليفة لقتال مسعود ولكنه فشل [٢٩] . وفي سنة ٥٤٩ هـ استولى جيش الخليفة على تكريت [٣٠] .

ومما شجع الخليفة على السعي لاسترداد قوته الزمنية ، فضلا عن تأييد كثير من العامة له ، هو ان امراء السلاجقة اصبحوا ضعفاء . يقول ابن الأثير : مات السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه في سنة ٥٤٧ هـ ، ومات معه سعادة البيت السلجوقي ، فلم يقم له بعده راية يعتمد بها ولا يلتفت اليها ، [٣١] . وليس غريباً بعد هذا ان يطلب السلطان محمد بن محمود في سنة ٥٥١هـ من الخليفة ان يخطب له ببغداد والعراق ، فامتنع الخليفة من اجابته فأرسل جيشاً لمحاصرة بغداد فاستعد الخليفة وتمكن من رده عنها لا سيما ان ثورة حصلت في همدان جعلته يترك الحصار ويعود ، [٣٢] .

وبعد ما اسلفنا نعقد مقارنة بين العصر البويهي الذي عالجناه في العدد السابق من (رسالة الاسلام) والعصر السلجوقي الذي هو موضوع بحثنا الحاضر .

يمكن ان نجمل اوجه الشبه بين العصرين البويهي بمايأتي :

أ ـ يعد العصران السلجوقي والبويهي تتمة لعصر امارة الأمـراء الذي نشأ في عهد الراضي وابن رائق سنة ٣٢٤هـ ، لأن امـراء البيتين البويهي والسلجوقي تلقبا باللقب المذكور ؛ وان السلطة السياسية في الغالب كانت لأمير الأمراء دون الخليفة [٣٣] .

ب ـ كانت العناصر العسكرية هي المتغلبة في العصرين ، لأن الأمير

---

(٢٩) ايضا ، ج ١١ ، ج ١٠ .
(٣٠) ايضا ، ج ٩ ، ص ٤٤ .
(٣١) ايضا ، ج ١١ ، ص ٦٤ .
(٣٢) ايضا ، ج ١١ ، ص ٨٦ ـ ٧ .
(٣٣) ابن الاثير ، ج ٦ ، ص ٣٧٧ .

كان يعتمد على تأييد الجيش له بالدرجة الأولى وذلك لأن السند الشعبي للامراء كان ضعيفاً .

وترتب على ذلك ان ارتبكت الأدارة في العصرين معاً لأن العناصر العسكرية قليلة الخبرة في الامور السياسية .

جـ ـ ضعف مؤسسة الوزارة في كلا العصرين وذلك نتيجة لتفوق العنصر العسكري وتسلطه على الحكم باساليبه التي لاتنسجم في الغالب مع اساليب الوزراء المدنية (٣٤) ، واصبح كاتب الأمير او وزيره هو الذي يدير الامور دون موظفي الخليفة المدنيين .

د ـ كان الخلفاء في العصرين معاً يعتمدون بالدرجة الأولى على سلطتهم الدينية لذا وجدوا في الفقهاء والزهاد من يتأثر بهم من العامة خير معين لهم في كفاحهم الطويل مع امير الأمراء سواء كان ذلك الأمير بويهيا او سلجوقيا .

هـ ـ شيوع الاقطاع العسكري خاصة في العراق ، وكان لشيوع النظام المذكور نتائج سيئة على اقتصاديات البلاد لجهل العسكريين في الامور الاقتصادية بما فيها اعمار الارض والاستفادة منها استفادة تامة ، يضاف الى ذلك ان معظم اصحاب الاقطاع من العسكريين لم يتقيدوا بالمصلحة العامة . ويظهر عدم تقيدهم في ذلك عن طريق تعدياتهم على حقوق الخزينة والمزارعين معاً ، واهمالهم لما يتطلبه اعمار الارض من سدّ للبثوق ورعاية للفلاحين وتلبية مطالبهم اللازمة لاعمار الارض وغير ذلك من قضايا ذات علاقة بشؤون الفلاحين . يضاف الى ذلك ان المنتفعين من الارض العسكريين كانوا يشبهون الى حد كبير ما نسميهم بالملاكين المتغيبين (The Absentee Land Lords) فلم يستطيعوا نتيجة لجهلهم وانشغالهم بامورهم العسكرية ، ان يسكنوا في الارض ليشرفوا على اعمارها

---

(٣٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٥ (القاهرة ١٩١٤) ص ٣٥٢ .

بانفسهم كما كان يفعل اصحاب الاقطاع المدنيين في الغالب الاعم .

وقد اورد الدكتور عبدالعزيز الدوري تفصيلات عن الاقطاع العسكري في العهد البويهي واثره في اضعاف مقدرة البلاد الانتاجية (٣٥) .

وكانت الضرورات العسكرية وحاجة الامير الى جيش يسنده في كفاحه مع الخليفة هي التي ادت الى وجود النظام المذكور وما صحبه من اضرار اجتماعية واقتصادية بالغة الاهمية .

اما اوجه الخلاف بين العصرين البويهي والسلجوقي فيمكن ان نجملها بمايأتي : ـ

أ ـ كان البويهيون شيعة لايعتقدون بحق الخليفة العباسي بحكم العالم الاسلامي ، بينما كان السلاجقة من اهل السنة يدينون بالطاعة من الناحية المذهبية للخليفة العباسي ويعدّونه امام المسلمين .

وقد سبق ان بينا في حينه ان الاعتبارات المذهبية لدى الفريقين كانت تختفي عند اصطدامها بمصالحهم السياسية . وبالرغم من ذلك فأن لوجود البويهيين في الحكم اثراً كبيراً في انتشار التشيع والاهتمام بمؤسساته الثقافية والدينية . وصادف ظهور البويهيين وجود طائفة من مثقفي الشيعة الأمامية خاصة تمكنت من ترسيخ قواعد المذهب الجعفري امثال الشيخ المفيد المعروف بفقيه الشيعة ، والشريفين الرضي والمرتضى والشيخ الصدوق القمي وغيرهم من العلماء والفقهاء .

ومن الجدير بالذكر ان النزاع المذهبي بين السنة والشيعة تحول الى نزاع على الصعيد الشعبي لأول مرة في العهد البويهي .

---

(٣٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بغداد ، ١٩٤٥) ص ٢٧٨ ـ ٩ .

ففي سنة ٣٥٢هـ يوم العاشر من المحرم « امر معز الدولة الناس ان يغلقوا دكاكينهم ويبطلون الاسواق والبيع والشراء ، وان يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح ، وان يخرج النساء منشرات الشعور مسودات قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي ـ ع ـ ففعل الناس ذلك ، ولم يكن للسنية قدرة على المنع لكثـــرة الشيعة ولان السلطان معهم » . وفي السنة نفسها في ثامن عشر ذي الحجة « امر معز الدولة باظهار الزينة في البلد ، واشعلت النيران بمجلس الشرطة واظهر الفرح وفتحت الاسواق بالليل كما يفعل ليالي الاعياد ، فعل ذلك فرحا بعيد الغدير يعني غدير خم ، وضربت الدبادب والبوقات ، وكان يوماً مشهوداً»[٣٦] . وفي سنة ٣٥٣ عاشر محرم « اغلقت الاسواق ببغداد يوم عاشوراء وفعل الناس ما تقدم ذكره ، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة جرح فيها كثير ونهبت الأموال[٣٧] » . وقـد اقيمت احتفالات مماثلة في سنة ٣٥٧ هـ[٣٨] و ٣٥٨ هـ[٣٩] .

ويبدو مما سبق ان الناس من اتباع المذهبين ، السنة والجعفرية ، اصبحوا اطرافا في النزاع المذهبي الذي كان يجرى على مرآى ومسمـــع الخليفة الذي لا يروقه ان يرى طائفة تستطيع ممارسة طقوسها المذهبية علناً وهي لا تعترف بحقه في امارة المؤمنين .

ب ـ مرّ العالم الاسلامي وخاصة في الشرق الادنى بدور ضعف نسبي خلال معظم ايام الحكم البويهي . واخذ البيزنطيون يكررون الهجمات

---

(٣٦) ايضا ، ج٨ ، ص ١٩٧ .
(٣٧) ايضا ، ج٨ ، ص ٢٠ .
(٣٨) ايضا ، ج٢ ، ص ٢١١ .
(٣٩) ايضا ، ج٢ ، ص ٢١٥ .

على البلاد الأسلامية دون ان يستطيع الأمير البويهي ردهم لأنشغاله بأموره الخاصة التى تنحصر في الغالب بتثبيت سلطته فى البلاد التي يحكمها • ولم يرع الامير البويهي احيانا مصلحة الدولة الاسلامية عامة ويتناس الاعتبارات المذهبية حين تتعارض هذه المصلحة وتلك الاعتبارات مع سلطته الخاصة • فالحمدانيون كانوا من الشيعة كما هو معروف ، كما انهم كانوا يمثلـــون الجبهة الامامية فى خط دفاع الامة الاسلامية البيزنطين ، كانوا فى نزاع دائم مع الامير البويهي من اجل فرض سلطته عليهم • ومن الملاحظ ان الخليفة ، رغبة فى مكافحة تشيع الحمدانيين او رهبة من الامير البويهـي كان يلتزم فى كثير من الأحيان جانب الأمير البويهي •

اما حالة البلاد الاسلامية العامة فكانت في دور تحسن وانتصار ايام السلاجقة ، وقد تمكن السلاجقة من اعادة توحيد الشرقين الادنى والاوسط تحت راية الخلافة الاسلامية بعد ان مزقت البلاد النزاعات المحلية • كما ان السلاجقة اوقفوا تعديات البيزنطيين وبادموهم بالهجوم كما هو معروف فى كتب التأريخ • وبعد عصر السلاجقة ، بناء على ذلك عصر انتعاش نسبي للخليفة العباسى لان سلطته الدينية اصبحت قوية ومعترف بها فى جميع انحاء البلاد التى خضعت للحكام السلجوقيين •

وختاماً ارجو ان اكون قد اعطت النام عن بعض مشكلات موضوع العلاقة بين امير الامراء والخليفة خلال العصرين البويهي والسلجوقى ولى عودة لبحث الموضوع المذكور بصورة اوسع وافضل مما فعلت فى المستقبل ان شاء الله •

رباعيات ..

يا ظلال الاسلام

يا ظلال الاسلام .. قد يبلغ القمة جيل السرى ، ويغزو المحالا
انها عزمة الحياة ، فمن يهوى الاعالي ، لا يعشق الاوحالا
قد يثير الظلام ، خطو الاعاصير ، فتجرى لتصنع الاهوالا
غير اننا ، هنا ، سنبقى نرش الدرب ، حبا ، ويقظة وجمالا

* * *

قد يقول المعوقون ، اذا سرنا ، رويدا فدربكم اخطار
فعلى كل خطوة يكمن الموت .. ويضرى ـ على الطريق ـ الدمار
لاتثيروا الغبار في زحمة الركب ، فقد يثقل العيون الغبار
اترانا نصغي ، ؟ اتترك مسرانا ؟ لقول يثيره الأشرار

* * *

لن تخيف الايمان ، جلجلة الموت ، اذا عربدت رياح الشتاء
لن تعيق الاخطار ، خطو الرسالات ، وشوط الحقيقة البيضاء
انما النصر للعقيدة مهما امتد في الدرب موكب الشهداء
انه وعدنا المقدس ، وعد الله ، بالنصر في غد الامناء

* * *

يا ظلال الاسلام .. وانطلق (الفكر) يرينا ـ في كل يوم ـ قرارا
يحمل الزيف والخداع ليوحي ان للحق ـ في مداه ـ انتصارا
واذا بالاسلام معنى يضم الخير والشر والدجى والنهارا
واذا الدين (غاية) تتبنى كل يوم وسيلة وشعارا

* * *

يزعمون الاسلام ، روحا يعيش (الخلد) ايحاؤها ويرمي القشورا
تحضن الخير والمحبة والنـــور ، وتبني لكـــل حي ضميرا
واذا عاشت الشعوب بروح الدين وعيـــا وفكـــرة وشعورا
فلتكن للحيـــاة ، حرية الدرب لتبني ـ باسم الرقي ـ العصورا

* * *

ياظلال الاسلام .. كيف يكون الدين روحا تعيش من غير جسم
كيف يحيـا العبير ، في خاطر الحقل ، اذا لم يفـــح بزهرة حلم
انها (الصورة) التي شاءها الكفر ، ليوحي كما يريد ، ويعمي
ويعود الاسلام قصة تاريخ .. ترامت ما بين حـــرب وسـلم

* * *

غير انا لن نترك الحق للتيه ، ولن نسلم الهـــدى للضـــلال
فكـرنا في الذرى ونجـــوى هدانا يقظة النور في مدى الاجيال
نحمل الدين شرعة ترسم الدرب ووحيا ينـــير درب الليالي
وكيـانا يعلو ، ليحكم ـ باسم الله ـ دنيـــا الشرور والاهوال

* * *

وهنا نحن لاتزال لنـا (بدر) ووحـــي انطـــلاقة (الاحزاب)
من هداهـا نستلهم الوحي ريانـــا ونحياه في حنايا الكتـاب
وعلى دربها تخط الـدماء الحمـــر ، للتائهين درب الشباب
وبايمانها افتتحنا خطى النصر .. وسرنا في موكب الاطيـاب

* * *

بيروت «ابو علي»

« افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »

في تاريخنا الاسلامي ، وقت كان الحكم يقوم باسم الاسلام ، ويفترض فيه الالتزام بتشريعه كانت تظهر للمسلمين كثير من المواقف الجريئة امام الحكام ، في مقام الانكار والمحاسبة مواقف قد تبدو لنا الآ صورة من صور البطولة الفردية النادرة ، ولكن تكررها ووحدة منطلقها وغاياتها يكشف لنا بوضوح انها كانت اقرب للتعبير عن روح النظام الاسلامي ، ومزاج التربية الاسلامية مما هي لحالات فردية خاصة .

ان الاسلام اعطى للأمة حقاً صريحاً واضحاً في مراقبة الحاكم ومحاسبته على اساس القوانين الاسلامية ضمن نظام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه حق يقرع به ادناهم انف اعلاهم ، وقد فهم الحاكم والمحكوم معاً ذلك ووعياه فلم يكن للحاكم أن يتمرد ولا للمحكوم ان يتردد فكانت هذه النماذج الرائعة من « المواقف الجريئة » التي لن يوجد نظيرها في غير ظلال الحكم الاسلامي .

ملوك للبيع

كان للمماليك الأتراك نفوذ في الدولة الاسلامية في اواخر حكم العباسيين وامتد نفوذهم حتى اصبحوا امراء في الدولة ايام حكم نجم‌الدين ايوب في مصر وكان الشيخ العز بن عبدالسلام قاضياً للقضاة فيها ، وقد ذكروا ان الشيخ « رض » لم يثبت عنده انهم احرار وان حكم الرق

مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين • فبلغهم ذلك : فعظم الخطب فيه واحتدم الأمر والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحاً وتعطلت مصالحهم بذلك • وكان من جملتهم نائب السلطنة فاستشاط غضباً واجتمعوا وارسلوا اليه ، فقال نعقد لكم مجالساً وينادى عليكم لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعي فرفعوا الأمر الى السلطان فبعث اليه فلم يرجع فخرجت من السلطان كلمة فيها غلظة حاصلها الانكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر ، وانه لا يتعلق به فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار ، واركب عائلته على حمير أخرى ، ومشى خلفهم من القاهرة قاصداً الشام فلم يصل الى نحو نصف بريد حتى لحقه غالب المسلمين لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل يتخلف ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار وانحاؤهم فبلغ السلطان الخبر وقيل له متى راح ذهب ملكك فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيب قلبه فرجع واتفقوا معهم على أن ينادى على الامراء فارسل نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فارسل النائب فقال : كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ؟ والله لاضربنه بسيفي هذا فركب بنفسه في جماعته وجاء الى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد الى أبيه وشرح له الحال فما اكترث لذلك ولا تغير • وقال : يا ولدي ابوك أقل من أن يقتل في سبيل الله •

ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة فما ان واجهه حتى ارعد وسقط من يده السيف وقال :

يا سيدي أي شيء تعمل بنا •

قال : انادى عليكم وابيعكم قال : ففيم تصرف ثمنها ؟ قال : في مصالح المسلمين قال : من يقبضه ؟ قال : انا •

فيم يا اراد • ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم ، وقبضه وصرفه في وجوه الخير •

تسميت بغير اسمك

دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهي عجوز ، فلما رآها قال : مرحباً بك واهلاً يا عمة فكيف كنت بعدنا •

فقالت : يا ابن أخي ، لقد كفرت يد النعمة واسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير بلاء كان منك ، ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • فأنعس الله منكم الجدود ، وأضرع منكم الخدود وردّ الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا صلى الله عليه وآله ، هو المنصور فلو لبثتم علينا من بعده تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أقرب اليه منكم ، وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي بن ابي طالب (ع) بعد نبينا (ص) بمنزلة هارون من موسى • فغايتنا الجنة وغايتكم النار • فقال لها عمرو بن العاص : كفى ايتها العجوز الضالة ، وأقصري من قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له : وانت يا ابن النابغة وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة وآخذهن لأجرة ، ادّعاك خمسة نفر من قريش ، فسئلت أمك عنهم فقالت كلهم أتاني ، فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلبَ عليك شبهُ العاص بن وائل فلحقتَ به • فقال مروان : كفى ايتها العجوز ، واقصدي لما جئت له فقالت : وانت ايضا يابن الزرقاء

تتكلم ثم التفت الى معاوية فقالت : والله ما جرّأ عليّ هؤلاء غيرك فان امّك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سُعر
ما كان لي عن عتبة من صبر ... وشكر وحشيّ عليّ دهري
حتى ترِم اعظُمي في قبري

فأجابتها بنت عمي وهي تقول :

خزيت في بدر وبعد بدر ... يابنة جبار عظيم الكُفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا عمّة • هات حاجتك • قالت : مالي إليك حاجة وخرجت عنه •

العقد الفريد

الحجاج وفرعون

أتي الحجاج بحَروريّة فقال لأصحابه : ما تقولون في هذه • قالوا : اقتلها اصلح الله الأمير ، ونكّل بها غيرها فتبسمت الحروريّة فقال لها : لِمَ تبسمت ؟ فقالت : لقد كان وزراءُ أخيك فرعون خيراً من وزرائك يا حجّاج • استشارهم في قتل موسى ، فقالوا : أرجِه وأخاه وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي ، فضحك الحجاج وأمر باطلاقها •

العقد الفريد

سيد الشهداء حمزه ومن قام الى حاكم ظالم فامره ونهاه فقتله

حديث شريف

الشجر في القرآن الكريم *

كاصد الزيدي

فاذا انتقلنا الى مفهوم « الشجر » في القرآن ، وجدناه نعمة ورزقا أيضا . وقد نص القرآن على أن الشجر نعمة ورزق في قوله :

« الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار »(١) .

فاخراج الثمرات رزق للعباد ، يتنفعون به كفاكهة أو كطعام ، وفوق ذلك فهو نعمة ، لأن الله هو الذي أنعم به على هؤلاء العباد ، وجعلهم يستفيدون منه ، ولهذا قال أول الأمر : « رزقا لكم » ، ثم قال بعد : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، فجمع بين المعنيين في سياق واحد ، وهذا ما يشعر بأن الرزق لا يفترق عن النعمة بحال ، بل هو وإياها بمعنى ، من

(*) هذا الجزء مستل من الدراسة القرآنية التي نال بها الاستاذ كاصد الزيدي درجة « الماجستير » في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة ، بتقدير « جيد جدا » في منتصف حزيران من هذه السنة .

(١) ابراهيم : ٣٢ ـ ٣٤ .

جهة تحقيق المنفعة ، واظهار الفائدة .

وقد فصل القرآن مظاهر النعمة في الشجر ، فبين أن له جانبين ، جانبا ماديا وجانبا معنويا . فالجانب المادى يتجلى فى كونه طعاما للانسان ، يواصل به وجوده فى الحياة وكونه طعاما لما هو فى حوزة الانسان من الحيوان ، يقتات به ، ويعيش عليه . فالانعام على هذا الحيوان الذى سخر لنفع الانسان ، انما هو انعام على الانسان نفسه .

فلننظر الى هذه الآية الكريمة ليظهر لنا هذا المفهوم :

« الذي جعل لكم الارض مهداً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا بـه أزواجا من نبات شتى كلوا وأرعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولي النهى »[٢] .

أما المنفعة المعنوية أو النفسية ، فتتجلى فى أنه زينة للانسان ، يسر به ، ويرتاح اليه ، حين يرى منظره المنبسط على الارض فى خشوع ، وتتأمله العين الفاحصة ، فتجد فيه ألوانا متباينة ، فيها الاخضر الغامق الدال على الارتواء والخصب وفيها الاخضر الفاتح المبهج المريح ، وفيها الاصفر الفاقع ، الذى يدل على النضوج والاكتمال ، ويشعر بالبهجة والانشراح ، كما ورد في صفة البقرة : «فاقع لونها تسر الناظرين» ، وفيه ألوان أخرى كثيرة متباينة تباين الشجر ، ومتميزة تميزه . وعناصر الطبيعة الحية والصامتة ، لا تكاد تبدو بصورتها المبهجة ، ما لم تتشح بوشاح الخضرة من الزرع والشجر الذى يضفي على تلك العناصر الطبيعية رونقا وبهاء ونضرة .

فالقرآن حين يظهر هذا الجانب المعنوي من نعمة الشجر ، فانما يفتح للنفس آفاقا بعيدة تحملها على التحسس بجمال الطبيعة ، والتامل فى صفحاتها الزاهية المشرقة ، فوق ما يحققه من غرض ديني باظهار نعمة الله على الانسان واحسانه اليه .

وقد عبر القرآن عن مفهوم الجمال فى الشجر « بالزينة » و « البهجة »،

---

(٢) طه : ٥٣ ـ ٥٤ .

فقال : « إنا جعلنا على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »[٣] .

وقال : « ... وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج[٤] » .

فزينة الارض كل ما يجعلها تبدو جميلة فى عين الناظر اليها ، والشيء اذا كان « زينة » ، فلابد أن يحدث السرور فى النفس ، وكذلك اذا كان بهيجا ، فانه لا يعدم اثارة الغبطة والراحة . قال الراغب الاصفهاني :

« البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه . قال عز وجل : « حدائق ذات بهجة » . وقد بهج فهو بهيج ، قال : « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ... وقد ابتهج بكذا أي سر به سروراً بان أثره على وجهه ... »[٥] .

وهكذا نجد مفهوم البهجة يتصل بالنفس اتصالا وثيقا ، ويرتبط باحساسات الانسان الباطنية بوضوح ، لما يحدثه فى النفس من الارتياح . وقد عظم القرآن هذه النعمة فى الشجر بجانبيها : المادى والمعنوي ، فقرنهما بمحمد (ص) وأصحابه ، اذ شبههم بالزرع الجميل ، النامي بقوة ، المنتصب فى الفضاء بشموخ يثير اعجاب الزراع واحساساتهم ، بما فيه من مظاهر الخير والأنس والنفع . ثم عرض ذلك فى بطء ، ليتملاه الحس ، وليستمتع به الخيال ،

« ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .. »[٦] .

ولم يدخر القرآن وسعا فى اظهار هذه النعمة للانسان ، وتقريب ما يدل عليها اليه ، ولذلك فقد وصفت أثمار الشجر فيه ، بالقرب من المنعم

---

(٣) الكهف : ٧ .
(٤) الحج : ٥ .
(٥) الراغب الاصفهاني : مفردات القرآن .
(٦) الفتح : ٢٩ .

عليهم ، وذلك له تأثيره الكبير في النفس دون شك ، فالتفضل اذا ما أشعر المتفضل عليه بقرب ما أسداه اليه من خير ، كان في ذلك مضاعفة لسروره وزيادة للاعتراف بمنته ، ولذلك كما يبدو ، وصفت عذوق النخل بالقرب من المنتفعين بها من بني الانسان ، كما في قول القرآن :

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون »[٧] .

قال الزمخشري :

« دانية : سهلة المجتنى معروضة للقاطف ، كالشيء الداني القريب التناول ، ولأن النخلة وان كانت صغيرة ، يناها القاعد ، فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول ... وقيل ذكر القريبة وترك البعيدة ، لأن النعمة فيها أظهر »[٨] .

وقال أبو حيان في تفسير القنوان الدانية :

« أي قريبة من المتناول لقصرها ولصوق عروقها بالارض ، قاله ابن عباس والبراء والضحاك وحسنه الزمخشري فقال : سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب التناول »[٩] .

ولقد ربط القرآن بين هذه النعمة الحاضرة ، ونعمة اخرى غيبية قادمة ، تلك هي نعمة الجنة التي فيها من الشجر ما يثير غبطة الانسان ، ويضاعف له السرور ، فجعل هذه النعمة مقدمة لتلك ، وحث الانسان ـ بعد ان ابان له عظم تلك النعمة ، ومنها نعمة الشجر ـ الى ما يوصله الى التمتع

---

(٧) الانعام : ٩٩ .
(٨) الزمخشري : الكشاف ١/٥٢٠ .
(٩) ابو حيان : البحر المحيط ٤/١٨٩ .

بها ، والحصول عليها ، وبذلك يكون القرآن قد ربط بين النعم الالهية ، ومنها نعمة الشجر ، وبين سلوك الانسان في هذه الحياة ، فجعل صورتها الحاضرة حافزاً لتلك الصورة المتأملة في عالم الغيب ، التي وعد الله بها عباده الأخيار ، ولا يخلف الله وعده .

فالقرآن يقول :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً ، قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون »[١٠] .

قال الزمخشري :

« فان قلت : كيف قيل : «هذا الذي رزقنا من قبل» . وكيف تكون ذات الحاضرة عندهم في الجنة ، ذات الذي رزقوه في الدنيا ؟ » قلت » : معناه ، هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه ، بدليل قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ، تريد أنه لاستحكام الشبه، كأن ذاته ذاته . فان قلت : الى م يرجع الضمير في قوله : وأتوا به ، قلت : الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا ، لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحت ذكر ما رزقوه في الدارين »[١١] .

فالقرآن اذاً لا يقطع الصلة بين نعم الدنيا ونعم الآخرة ، بل يجعل تلك الآجلة امتداداً في الفضل والمنة لهذه الحاضرة ، وان كانت تلك النعم التي وعد الله بها الانسان تباين هذه في مقدار لا يعلمه الا الله وحده . ولم ينفصل هذا المفهوم عن سلوك الانسان بدليل قوله : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، بل كان دافعا للانسان على العمل الصالح .

ومما مر يتبين أن القرآن قد حبب الشجر الى الانسان ، وقربه اليه ،

---

(١٠) البقرة : ٢٥ .
(١١) الكشاف ١/٢٠٢ .

بهذه الأوصاف السارة التي تجعل مفهوم الخير لصيقا به ، مكتنفا إياه ، والتي تبعد عن الفكر مفهوم الشر والأذى ، اللذين خالطاه فى الفكر القديم . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان القرآن قد أبعد عن ذهن الانسان كل تصور ميثولوجي يجعل من الشجر قوة مستعلية على الانسان ، ومتسلطة عليه ، حتى اننا لنجد صورته فى كتاب الله ، على خلاف الصورة التي كانت له فى التصور الاسطورى القديم ، اذ بات الانسان فيه ، هو المستعلي والمتسلط ، وذلك بما أظهره فيه من معاني النعمة والرزق والمنفعة التي جعلها مسخرة للانسان مقيضة له .

والشجر آية ايضا فى القرآن :

وهذه الآية وان كان طريقها الحواس ، غير أنها ترتبط بالفكر ، لأن الرؤية البصرية ليست بمعزل عن العملية الفكرية ، بل هي الطريق لادراك معنى الآية ، وتفهم الشيء الدال على ذلك بوعي ويقظة وتفاعل ولذلك ربطها القرآن بالفكر تارة وبالعقل تارة وبالعلم تارة أخرى ... وذلك ليحث على مواصلة هذه العملية الفكرية ، وتقويها فى نفوس الناس على الدوام ، ما زالت آثارها ماثلة أمامهم يرونها فى غدوهم ورواحهم . وقد فرق القرآن بين الآية التي هي « لقوم يعقلون » عن الآية التي هي « لقوم يتفكرون » ، مثلا ، فالاولى لا تحتاج الى مزيد نظر ، بل هي واضحة يستشعرها الانسان بيسر ، أما الثانية فهي تحتاج الى مزيد نظر وتأمل ، فلذلك وصف الذين يمرون عليها بأنهم « يتفكرون » .

وارتباط الآية بالنعمة وثيق فى القرآن ، لأن الشيء اذا كان آية ونعمة فى آن واحد ، كان تأثيره فى النفس أبلغ ، فالشيء يكون نعمة حين يتصل بوجود الانسان المادى أو المعنوي كما مر ، فاذا صار آية اتصل بوجوده الروحي أو الفكري ، لأنه يحمله على الشعور بالقدرة الالهية . وليس هناك من خصام بين المادة والروح ، أو المادة والفكر فى القرآن ،

كما تجليه لنا آيات الطبيعة ، بل كلاهما مما اهتم به كتاب الله وأكد عليه ، ولذلك فقد تجمع الآية الواحدة ، بين النعمة والآية فى سياق واحد كما في قوله تعالى :

« وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون »(١٢) .

فالآية القرآنية قد عددت أنواعا من النعم : النبات الغض الطري المزدان بالحب المتراكب ، والنخل ذوات العذوق الدانيات ، والجنات المزدانة بالاعناب والزيتون والرمان ، وهذا كله مع اتصاله بمنفعة الانسان ووجوده على الارض ، فهو متصل كذلك بفكره ، اذ هو آية ، أو دلالة بينة ، على كمال قدرة الله وحكمته ، وفى ذلك يقول الرازي .

« اعلم أن هذا النوع الخامس من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته ، ووجوه احسانه الى خلقه ، واعلم أن هذه الدلائل، كل انها دلائل فهي ايضا نعم بالغة واحسانات كاملة ، والكلام اذا كان دليلا من بعض الوجوه ، وكان احسانا من سائر الوجوه ، كان تأثيره فى القلب عظيما » .

والقرآن حين يذكر أن الشجر « آية » ، فانه يعرض للمتأمل أحوالا كثيرة منه دالة على ذلك ، يعرض أصنافه المتعددة ، وتشابهه واختلافه ، وانتقاله من حال الى حال ، وتكونه من أزواج ، وخروجه من شيء يبدو كأنه لا حياة فيه ... الى آخر ما هنالك من ظواهر تنبيء عن وجود القدرة الالهية التي تكمن وراء هذه المحسوسات ، فمثلا نرى :

---

(١٢) الأنعام : ٩٩ .

(أ) ان الشجر اصناف متعددة ، رغم أن سببها واحد ، كما في الآية التي مرت ، إذ عددت أصنافاً من الشجر كثيرة ، مابين سنبل ونخل وعنب وزيتون ورمان ، وكلها تسيت عن شيء واحد وهو الماء .

وقد عبر القرآن عن كثرة هذه الاصناف بلفظة « كم » ، كما عبر عن الاحاطة بها بلفظة « كل » ، وربط ذلك كله بالآية الدالة على قدرة الله المتصرفة في الكون ، فقال :

« أو لم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم . ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين »[١٣] .

قال الزمخشري :

« فان قلت : ما معنى الجمع بين كم وكل ، ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم ؟ قلت : قد دل كل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل ، وكم ، على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة ، فهذا معنى الجمع بينهما ، وبه نبه على كمال قدرته ... فان قلت : فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة ، وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم ، كيف قال : « ان في ذلك لآية » ، وهلا قال آيات ؟ قلت : فيه وجهان : أن يكون ذلك مشاراً به الى مصدر أنبتنا ، فكأنه قال ان في الانبات آية أي آية ، وأن يراد أن في كل واحد من تلك الازواج لآية ، وقد سبقت لهذا الوجه نظائر »[١٤] .

(ب) ان تشابه الشجر من ناحية واختلافه من ناحية آية : ولذلك قال : « مشتبهاً وغير متشابه » في الآية الكريمة التي مرت . وهذه الدلالة ظاهرة بوضوح ، فتشابه الشجر في صفاته ، واختلافه فيها ، ليس مما يغيب عن الحس بل انه في شيء من التأمل ، يلفت الى هذه الظاهرة الموحية . وان اختلف في المراد من هذا التشابه والاختلاف :

---

(١٣) الشعراء : ٧ .
(١٤) الكشاف : ٤١٩/٢ .

فقال الطبري : « جائز أن يكون مـراداً بـه : مشتبهاً في الخلق ، مختلفا في الطعم »[١٥] .

وقال الزمخشري : « بعضه متشابهاً ، وبعضه غير متشابه في القـدر واللون والطعم »[١٦] .

وقال ابو حيان : « ... قال قتادة : يتشابه في الورق ويختلف في الثمر ، وقال ابن جريج : متشابها في النظر ، وغير متشابه في الطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف » [١٧] .

وأما الرازي ، فقد فصل الأوجه المحتملة في هذا التشابه والاختلاف ، فقال : « في تفسير مشتبهاً وجوه : « الاول » أن هـذه الفواكه قد تكون متشابهة في اللون والشكل ، مع انها تكون مختلفة في الطعم واللذة ... « الثاني » ، أن أكثـر الفواكـه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهاً في الطعم والخاصية ، وأما ما فيها من اللحم والرطوبة ، فانه يكون مختلفا في الطعم . « الثالث » قال قتادة : أوراق الشجر تكون قريبة من التشابه ، أما أثمارها فتكون مختلفة ، ومنهم من يقول الأشجار متشابهة والاثمار مختلفة . « الرابع » ، أقول انك تأخذ العنقود من العنب ، فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة ، الا حبات مخصوصة منها ، بقيت على أول حالهـا من الخضرة والحموضة والعفوصة ، وعلى هذا التقدير ، فبعض حبـات ذلك العنقود متشابه وبعضها غير متشابه »[١٨] .

وهكذا نجد أن مسألة التشابه والاختلاف في الشجر ، ودلالتها على الآية ، مما أهم المفسرين منذ القدم ، حتى شعبوا فيها الاقوال والاحتمالات،

---

(١٥) تفسير الطبري : ٥٧٨/١١ . تحقيق محمود محمد شاكر .
(١٦) الكشاف : ٥٢٠/١ .
(١٧) البحر المحيط : ١٩١/٤ .
(١٨) مفاتيح الغيب : ١٠٧/٤ .

وكلها ليس ببعيد ، ما زال يدل على تشابه أو اختلاف ، وليس يخفى أن لكل نظرته وتأمله فى المحسوسات ، فما يراه زيد لا يراه عمرو ، والقرآن حين أبهم هذا التشابه والاختلاف ، كأنه تركه للبصر والفكر يعملان فيه ، ويستمدان منه حقائق جديدة ، مازال البصر باقيا والفكر ناميا ، وهذا كله من دلائل اتساع هذه الآية وشمولها وتعدد آفاقها .

(ج) وانتقال ثمر الشجر من حال الى حال آية : اذ هو يبدأ ضعيفا أول الامر ، ثم يصبح قوياً زاهرا حين يتم نضجه واكتماله ، وقد أظهر القرآن هاتين الحالتين ، البداية والنهاية ، طاويا ما بينهما من حالات ، لتباينهما الواضح ، فبداية الفاكهة تتباين تباينا واضحا مع نهايتها ، وهذا كله يتناسب والآية التى تتسم بالظهور والوضوح ، كما مر ذلك من قبل ، كي تدل على ماورائها من القدرة الالهية .

قال الزمخشري : « انظروا الى ثمره اذا أثمر : اذا أخرج ثمره ، كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ، وانظروا الى حال ينعه ونضجه ، كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ ، نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدرة ومدبرة وناقله من حال الى حال »[١٩] .

وقال أبو حيان :

« النظر نظر رؤية العين ، ولذلك عداه بإلى ، لكن يترتب عليه الفكر ونبه على حالين : الابتداء ، وهو كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ، وكيف يعود نضيجا مشتملا على منافع ، ونبه على هاتين الحالتين ، وان كان بينهما أحوال يقع بها الاعتبار والاستبصار ، لانها أغرب فى الوقوع ، وأظهر فى الاستدلال »[٢٠] .

---

(١٩) الكشاف : ١/٥٢٠ .
(٢٠) البحر المحيط : ٤/١٩١ .

وفصل الرازي ، كعادته ؛ القول ، وربطه بمفهوم قدامى الفلاسفة ، الذين كانوا يرون ، كما مر من قبل ، أن ما يحدث في الارض من ظواهر وتغيرات سببه الكواكب والافلاك ، ثم راح يفند ما كانوا يزعمون ، ويخلص بروح العالم الفيلسوف ، الى ان السبب في ذلك ليس هـذه الكـواكب والافلاك ، بل الله وحده سبحانه[٢١] .

(د) وظهور الحياة وسط المادة التي تبدو كأنها ميتة ، آية ايضا : ففي قوله تعالى :

« ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون »[٢٢] .

نلحظ شيئين متباينين : الحبة التي تبدو كأنها ميتة لا حياة فيها من جهة : والنبات الذى نبت بعد فلقها ، ينبض بالحياة من جهة اخرى . هذه الحركة التي نحسها بعملية الفلق ، هي عملية الحياة التي كانت كامنة في الحبة ، التي يبدو عليها كأنها ميتة لا علاقة لها بالوجود ، هـذه الصورة تحرك الحس ، وتستجيش الشعور ، وتدفع الفكر الى التأمل في ما وراءها من القدرة والحكمة ، التي دلت عليها هذه العملية الحية المتجددة . فاذا لاحظنا الفعل بصيغته المضارعة ، علمنا أن هذه العملية لا تحدها حـدود الزمان ولا المكان ، لأنهـا متكررة تنتظم في سلك ما سنه الله سبحانه في الكون من قوانين .

فلننظر في ما قاله المفسرون في تفسير الآية الكريمة المارة :

قال الزمخشري : « فالق الحب والنوى » بالنبات والشجر « يخرج الحي من الميت » : أي الحيوان والنامي ، من النطف والبيض ، والحب والنوى « ومخرج » هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي . فان قلت : كيف قال مخرج من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي مـن

---

(٢١) مفاتيح الغيب : ١٠٧/٤ .
(٢٢) الانعام : ٩٥ .

الميت • قلت : عطفه على فالق الحب والنوى • لا على الفعل • ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله :

فالق الحب والنوى ، **لأن فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت ، لأن النامي في حكم الحيوان** ، ألا ترى الى قوله «يحيي الأرض بعد موتها» ، «ذلكم الله» ، أي ذلك المحيي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية • «فأنى تؤفكون» تصرفون عنه وعن توليه الى غيره » (٢٣) •

وقال الرازي : « وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى **لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النـــامي من جنس اخراج الحي من الميت** »(٢٤) •

وقال النيسابوري : « يخرج الحي من الميت » : « ... **لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين ، من جنس اخراج الحي من الميت ، لأن النامي في حكم الحيوان** ، ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها »(٢٥) •

وهكذا نجد من تفسير الآية الكريمة ، أن فلـــق الحب والنوى ، واخراج النبات والشجر منه ، أشبه باخراج الحي من الميت ، وفي هـذا ما فيه من الدلالة على القدرة الالهية التي عملت عملها في المادة فجعلتها نابضة بالحياة • وقد لفت نظر الرازي حركة النبات المزدوجة بعد عملية الاحيـاء بفلق الحب والنوى ، وما في هذا التعاكس في الحركة بين صعود الى الفضاء، وهبوط الى باطن الارض ، من الدلالة على هذه القدرة العجيبة ، فقـال : «ثم ههنا عجائب » فاحداها » ان طبيعة تلك الشجرة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض ، فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهواء ، وان

---

(٢٣) الكشاف : ١/٥١٧ ـ ٥١٨ •
(٢٤) مفاتيح الغيب : ٤/٩٨ •
(٢٥) تفسير النيسابوري : ٧/١٩٦ بهامش تفسير الطبري ـ طبعة بولاق •

كانت تقتضى الصعود فى الهواء فكيف تولدت منها الشجرة الهابطة فـــي الأرض ، فلما تولد منها هاتان الشجرتان ، مع أن الحس والعقل يشهد بكون طبيعة احدى هاتين الشجرتين مضادة لطبيعة الشجرة الأخرى ، علمنا أن ذلك ليس بمقتضى الطبع والخاصية ، بل بمقتضى الايجـاد والابـــداع ، والتكوين والاختراع [٢٦] .

(هـ) واخراج هذا الشجر بمقدار معلوم ، يتناسب والمنفعـة التي تتوخى منه : فلا يزيد أو ينقص ، **آيـة** ايضا . ولهذا وصفه القرآن بأنـه « موزون » ، وفيه دليل على التناسق فى الخلق الدال على الحكمة الالهيـــة البالغة ، والقدرة العجيبة ، التى تعين كل شيء بمقدار ، وتزن كل موجود بميزان ، بحيث تتحقق فيه المنفعة التى أرادها الله لعباده . ويظهر ذلك فى قوله تعالى :

« والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها كل شيء مـوزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » [٢٧] .

قال الزمخشرى :

« موزون : وزن بميزان الحكمة، وقدر بمقدار تقتضيه ، لايصلح فيه زيادة ولا نقصان » [٢٨] .

وقال الرازى :

« اختلفوا في المراد بالموزون ، وفيه وجوه : « الأول » أن يكون المراد أنه متقدر بقدر الحاجة . قال القاضي : وهذا الوجه أقرب ، لانه تعالى يعلم المقدار الذى يحتاج اليه الناس وينتفعون به ، فينبت تعالى فى الارض ذلك

---

(٢٦) مفاتيح الغيب : ٤/٩٦ .
(٢٧) الحجر : ١٩ ـ ٢١ .
(٢٨) الكشاف : ٢/١٨٨ .

المقدار ، ولذلك اتبعه بقوله ، وجعلنا لكم فيها معايش ، لان ذلك بحسب الانتفاع بعينه »[٢٩] .

وقال أبو حيان : « قال ابن عباس وابن جبير : موزون : مقدر بقدر »[٣٠] . وقال الراغب الاصفهاني : « وقيل بل ذلك اشارة الى كل ما أوجده الله تعالى ، وأنه خلقه باعتدال ، كما قال انا كل شيء خلقناه بقدر »[٣١] . والحقيقة هي أننا نجد قرينة دالة على معنى التقدير بمقدار معلوم ، في كلمة « موزون » ، هذه القرينة نفهمها من سياق الآيات الكريمة بعد ذلك ، وهي قوله « وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ... » .

فالآية ظاهرة الدلالة على ان ما يتفضل الله به على عباده انما هو وليد الحكمة والقدرة ، التي تجعل لكل شيء مقداره وميزانه الذي ينفع به ولايضر .

وبهذا تنتهي هذه الوقفة على عنصر الشجر لتبيين المفاهيم الاساسية للطبيعة الارضية ، وبانتهائها ينتهي الحديث عن المفاهيم الاساسية للطبيعة في القرآن الكريم ، هذه المفاهيم التي ردت الانسان من التصور الميثولوجي ، الى التأمل الفكرى ، وفتحت امام عقل الانسان آفاقا لا تحد من الاستدلال والاستبصار وحققت له وجوده بين عناصر الطبيعة وآفاقها ، وجعلته يشعر بانه لم يعد ، كما كان في التصور القديم ، خاضعا تابعا لهذه العناصر ، بل انه سيدها ورئيسها ، المستفيد منها بهذا « التسخير » الذى اودعه الله فيها . فجعلها في خدمة الانسان دائبة لا تكل ولا تمل .

---

(٢٩) مفاتيح الغيب : ٥/٢٧١ .
(٣٠) البحر المحيط : ٥/٤٥٠ .
(٣١) مفردات القرآن .

درب النصر

داود العطار

اهـلاً وسهلاً يا دعـاة الله يا رسـل البشائر
فرشت لكم منا القلوب وكبّرت لكم الحناجر
اهـلاً بوفد الثائرين بوجـه تجّار الضمائر
... قد تسألون الناس عن سبب الهزيمة والخسائر
عشرون عاماً ، والبلاد مجازر تتلو مجازر
عشرون عاماً ، والطغاة مغاور يقفو مغاور
عشرون عاماً ، لم يدر في ذهنهم الا التآمر
في حين اسرائيل تدّخر العساكر والذخائر
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ، والله قاهر !
ويحاولون الانتصار بصوت فاجرة وفاجر !!!

* * *

اي الشجون ابثكم يا وفد عالمنا الكبير
حاولت كتمان الاسى لكنه اورى شعوري
كنا اذلّ العالمين ، من الدمار على شفير
كسرى وقيصر يملكان ، وما لنا شروى نقير
حتى بدا الاسلام منهجُ عزّنا عبر العصور
ما ذنبه ؟ ! حتى يحارب في المشيّ وفي البكور ! !
الا لانه يقضي بان لا نرتضي أمر السفير ! !
الا لانه في حكمه ساوى الغنيّ مع الفقير ! !
الا لانه منع الفجور ، فضجّ اصحاب الفجور
يا امتي خوضي مع الكفار معركة المصير
ان الجريمة ان تقرّي ، والكرامة ان تثوري

* * *

يا وفد امتنا العزيز ، ويا مغاوير الكفاح

القيت في المهرجان الاسلامي الذى اقامه الوفد الاسلامي العراقي تكريما للوفد الاسلامي الشعبي العالمي في حدائق قاعة الشعب يوم السبت ١٩٦٧/٨/٢٦ من اجل فلسطين :

« كشمير » و « الريف » الجميل و « قبرص » ارضي وساحي
وكذا « اريتريا » بلادي واستبدي يا رياحي
لكن « فلسطين » اعزّ مرابع الوطن المباح
ابمجلس الامن الكسيح نروم برءَ للجراح ! !
الحقّ يؤخذ بالسلاح ، نعم سيؤخذ بالسلاح
قولوا لمن وقفَ القتال : اكنتَ عند الوقف صاحي ؟ ! !
ولمن يحدّث نفسه بالصلح ، والغدر الوقاح :
هيهات أن نقف الجهاد وينتهي ركب الأضاحي
حتى نحرّر كل شبر من اراضينا الفساح

* * *

اتضلّ ارض المسلمين كذا : ممزقة سليبة ! !
ايضلّ سوط العسف يلهب ظهر امتنا الحبيبة ! !
والصامدون ... وحملة الاعدام ..... والحفر الرهيبة ! !
واللاجئون .... وقهقهات الغدر ... والسوح الخضيبة
والحاقدون على الشريعة .... والشعارات الكذوبة
والجوع .... والحيف المقيم شبابنا يصلى لهيبه
الرائد : الجزار ، يا للشعب من يأسو ندوبه ! !
والقائد : انخوّان ، يا للجيش من يفري حروبه ! !
الشعب يسأل هل لابطال العروبة أن تجيبه :
هيا قد نسيتم دينكم فهل انتصرتم بالعروبة ؟ ! !

* * *

أنا لا اهادن ، وارعدي يا دميمة الكفار حولي
أنا لا اهادن ، واحشدي كل القوى لتشقّ شملي
واستخدمي الاوغاد والصعلوك الاجيرة واستغلي
انا لا اهادن ، وازرعي الاحقاد في جبلي وسهلي
انا لا اهادن ، وانهشي ما شئت من اشلاء اهلي
ابداً ، اصون عقيدتي ، واذبّ عن حقي وعدلي
ماذا ؟ الغير القتل ؟ ـ وهو الفوز ـ يا مرحى بقتلي
فلمد هوت منّا الالوف على دروب الفجر قبلي
النصر نعرف دربه ، ومراجل الثارات تغلي
والثورة الكبرى ستصرخ : يا مسوخ الليل ولّي

هذا تقييم لكتاب « فلسفتنا » تاليف الحجة السيد محمد باقر الصدر كان قد كتبه استاذنا الجليل الدكتور احمد عبدالستار الجواري استاذ النحو فى الكلية لدى اطلاعه على الكتاب ايام صدوره •

هيئة التحرير

فلسفتنا

ـ السيد محمد باقد الصدر

عهدى بهذا البحث القيم وبكاتبه المفضال يعود الى ايام نشر فيها فصولا منه فى جريدة الحرية • وقد اطلعت على اسلوب فى البحث جديد فيه من الدقة والشمول والاحاطة والرزانة ما فيه ، وفيه من صدق النظرة وعمق الفكرة مالم يالفه الناس فى مثل هذه الموضوعات التى تمس صميم المشاعر وتختلط بالعواطف فوق انها موضوعات فلسفية عميقة يشتغل بها نقضا وابراما العقل الهادىء المتزن الواعي الرزين •

ثم أهدى الي هذا البحث كتابا اتسع به المجال ورحب للبحث في أسس فلسفة الاسلام وفي نظرتها الشاملة الى الكون •

ويعني هذا الكتاب بموضوعين رئيسيين الاول أساس للثاني وقاعدة له عليها يقام البناء واليها يستند ، تلك هي نظرية المعرفة كيف تتأسس ومن أي المصادر تستمد • أتستمد من المادة ليس غير ؟ أم تكون أداتها التجربة

المحسوسة فحسب ؟ أم أن للمعرفة أساسا آخر هو العقل وموازينه ومقاييسه ؟ وقد استفاض البحث في الآراء المختلفة والمذاهب المتعددة وعرضها عرضا موضوعيا أمينا أمانة يطمئن بها القارىء مهماكان مذهبه وأيا كانت طريقته • وعرض بخاصة الخلاف الذى يقوم بين النظرة المادية والنظرة العقلية ووازن بينهما • ونقد المذهب التجريبي الذي لا يؤمن الا بالتجربة المحسوسة واثبت بالبراهين أن هذا المذهب لا يمكن ان يقوم دون استخدام مقاييس العقل واستدلالاته ووسائله في استخراج النتائج من المقدمات•

ولقد خرج المؤلف من ذلك بأن النظرية العقلية هي طريق المعرفة الذي لا غناء عنه ولا سبيل الى النكوص عنه •

ولعل من أروع ما في هذه المسألة ما التفت اليه المؤلف الفاضل فى نقده للمذهب التجريبي الذي لا يؤمن بغير التجربة المحسوسة • فقد لاحظ بحق أن التجربة لابد ان تستخلص منها النتائج بطريقة عقلية ، ولا بد قبل أن تجري التجربة من أساس عقلى يفترض افتراضا ثم تقام له أو عليه حجة التجربة •

وحقا انه لا سبيل الى التجربة مجردة من اساس عقلى يقوم قبل اجرائها فتثبته او تنفيه ، ولا بد أن تستخلص النتيجة من التجربة بالطريقة العقلية التي تستوي في قبولها والموافقة عليها أفهام الاسوياء من بني الانسان ولا يعقل احد أن التجربة الانسانية وهي مصدر من مصادر المعرفة يمكن ان تقوم مجردة من سند عقلى به يقاس الصحيح ويعرف الصواب وتستخرج النتائج ، والا كان ذلك تجربة مثل تجربة الحيوان لا تنتج معرفة ولا تنشىء فكرا ، وانما تنشأ عنها خبرة محدودة بحدود ما يعرف عند النفسانيين بالاقتران أو اسلوب المحاولة والخطأ •

وعن النظرية العقلية في المعرفة تتفرع حقيقة مهمة هي ان الحس ليس الا تصورا ، واذن فليس هو سبيل الادراك التصديقي الذى لا بد فيه من اعمال العقل الذى يقيس ويستنتج ثم يحكم • وهذا يؤدي الى نظرية العلية التي يستلزم تدرج العلل المتصاعدة فيها ان تكون عله أولى ، وهذه العلة الأولى هي واجب الوجود •

ثم يفيض المؤلف الفاضل في الموازنة بين النظريتين المادية والعقلية في شتى المسائل التي هي مدار البحث في الفلسفة على وجه العموم •

وهو يستقصى موضوعات الفلسفة المادية سواء منها التجريبية او الدايلكتيكية ويستوفي أقوال الفلاسفة من مظانها ، استقصاء واستيعابا ينبيء بالجهد الدائب الذي بذله ، والعمل الضخم الذى تصدى له •

واسلوب الكتاب هو اسلوب الفلسفة الذى لا يندى ولا يسرق الا قليلا ، وليس للمؤلف الفاضل مندوحة من سلوك هذا السبيل ، وان وجد القارىء فيه شيئا من مشقة ، ولكنها مشقة الجهد المثمر على كل حال أشبه بالبارد العذب بعد الجهد والظمأ • وهو خليق أن يروض القراء ـ ومعذرة من هذه العبارة ـ أن يقرأوا القراءة العميقة التي يلزمها التأمل والتفكر والتدبر وحضور الذهن •

ولعل من الانصاف أن اقرر هنا ان متابعة المؤلف العلامة في استعراض مادة الكتاب امر بعيد عن اليسر ، بل هو محتاج الى يقظة وتنبه لا يفلت منهما جزء ولا تفوتهما شاردة •

واشهد ان ما في هذا الكتاب ، من اصابة في نقد الفلسفات المختلفة واحاطة بها وتوجيه لجوهر الفكرة وتعمق لجوهر فلسفة الاسلام ، امور وفق فيها كل التوفيق وهو ثقافة فلسفية دقيقة عميقة ، يستمد منها المتخصص احاطة شاملة تجمع الاشباه والنظائر وتعكس صور التناقض والتهافت والاختلاف في شتى الآراء والافكار ، وينتفع بها غير المتخصص

في تثقيف عقله بالوان مـــن الفلسفة جمعت في تناسق ونظام وعرضت عرضا موضوعيا أمينا .

واشهد ان فلسفة الاسلام وعقيدته لم تشهد في عصرنا الحاضر من احسن جلاءها وجلى نورها على هذا الوجه الامين الرزين الدقيق الذى لـم تفعل فيه العاطفة ولم يؤثر فيه الشعور والانفعال الذاتي .

ولعل المؤلف الفاضل ثاني اثنين او ثالث ثلاثة في تاريخ الفكر العربى والاسلامي اولهما حجة الاسلام ابو حامد الغزالى وثانيهما ابن رشد والثالث هو الفيلسوف المسلم المعاصر الدكتور محمد اقبال على اختلاف فى الطرائق وتفاوت في المسالك . ولكل وجهة .

وانى لأرجو أن ينال هذا الكتاب القيم العناية التي تليق به وبموضوعه فى البيئات العلمية ، ولا سيما المؤسسات الجامعيـة فى الوطن العـربي وفى العالم الاسلامي .

وآمل أن يقبل عليه من ينشد الحقيقة الواضحة الجلية انه سيجد فيه أمانة العلم واصابة الفكر وعدل الحكم ، وكفى بذلك فضلا كبيرا .

من اهداف الصهيونية العالميـة

يجب علينا أن نقوّض اركان كل ايمان ، وننزع من عقول البشر ـ غير اليهود ـ الاعتقاد بالله وبالروح ونشغلهم بقوانين وضعية وضرورات مادية . وعندها يكون من اسهل الامـور القضاء على الديانات الاخرى ولا يبقى الا الدين اليهودي .

تيودور هرتزل
مؤسس الحركة الصهيونية

مهـــزلة

حكمت محاكم ولاية فرجينيا بأن المدعو ريتشارد لفنغ قـــد خـرق الدستور الاميركي بزواجه من فتاة منحدرة من أصل زنجي وهندي اميركي. فقبض عليه عند عودته وأودع السجن لمدة سنة مع نفي من الولاية لمدة ٢٥ سنة .

الشهاب ـ
عن جريدة « اوكلاند تريبون »

ومهزلة اخرى

طردت الفتاة ساندرا لانيغ وعمرها ١١ سنة من مدرستها لأنها خمرية اللون ، وأعيدت البنت الى منزلها بصحبة شرطي وارسلت وزارة الداخلية رسالة الى والدي الفتاة وهما من البيض أن الفتاة طردت من المدرسة ، وانه تقرر وضعها في جداول الملونين ، وقال والد الفتاة باننا من البيض الخلص وابنائي يذهبون الى نفس المدرسة ، ولقد ولدت ابنتي في مستشفى للبيض ، وعمدت في كنيسة للبيض ، وظاهرة لونها الخمري ظاهرة وراثية حيث يحتمل وجود دم مختلط في أجداد عائلتي أو أجداد عائلة زوجتي . ولقد دفع الوالدان الامر الى الحكومة ولكن لا أمل باجـــراء اي تغيير ســوى

السماح للفتاة بالعيش مع عائلتها حيث أن القانون المعمول به لا يسمح للملون السكن تحت سقف واحد مع الابيض !!!

الشهاب عن جريدة سان فرانسيسكو كرونيكل

اقتراحات تقدمية

أعلنت نقابة المحامين فى ولاية مشيغان مشروع قانون جديد يقضي بعدم اعتبار ـ الزنا ـ جريمة فى الولاية كما قدمت عدة مشروعات اخرى بقوانين منها ما يقضي بالسماح بعمليات الاجهاض فى ظروف معينة ، وتعديل عقوبة جريمة الاغتصاب ، والسماح بممارسة الشذوذ الجنسي بين طرفين بينهما تراض .

المنار ٣٨٤٣/١٠٨

المرأة الاميركية تلجأ للسلاح

هل يقدر القانون والرجل أن يحميا المرأة ، ويحافظا عليها أم لا ؟

يبدو أن الجواب على ذلك فى الولايات المتحدة الاميركية سلبي وهذا آخر ما طالعتنا به الصحف والمجلات المختصة بالاسلحة . ويقول اعلان تصدر مجلة كبرى : « افطم بناتي على تعلم استخدام الاسلحة » وفى عبارة اخرى « العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر » وهو علم استخدام السلاح ، ولجأت شركة اخرى ، من شركات صنع السلاح الى نشر اعلان يمثل امرأة تقدم لبناتها كعكة شهية وتقول لهن : « العملية أهون من صنع كعكة » .

والسبب وراء هذا الحماس كله زيادة حوادث القتل والاغتصاب فى طول البلاد وعرضها فى المدن والارياف ، حتى أن المرأة الاميركية لم تعد

تجرؤ ان تترك باب بيتها مفتوحا أو تسمح لفتياتها بالذهاب الى المدرسة دون رفيق .

وقد انشئت مؤخرا اندية خاصة لتدريب النساء على استخدام السلاح ، وبعد أسابيع تخرج المرأة وهي تتقن فن اطلاق الرصاص والتصدي للعدوان .

وحين قامت ضجة في الرأي العام على هذا التطرف الذى يعرض سلامة المواطنين للخطر اذ يزيد عدد المسلحين كان جواب الداعين الى الحملة : « من حق المرأة أن تدافع عن نفسها حين تفاجأ وليس حولها من يحميها .. ويبدو أن هذه هي الوسيلة الاخيرة للوصول الى تلك الغاية » .

ولا ينحصر تدريب النساء على استخدام المسدس أو البندقية الصغيرة ففي الصفوف المتقدمة يمكنها أن تتدرب على استعمال الرشاش والمدافع الصغيرة ، وما الى ذلك من الاسلحة الحربية الخفيفة وهذا ليس لتحارب في فيتنام ، ولا لتخوض أية معركة اخرى .. تتعلم المرأة الاميركية استخدام السلاح لتدافع عن نفسها .

الصياد البيروتية
٩٦٧/عدد ١١٩٨

السيقان تضلل الحكام

في سان فرانسيسكو هياج في الرأي العام المحاكم أصدرت عدة أحكام خاطئة في الأيام الاخيرة .

اهتمت الحكومة بالبحث عن اسباب خطأ القضاة ، فظهر ان الشهود ايضا يخلطون في الشهادة ، وأن المحلفين لا يتفقون على رأي ، وأن المتهمين احيانا لا يهتمون بالاحكام الصادرة ضدهم .. ظهر أن هناك حالة ـ لخبطة ـ

شديدة في المحاكم ، وأن سبب ذلك كله أن العنصر الحريمي في هيئة المحلفين يتم اختياره بالصدفة من الفتيات صغيرات السن الجميلات ذوات السيقان المكشوفة تحت الميني جوب ... وان كل الرجال في المحكمة تضيع أفكارهم وأقوالهم من استمرار النظر في سيقان العنصر الحريمي بين المحلفين . قررت محاكم سان فرانسيسكو وضع ستارة نصفية على المكان المخصص للمحلفين لتغطية السيقان المكشوفة كمحاولة منها لعلاج المشكلة .

جريدة التآخي
العدد ١٢٩ سنة ١٩٦٧

زيادة كبيرة في معدل الاجرام بالولايات المتحدة

ان ادجر هوفر مدير قسم التحقيقات (F.B.I.) قال : ان معدل ارتكاب الجرائم قد تعدى ازدياد السكان بحوالى ٦٠٠٪ طيلة سنة ١٩٦٠ .. في سنة ١٩٦٥ ذكرت التقارير أن أكثر من ٢٠٧٨٠٠٠٠ جريمة ارتكبت و ٦٪ زيادة في الجرائم على سنة ١٩٦٤ وهذا أكثر من ٥٦٠٠ - حادثة قتل و ٣٤٫٧٠٠ حادثة تهديد بالرصاص والمسدسات و ٦٨٫٤٠٠ حادثة سرقة مسلحة و ٦٨٫٠٠٠ حادثة سرقة مسلحة و ٤٨٦٫٠٠٠ حادثة لسرقة السيارات و ١٫٢٩٢٫٠٠٠ سرقات مختلفة لسنة ١٩٦٥ .

ان مجموع المبالغ المسروقة يقدر بأكثر من ١٠٠٠ مليون دولار خلال سنة واحدة .

التايمز ٢٨ تموز ١٩٦٦

دراسة نقدية لحالة الحجاز قبل الاسلام

عبد الأمير الأعسم

(السنة الرابعة)

يطالع الباحث ، عندما يدرس حالة الحجاز قبل الاسلام ، في الدراسات الحديثة ، جملة من الآراء الغريبة التي لا مفرّ من مناقشتها ، وردّ الاعتبار الى بعض اصولها التي التبست على كاتبيها ـ وهم في الغالب غير عرب وغير مسلمين ـ ؛ فحالة الحجاز قبل الاسلام ، رغم وضوحها لدارسها على ضوء القرآن[1] ، اصبحت المحط لافكار شاذة لا تتفق والحقيقة التاريخية ، بل لقد تحوّلت الى مجال اصطراعي بين ما يُنسب الى الاسلام من الوقوع في مؤثرات خارجية ، كانت بيئة الحجاز نفسها قد اكتسبتها عن حضارات امم مجاورة[2] ، وبين أصالة الاسلام كما يفهمها الباحث المتعمق في بواعث ظهور هذا الدين الجديد في بيئة متأخرة في كل نواحي الحياة .

والغريب ، ان الجانب الاول قد عمّ الدراسات الحديثة بشكل مثير ،

---

(١) طه حسين ، الدكتور : في الادب الجاهلي ، ط . دار المعارف بمصر ، (بلا تاريخ) ، ص ٧٠ ، كذلك انظر : ص ٧١ ـ٧٢ .

(٢) Watt, W. Mantgomery: Muhammad, Oxford University Press, 1964, Chap. I, pp. 1—13.

وانت تكاد ترى هذه الآراء في كتب العرب المسلمين ، ايضا (!) .

وهو لا يستند في قليل أو كثير على استنتاج صحيح ، او استظهار واضح ، أو استقراء بيّن للاوضاع العملية للحجاز قبل الاسلام . ومن هنا ، صارت الافكار الاستشراقية مليئة بتقديرات خاطئة ، باعتبار أن استرسال المستشرقين في التصورات الساذجة الخالية من أي مصداق ، مرة ، وخنوع الكثير منهم لحالة المقارنة بالنظائر ، وهي جريمة الاستشراق الكبرى في الدراسات الاسلامية ان كانت له جريمة . فهم أحيانا ينظرون الى البيئات العربية من زاوية واحدة ، ويلقون الى الاوضاع التي كانت سائدة في ارجاء الجزيرة نظرة واحدة ؟ والانكى من كل ذلك ، تلاحظ انهم جميعا يفسرون معالم الحياة العربية قبل الاسلام وفق اهواء تكاد تخلو من أية نزعة علمية . فبلاد العرب ، عندهم ، كانت تخضع للآثار الغربية في بيزنطة من شمالها حتى أقصى جنوبها ، وكانت بلاد فارس تصدّر الى بلاد العرب (الحضارة) ، وبتجارها (الهند) ، في الوقت الذي لايمكن أن ينكر اى باحث حصيف **بمعنى منصف ان بلاد العرب قبل الاسلام كانت مجزأة من الناحية الحضارية ، وهي تختلف باختلاف طبيعة الارض والعوامل المناخية التي** تؤثر في خلق الجو الملائم على نمو الحضارة ؟ ومن هنا ، فان الجزيرة العربية ليست شيئا ، والحجاز وقلب الجزيرة شيئا آخر ؛ فلن يكون بحال احسان الاوضاع السائدة في الحجاز على انها شبيهة بأوضاع شمال وجنوب الجزيرة .

ومن اعظم هموم الاستشراق انه يعكس لنا حالة رائعة للحجاز ، وينشر النظائر وفق مشتهاه ، كيما تتداخل بعض افكار شكية عند ضعاف التصور للذين سينتهون من بعده الى ان ظهور الرسول (ص) لم يكن في مجتمع بدائي ، وانما في مجتمع متحضر .

لكنا مع كل هذا ، نعلم ان هذا التعميم في اسباغ الثوب الحضاري على الحياة العربية في الحجاز انما يعود في الاصل الى فكرة ارجاع اصول الاسلام الى مؤثرات بيزنطية وفارسية وهندية و ... الخ ! ثم وهو امر

ضروري في هذه الحال ، أن يكون الرسول (ص) نفسه قد خضع لتأثير تلك المعتقدات القديمة[٣] .

وهذا الفهم (الاستشراقي) ليس وليد عصر الاستعمار الحديث في حربه للاسلام[٤] كعقيدة كبرى مناهضة لقوى الشر والفساد في المنهج الغربي الاستعماري، بل هو تطوير لمفاهيم قديمة تعود في اصلها الى العصور الوسطى ، وايام النهضة ، تلك الايام التي كانت تمر على اوربا وهي تحاول ان تخرج من الظلام الى النور على هدى من نور الحضارة الاسلامية ؛ فهو التعصب الاعمى ، اذن ، التعصب القديم ، لارجاع كل اصيل في الاسلام الى الغرب ، والى العنصر الآري الشرقي .

اما نحن ، فنعلم ان الاسلام ظهر ، والعرب جاهلية ، تعبد الحجارة الصماء ، قد ملأوا بها أعلى البيت ، كلّ قوم ينتسبون الى حجر منها قد نحتوه بأيديهم ووضعوا له الاسم من عند انفسهم »[٥] .

والاستشراق يقرّ بهذا ، لكنه يراه تحضراً ، بل يصور هؤلاء العرب انهم من ذوي الاساليب الحضارية في حيواتهم ، وقد اكتسبوها من أديان دخلت الجزيرة بلا حساب[٦] ، وان للاسرائيليات وحدها شأنا كبيرا في

---

(٣) يرى بروكلمان ، مثلا ، ان المعتقدات الفارسية قد لزمت الرسول (ص) ، كما لزمت المسيحيين الآراميين .

انظر : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ط ٣ ، بيروت ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٤) للتوسع في هذا الموضوع يراجع الدكتور محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ط ٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، (بلا تاريخ) . كذلك يلاحظ الدكتور عبدالمجيد ، عرفان : محاضرات في التاريخ الاسلامي (مقدمة في دراسة السيرة النبوية) ، محاضرات على طلبة كلية الجامعة ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ، ولغرض الربط بين التبشير والاستشراق : وصلتهما بالاستعمار ، راجع : فروخ ، د . عمر ؛ وصاحبه : التبشير والاستعمار ، ط ٣ ، بيروت وصيدا ، ١٩٦٤ .

(٥) المظفر ، محمد الحسين : الاسلام ، ط . النجف ، ١٣٨٤/ ١٩٦٤ ، ص ٩ .

(٦) العلي ، د . صالح احمد : محاضرات في تاريخ العرب ، ط ٣ ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ج ١ ص ١٧١ .

هذا التحضر[٧] ،بل انهم أحيانا يناقضون انفسهم فيدعون بدائية العربي في كل شيء[٨] .

ومن هنا ، سنعرض نقدنا في هذه العجالة ، وهو يقوم على اساسين[٩] :

اولهما ؟ مدى صدق كلمة حضارة او ثقافة على البيئة الحجازية قبل الاسلام .

ثانيهما ؟ معالم البيئة الحجازية قبل الاسلام .

* * *

يثير أوليري (O'leary) في كتابه « بلاد العرب قبل محمد The Arabia before Muhammad » رأيا يبدو للوهلة الاولى عاديا ، لكنه في واقعه ينطوي على أكثر من معنى ؟ فهو يرى ان الحجاز كان يرتبط بما حوله من الحضارات ارتباطا ثقافيا وتجاريا[١٠] ولكنه لا يقف عند ذلك ، فان هناك أكثر من صلة بين معالم الحياة العربية في الحجاز وبين اطراف الجزيرة الواقعة تحت تأثير حضارات الامم الاخرى في حقبة من الاحقاب الخالية .

ولغرض الاحاطة بهذا الموضوع ، لمعالجة الخطأ الذي يقع فيه

---

(٧) بروكلمان ١/٢٥ .

(٨) بروكلمان ١/٢٤ نقلا عن :

Wellhausen, J. : Rest arabsichen Heidentums, Berlin, 1897.

(٩) الدافع الى كتابة هذا البحث تصحيح ما ورد في محاضرات د . الفياض .

(١٠) الفياض ، الدكتور عبد الله : محاضرات في التاريخ الاسلامي ، على طلبة كلية اصول الدين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ، والظاهر من استعراض الاستاذ انه يتبنى هذا الرأي .

اصحاب الدراسات التي تقوم على اساس التفاعل وتشابه بعض الحوادث بما يقترب منها من حوادث أخرى ، قد لا يكون لها اساس من الصحة ؛ نرى ان نحدد جغرافية الجزيرة العربية ، والحجاز ـ موضوع البحث ـ بخاصة .

فالجزيرة ـ أو شبه الجزيرة ـ « اقليم في الجنوب الغربي من آسيا ، يحد من الشمال بادية الشام ، ومن الشرق بالخليج الفارسي وبحر عمان ، ومن الجنوب بالمحيط الهندي ، ومن الغرب بالبحر الاحمر »[11] . وقد سميت بشبه الجزيرة لانها محاطة من ثلاث جهات بالمياه ، ولا صلة لها مع العالم المتحضر الا من شمالها .

ومن هذا ، فانك تلاحظ ان اطراف الجزيرة تكاد تبتعد عن منابع الحضارة ، الا الشمال . فلقد قامت حضارة اليمن ـ في الجنوب ، كما سيأتي ـ ولم يكتب لها البقاء ؛ ومن هنا ، أيضا ، كان الشمال وحده هو المرتبط الحقيقي بالحضارة القائمة آنئذ في فارس وبيزنطة . فالجزيرة ، ما عدا شمالها واقصى جنوبها ، ارض صحراوية غير صالحة للحياة المتحضرة ـ وقتئذ ـ لخلوها من مقومات الزراعة والصناعة . وعلى هذا الاساس نجد سكان قلب الجزيرة كانوا أقرب الى البدائية ؛ بل كانوا بدائيين بالفعل أحيانا؛ على الاقل نعزلتهم عن العالم المتحضر عزلة كادت ان تكون تامة في كثير من اماكنها ؛ الا الحجاز .

والحجاز ، وهذا ما يظهر من اللفظ ، كأنه محجوز عن البلاد ، او يحجز بين البحر والصحراء وهو ارض متاخمة لجبال السراة الممتدة بين العقبة واليمن ، « كثيرة الوعورة ، وبخاصة بالقرب من مكة التي تقع على بعد

---

(١١) أحمد امين : فجر الاسلام ، ط ٩ ، القاهرة ، ص ١ ، وامير علي : مختصر تاريخ العرب ، ط ١ بيروت ، ص ٥ .

خمسين ميلاً من شواطيء البحر الاحمر ، ونحو من ثلاثين ميلاً من روابي جبل القرى الصوانية »[١٢] ؛ وهو ارض تميزت بالجفاف الذى ولّد ضيق العيش والفقر[١٣] مما لم يساعد على نمو مجتمع مدني متحضر . فبدل أن يجد المرء فيها الاراضي الزراعية ، سيجد « الصخور الجرداء التى تعكس الشمس الملتهبة ، والاودية المجدبة الا فى قليل من الكلأ لايكاد يقوم بأود الانعام التي ترعى فيها »[١٤] .

وتأتي أهمية الحجاز من أنها نشأت لوقوعه « على الطريق التجارى الذي يربط اليمن ببلاد الشمال »[١٥] وتلك أهمية سليمة ونتيجة لطبيعة الارض الصحراوية العسرة فى غير الارض الصوانية فى الحجاز المحاذية لسلسلة الجبال ؛ كل ذلك قد حتم ان تسلك القوافل الاراضي الحجازية ، خوفا من التيه فى صحراء قلب الجزيرة ، ولخلوها من اية علامات فارقة يمكن ان تساعد القوافل فى شق طريقها كما هي حال الحجاز ، اضافة الى انتشار الاعراب البدائيين الذين لايتورعون عن نهب وسلب كل شيء .

ومن هذا ، تلاحظ ان الحجاز قد نشأ على الخط التجارى الذى يربط شمال الجزيرة بجنوبها ؛ فى خط طويل لمجموعة من المحطات في ارض خالية من الزراعة[١٦] .

بعد كل هذا ؛ فمن اين أتى الاتصال الثقافي ؟

ان الاتصال التجارى بين الحجاز والشمال من جهة ، وبينه وبين

---

(١٢) امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٥ ـ ٦ .
(١٣) بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ، ط . دار الروائع ، بيروت ، (بلا تاريخ) ص ١٨ .
(١٤) امير علي : مختصر .. ص ٦ .
(١٥) احمد امين : فجر الاسلام ص ٣ .
(١٦) ابراهيم آية ٣٧ .

الجنوب من جهة اخرى ، موجود ؛ وحتى القرآن ذكره ، لكن من المثير ان نتساءل : هل الاتصال التجاري يستلزم اتصالا ثقافيا كنتيجة له ؟

وللاجابة عن هذين السؤالين ، تتفرع الى فرعين :

اولهما ؛ ان من ضرورات بحث حالة الحجاز قبل الاسلام ، التفريق بين أن تكون لديه حضارة ، أو ثقافة ؛ ثم تحديد التي يظهر التغلب فيها .

وثانيهما ؛ اذا اتصفت الحجاز بالثقافة دون الحضارة ؛ فهل يخالف هذا العرفَ العام في الدراسات الانثروبولوجية ؟

نحن لا نرى صواباً في الرأي القائل بدمج الاتصال الثقافي بالتجاري، فقد قال به المستشرقون ، ورددده أحمد أمين في «فجر الاسلام» وتابعه د . جواد علي في « تاريخ العرب قبل الاسلام » ؛ لأن العلائق التجارية من حيث مبدئها لا تحتم بروزاً في النواحي الثقافية ؛ واذا كانت هناك علائق تجارية ، فلا تعني أيضاً وجود علاقات حضارية او ثقافية ، باعتبار ان الاسس التي تقوم عليها الحضارة عند أية أمة ليست وفقا عليها ، في حين ان الجهل قد يكون مكوّناً لمنحنى مجموعة بشرية فتنفرد به ، بشكل بدائية ، او همجية[١٧] . ان الحضارة نشوء وارتقاء في الاساليب الحياتية للامة ، وهو ما لا يرتبط بالاتصال التجاري من بعيد أو قريب احياناً ؛ والا لكنّا رأينا أهل الاسكيمو متحضرين ، فبينهم وبين شمال اوروبا وشمال امريكا روابط تجارية ؛ ومثلها حالة افريقيا .

وفي الدراسات الانثروبولوجية التي تُعنى بدرس ثقافات الشعوب البدائية نجد ان كلمة (حضارة Civilization) لاتؤدي معنى كلمة (ثقافة (Culture) . لكنا ، وللأسف ، قد سقطنا في خطأ المستشرقين في

---

(١٧) يفرق الاستاذ ديورانت بين البدائية والهمجية بشكل يدعو للدهشة والاهتمام . راجع قصة الحضارة مج ١ ج ١ .

الخلط بين الحضارة والثقافة ؛ ويظهر ذلك بشكل جلي عند المترجمين ؛ فكأنه لا فرق بين الاصطلاحين • والمهم ، ان نشير الى كلمة (Civilization) التي تعود في الاصل الى معنى مدنية ، غير معنى كلمة (Culture) التي تعين مجموعة التقاليد والاعراف والخبرات الشخصية في المجتمع الصغير البدائي •

والفارق بين الاصطلاحين ان الاولى وراثة أمة عن أمم مجموعة من الخبرات الجمعية البشرية فساهم في اطراد تقدمها • والثانية ، اشياء غريزية تكاد تختلف بين اى انسان وآخر مع خبرات محلية ؛ تمليها ظروف الحياة الطبيعية وغير الطبيعية [١٨] •

وعلى هذا الضوء ، نرى ان الحجاز كان خلوا من الحضارة ؛ بل ان الثقافة (Culture) هي العامل المميز لأصول حياة افراده ؛ خصوصا واننا نلاحظ ان مجتمع البداوة الممزق كان يرسم عادات وتقاليد ولغات أحيانا تكاد تختلف بين مجموعة واخرى • ونحن اذ ننفي وجود الحضارة في الحجاز ، لانها محض عمومیات لمكتسبات تجارب معاصرة لهم (للحجازيين) من حضارات الامم المجاورة ، وهذا ما لا نجده ؛ كما لم نجد الثقافة المادية للحضارة التي تنطلق من نقطة المدنية ، أو الحاضرة ، أو الحضر في وسائل متعينة من العلم والفنون و••• الخ ؛ بل اننا نجد كلمة ثقافة بمعنى (Culture) هي التي تميز الحجاز بعادات أهلها وتقاليدهم وافكارهم ومداركهم وهي حجازية لا علاقة لها بالشمال او الجنوب •

ومع ان الشماليين والجنوبيين يعودون الى اصل واحد هو انهم من بقايا الحضارة اليمنية البائدة [١٩] ، وان اليمنيين في الماضي ، كانوا ربما

---

(١٨) يراجع في التفريق بين التحضر والثقافة ، ديورانت : قصة الحضارة مج ١ جـ ١ ؛ و د • شاكر مصطفى سليم : محاضرات في الانثروبولوجي ، بغداد ١٩٥٩ ؛ انظر :

Bell, C.: Civilization, PELICAN Ed., 1939.

(١٩) تاريخ اليعقوبي ، ط • النجف ، ١٣٨٤/١٩٦٤ ، جـ ١ ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، ١٨٠ •

أغاروا عـــلى البلدان فيرجعون الى بلادهم »[٢٠] ، وقد كانوا مـن عبدة الاصنام ثم عنـدما تحضروا قد تأثروا باليهودية وهـم في الجنوب[٢١] ، وبعد تفرقهم « في البلاد »[٢٢] كانت قـد تحضرت غسان في بلاد الشام بعد ان تنصرت[٢٣] ، ثم تحضرت جماعـة اخـرى تاخمت الفـرات في العراق[٢٤] وهي بين تمجّس وزرادشتية ، وانتهت الى التنصر .

اما قلب الجزيرة ، فهم اناس بدو رحل تغلب عليهم الحياة المادية الساذجة من اكل وشرب .. الخ ! ، وأهل الحجاز ظلوا بين أن يحافظوا على بداوتهم ، أو تأثراتهم التجارية التي لا ينكر أثرها في مجتمعهم . لكن مراجعة بسيطة للقرآن نجد أن الذين صورهم في لباس الجاهلية الاولى[٢٥] لم يكونوا في الواقع غير هؤلاء الحجازيين . فحياتهم كانت تتسم بالبداوة ، أو هي قريبة منها ، لا زراعة لهم ، وهم لم يعرفوا الصناعـة ، فقد كانت أرضهم غير صالحة لقيام الزراعة او الصناعة[٢٦] ؛ فكان لا بد لهم مـن البقاء على اساليبهم ، رغم التجارة التي تميزت بها حياتهم[٢٧] ؛ فهم ليسوا بعيدين عن بدو قلب الجزيرة الذين كانوا يهددون مجتمعاتهم الصغيرة ، وقوافلهم ، بالسلب والنهب[٢٨] ؛ فكانوا في تجـارتهم يحملون « التمر والجلد والزبيب »[٢٩] الى الشمال والجنوب ، ليأخذوا نظير ذلك مـن

---

(٢٠) تاريخ اليعقوبي ، ١/١٧٤ .
(٢١) ايضا ، ١/١٧٤ .
(٢٢) ايضا ، ١/١٧٦ .
(٢٣) ايضا ، ١/١٧٧ .
(٢٤) ايضا ، ١/١٨٠ .
(٢٥) القـــرآن : ٥/١٠٣ ؛ ٦/١٤٢ ، ١٤٤ ؛ ٨/٣٥ ؛ ٩/٣٠ ؛ ١٦/٥٨ ـ ٥٩ .
(٢٦) بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية ص ٢١ .
(٢٧) ايضا ، ص ٢٢ .
(٢٨) ايضا ، ص ٢٣ .
(٢٩) ايضا ، ص ٢٢ .

الملابس وغيرهـا . فأنت تلاحظ بدائيـة هذه التجارة ولا حاجة لأن تطيل عليك فنسهب معك في فهم البدائي للتجارة ، حيث انهم لم يفرقوا بينهـا وبين الربا الفاحش[٣٠] ؛ فكان من جـراء ذلك ان اكثـر المدينين كانوا يهربون الى الصحراء[٣١] تخلصا من أعباء الدين الذي اتسم بالوحشية وحيث كان يدفع في الغالب المرأة الى البغـاء لكي تستطيع ان تفك أسـر زوجها أو أبيها من قيود هذا الدين[٣٢] .

وكانت طبقـة الاثرياء في مكـة ، وهـم قليلون بالنسبة للجياع (= الصعاليك)[٣٣] ، لا ترتبط بالدين بايمان حقيقي[٣٤] ؛ حتى اننا لنجد هؤلاء التجار هم الذين قلبوا افكار الدولة الاسلامية بعـد الراشدين الى دولة ، تكاد لا تكون بينها وبـين الأمة التي أوجدها النبي علاقـة تذكر ،[٣٥] غير الاسم .

ومن هذا ، نلاحظ بدائية الحجاز ، حتى في تجارته ؛ وانه لم يكن يملك فهم المسألة بشيء لا علاقة بينها وبين حضارات الهند والفرس والبونان والرومان والمصريين ! ! ، ان ما يذهب اليه البعض من ان العرب استعاروا الها مصريا في ا ... او ... ال ... الهندي في الحروب ، او عبادة النار الزرادشتية في بحوم العراق ، او لبس الحرير في الشام ؛ أو تمصر الجميع في الشمال ؟ كل ذلك كان يقع بعيدا عن الحجاز . والخطأ يرجع في الاصـل الى الاستشراق ، لأن المستشرق في الغالب يعنى بالـدراسات

---

(٣٠) بنـدلي جـوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسـلام ، ص ٢٦ : وانظر القرآن ٢/٢٧٦ .
(٣١) ايضا ، ص ٢٧ .
(٣٢) ايضا ، ص ٢٧ .
(٣٣) ايضا ، ص ٢٨ .
(٣٤) ايضا ، ص ٣٩ .
(٣٥) ايضا ، ص ٥٣ .

التاريخية وليس في واقعه عالماً انثروبولوجياً متخصصا يمكن أن يكون لرأيه القطع .

* * *

فما هي معالم الحياة الحجازية قبل الاسلام ؛ بعد كلّ ما خلصنا اليه ؟؟

أولاً ؛ يورد الكلبي في كتاب (الاصنام) « ان اول من غيّر دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الاوثان ... [هو] عمرو بن ربيعة ؛ وهو لحيُّ بنُ حارثة بن عمرو بن عامر الازدي؛ وهو ابن خزاعة .. »[٣٦] ؛ وهو الذي تولى حجابة الكعبة[٣٧] ؛ ثم حصل له مرض ، فسافر الى الشام ؛ وهناك ، وُجد اهلها يعبدون الاصنام ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : نَسْتَسْقِي بها المطر ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا . فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة »[٣٨] . وبعد ذلك عبد العرب ، جميعا ، هذه الاصنام واتخذوها مقدسات لهم[٣٩] .

فماذا تلاحظ من هذه الحكاية ، التي يرددها اليعقوبي[٤٠] وغيره ؛ وهل يُستعار اله من الآلهة ؟ ان الانثروبولوجست اليوم يؤكد ان الديانة عند البدائيين نتيجة لأوضاع بيئتهم وتركيبهم الثقافي المتوارث .

ويورد ابن الكلبي ان يعوق ونسراً وسواعاً وودّاً ويغوث[٤١] كانت من الاصنام التي عبدها قوم نوح عليه السلام ، وقد جاء ذكرها في

---

(٣٦) ابن الكلبي : الاصنام ؛ تحقيق احمد زكي باشا ، ط . القاهرة ، ١٩١٤ ، ص ٨ .
(٣٧) ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٦٥٢ .
(٣٨) ابن الكلبي : الاصنام ص ٨ ؛ واليعقوبي ١/٢٠٠ .
(٣٩) ابن الكلبي : الاصنام ص ١٣ .
(٤٠) اليعقوبي ١/٢٠٠ .
(٤١) ابن الكلبي : الاصنام ص ٩ ـ ١١ .

القرآن[٤٢] ، وقد انتقلت الى الحجاز[٤٣] .

بعد هذا ؟ كيف نفسّر هـذا الاضطراب ؟ هل كان للحجاز ديانة خاصة بها ؟ وآلهة قد خلقها أهل البلاد ؟ وماذا نفهم من هذا الشرك ؟

ان المنطق السليم يقول لنا ان العرب (= الحجازيين) بدائيون في ديانتهم قبل الاسلام قياساً الى ديانات الامم المجاورة لهم ، والعرب الشماليين. ثم ان من المهم ان نشير الى أن الاقـرار باستمارة الآلهـة ، بموجب حكاية صاحب الاصنام ان هو الا اطراد بداوة ، ورجوع عن التوحيـد ـ مذهب ابراهيم ـ[٤٤] الى الشرك ديانة الامم القديمة ؟ لأن تعدد الآلهة من مميزات البدائي ، وعلى الاخص اذا اتخذت هذه الآلهة اشكالاً مادية[٤٥] .

والامر الثاني ؟ ان مناقشة حادة تدور حول انتقال الكتابة الى مكـة بخاصة ، والحجاز بعامة[٤٦] ؟ فهو ما يؤكد ان سذاجة الحجاز هي التي جعلتهم يستوردون الكتابة كما استوردوا آلهتهم من قبل (!) .

وقبل كل هذا ، نرى ان الـكتابة التي انتشرت في الحجاز قبـل الاسلام[٤٧] ، لا أساس لهـا من الصحة لأن معرفة البعض لأصول هـذه الكتابة غير معنى الانتشار ؟ فالامثلة التي يوردها الدكتور الفيـاض في محاضراته بحاجة الى تمحيص[٤٨] .

---

(٤٢) نوح ٢١/٧١ ـ ٢٤ .
(٤٣) ابن الكلبي ص ١٣ .
(٤٤) اليعقوبي ٢٢٤/١ .
(٤٥) ديورانت : قصة الحضارة ، مج ١ جـ ١ .
(٤٦) الفياض : المحاضرات ص ٣ ، وهو ينقل عن ابن النـديم في الفهرست ؛ وقد اشار الى هذا الامر اليعقوبي في تاريخه ولعل ابن النديم ينقل عنه .
(٤٧) ايضا ص ٣ .
(٤٨) ايضا ص ٣ ـ ٥ .

والامر الثالث ، ما اورده احمد أمين في فجره ، وهو يرسم صورة صادقة للبيئة العربية في الحجاز حيث : قال :

« هـذا النوع من البيئة حـدّد نوع معيشتهم ، فهم رُحّل يتطلبون الكلأ ، وهم فقراء ، ثروتهم في كثرة ماشيتهم ، وهذه الثروة تحت رحمة الطبيعة ...

وانت اذا رأيت اللغة العربية ، والادب العربي فى ذلك العهد ، رايته نتيجة طبيعية لتلك الحياة وصورة صادقة لهذه البيئة . فالفاظ اللغـة مثلا فى منتهى السعة والدقة ... [ولكن] ، كم استغرق الجمل والناقة من الشعر وخيال الشاعر ، وكم استغرق وصف الارض سهلها وحزنها .. الخ »[٤٩] .

هذا كله ، يفيدنا فى فهم ثقافة الحجازى ، الرجل الساذج ؛ الذى لم يكن ليعنى الا بشؤونه الغريزية ؛ فهو يستعملها بنهم وعلى هواه ، دونما تدبّر أو رادع[٥٠] **، ويطلق لفكره العنان فيما يحيطه من بيئته الساذجة ، ولا منطلق له فى رؤيا التحضر الا هذه القوافل التي تمر وهي سائرة نحو الشمال أو الجنوب ؛ صيفا وشتاءا** [٥١] .

وسوق عكاظ ، وغيرها ، في رأينـا ، لم تكن تجارية وثقافيـة ؛ بل لسد حاجات حياتية لا صلة لها بالثقافة[٥٢] . ونحن لا نستغرب ذلك ، اذا درسنا احوال البدائيين في اسواقهم الحرة .

* * *

---

(٤٩) احمد امين : فجر الاسلام ص ٤٦ ، ٤٨ .
وللتوسع ، راجع جواد علي فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، والعلي في محاضراته .

(٥٠) راجع للتوسع : جواد علي : تاريخ العرب [قسم الدين] .

(٥١) قريش ٢/١٠٦ .

(٥٢) لقد اعتقد الدكتور الفياض بهذه الصلة ، وكذلك اكثر المعنيين بدراسة التاريخ العربي قبل الاسلام ؛ لكن اطـلاعا بسيطا على اساليب الاسواق الحرة عند البدائيين ينفي هذه الصلة .

في الاخير ؟ نحن لا ننكر تأثر عرب الحجاز بما حولهم ؟ لكن من غير الواقعي ان نسبغ عليهم اساليب حضارية كحال الفارسي والبيزنطي (و ... الخ !) على الافراد المنتشرين بين يثرب ومكة .

ان اطراف الجزيرة تأثرت مباشرة ؟ لكن ببطء انتشار هذا التأثيرات في عرب الحجاز ما كان ليظهر بسرعة ، ولم تكن لتقوم فيه قوة دافعة نحو العلاء غير ظهور الاسلام من قلب الحجاز .. مجتمع الأميين[٥٣] الذين ظهر من بينهم أميٌ غيّر الحجاز والجزيرة في وقت لا يمكن أن يقاس بوقت الانتشار الحضاري البطيء من الشمال والجنوب ؟ لتسود الارض حضارة ابداعية جديدة لم تتصف بالعنصرية ؟ بل كانت اسلامية محضة[*].

---

(٥٣) لقد ورد في القرآن حول الامية ما يكفي سد مسد الرد على المستشرقين ومن تابعهم . انظر القرآن : ٢/٧٣ ؛ ٣/١٩ ، ٦٩ ؛ ٧/١٥٦ـ ١٥٨/ ؛ ٦٢/٢ . ولزيادة الدقة قارن ذلك مع ما تجده عند فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة : د . يوسف العش ، دمشق ، ١٩٥٦ وانظر :

Nicolson, R.A. : Allitterary History of Arabs, Cambridge, 1930.

(*) حذفنا ثبت المصادر للاختصار . « التحرير »

المأساة الكبرى
في الشرق الاوسط *

ابو الأعلى المودودي
امير الجماعة الاسلامية
في باكستان

ان كيان اسرائيل في قلب البلاد العربية هو في ذاته رمز العدوان وظاهرة من ظواهر الظلم . ولا يخفى على من له المام بالتاريخ ان الحركة الصهيونية انما قامت في أواخر القرن التاسع عشر على غايات واهداف عدوانية تستهدف استعادة المنطقة التي طرد الرومان اليهود منها قبل الفي سنة الماضية . وكان الاستيلاء على فلسطين أول هدف من اهدافهم المتوخاة . اما هدفهم الاخير الذى لم يكتموه ابدا فكان يتجه الى احتلال المناطق التي تقع من الفرات الى النيل ، ومن الحجاز (بما فيها المدينة المنورة) الى آخر حدود سوريا الشمالية ، ثم استيطان اليهود المشردين في انحاء العالم في هذه المناطق . اما المنطقة التي أقامت فيها الصهاينة دولتهم سنة ١٩٤٨ م كانت لا تعدو في نظر رجال الحركة الصهيونية الا مجرد موضع قدم ولم يكونوا يريدون الوقوف عند هذا الحد بل ما زالوا يترقبون فرصة مواتية لتحقيق مزاعمهم وتوسيع احتلالهم حتى على دلتا النيل من القطر المصري، والمدينة المنورة من القطر السعودي ، والاردن بكاملها ، ولبنان بكاملها ، والاسكندرونة من القسم التركي ، والجزء الاكبر من القسم العراقي . ولا يريدون ان يحتلوا هذه المناطق ويجعلوا سكانها المسلمين محكومين خاضعين لهم فحسب ، بل يريدون ابادتهم عن بكرة ابيهم أو اجلائهم من أراضيهم ليحل اليهود محلهم . وكان قد تحقق من اهدافهم المتوخاة سنة ١٩٤٨ م

(*) حذف بعض ما ورد في هذا البيان القيم اضطرارا فمعذرة .

أن أنشأو دولتهم فى الجزء الاكبر من فلسطين • الامر الذي اعتبروه انتصارهم الاول فيما ينوون ، ثم حققوا انتصارهم الثاني بعد ١٩ سنة حينما احتلوا ما تبقى من فلسطين وشبه جزيرة سينا • وليس هذا أيضا الا كمرحلة ثانية من مراحل عزائمهم • وان النتائج التي ترتبت فى هذه الحرب التي لم تستمر الا اربعة ايام وتكشفت فيها مواطن الضعف في الصفوف العربية تأخذ بنا الى التكهن ، بدون اعمال روية وامعان نظر ، بأن اليهود ـ قاتلهم الله ـ سوف لا يتأخرون فى اتخاذ خطوات اخرى ستكون هي اشد فتكا من سابقتها •

وان الموقف الذي اتخذته الدول الغربية نحو الحركة الصهيونية العالمية ينبعث من ثلاثة عوامل يجب علينا أن ندرسها ونتناولها بالبحث :

الاول : ان الحركة الصهيونية تسودها روح الحروب الصليبية • ولاجل ذلك نرى العالم الغربي من السويد والدنمرك الى كندا يؤيد

اسرائيل هي قوة متأهبة، ويشكل في هذه القضية نفس الاتحاد الذي شوهد في صفوفه خلال الحروب الصليبية في القرون الوسطى.

الثاني : كانت تتحكم شناعة مواقف الامم الغربية واثرتها البغيضة وقساوتها المتناهية فى هذا الامر • ففى خلال الحرب العالمية الاولى اعلن الانجليز بأن تكون فلسطين وطنا للشعب اليهودي • وذلك لكسب تأييد الشعب اليهودي وحمايته ضد المانيا وتركيا • وهذا كان يعني تعويض اليهود مقابل الخدمات التي كرسوها فى تأييد الانجليز من جيوب الآخرين ثم اختيرت طريقة مبتكرة لاستيطان اليهود الذين نجوا من اضطهاد هتلر ولاذوا بالفرار الى مختلف البلدان، وهي طرد العرب الاصليين من فلسطين الذين كانوا يسكنون فيها منذ قرون متتالية لاسكان اليهود فيها • وما كان معنى ذلك الا ان يتدارك ظلم ظالم بصب جام الظلم على الابرياء • وليت

شعري ألم يكن في استراليا وكندا وامريكا وارجنتانا والبرازيل ، على ما فيها من مساحات غير مسكونة تتجاوز مئات الالوف من الميل المربع ، مجال لاسكان هؤلاء الشذاذ ؟ ألم يكن هناك في نظر العالم الغربي الا حل واحد لاستيطانهم ، وهو اجلاء مليون من العرب من ديارهم واموالهم باللجوء الى ضروب من التعذيب والوان من الظلم والاضطهاد !

والثالث : يسيطر اليهود على امريكا كسيطرة الجني على انسان ، حيث يمتلك هؤلاء القوم ناصية الصحافة الامريكية ، ويتحكمون في وكالات الانباء ويسيطرون على المؤسسات المالية كل السيطرة . كما تبلغ قوة الاصوات اليهودية في امريكا مبلغا يضطر كل فرد من رئيس الدولة الى آخر عضو في الكونغرس الامريكي الى كسب اصواتهم لاحراز الانتصار في المجال السياسي . واذا كانت الظروف كما قلنا ، فمن المؤكد ان امريكا لن تتردد ولا في التضحية بجميع العرب والمسلمين في العالم في سبيل استرضاء اليهود ان رأت ان رضاء اليهود لن يتحصل الا بذلك .

هذه هي الدواعي التي ارغمت العالم الغربي على الوجه العام وامريكا وبريطانيا وفرنسا على الوجه الخاص على تثبيت دعائم دولة إسرائيل منذ يوم تاسيسها . ثم انهمرت الاموال الصهيونية على هذه الدويلة من انحاء العالم حتى قدرت التبرعات التي ارسلت اليها حتى اليوم حوالي الفي مليون دولار . هذا في جانب ، وفي الجانب الآخر أعطتها المانيا الغربية اكثر من ثمانمائة مليون دولار كغرامة مالية ، وفي الجانب الثالث ساعدتها امريكا بقدر كبير من الاموال يبلغ الف وستمائة مليون دولار ، بالاضافة الى ان كلا من امريكا وبريطانيا وفرنسا زودت اسرائيل باحدث السلاح وافتكه فاصبحت اسرائيل منقوتها الحربية حيث تمكنت من مجابهة القوىالعربية الموحدة وتنكيسها . والجدير بالاشارة ان عدد سكان اسرائيل لا يتجاوز مليونين وسبعمائة الف نفر .

بينما الدول العربية التي تحيط بها من كل جانب لايقل عدد سكانها

من خمسين مليون نفر . الا ان النتائج التى ظهرت من الحرب الاخيرة التى استمرت اربعة ايام لتكفي أن نقدّر مدى تزويد الدول الغربية اسرائيل بالسلاح الحربي خلال تسعة عشر عاما الماضية . واذا اردت ان تتوصل الى تقدير اصح من ذلك فعليك أن تعيد نظرك الى الماضى اى قبل تسعة عشر عاما لما اعلن تأسيس دويلة الصهاينة عام ١٩٤٨م وقامت كل من مصر والاردن والعراق ولبنان وسوريا تحاربها فجرت بين هذه الدول وبين اسرائيل معارك ساحقة استمرت ثمانية اشهر سلبت فيها اسرائيل ثمانية الاف ميل مربع من الاراضى العربية . والآن وبعد تسعة عشر عاما ، تطور الامر الى أن العرب لم يتمكنوا من الاستمرار فى محاربة اسرائيل اكثر من اربعة ايام ، كما ذهبت من ايديهم مساحات كبيرة تقارب اربعة وعشرين الف ميل مربع تحتوي على شبه جزيرة سينا وغزة والبقية الباقية من فلسطين . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الدول الغربية قد ساعدت اسرائيل بكل نوع من المساعدات العسكرية والمادية على مدى بعيد تقصد من ورائها تقوية اسرائيل ضد الدول العربية . وليت الامر وقف عند هذا الحد . بل زاد الامر خطورة اذ دخل الاسطول الامريكي والاسطول البريطاني فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر قبل نشوب الحرب بمدة يسيرة . وهما حاولا تغطية الجو الاسرائيلى لتفرغ القوات الجوية الاسرائيلية لشن الغارات على البلدان العربية وعلى القوات العربية بكل اطمئنان وتركيز .

ومن اسباب انتصار اسرائيل فى هذه الحرب الطاحنة انها كرست جهودها فى ظرف تسعة عشر عاما فى تحقيق المشاريع الانمائية بدون أن تستنزف طاقاتها فى الصراع الداخلى . ومن المعلوم انه لم تحدث أية ثورة فى اسرائيل خلال هذه المدة المديدة ، ولم يحاول اى حزب من احزابهم السياسية ابادة حزب آخر ، ولم يبرز فيها دكتاتور يطلق على نفسه لقب منقذ الشعب الاوحد ، ولم يطلق بعضهم على بعض القابا مقرونة بالخيانة الوطنية

وعمالة الغرب • وقد دخلت اسرائيل جاليات يهودية من مائة بلد تنطق بمائة لغة تختلف بعضها عن بعض فى العادات والتقاليد والاعراف الى ابعد الحد ، ولم يكن بينهم ما يشتركون فيه ما عدا الديانة اليهودية • ومن هذه الناحية ايضا كانوا موزعين على طوائف يهودية عديدة • ومن الناحية السياسية يوجد فى اسرائيل العديد من الاحزاب ، وكل حزب يدعو الى فكرة مستقلة وينتهج منهجا مستقلا • ومن الناحية الاقتصادية تتعارض مصالح البعض مع مصالح البعض الآخر • الا انهم على رغم هذه الفروق والخلافات كانوا متكاتفين على تطبيق النظام الديمقراطي فى البلاد بكل هدوء واطمينان• وكانوا يقررون ، باجراء الانتخابات العامة بكل سهولة : ما عسى ان يكون من الاحزاب قد يحضى بأغلبية الاصوات ليمتلك ناصية الحكم فى البلاد • ويعلم كل واحد منا أن حزب بن غوريان : الزعيم اليهودي الشهير كان قد لاقى هزيمة نكراء على يد حزب ليفى اشكول : رئيس الوزراء الحالى فى الانتخاب الاخير الذي اجرى سنة ١٩٦٥م فانتقلت ازمة الحكم الى حزب ليفي اشكول بدون محاربة أو مشاجرة ، وألف ليفى اشكول قبل نشوب الحرب الاخيرة بايام وزارة ائتلافية شاركت فيها جميع الاحزاب السياسية فى البلاد ، كما انه عين موشى دايان وزيرا للدفاع بالرغم أن هذا الرجل كان يعّد خصمه السياسى البارز ، وكان من ابرز ركائز حزب بن غوريان ، وكان يوّجه الى ليفى اشكول نقده اللاذع • ثم ان اسرائيل بقيت متفرغة فى تنمية البلاد من الناحية الزراعية والصناعية والاقتصادية فى جو من التعاون والتكاتف خلال الفترة الماضية • حتى انها بلغت فى مستواها للعيش مدى ما تبلغه اوربا الغربية واقامت علاقاتها التجارية وبثت نفوذها السياسى على أوسع نطاق فى آسيا وافريقية ، ولم ترفع شأنها امام الرأي العام فى الدنيا فحسب ، بل رفعت شأن الشعب اليهودى فى الدنيا باسرها •

وهل هناك من حاجة الى بيان ما حصل فى عالمنا الاسلامي والعربى فى

هذه المدة ؟ ان الذى لاقته البلاد العربية خلال هذه الفترة من الثورات المتتالية ، وان الذى استنزف فى الخلافات الداخلية من طاقات وقدرات ، وان الذي كرّسه البعض لقلب حكم البعض الآخر من محاولات ومؤامرات وان الذي استفده البعض فى نشر الدعايات المسمومة والسخيفة ضد البعض الآخر ان كل ذلك لم تقف منه الدنيا الا موقف المتفرج . وإن الاعداء كانوا يضحكون من ذلك . وان المسلمين ما استطاعوا ازاء ذلك الا البكاء والتأوه . وادهى من ذلك وامر ان بعض البلاد العربية اثيرت فيها فى هذه الفترة الحرب العقائدية ضد ابنائها ، التي لم تضع اوزارها حتى ساعة الصفر من اجل خطر هجوم العدو المحدق على الرؤوس . بينما كان العدو قد ضرب جميع الخلافات عرض الحائط لتكتيل قدراته وتركيزها على الدعوة اليهودية ، وبينما كان المسيحيون فى العالم اعلنوا تأييدهم لليهود على طول الخط بعد « تبرئتهم من دم المسيح » .

واما نوع الاتحاد الذى حصل بين البلاد العربية قبل اندلاع نيران الحرب بايام لا يتعذر على الدارس معرفة مدى جدّيته وتأثيره . حيث قد وجدت فكرة عقد مؤتمر القمة العربي حتى قبل الحرب بساعات كل معارضة من بعض الجهات ليدرس قادتهم الوضع ويوحدوا طاقاتهم ويضعوا تخطيطا شاملا موحدا لرد العدوان المرتقب .

واما الدول الغربية فانها كانت خيبت الدول العربية عام ١٩٥٥ فى شأن تسليحها وتطوير استعداداتها العسكرية . وان بعض الدول العربية التى ظفرت بالحصول على السلاح من امريكا وبريطانيا وفرنسا فانها لم تحصل الا قدرا محدودا من السلاح . الامر الذى اضطرت معظم الدول العربية لاجله الى مدّ يدها الى روسيا وغيرها من الدول الاشتراكية للحصول على السلاح ، مضافا الى ذلك ان روسيا هي التي تدّخلت فى حرب السويس عام ١٩٥٦م فانقذت مصر من العدوان الثلاثي ولاجل هذه الاسباب التى اشرنا

اليها قد بدأ نفوذ الدعوة الاشتراكية ينتشر فى البلاد العربية فى جانب ، وفى الجانب الآخر اصبحت هى الاخرى تقتصر على المساعدات الروسية الى اقصى الحدود .

وفى هذه الحرب الاخيرة رأينا أن العرب كانوا يعتقدون كل الاعتقاد أن روسيا : حليفتهم لا جرم ان تتقدم اليهم بالتأييد والعون وتبادر الى نجدتهم اذا جاءت امريكا وبريطانيا تعضد اسرائيل ، وكانوا على يقين اكيد أن احتمال تدخل روسيا فى هذا الصراع يردعهما عن مناصرة اسرائيل . ومن ثمّ فان اسرائيل ان بقيت وحدها فى هذه الحرب تجابه القوى العربية الموحدة فانها لا محالة تهزمها بين عشية وضحاها . الا أن قياساتهم ما كانت من الصحة في شيء ، وقد برهنت الحرب خطأها . والذين يتابعون التطورات يعلمون كل العلم أن روسيا منذ أن لانت لها القناة امام امريكا فى قضية كوبا ذهبت ريح روسيا فى المجالات العالمية الى الابد ، واصبح من المؤكد ان كل قضية تتدخل فيها امريكا بنية الحرب لن تصمد فيها روسيا في وجهها . ومن سوء الحظ أنقادة العرب وقعوا فى سوء الفهم اذ حسبوا أنالاوضاع لا تزال كما كانت هى عام ١٩٥٦م على رغم تطورها وتغيرها من الاساس . وها قد رأوا بام اعينهم أن امريكا وبريطانيا لعبتا فى هذه الحرب دور الدفاع السافر عن اسرائيل ، وان روسيا لم تتجاوز دور التهديدات الفارغة . بل انها هى التي قدمت فى مجلس الامن قرارها بوقف اطلاق النار الذى كان في صالح اسرائيل لا فى صالح العرب . ونحن ما زلنا نحاول اقناع قادة العرب وساستهم بأن الخطر الذى يحدق بهم لاتستطيع القومية العربية وحدها مجابهته ، بل لابد لذلك من قوة اسلامية موحدة ، وان قضية فلسطين لا تختص بالعرب ، وانما هى قضية جميع المسلمين فى العالم ، واذا انفصلت الدول العربية من الدول غير العربية وكونت لها كيانا مستقلا ثم اختلفت على نفسها وتفرقت بها السبل حيث القت البعض نفسها فى احضان المعسكر

«الشرقي والتحق بعضها الآخر بالمعسكر الغربي ، فلن تثمر هذه السياسة «الا الدمار والهلاك • الا ان قادة العرب لم يعبأوا بهذه المشورة ولم ينصتوا لها بل استمروا في معارضة الفكرة الداعية الى الوحدة على اساس الاسلام • كما أنهم ما انفكوا يثيرون اسباب التفكك وعناصر التمزق في العالم العربي ويفرقون الامة العربية بين الاشتراكيين وغير الاشتراكيين والتقدميين والرجعيين والثوريين وغير الثوريين ، الامر الذى اصبح عقبة كأداء في توحيد الصفوف العربية • ثم يبين سماحته الدعائم التى يرى ان السياسة العربية تقوم عليها فعلا ويرى ان تجربة الحرب الاخيرة أثبتت زيفها وبذلك سترغم المعنيين على اعادة النظر فيها ويستمر قائلا :

ويا ليت قادة العرب ينتبهون ويدركون حقيقة كبرى وهى : ان الاسلام هو الطريق الوحيد لانقاذهم مما هم فيه ، وان ليس لهم انصار مخلصون في العالم الا المسلمين وأن لا يتأخروا عن تكوين قوة اسلامية موحدة تشمل جميع العالم الاسلامي باتكالهم على الله وحده دون غيره • وهذا لا يتحقق الا بالرجوع الى الاسلام وبتشجيع العناصر الاسلامية واطلاق عنانها لتبث في القوم الوعي الاسلامي والشعور الدينى من جديد وتحرضه على الجهاد في سبيل الاسلام وتدعوه الى الاستماتة والاسترخاص بنفس ونفيس في هذا الميدان •

والقضية التى تتطلب حلا عاجلا هي ازالة آثار العدوان الاسرائيلي ونتائجه التى ترتبت على انتصارات اسرائيل في هذه الحرب والنتائج التى يحتمل ظهورها • ان اسرائيل احتلت مدينة القدس القديمة وبدأت تعمل بكل وقاحة بان هذه المدينة التي لا يسكن فيها ولا يهودى واحد يلزم أن تبقى تحت احتلالها لانها فتحتها عنوة • كما انها احتلت الضفة الغربية من فلسطين حيث لا يسكن فيها ولا نفر واحد من اليهود ، وكان عدد السكان المسلمين فيها قرابة مليون نفر وبدأت هي تطرد المسلمين منها باتخاذ وسائل الارهاب والتعذيب والتنكيل لتسكن في ديارهم اليهود المهاجرين

المشردين • ويواصل رئيس وزرائها ووزير خارجيتها ووزير دفاعها اصدار التصريحات تلو التصريحات القائلة بأن المناطق التي احتلتها اسرائيل لن تعيدها الى العرب • ومعنى ذلك ان اسرائيل تريد ان تطبق فى العالم مرة ثانية مبدأ كان يسود فى القرون المظلمة • مبدأ يقول بأن الذى فتح قطعة من ارض قوم بقوة من السيف يحق له أن يملكها • وهذا المبدأ يخالف تماما ميثاق الامم المتحدة • اما امريكا وبريطانيا فانهما لم تنبسا ببنت شفة امام تصريحات اسرائيل الظالمة الخطيرة • وان اسرائيل اذا نجحت فيما تهدف اليه فان الامر لن يقف عند فلسطين بل يتعدى هذا وذاك • لانها ستتخذ خطوات اخرى لتتقدم الى الاردن وسوريا ومصر والسعودية • ثم نفس المبدأ سيطبق على هذه الخطوات والاجراءات وستصبح جميع المناطق التي ستحتلها ملكا لها دون منازع ، وكما اشرت سابقا ، أن ليس معنى احتلال اسرائيل منطقة من المناطق انها تسيطر عليها فقط بل هذا يعنى ابادة جميع السكان الاصليين عن بكرة ابيهم او تهجيرهم واجلائهم من اراضيهم واسكان اليهود المهاجرين فيها محلهم •

ولا نستطيع ان نواجه هذه الاخطار الا ان تبادر الحكومات فى البلاد الاسلامية الى توحيد صفوفها ، وتناصر الحكومات العربية بعزيمة ماضية واخلاص صادق وتضامن شامل ، وتحاول كسب تاييد الحكومات المحبة للعدل والسلام فى تطبيق مبدا عادل قائل بان لا يحق لحكومة من الحكومات او شعب من الشعوب أن يحتل قطرا من الاقطار بالعدوان الغادر ، ويدخل التغيير فى الحدود بقوة من السيف • ان الحكومات الاسلامية اذا تهاونت فى هذه القضية فان جميع العالم الاسلامي يمكن أن يلاقي المصير الرهيب عاجلا او آجلا • ولا سمح الله •

ثم يجب أن لا نكتفي بمعالجة مؤقتة للقضية ، بل علينا ان نضع لمستقبلنا خطة للعمل التي تتلافى آثار الهزيمة البعيدة المدى وعواملها الجذرية • ان الحرب مهما اعتبرها المعتبرون حربا بين العرب واليهود ومهما اعتبروا

الهزيمة التي لحقت العرب هزيمة عربية فقط غير ان هذه الهزيمة وجهت ضربة قاسية الى كرامة جميع المسلمين فى العالم وأنفتهم وعزهم ، وهـزت دعائم سلامتهم واستقرارهم • اذ ليس تسلط العصابات الصهيونية عـلى القدس : وهي مدينة اسلامية عريقة ، ثالث الحرمين ، مهد الانبياء ، ومسرى الرسول عليه الصلاة والتسليم ، وليس خطر بناء الهيكل السليماني عـلى انقاض المسجد الاقصى ، كما يتصور نهايات الامم ـ ليس كل ذلك ضربة موجهة الى العرب فحسب ، بل الى جميع المسلمين فى المعمورة الارضية • واصبح كل مسلم يؤمن بالله ورسوله يحس بألمها الشديد فى اعماق قلبه • لان بيت المقدس لم تكن القبلة الاولى للامة العربية فقط بل هى للامـة الاسلامية جمعاء • وليس من المستبعد ان تتجه الان نوايا العصابات الصهيونية الجشعة التوسعية الى الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا وتعظيما • وهـذا الخطر يفوق ان يتحمله المسلمون فضلا أن يتحمله العرب •

فلأجل هذه البواعث والاخطار قد آن الاوان لتهب كل حكومة من الحكومات الاسلامية اهتمامها بالمسألة الاسرائيلية وابعادها ، وتضعها موضع العناية الالهية • ومن قول الحق ، والحق يقال ، أن دعاة القومية العربيـة حصروا قضية فلسطين أو المسألة الصهيونية فى داخل الجدران العربية ولم يدعوها أن تتعداها • فظل المسلمون غير العرب أزاء موقف دعاة القوميـة العربية فى عزلة من هذه القضية يحسبون العرب فى ضوء دعاويهم انفسهم وتصريحاتهم انفسهم كفوئين لمجابهتها والبلوغ بها الى حل مرضٍ • اما الان فقد ثبت فشلهم وعدم كفاءتهم لهذه المعركة من ناحيـة ، ومن الناحية الثانية اصبح المسلمون فى العالم ايضا يعانون جريرة فشلهم وثقل هزيمتهم • ولأجل ذلك لم يبق اى مبرر لبقاء هذه القضية فى ايدى العرب فقط ولن يبقى المسلمون فى انتظار هزيمة ثالثة تكون اشد فتكا وضراوة ، ولاسمح الله •

ولكي يتحقق ما أشرنا اليه من مطلب وهـو وضع خطـة للعمل فى المستقبل نرى من المناسب ان تتباحث الدول الاسلامية غير العربية كخطوة اولى فى هذه المسألة ، وتجمع كلمتها على أنها لا تنظر اليها بنظرة خاطفـة باردة بل تعتني بها بكل ما تقتضيه من نشاط ودقة واهمية ثم تعمـل على اجـراء المباحثات مع الدول العربيـة لتستحثها على مشاركة مؤتمر قمـة اسلامي • والامل وطيد أن جميع الدول العربية ستلبي هـذه الدعوة فى الظروف الراهنة بتردد أو بدون تردد • على أن بعض الدول العربية اذا لم تقبل حضور المؤتمر المنشود بسبب من الاسباب يترك البـاب مفتوحا فى وجهها ويعقـد المؤتمر بأسرع ما يمكن • اما المواضـيع التي يدار حولهـا النقاش وتتناول بالبحث فى المؤتمر هي فى رأينا كما يلى :ـ

١ ـ ان اثارة صراع عقائدى وفكرى فى المجتمع الاسلامى ثم النفخ فيه الى درجة ان يقوم دعاة مبدأ من المبادىء مشمرين عن ساقهم لتحطيـم خصومهم من انصار مبادىء اخرى ، والقضاء عليها أمر خطر فى حد ذاته وقد بلغ من الخطورة مبلغه فى بعض البلاد العربية • ولا يجوز اقتراف ذلك فى ظروف عادية فضلا عن اقترافه فى وضع يكون العدو يدق الباب وينفخ فى صور الحرب • ان الصراع كمثله لا يكسب منه اى طرف من اطرافه اى نوع من الربح بل الكاسب فى ذلك هو سيكون العدو مائة بالمائة • ويجب ايقاف هذا النوع من الصراع بشكل قطعي فى كل دولة من الدول الاسلاميـة • ويقرر كمبدأ أن كل فريق مـن دعاة فكرة بعينها اذا تولى ازمة الحكم فى البلدان الاسلامية لن يحاول فرض فكرته على غيره بوسائل القسر والاكـراه ، كمـا لن يلقى العراقيـل فى طـريق معارضـيه الذين ينشرون دعوتهم •

٢ ـ قيام الدول الاسلامية بنشاط دعائي معـادي فيما بينها • وقـد اثبتت التجارب ان مثل هذه النشاطات لا تفيد الا العدو •

٣ ـ الاعتراف ، بكل اخـلاص وتجرّد ، بحقيقة ناصعة وهي أن

المصدر الحقيقي لقوة المسلمين هو الاسلام والروح المشبعة بعاطفة الجهاد في سبيله • وليس لنزعة قوميـة ولا لدعوة اشتراكيـة ولا لفكرة علمانية أن تنفخ في المسلمين عناصر الحيوية ومقومات الحياة وأن تثير فيهم روح الجهاد واستفراغ كل غال ونفيس في سبيل الكرامة والحياة الافضل • اما محاولة استيراد هذه المبادىء من الخارج ونشرها في المجتمعات الاسلامية باستخدام وسائل الحكومة واستنزاف طاقاتها فلن يؤدي ذلك الا الى ايجاد المزيد من جذور التفكك ونعرات التشتت بجـانب خلافات مذهبية قديمة ، واهدار الطاقات الاسلامية في سبيل الصراع الداخلي المبيد • وكذلك من العواقب الوخيمة لاتباع المبادىء المذكورة آنفا أنها تبعد الامم الاسلامية من الانضواء تحت لواء الاخوة الاسلامية وتجرّها بعـد وضعها في حالة الانعزال الى اللحاق بكتلة من الكتلات الدولية المتناحرة على اساس المصالح القومية أو النزعات الفكرية مع أن هـذه الكتلات لم تنفعها ـ ولن تنفعها ـ عنـد النوازل ، كما برهنت على ذلك الحرب الاخيرة • ولذا يحتم على الدول الاسلامية الانضواء تحت راية الاسلام والاخوة الاسلامية بروح مشبعة من التجرد والاخلاص •

٤ ـ يجب انشاء محكمـة اسلامية دوليـة تقوم بفضّ النزاعات الداخليـة في أوان نشـوبها • ولكي تكون للمحكمـة سـلطة الالـزام يجب تقرير ميثاق بين الدول الاسلامية يلزم عـلى قبول قراراتها وتطبيق أحكامها •

٥ ـ يجب عـلى الدول الاسلامية تأسيس مؤسسة النقـد الدولي تستجمع قواها المالية • تغنيها عن مدّ يد الاستعانة والاستجداء الى الغرب والشرق •

٦ ـ وكذلك يجب عليها وضع مخطط شامل للتضامن الاقتصادي

يكون بامكانه استخدام قدراتها الهائلة وامكانياتها الواسعة الاطراف في التنمية الجماعية الشاملة لتحرز التقدم في المجالات الصناعية والزراعية والتجارية وتبنى قوتها الاقتصادية على دعائم متينة •

٧ ـ يجب أن تسارع الدول الاسلامية الى انشاء وكالة للانباء تحيطها علما بأوضاع البلاد الاسلامية وغير الاسلامية • اما في الوقت الحاضر فجلّ اعتمادنا في باب معرفة الاخبار والاحداث على وكالات للانباء تشوه الاخبار والاحداث حسبما تملى عليها مصالحها السياسية ، بل كما تقتضيها اهواؤها الدينية • وغير خاف على أحد أن هذه الوكالات تسيطر على معظمها المؤسسات الصهيونية التي توجّهها في دعاية سافرة للحركة الصهيونية في العالم • والوكالات التي لا تديرها المؤسسات الصهيونية مباشرة تتغلغل فيها العناصر الصهيونية وتستغلها في صالحها لحد الامكان •

٨ ـ يجب عليها ايجاد علاج سريع لكي تتخلص من افتقارها الى غيرها في باب التسلح • نعم اذا أمكن لها أن تشتري السلاح الحربي من دولة في العالم بدون شروط وقيود فلها أن تفعل ذلك • الا أنه لا ينبغي أن يكون اعتمادنا النهائي على غيرنا الى درجة أن نصبح مضطرين الى قبول ما يشترط علينا من شروط علنية أو سرية وما يستغل من فوائد ومصالح جانبية • وما دام الوضع كهذا يسود البلاد الاسلامية لا يمكن لدولة من الدول الاسلامية أن تصون كرامتها وتحافظ على سلامتها بامكانياتها الذاتية •

٩ ـ وكذلك يلزم على خبراء الدول الاسلامية وعلمائها في الشؤون الحربية أن ينسقوا مخططا شاملا للدفاع ولا يسمحوا لاية دولة من الدول أن تتخذ ما تشاء من خطوات من تلقاء نفسها وتجرّ على جميع البلاد الاسلامية من ويلات وثبور •

وهذه هي حفنة من المواضيع التي تلح حاجة الساعة على رؤساء

الدول الاسلامية وملوكها أن يجتمعوا للخوض فيها والبت بشأنها .

وليس مما نشعر به نحن فقط ، بل اصحاب الرأى والعلم من المسلمين فى خارج باكستان كذلك يشعرون بأنه اذا كانت هناك دولة من الدول الاسلامية تتمتع بكفاءة لازمة للاقدام على توجيه دعوة للاجتماع على الصعيد الاسلامي فانما هي دولة باكستان . ونحمد الله تعالى على أن الدول العربية كذلك تعتبر باكستان فى طليعة الاصدقاء والمساندين لها . كما انها من بين جميع الدول غير العربية تعد أقرب دولة بالنسبة للدول العربية .

وأخيرا ولا آخرا أدعو الله تعالى وأتضرع اليه أن يجمع كلمة المسلمين ويرشدهم الى سواء السبيل ويوفقهم لما فيه صلاحهم وأن لا يوكل أنفسهم اليهم فى حالة يتكتل عليهم الاعداء . وهو الولي ونعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين(*) .

أبو الاعلى المودودي

(امير الجماعة الاسلامية بباكستان)

١٣٨٧/٣/٦ هـ — نقله الى العربية : خليل أحمد الحمدي

١٩٦٧/٦/١٥ م — مندوب دار العروبة للدعوة الاسلامية

Ichhra - Lahore - PAKISTAN

(*) كان هذا البيان القيم من جملة ما تلقاه رئيس التحرير من دار الجماعة الاسلامية عند مقابلته مع اعضاء الوفد الاسلامى العراقى العلامة المجاهد المودودي .

مأساة المسلمين في الحبشة

بقلم : انيس الدين

ترجمة : يوسف خليل فضل

الحبشة كفلسطين وكشمير وتركستان وموزامبيق تضرب مثلاً آخر لوطن تسكن فيه اكثرية مسلمة ومع ذلك تعاني مـــن الاضطهاد الديني والسياسي على يد الاقلية غير المسلمة المتحكمة في البلاد والتي تحرمها من حقوقها الشرعيـة والمدنية ... ولعل مسلمي الحبشة أتعس الناس فـي العالـم ، حيث انهم يكوّنون ٦٠٪ مـن نفوس الحبشة ومع ذلك فهـم محرومون من الحقوق الانسانية الاساسية فالمسلمون في الحبشة ينظر اليهم كمواطنين من الدرجة الثالثة ويعاملون معاملة وحشية وغـير انسانية ... الحبشة وجنوب فيتنام وجنوب افريقيا وروديسيا تضرب أمثلة لتحكم الاقلية في الاكثرية بالقوة والقمع بالأساليب الخبيثة الاخرى ....

ان المأساة والحزن اللذين يعيشهما مسلمو الحبشة والتين لم تظهرا الى العالم الخارجي يمكن عرضهـا بالنقاط التالية والتي هي براهين دامغة لا تقبل الشك والجدل :ـ

١ ـ المسيحيـة هي الدين الرسمي للدولـة حسب الدستور لسنة ١٩٥٥ م وحيث أن قانون ١٢٦ يقـــرر بالاضافة الى ذلك التالي :ـ ان الامبراطور يجب ان يكون مسيحـي العقيدة دائماً ... وهكـــذا يذهب احتمال مجيء امبراطور مسلم اطلاقا ...

٢ ـ مع أن قبيلة الامهـــارا وهي قبيلة الامبراطور تكون اقلية في البلاد لكنها تتحكم في مصير ابناء الحبشة وثروتها . وأن اللغة الامهاريـة

وهي اللغة الرسمية للدولة والديانة المسيحية هي الديانة الرسمية .

٣ ـ ان القبائل التالية اسماؤهـا : الغالا والفوارغار والدناكيل والهاراري وقبائل اخرى تكوّن ٧٠٪ من نفوس البلاد وهي محرومة تماماً من أي مركز حكومي مهم في الدولة علماً بأن اكثر اتباع هذه القبائل مسلمون وبالاضافة الى ذلك ان هذه القبائل حُرمت من التعليم والحقوق الاساسية الاخرى ، وان مثالاً ناصعاً لهذا الحرمان هو أن المسلم لم يعين أبداً في منصب وزير او حاكم منطقة او سفير او اداري أو اي مركز فيه سلطة وحتى الموظف البسيط نادر الوجود .

٤ ـ ان الاجهزة الادارية الاقليمية في الحبشة منظمة بالصورة التالية :ـ

ان البلاد تقسم الى ١٢ اقليم ويرأس كل اقليم امير أو (دوة) وليس هناك مسلم بينهم ، وان تلك الاقاليم مقسمة الى ٧٢ منطقة تحكم بواسطة حكام اداريين وليس هناك مسلم بينهم ، ونتيجة لهذه السياسة الشيطانية الخبيثة والفرقة وان المسلمين جميعهم أبعدوا من المراكز الحكومية . فليس هناك مركز حكومي للمسلمين ـ واداً كان عالياً او واطئاً كبيرا أو حقيراً . بالاضافة لذلك فلا يوجد وزير واحد مسلم بين ستة عشر وزيراً للحكومة .

٥ ـ ان المزارع والحقول التي بأيدي المسلمين أخذت تتسرب لايدي المسيحيين من قبيلة الامهارا بتشجيع من الحكومة حتى يسيطروا على الاراضي الزراعية الخصبة من ارض والو وهاراو وأروسي وجيما . وان محاولات المسلمين الشرعية بالتعلق بأراضيهم والحفاظ عليها قوبل بوحشية وتدمير وهم اناس ليس لهم حول ولا طول ولا يملكون سلاحاً للدفاع عن أنفسهم ، وقد ابـاد الجيش الحبشي اناساً كثيرين من النساء والاطفال والرجال العزل ، ان التاريخ سيكشف يوماً عن المآسي المحجوبة عن العالم

من تقتيل في (وانتون) ، وكـذلك ان الاراضي الزراعيـة للمسلمين ومزارع القهوة في هرار وجيما ومناطق اخرى قد نسبت الى الاقطاعيين من الامهارا قبيلة الامبراطور وان الملاك الاصليين قد حولوا تحت رحمة المستغلين الجبابرة فريسة لنظام هستيري (نظام العبودية) وان دعاوى المسلمين الشرعية في اراضيهم قد قوبلت بوحشية متطرفة . وهكذا حولت سعادتهم وامنهم الى فقر مدمر وذل ليس بعده ذل .

٦ ـ وبالرغم من واقع فقر المسلمين فهم معرضون الى عدد كبير من الضرائب ومن جملتها ضريبة التعليم ، ولم تفتح الحكومة أي مدرسة في منطقة مأهولة بالمسلمين اذا لم يكن هناك بعض المسيحيين وطبعاً ان الاطفال المسيحيين لهم الاولوية ، وان عدد الطلبة يقدر بـ ١٤٠ ألف طالب منهم ٢٠٠٠ طالب فقط من المسلمين وذلك بسبب عدم وجود المدارس المناسبة للمسلمين في مناطقهم .

٧ ـ اذا كان هناك عنصر يملك السيطرة في الجهاز السياسي فهو الكنيسة الحبشية ومع ان هذه الطغمة لا تكوّن اكثر من ٢٤٪ من النفوس بالنسبة الى ٦٠٪ من المسلمين وهم بالاضافة الى هـذا لا يملكون المسامحة واللين المطلوبين مع بقية الشيع والاديان .

ان هيلاسلاسي لسوء الحظ قد اعاد سياسة اجداده المؤسفة تجـاه المسلمين و (الذين ادينوا لسياستهم العدائية للاسلام واتباعه) ومنذ بداية صعوده الى العرش سـنة ١٩٢٣ وهـو جاهد لتنصير المسلمين الى مذهبه المسيحي في الحبشة ولهذه الغاية قد اغلق جميع المراكز الاسلامية الثقافية في هرار وجيما وواوي وايفات وغيرها وكذلك حرم دراسة اللغة العربية وهي المجال الوحيد لدراسة الاسلام هناك ، وقد وضع نطاقاً حديدياً حول المسلمين ليعزلهم عزلاً تاما عن المنشئات الثقافية الاسلامية خارج الحبشة.

ان علماء المسلمين قد حُضر عليهم دخول وزيارة المناطق الاسلامية وان الوفد الازهري سنة ١٩٥١ قد أجبر بالقوة بمغادرة أديس أبابا خلال عدة ساعات من وصوله ، ان المسلمين يجبرون على تأدية بعض الطقوس للكنيسة وتسمى (الدخل المعنوي او الاخلاقي) وان الامبراطور قد أضاع باسراف عجيب ميزانية الدولة على بناء الكنائس في مدخل كل مدينة او قرية يقطنها المسلمون لغرض اعطاء صورة كاذبة عن نفوذ مذهبه المسيحي للزائرين الاجانب .

٨ ـ كانت هناك محاكم شرعية للمسلمين وان القاضي هو الذى يحكم فيها لاجل القضاء بين المسلمين في مسائل الزواج والارث وما الى ذلك من المسائل الشخصية ، واما اليوم فان القانون المدني الذى اصدره الامبراطور سنة ١٩٦٠ والذى طبق في سنة ١٩٦١ انهى تطبيق الشرع في المجال الشخصي الخالص وانتهى وجوده من الواقع .

٩ ـ واسوأ من ذلك أن الحكومة الحبشية بتأكيدها المستمر على العلاقة الوثيقة بين الكنيسة والدولة قد سمحت بحرب صليبية ضد الاسلام، ان الدعوة الذى تقول بالحرف الواحد : (ان الامبراطور حامي الصليب المقدس) قد حول عملياً الى حرب على الاسلام .

والتنصير القسري قد أصبح عملاً صليبياً شائعاً وان مسلمين كباراً تركوا الاسلام تحت ضغط كبير او هربوا الى الخارج وهم في ظروف قاسية جداً .

ان توماس ارنولد في كتابه دعوة الاسلام قد قدّر عدد المسلمين الذين تنصروا بالقوة بأكثر من ٥٥٠٠٠ مسلم والباقون طردوا من اراضيهم أو قتلوا باجرام وفضاعة .

١٠ ـ ان أهم الاشياء التي ينبغي الاشارة اليها هو أن الحكومة

الحبشية ملكية مطلقة ولا تحتوي على أي معنى للديمقراطية او الحقوق الانسانية البسيطة ، ان الامبراطور هو السلطة العليا بالرغم من وجود دستور شكلي وضعه بنفسه وانه وحده الذي يعين افراد حكومته وهم عادة من قبيلة (الامهارا) وهو بنفسه يدير شؤون واعمال الدولة وحقاً أنه الدولة .

ان البرلمان لا يقوم بأي دور سوى اعمال تزيينية للمظهر الخارجي وهو لا يقوم بأي عمل الا بارادة الامبراطور وتنفيذ ارادته ومآربه .

والخلاصة ان المملكة تعيش بتأييد الكنيسة لها وان الكنيسة قوية لانتشار الجهل والامية في البلاد . وما دامت الكنيسة مسيطرة فان الامل في تغيير سليم بعيد الاحتمال وانه اقرب الى المستحيل . وبالتالي ان المسلمين يبقى لهم طريقان :ـ اما ان يذعنوا الى الاضطهاد الحالي الراهن او ان يحاربوا لأجل عقيدتهم وبقائهم . ان المسلمين في الحبشة قد عملوا بصبر لمدة قرون عديدة من هذه المآسي ومع ذلك فان هذا يمكن ان يهون ويتلطف الجو لو أن قادة المسلمين ورؤساء حكوماتهم حاولوا الالتفات لهم ومساعدتهم . ان الذى يثير العجب ان بعض الحكومات في البلاد الاسلامية والتي تحارب الاستعمار وتناصر الشعوب الضعيفة (غير المسلمة) كشعب روديسا وجنوب افريقيا وفيتنام تغمض عينيها من الشرور التي تصب على رؤوس المسلمين ، أهذا هو المنطق .

العلاقة مع جاراتها :ـ

ان الامبراطور هيلاسلاسي الذى يقف كرائد من رواد الوحدة والتضامن الافريقي قد اصبح بمساعدة الدول الغربية أخطر وأكبر عميل لامريكا ولاسرائيل فى افريقيا . ان موقفه العدائي ضد جارته صوماليا دائما لدليل قاطع على ذلك وبريطانيا التي مكنته من السيطرة على بعض الاراضي

الصومالية • ان اقليم اريتريا المسلم كقضية فلسطين وهي تحوي ٥ر٢ مليون نسمة قد اجبرت ضد رغبتها وآمالها وتحت ادارة وعلم الامم المتحدة حامية الحرية والسلام وحافظة حقوق الانسان !! وأما اضطهاد الناس في اريتريا فان السلطة الحبشية قد تفننت في استعمال انواع الاساليب الارهابية والنازية وقد ارتكبت المجازر والقتل الجماعي • ان شعب اريتريا بالرغم من المضاعفات والنكسات يجاهد ضد الاضطهاد وبلا هوادة وهو بطبيعة الحال ينظر الى اخوته المسلمين في العالم لأجل تأييده ومساعدته في كفاحه العادل

ان الاستعمار بكل مظاهره واشكاله سواء أكان ابيض أو أسود فهو شر" يجب انهاؤه وازالته بسرعة ••• ان السيطرة القبلية والعنصرية والاستغلال يتضمن حرمانا لحقوق الانسان الاساسية التي تعترف بها الامم المتحدة في قوانينها وحقوق الانسان العالمية ••• ان الاستهانة بكل هذه المبادىء والقوانين من قبل الامبراطور في الحبشة لهو عمل مؤلم جدا ويهدد السلام في العالم •

وبحكم دور القوة الافريقية فان هيلاسلاسي يريد المحافظة على سياسته التوسعية الاستعمارية وقد كشفت نواياه مرة بعد اخرى في مؤامراته المستمرة للاستيلاء على اراضي الصومال ولاجل اخفاء المعاملة اللا انسانية داخل الحبشة وابعاد النظر عن أعماله التوسعية على حساب جاراته فانه دعى سنة ١٩٦٣ م رؤساء دول افريقية وكوّن على أثرها منظمة الوحدة الافريقية •• ان هيلاسلاسي يتكلم عن التضامن والسلام لاجل أن يحتفظ بالاراضي التي استولى عليها بصورة غير شرعية وللاسباب الداخلية المذكورة آنفا ••

انتشار الانجيل :ـ

لا يزال المبشرون المسيحيون يحاربون في معركة فاشلة في افريقيا

ولكنهم فى الحبشة يتسمون بطابع العنف والشدة وان الاكثرية المسلمة تتحول بصورة تدريجية الى أقلية بواسطة التنصير بالقوة أو القتل بالجملة ... ان الفاتيكان والولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة ودول اوربية اخرى تخزن اموالها الطائلة فى الحبشة لاجل نشر المسيحية وحماية الحكم اللا ديمقراطي اللا انساني فى الحبشة ... وان محطة الاذاعة فى اديس ابابا تعد من اقوى الاذاعات فى العالم وترسل دروسها الانجيلية باللغة الانكليزية والفرنسية والعربية والسواحيلي وجانيا ويوروبا ولغات افريقية اخرى ... ان محطة الاذاعة لم تدع اى فرصة بدون مهاجمة صوماليا حيث ان ثلثي اراضي الاخيرة تحتلها الحبشة بالاتفاق والتعاون مع كينيا ... وان تأييد منظمة الوحدة الافريقية الى هيلاسلاسي فى سياسته هذه هو أمر" طبيعي تماما ... وعلى أي حال فان الصوماليين ينتظرون اليوم الذي يأتي وتزول الفوارق اللا طبيعية بينهم وبين أخوتهم تحت نير حكم الحبشة العدواني الظالم ..

المسلمون الاحباش فى طريقهم الى الانقراض :

ومع أن مسلمي كشمير وغيرهم يعانون من العذاب والاضطهاد درجات مختلفة ولكن الاوضاع فى الحبشة تدمي القلوب حيث أن ١٢ مليون مسلم يتعرضون الى ابادة مادية وثقافية من قبل حكومة مسيحية بأجمعها مؤيدة ومعضدة بالاموال والسلاح من الغرب .. ان اكبر جريمة ترتكب اليوم هو أن نقف ضد اخوتنا المسلمين وهم المظلومون والفاجعة الكبرى هو ان الضمير الاسلامي العالمي لم يتيقظ بعد لهذا الامر المرير ... ان موقف بعض الدول العربية والافريقية بهذا الخصوص عجيب جدا اذ يقفون مع الفرعون الاسود يتسمون له ويعضدونه ولكن هؤلاء الناس الذين يتغافلون أو يهملون بكاء المسلمين اليوم وهم فى محنتهم سيكونون هم انفسهم الضحية

غداً لقوى الشر والباطل ومن تلك القوى التي تغافلوا عنها أو تعـاونوا معهـا .....

التبشير في اندونيسيا

يا حكام المسلمين ياتجار المسلمين ياعلماء ياخطباء يانجف ياقـم يازهـر يازيتونة اليكم الخبر التالي :

اما الآن فقد أصبحت اندونيسيا مسرحا لاكبر حركة تبشيرية مسيحية في العصر الحديث ، على حد قول الصحيفة الامريكية ، برسبتريان لايف (Prcbytenian Life) .

وتتابع مجلة تايم قولها فتقول ان خطورة هذا الامر تتجلى اذا ذكرنا أن اندونيسيا أمة مسلمة تكاد تكون خالصة ، اذ أن المسيحيين الاصليين بين سكانها المائة وعشرة ملايين ، نسبة لا تكاد تبلغ ١٠ ٪ .

ففي غضون الاشهر العشرين الاخيرة التي أعقبت ثورة اندونيسيا على الشيوعية ، والتي نشطت فيها أعمال التبشير ، بلغ عدد الاندونسيين الذين تخلوا عن دينهم الاسلام واعتنقوا الدين المسيحي ٢٥٠،٠٠٠ نسمة !! ويشمل هذا الرقم الذين انضموا بالكنيسة الكاثوليكية وبالكنيسة البروتستانية على السواء .

وتجدر الاشارة الى أن نصيب جاوة وحدها من هـؤلاء المتخلّين عن دينهم تحت تأثير المبشرين المسيحيين لم يكن أقل من ٦٥٠٠٠ نسمة ! ولقد بلغ من اقبـال الاندونيسيين المتحولين على الانجيل أن نفـذت كمياته في اندونيسيا ! فضلا عن ذلك فقد قرر مجلس الكنائس الوطني في الولايات المتحدة الامريكية القيام بحملة تبرعات تهدف الى جمع ٣٠٠،٠٠٠ دولار لصالح الطائفة البروتستانتية الاندونيسية !!

مجلة العربي الكويتية
نقـلا عـن مجلة تايم الامريكية

مع صحافتنا الإسلامية

الدين ضرورة تغدو أشد الحاحاً

اذا كان الدين في الظروف العادية وايام الامن والرخاء حاجة ماسة للانسان فانه يغدو في الظروف الحرجة وأيام الضيق والشدة حاجة امس ، ذلك ان الانسان تنتابه فترات غرور وجحود، يحس معها انه غدا شيئا كبيرا ، خاصة اذا كان قد تطور علميا بحيث يخيل اليه انه قادر بما وصل اليه على ان يستغني عن الله وعن ان يستمد منه العون ويطلب منه النصر والمؤازرة . لذا نرى ان الله تعالى ، خالق الانسان ، يدرك ضعفه هذا فيقلب له الايام بين افراح واتراح ، كيما يختبر فيه الشكر في السراء والصبر في الضراء ، وهو تعالى القائل: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» .

ونحن اليوم في وضع لا نحسد عليه . وقد يجد الناس مائة سبب للنكسة والخلف عذر ، ولكننا ـ كمؤمنين ـ لا نجد لها الا سببا واحدا وما عداه جزئيات ، هو بعدنا عن الله وانسياقنا مع الهوى ، فأردانا الله بما كسبت ايدينا علنا نعود اليه فيعود الينا كما عودنا النصر ان كنا مؤمنين ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»

أثر العقيدة في المعركة

ولقد كان لنا مع عدونا جولات ثلاث ، تعلمنا خلالها ان عدونا لدود ، وانه يصدر في اعتدائه علينا وتصديه لنا عن « عقيدة » ملأت نفسه وملكت عليه جوارحه ، بغض النظر عن صلاح هذه العقيدة أو فسادها ، وقد افلحت الصهيونية العالمية في حمل يهود العالم على ان يضعوا تحت تصرفها كل ما يملكون في سبيل ان تقيم لهم «دولة» على ارض الميعاد التي تمتد من الفرات الى النيل ، وان تعيد بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى .

المحارب اليهودي يقاتل اذن في سبيل عقيدة ، يهاجر من اجلها من اطراف الدنيا لينتصر بها او يموت ، وهذا النوع من المحاربين لايستطيع الصمود له الا جنود عقيدة ، لا يحاربون فقط لنصرة جارة صديقة ! أو ازالة قاعدة للامبريالية العالمية !!

وما الى ذلك ، وانما يحاربون للدفاع عن مقدسات تنتهك حرماتها ، وعن حق شعب آمن تربطهم به وشيجة العقيدة فى ان يعيش على ارضه عزيزا كريما .. وهنا ، اذا ما قضى الجندي فى المعركة فانما يقضي شهيدا ينتظره مقام الشهداء ، ولن يعرف الخذلان الى نفسه سبيلا .

هذا عن المؤمن . اما المحارب المجرد من العقيدة ففى سبيل اى يقاتل ويستبسل ويستشهد ؟ أفي سبيل الارض ؟ فهو لن ينال منها شيئا ، ام في سبيل شعارات رائجة ؟ فهي قد تدفع انسانا الى ان يشترك فى مظاهرة لكنها لن تحمله قط على ان يموت فى سبيلها . لقد ارتكب مروجو المبادىء المستوردة جريمة فادحة حين ابعدوا الامة عن دينها ، اذ فضلا عن ان ترك الدين يجد ذاته جريمة ، فهم بالاضافة الى ذلك جردوا الامة من امضى اسلحتها فى معاركها المصيرية مع عدوها .

ان الدين يضمن للمحارب المؤمن حامل العقيدة الجنة اذا ما استشهد فى سبيل عقيدته فماذا تعوضه الشعارات البراقة التي لا تخفي وراءها الا السراب ؟! لقد شهدت الجولة الاولى مجموعات من جنود العقيدة فعلت الاعاجيب واجترحت ما يشبه المعجزات واعادت الى دنيا الناس ذكريات المجاهدين الامجاد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكيف لو توفر للمعركة ان يكون كل جنودها من هذا الصنف .

شبابنا .. اين يقف ؟

ثم لنلق نظرة على الشباب عندنا ، عدتنا فى المعركة ، نجده الى الان وبعد ذوي نواقيس النكسة موزعا بين الملاهي يراقص الغانيات او على المسابح يضاجعهن او على ارصفة الشوارع لاهيا بسروال ضيق وشعر مسدل طويل . اما الفتيات فان الانسان ليخجل من ان يورد لهن ذكرا حين يتحدث عن قضايا جدية كهذه . لقد كان مشهد مجندات اليهود فى المعركة يحز فى القلوب ، بينما فتياتنا منشغلات بما اذا كان « المني جوب » لا ئقا بهن او غير لائق .

فما الذي يرفع شبابنا وشاباتنا الى المستوى اللائق ؟ الشعارات الفارغة لم تستطع ذلك لانهم جربوها بل قد كانت هى البلاء .

انه لا يرتفع بهم الا الدين ،

فهو وحده الذى يغرس فى النفس مثلا عليا سامية يدفع المؤمن الى بلوغها وهو الذى يحمي الشباب من الانزلاق وراء الشهوات المدمرة للاخلاق والاجسام ، وهو الذى يؤمن للشباب نشأة سليمة تنمي فيه الفكر والروح الى جانب الجسد ليغدو من بعد الجندى المثالي الذى يتلمسه شعبنا هذه الايام فلا يكاد يجده .

وبما ان لكل فرد فى المجتمع المسلم دوره فان للمرأة فيه دورها كذلك : ان تتولى هي تنشئة هذا الجيل الذى ينعقد عليه الامل ويعلق الرجاء ، ولو كلفها ذلك ان تعود الى مملكتها الاصلية ، الى البيت ، حيث تمارس اقدس مهمة وتؤدي اسمى رسالة ، ثم لتقوم بأعباء دورها فى المعركة اذا ما دعاها الواجب .

الصف الداخلي .. كيف نرصه ؟

وزاوية اخرى في بنائنا الاجتماعي خربة ، ولا يصلحها الا الدين . تلك هي صفنا الداخلي ، فهو كما لا يخفى على ناظر مفكك ممزق ، تعصف به الاهواء وتتقاذف تياراته الاتجاهات المتعاكسة المتضاربة . وبفعل ذلك نزعت الثقة وغدا الناس عبيد نزعاتهم ، لا يتورعون عن ان يختلقوا الاكاذيب يلصقونها بمن لا يشاركهم فى مذهب او يسايرهم في مشرب .

مجتمع كهذا لا يتوقع له نصر ، ولا ينقذه الا الدين ، لانه وحده الذي يجعل الانسان يدوس هواه ونزعاته ومصالحه فى سبيل خير المجموع الذي هو سبيل الله . ولقد واجه الاسلام وضعا اكثر تفككا من هذا فصاغ منه خير امة اخرجت للناس . والله تعالى يتحدى ان يتم ذلك على غير هداه : « لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » .

وسريان هذه القاعدة لا يتوقف على بلد دون بلد ، حتى فى المواطن التي تحوى ديانات متعددة ، فلقد شهد التاريخ استقرار مثل هذه الاوضاع وتفاهمها فى الوقت الذى كان سلطان الدين مهيمنا على النفوس ، ولم يحصل ما يعكر صفو التفاهم والتعايش الا عندما استبدل الناس سماحة الدين بالعصبية الطائفية او القبلية .

ولنسلم جدلا انه لا بد من خلاف ، فخير ان يكون بين متدينين تحكمهم سماحة شرائع السماء من ان يكون بين جاهليين يدفعهم الحقد والغدر ... ولقد شهدنا امثلة من هذا فى تاريخنا الحديث لم تجد بعد سبيلها الى النسيان .

الشهاب اللبنانية

الدفاع عن فلسطين واجب
اسلامي وانساني

وأخيرا تقدمت الصهيونية الماكرة بالاعتداء على الدول العربية الشقيقة، فأمطرت وابلا من القنابل المحرقة على الجمهورية العربية المتحدة وتقدمت بدباباتها وطائراتها تدك معاقل العرب الاحرار في فلسطين العربية والاردن الشقيقة ، وأعادت الكرة على سوريا البطلة تقتلها وتقضي على معالمها .

لماذا كل هذا ؟ لان اسرائيل الصهيونية ربيبة الاستعمار الامريكي ودميته ، ومدللة الاستعمار الانجليزي وصنيعته ، أرادت ان تحقق أحلامها القديمة ، فتستولي على ثالث الحرمين ، ومأوى الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، ولأن شذاذ الآفاق اللقطاء الذين اجتمعوا من بلدان ثالثة أرادوا أن يجعلوا من البلاد الفلسطينية وطنهم القومي الصهيوني ، ويطردوا أصحاب البلاد الشرعيين يتيهون في الارض مشردين معذبين ، ولان تحالف الاستعمار الامريكي والانجليزي مع دويلة اسرائيل البغيضة اتاح لهذه الاخيرة أن تحصل على مساعدة وعتاد استطاعت بسببه أن تدمر أرض الانبياء والمرسلين وتعيث فسادا في المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله ، وتحطم مساجد وأماكن للعبادة أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بالغدو والاصال .

لقد تعاونت الصهيونية الماكرة والاستعمار الغربي الغادر ، والصليبية الحاقدة على العرب والمسلمين ، تعاونوا جميعا على هذا الاعتداء الشنيع ، والاجرام السافل ، وقدروا أنهم بتواطئهم وأعتدتهم وغدرهم ، سيقضون على معنوية العرب الآحرار ، ويستولون على بلادهم العربية العريقة بقوة الحديد والنار .

سيخيب سعيهم ، وستتحطم أحلامهم وسيسترجع العرب والمسلمون أماكنهم المقدسة وستتحرر فلسطين ، وتعود الى أربابها الميامين .

لقد تواطأت كثير من قوى الشر في الماضي البعيد على الاراضي المقدسة ولكن المسلمين أبلوا شديد البلاء الى أن طهروها من الرجس والمعتدين ، ولو نطقت جدران القدس الشريف ، ولو تحدثت جنبات المسجد الاقصى لعلم هؤلاء أن المسلمين لم تهدأ لهم روعة ولم يطمئن لهم بال ، ولم يستطب لهم عيش حتى استخلصوا أماكنهم المقدسة من أيدي الظلمة المعتـــدين ، فقدموا ضحايا من أجل ذلك عشرات الآلاف من الأنفس ، اختارت الشهادة في سبيل الدفاع عن الكرامة والحق ، وصيانة الاماكن المقدســة من أن يدنسها الباغون المعتدون .

لقد تحدى الصهيونيون شعور كل عربي وكل مسلم وكل انسان حر في المعمور ، فأقدموا على اجرامهم وعدوانهم ، خارقين كل قوانين الحق ، متواطئين مع الاستعمار السافر الذي لم يحل له أن يتقوى المسلمون وتتوحد صفوفهم ، وتتمتن أواصر اخوتهم ، وتتوحد وسائل أعمالهم ، فأراد أن يسبق الاحداث ، ليشتت الشمل ويعثر الجهود ، ويضيق الرقعة ، ويمدد فـــي عمر السرطان الذى سلطه على جسم الأمة العربية .

وهل اسرائيل الا سرطان مدسوس في جسم الأمة العربية وهـــل اسرائيل الا طعنة في صدر الشعب العربي . فمتى كانت اسرائيل دولـة بفلسطين ؟ وماذا يقول التاريخ عن هذه الدولة الملتقطة من انحاء العالم .

ان الصدمة كانت عنيفة ، وان النكسة كانت قوية ، ولكن الصدمات هي التي توقظ الشعوب ، والنكسات هي التي تدفع الى التضامن والعمـل الجدي .

لقد كان للعدوان مأسي ولكنه أعطى درسا قويا للعـرب ، فعـــرفوا!!

أصدقاءهم من أعدائهم وزادوا يقينا باعتمادهم على انفسهم ، وصمموا العزم على ان معركتهم لما تنته ، وانما ابتدأت من جديد بقوة ايمان فى الانتصار وقوة يقين فى الدفاع عن الحق المغصوب وقوة عزيمة فى ازالة العوائق التى كانت تعوقهم عن تحقيق ما اليه يطمحون .

ان العرب لم يهنوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا وانما زادتهم النكبة قوة فى الصمود ، وثباتا فى الدفاع ، واستماتة فى استرجاع الوطن السليب .

لقد ادركوا جيداً انهم لا يحاربون اسرائيل كدولة وانما يقاومون استعمارا خبيثا من ورائه دول تمده ، وحكومات تؤيده ، تدفعها أحفاد صليبية متوارثة ، وقصدها أهانة المسلمين واضعاف شوكتهم .

وبعد فان معركتنا نحن العرب المسلمين مع دويلة الصهاينة ومؤيديها انما هي فى بدايتها ولذلك يتعين أن تأخذ الدرس والعبر مما وقع من الاحداث ، فنسير بكثير من التصميم لاعادة الحق المغصوب وتحرير فلسطين الجريحة ، واستخلاص الأماكن المقدسة .

انه واجب مقدس على كل مسلم في أنحاء المعمور أن لا يطيب له عيش ، ولا يهدأ له بال ، الا اذا تحررت فلسطين ، والا اذا استخلص بيت المقدس من أيدى غاصبيه الماكرين .

أنها حرب مستمرة ضد اسرائيل وانصار اسرائيل من الدول الاستعمارية الى ان يتحقق النصر ويزول العار .

ان واجب الدول العربية خاصة والدول الاسلامية عامة أن تتكاتف جهودها ، وتتسق أعمالها لخوض هذه المعركة الجديدة التى قد تطول ، ولكن ايمانها بالحق ، ودفاعها عن القيم العليا سيجعلها تتغلب على كل الصعوبات وتتخطى جميع العراقيل .

يجب على العرب والمسلمين أن يراجعوا سياستهم وعلاقاتهم مع الدول

التي تناصر الصهيونين عليهم ، ويجب عليهم أن يثبتوا ايقاف بترولهم على خصومهم ، ويجب أن يسحبوا أرصدتهم المالية من أبناكهم ويجب أن يقاطعوا كل ما هو صهيوني وما يشجع الصهيونية من قريب أو بعيد .

انه واجب مقدس علينا أن نقوم به بثبات واخلاص وصمـــود .

وحينذاك ستعلو كلمة الحق ، وحينذاك سننتصر وصدق الله العظيم الذى قال وقوله الحق : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله عـــلى نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولو لا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، أن الله لقوى عزيز » .

الايمان المغربية

نحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من يصدنا عن هدفنا .

وحينما يأتي أوان تتويج ملكنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها ، أي نستغل الغوغاء ، كيما نحطم كل شيء قد يثبت انه عقبة في طريقنا .

مقررات حكماء صهيون

العـراق

✡ كان موقف علماء الاسلام في العراق أيام العدوان الكافر عـلى الارض الاسلامية موقفا مشرفا دل على أن علماءنا كانوا على مستوى ثقـة الامة بهم ، واعتمادها عليهم • انهم فهموا منذ البداية طبيعة المعركة التـي يقف فيها الكفر والاستعمار كله خلف اسرائيل ، ضد الاسلام والمسلمين ان لبيانات علمائنا وبخاصة المرجع الاسلامي الاعلى السيد الحكيم وآية الله العظمى السيد الخوئي وعلماء بغداد والكاظمية اثرها الواضح في تحشيـد طاقات الامـة وتعبئة قواها للمعركة •

ايـران

✡ لقد كان موقف علمائنا في ايران لايختلف عنه في العراق • فقـد هبوا مرة واحدة ، يوضحون للامة مسؤوليتها ازاء المعركة ، ويفتحون عينها على طبيعتها ، ويدفعون بها الى مجابهة النشاط الصهيوني في البلاد • وقـد كان موقف الشعب الايراني المسلم بتوجيه علمائه الاعلام وعلى رأسهم آية الله العظمى السيد كاظم شريعتمداري واية الله العظمى السيد احمـد الخونساري وآية الله العظمى السيد الميلاني من احسن المواقف وانبلهـا • وقد قام السيد شريعتمداري بنفسه بفتح اكتتاب لاجل جمع التبرعـات ، لاغاثة المشردين من اخواننا اللاجئين كواجب فوري يتطلبـه الحفاظ عليهم في هذه الحالة المؤلمة •

✡ على أثر النكبة الكبرى التي منيت بها امتنا الاسلامية بسبب العدوان الاثيم من قوى الصهيونية والاستعمار المتحالفة فكر اصحاب الرأى بتكوين وفد اسلامي شعبي يطوف ارجاء عالمنا الاسلامي المترامي الاطراف ، ليشرح لابناء امتنا طبيعة المعركة بيننا وبين العدو ولتعبئ الامة قواها من اجل التحرير في الجولة القادمة وقد تبنت الاوقاف هذا الموضوع ، وسعت من اجله ممثلة بنائب رئيس الوزراء لشؤون الاوقاف آنذاك السيد عبدالغني الـــراوى وبرئيس ديوان الاوقاف السيد سامي ياشمالم وقـد جمعت نفقات الوفد من بعض التجار المؤمنين ثم اختارت جماعة من الاساتذة اعتمدتهم لهذه المهمة وهـم كل من المهنـدس عبد الغني شندالة والشيخ عبد العزيز البـدرى والمحامي محمـد الالوسـي والدكتـور صـالح السامـرائي والاسـتاذ صالح سـرية ، ثم اتصلت بعلمـاء بغـداد والكاظمية ليختـاروا من يمثلهم في الوفد وقد وقع اختيارهم على السيد عدنان البكاء رئيس التحرير حيث حملوه وجهة نظرهم في كتاب الايفاد ونال هذا الاختيار رضا رئيس جماعة العلماء في النجف الاشرف آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين ، فاعتمده في رسالة حمله اياها ليكون موفده لشرح وجهة نظر العلماء في المشكلة وقد تشرف قبيل سفره بلقاء المرجع الاعلى السيد الحكيم مد ظله ، واستمع الى نصائحه وتوجيهاته ثم حضى بدعواته الصالحة . وتشرف ايضا بمقابلة آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي وحضى بتوجيهاته ودعائه ثم حمل من سماحته نداء وجهه الى عامة المسلمين ، يدعوهم فيها للاضطلاع بمسؤوليتهم ازاء القضية .

وقد انضم للوفد اخيراً باختيار من علماء بغداد السيد داود العطـــار المشرف على مدارس جمعيـــة الصندوق الخيرى الاسلامي في الكاظمية ، والشاعر المجاهد المعروف .

وقد زار الوفد على التوالي اندونيسا وسنغافورة ، وماليزيا ، والهند، وباكستان ، وأفغانستان ، وايران ، وتركيا •

واستمرت رحلته من ٢٧-٦-٦٧ الى ٨-٨-١٩٦٧ •

باكستان

سلمت الجماعة الاسلامية في باكستان التي يرأسها العلامة السيد ابو الاعلى المودودي مبلغاً قدره (٢٥٠) الف روبية الى صندوق الرئيس الباكستاني للتبرعات لمساعدة منكوبي العدوان الاسرائيلي •

☆ احتفاء بذكرى مرور اربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم نظمت دائرة البحوث الاسلامية في كراتشي عقد مؤتمر دولي للقضاة ورجال الفقه الاسلامي في الاقطار الاسلامية التي استجابت لمثل هذه الدعوة الكريمة وسيعقد المؤتمر في شهر فبراير من عام ١٩٦٨م نظراً للظروف الحاضرة في الشرق الاوسط •

الاردن

عقد بعمان في ١٢ من جمادى الثانية مؤتمر اسلامي حضره ممثلون عن ١٦ دولة اسلامية ، وقد عقد المؤتمر ليبحث السبل التي يجابه بها المسلمون العدوان الصهيوني ومن وراءه على ارضنا الاسلامية وكان ممن حضر المؤتمر السيد مهدى الحكيم استاذ النظام الاسلامي في الكلية والسيد محمد باقر الحكيم مدرس علوم القرآن • حيث سلم السيد مهدى اعضاء المؤتمر مذكرة تتضمن رأيه حول المشكلة •

اندونيسيا

على أثر زيارة الوفد الاسلامي العراقي الشعبي الذي كان رئيس

تحرير هذه المجلة احـــد اعضائه لاندونيسيا واتصالاته بالهيئات الرسمية والشعبية هناك بخصوص قضية فلسطين الف الدكتور محمد ناصر رئيس حزب ماشومي الاسلامي في اندونيسا وفداً عالياً يضم الاستاذ غلام محمد امير الجماعة الاسلاميـة في كراجي والشيخ محمد الشاذلي بن القاضي احـد علماء الزيتونـة في تونس والاستاذ محمد عبد الرحمن من الاردن وطاف عدداً من الدول الاسلامية لنفس الغرض .

ومن الجدير بالذكر ان في اندونيسيا عدة لجان تعمل بسبيل قضيـة فلسطين .

الصـــومال

☆ صـرح الاستاذ حسن الحاج عمر وزير الاعلام في حكومـــة الصومال لجريدة (الميثاق) السودانيـة بأن الحكومة والشعب الصومالي ينظران لقضية فلسطين نظرة اسلامية لانه يعتبر هذه القضية قضية المسلمين جميعا وتهم كل مسلم في العالم .. وعلى الدول العربية أن تصعد بهـــذه القضية الى اسلاميتها . ان الاسلام هو الرباط الوحيد الذى يوحـــد بين الشعوب الاسلامية والعربية ويجمعها تحت راية الجهاد المقدس لتحرير اوطانها ، وتحقيق مكاسبها .. لذلك يرى كل صومالي انه بات اليـــوم الحاجة ملحة الى ايجـاد تجمع اسلامي ضد الصهيونية والاستعمار فبهذا التجمع نحقق الهدف ونصل الى الغاية .

بيان علمـاء الأردن

ننشر هنا نص البيان الذى اصدره علماء الاسلام فى الضفة الغربيـة ردا للمحاولات التى يقوم بها الصهاينة ، للاعتداء على مساجدنا المقدسة :

بمناسبة ما نشرته جريدة (الجروزالم بوست) التي تصدر بالقدس في عددها الصادر بتاريخ ٨-٨-١٩٦٧ تحت عنوان (الحاجة الى تخلية ٨٢ مترا آخر من ساحة البراق) والذى تضمن ان وزارة الاديان رسمت خطة لتنظيف تلك المساحة ، وان لجنة التربية والتعليم التابعة للكنيست تجولت في الاماكن المقدسة فأخبرها الحاخام طورين الموظف في وزارة الاديان ، ان الامتار المنوه بها يخفيها عدد من الابنية الملاصقة لحائط البـراق ، وان الجزء الجنوبي من الحائط كان موجودا لكنـه غطى ببنيـة بنيت عبـر الاجيال ••• الخ ••

وبمناسبة اقدام حاخام جيش الدفـاع الاسرائيلي البريغادير شلومو غورين ، على الصلاة مع جماعته في ساحـة المسجد الاقصى المبارك بتاريخ ١٥-٨-١٩٦٧ ، واعلانه عن عزمه على اقامة صلوات اخرى في مكان آخر من تلك الساحة ، وعلى اقامة كنيس فيها ، بزعم انه يبتعد عن المسجد الاقصى المبارك والصخرة المشرفة ، وان تلك الساحة جـزء من جبـل البيت ، كما ذكرته جريدة ها ارتس في عددها الصادر بتاريخ ١٦-٨-١٩٦٧ •

وبمناسبة ما صرح بـه وزير الاديـان الدكتور زيرح ، في مؤتمـر حاخامي الجاليات اليهودية في الخارج لاجل القدس ، والذى عقـد مساء السبت ١٢ آب ١٩٦٧ في قاعة ـ هيكل سليمان ـ بالقدس ، وقد دعا اليه حزب المزراحي العالمي ، وقد تمثلت فيه الجاليات اليهودية في بريطانيـا

وكندا وفرنسا وامريكا • وقد تكلم فيه الدكتور شموئيل برسكي ـ حاخام نيويورك وزعيم الصهيونية فيها ـ كما تكلم فيه وزير الاديان ، والدكتور عمانوئيل يعقوبو متيش ـ حاخام بريطانيا الاكبر •

وقد كان اخطر ما ذكر في المؤتمر ، ما جاء في كلمة وزير الاديان ومنها : ان تحرير القدس وضع جميع المقدسات المسيحية وقسما مهما من المقدسات الاسلامية تحت سلطة اسرائيل، واعاد الى اليهود جميع مقدساتهم فيها • ولكن لاسرائيل مقدسات اخرى في شرق الاردن، والحرم الشريف القدسي هو قدس الاقداس بالنسبة لليهود ، ولا يزال مقدسا لديهم لكنه لا يزال مقدسا لدى ديانة اخرى ـ يعني الاسلام ـ ونحن لا نفكر الآن في بناء الهيكل ، ومن الجميل دفن هذه الفكرة في الايام الحاضرة ، ولكن هذا لا يعني ان نمتنع عن القيام بعمل ما نستطيع عمله ، فسوف نبني جميع الكنائس اليهودية في البلدة القديمة ، وتوسع ساحة البراق ، وذلك بأسرع وقت مستطاع ، وبالنسبة للحرم الابراهيمي الشريف ، فان الغار مكان مقدس لليهود ، وقد اشتريناه بالمال ، وكذلك صخرة بيت المقدس ، اشتراها داود من اليبوسيين ، وحقنا في الغار والصخرة حق يهودي بالشراء والفتح •

وبمناسبة ما ذكره وزير الاديان في حديثه مع مراسل جريدة ـ هاارتس ـ بتاريخ ١٨ـ٨ـ١٩٦٧ ، من ان مغارة الماكفيلا وحائط البراق ملك لليهود بحق الفتح والشراء •• الخ •

ونظرا لما تنطوي عليه هذه التصرفات والتصريحات ، من اخطار بالغة الاهمية تؤثر على اقدس مقدسات المسلمين في هذه الديار •

نعلن نحن قضاة الشرع الشريف والمفتين وعلماء الدين الاسلامي في القدس الشريف وسائر الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية بهذه الفتوى الدينية :ـ

١ ـ ان المسجد الاقصى المبارك بمعناه الديني ، والحرم الابراهيمي الشريف ، هما مسجدان اسلاميان مقدسان لديهم .

٢ ـ وان المسجد الاقصى المبارك ، هو قبلة المسلمين الاولى وثالث الحرمين الشريفين ،التي تشد اليها الرحال ، وعملا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى رواه الامام البخاري وغيره ـ « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هـذا (المسجد النبوي) والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ، ومبدأ معراجه الشريف ، وكما يجب على المسلمين في سائر انحاء الدنيا ان يحافظوا على مكة وحرمها ، ويحرصوا عليهما من ان تمتد اليهما يد العدوان ، يجب عليهم ان يحرصوا الحرص نفسه ، على القدس الشريف والمسجد الاقصى المبارك ، حتى يكون طرفا الاسراء وركناه ، في مأمن من الخطر وفى حالة من اليسر والسهولة ، بحيث يتمكن كل مسلم في انحاء الارض ان يزوره كلما اراد .

قال تعالى : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله » الآية ـ١ـ من سورة الاسراء .

٣ ـ وان المقصود من المسجد الاقصى بذلك كله ، هو جميع ما احاطه السور وفيه الابواب ، ويشتمل المسجد المعروف الآن بالمسجد الاقصى ، ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما . وان الاعتداء على اى جزء من الساحة الموجودة داخل السور ، هو عدوان على المسجد الاقصى نفسه ومساس بقدسيته .

وقد ذكر العلماء والمؤرخون ان طوله سبعمائة ذراع وعرضه أربعمائة وخمسة وخمسون ذراعا ، وآخرون ذكروا مساحته اكبر قليلا ، نظرا للاختلاف فى مبدأ القياس ونوع الذراع لكنهم كلهم مجمعون على ان المسجد الاقصى يعنى جميع ما دار عليه السور .

وقد استقر الرأى فى عهد الانتداب البريطاني نتيجة الحساب الدقيق ان مساحته مائة واربعون دونما وتسعمائة متر .

(انظر ابن الفقيه سنة ٩٠٣م وابن عبد ربه الاندلسى فى كتابه العقد الفريد سنة ٩١٣م والمقدسى سنة ٩٨٥م والهروى سنة ٦٩هـ و١١٧٣م وابن مجير الدين الحنبلي سنة ٩٠٠هـ و١٤٩٤م وخارطة الحرم القدسى الصادرة سنة ١٩٤٤ من دائرة المساحة فى حكومة الانتداب البريطاني) .

٤ ـ وان لليهود فى حائط المبكى حقوقا ، أقرها الستاتيكو والتقاليد القديمة حسبما عرفت فى عهدالحكومة التركية المسلمة ، وحكومة الانتداب المسيحية وكانوا يتمتعون بأستعمال تلك الحقوق بكامل حريتهم ، الى ان وقعت الحرب بينهم وبين العرب سنة ١٩٤٨ .

وان اليهود ارادوا التوسع فى تلك الحقوق سنة ١٩٢٩ ، وحصل نزاع بينهم وبين العرب والمسلمين ، أدى الى ثورة سنة ١٩٢٩ ، ونتج عن ذلك ان صدر مرسوم (الحائط الغربى او حائط المبكى) فى فلسطين سنة ١٩٣١ من ملك بريطانيا بناء على قرار مجلس جمعية الأمم الصادر بتاريخ ١٤-١-١٩٣٠ ، وقد تضمن ذلك المرسوم تأليف لجنة من ثلاثة اعضاء ليسوا من التبعية البريطانية وقد تألفت تلك اللجنة الدولية ، وحضر كل من اليهود والمسلمين ابرز المحامين والمدافعين عن وجهة النظر التى يتبناها كل منهم ، وأصدرت قرارها المتضمن ان :

أ ـ للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه ، لكونه يؤلف جزءا من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف ، وللمسلمين ايضا يعود الرصيف الكائن امام الحائط ، وامام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط ، لكونه موقوفا حسب احكام الشرع الاسلامي لجهات البر والخير .

ب ـ لليهود حرية السلوك الى الحائط الغربى لاقامة التضرعات حسب الشروط المشار اليها فيه .

جـ ـ طرف الحائط الجنوبى مقفلا فى ساعات معينة على ان يحترم فى ذلك حق المسلمين فى الذهاب والاياب على الرصيف بالطريقة الاعتيادية.

د ـ يحظر على اى كان استعمال المكان الكائن امام الحائط او ما جاوره لاجل القاء الخطب او اقامة المظاهرات السياسية مهما كان نوعها .. الخ .

(أنظر مجموعة قوانين فلسطين لسنة ١٩٣٣م المجلد الرابع صفحة ٣٣٩٧ وما بعدها من الترجمة العربية) .

وان هذا القرار قد فصل فى النزاع اليهودى العربى بخصوص هذا المكان المقدس . واصبح وثيقة دولية واجبة التطبيق ، ولا يجوز تحت اى ظرف أثارة هذا النزاع مرة اخرى ، شأنه فى ذلك شأن أى نزاع يقع بين اى فريقين يصدر بشأنه قرار قضائي .

ولذلك فان التوسع الذى جرى فى ساحة المبكى ، فيه اعتداء على حق المسلمين فى حارة المغاربة ، التى هى من أوقاف المسلمين الخيرية ، كما ان التوسع المنوى اجراؤه ـ والذى اشار اليه محرر البوست ـ من شأنه هدم الزاوية الفخرية الملاصقة للمسجد الاقصى المبارك ، وفيها مسجد عدا عن المساكن الاخرى التى يصيبها الهدم ، ومن شأنه ايضا هدم المدرسة التنكيزية مكان المحكمة الشرعية القديمة ، وفيها مسجد ، ومقر المعهد العلمي الاسلامي ومكتب المؤتمر الاسلامي ، وكل ذلك من الاوقاف الاسلامية الخيرية ، والآثار التاريخية التى لايجوز ان يناله اى ضرر عملا بقواعد القانون الدولى .

٥ ـ ان اثارة ملكية الصخرة وملكية الماكفيلا ، الحرم الابراهيمى

الشريف ، استنادا الى آراء عميقة فى القدم ، بعد ان مضى اربعة عشر قرنا على المسلمين وهم يتصرفون بهذه الاماكن بصفتها مساجد إسلامية ، لا يقره شرع الهي ، ولا قانون وضعى ، ولا عرف دولى ، ومن شأن هذه الاثارة ان تعرض الحقوق الدولية والشخصية للمخاطر التى لا حد لها ، خصوصا ان المسلمين حين فتحوا هذه البلاد ، كانت تحت حكم الرومان ، لم يعتد المسلمين على اليهود فى هيكلهم او آثار هيكلهم ، كما انهم كانوا الحامين لهم من العدوان والتشريد اللذين كانوا يتعرضون لها على يد غير العرب والمسلمين ، فضلا عن ان موضع الهيكل لم يحدد بصورة قاطعة فى نص ديني او تاريخى ، وهو موضع خلاف بين علماء التاريخ والاثار .

لذلك كله :

وبناء على تلك النصوص والاحكام الشرعية والحقائق التاريخية الناصعة ، فاننا نقرر مايلى :ـ

اولا : العداون على اى جزء من اجزاء ساحة الحرم القدسى المبارك نفسه وانتهاك لقدسيته وحرماته .

ثانيا : الحرم الابراهيمي الشريف فى الخليل ، هو مسجد اسلامى بكل ما فى الكلمة من معنى شرعى ، وكل عدوان على اية بقعة منه ، يعتبر انتهاكا لقدسيته وحرماته .

ثالثا : ساحة المبكى ، وهى الحائط الغربى للمسجد الاقصى المبارك ، قد حسم النزاع بشأنه بين المسلمين واليهود ، بالقرار المشار اليه اعلاه والصادر عن اللجنة الدولية سنة ١٩٣١م ، ولايجوز اثارة هذا النزاع مرة أخرى .

رابعا ـ ان محاولة تغيير الحالة الراهنة للمسجد الاقصى والحرم الابراهيمي والتوسع فى ساحة المبكى يتنافى كل المنافاة مع احترام المقدسات

الاسلامية وصيانتها ، ويعتبر عدوانا صارخا عليها ، ويثير مشاكل لا نهاية لها ، واخطارا لا حد لمضاعفتها ليس المسلمين فى انحاء الدنيا كلها ، ولدى العالم اجمع • خامسا ـ ان المسلمين لايعارضون اليهود او غير اليهود فى زيارة الاماكن الاسلامية ، شريطة ان يصاحب ذلك ادب واحتشام ومراعاة لقدسية تلك الاماكن الطاهرة •

القدس فى ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٨٧هـ •

الموافق ٢٢-٨-١٩٦٧ •

التواقيع :

(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا • فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا • ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم اكثر نفيرا • ان احسنتم احسنتم لانفسكم ، وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عملوا تتبيرا •

الأسراء (٤ ـ ٧)

على مـزاحم
السـنة الثـالثة

من المشاكل التى واجهتني فى كتابه هذه الكلمة ندرة المصادر فى لغتنا رغم خطورة الموضوع ، فارصن المصادر التى تعرضت للتبشير كتاب : (التبشير والاستعمار) الذى استغرقت كتابته عشر سنوات اعتمادا على مائة مصدر ومرجع ، (اغلبها للمبشرين انفسهم ، هذا الكتاب احدث رجة وكشف القنعة ، فهاجمه انيس صايغ رئيس تحرير مجلة «حوار» ـ سيئة الصيت ـ برعاية الحزب القومي السورى !! . كلمتي هذه مساهمة متواضعة وتنبيه واشارة الى (التبشير) لا ادعى انها اوفت الموضوع حقه .

واود أن أبين انني لا ادعو الى رفع راية حرب هلالية ضد النصارى الذين يعيشون بين ظهرانينا ، بل موجهة ضد اولئك الرجال الناعمين من خارج حدودنا والذين تعلو سحنهم البيضاء ابتسامات الملائكة وتخفي انياب الذئاب الشرهة . اذ كثيرا ما عاش النصارى فى ظل التسامح الدينى مع المسلمين وشاركوهم السراء والضراء «ولكن بدأت التفرقة بين المسلم والمسيحي فى العراق بصفة خاصة والشرق الاسلامي عامة ، عندما اصبحت الدولة العثمانية هدفا للدول الاستعمارية الاوربية ، فقد اخذت هذه الدول الاستعمارية تختلق الاسباب للتدخل فى شئون الدولة العثمانية بقصد

الحصول على موضع قدم فيها » [1] كما استهدف المبشرون الاجانب النصارى والمسلمين معاً . وقد ثار كلدان العراق ضد تدخل (تريوش) القنصل الفرنسي ورئيسي اساقفة في تعيينه (يوسف) بدلا من المطران الكلداني الذي انتخب بارادة الكلد منذ سنوات ووقفت الكنيسة القبطية في مصر بجانب المسلمين ضد الصليبيين ، وغزو نابليون ، والاحتلال البريطاني ، والارساليات الاجنبية دفاعا عن استقلال مصر والكنيسة . هذه المواقف اغاضت اللورد كرومر وحملته على تبرئة الاقباط من المسيحية ! ، واغاضت المبشرين الامريكان وحملتهم على القول ان الاقباط اكثر انحرافا عن المسيحية من المسلمين . كما ان اغلب رجال الدين المسيحيين ساندوا ثورة ١٩١٩ المصرية فارتفع الشعار السياسي! وحدة الهلال والصليب [2] بوجه محاولات التفرقة .

هل يمثل المبشرون شعوبهم ؟

قد يتبادر الى الذهن من اين تعيش هذه الارساليات وهل ان شعوبها بدافع الاخلاص للدين ارسلتهم ليجلبونا الى حضيرة المسيح!؟ الجواب : كلا. فهذه الارساليات تعيش من اموال الذين لهم مصلحة ذاتية فيها . وشعوب العرب ليست لها هذه المصلحة بل « الحكومات والاغنياء .. فاول اجتماع لممولين امريكيين لتنشيط التبشير عقد عام ١٩٠٦ كان من نتيجته رواج فكرة التبشير وتأسيس لجان لهذا الغرض في كل ارجاء الولايات المتحدة » [3] وقد ربطت الكنيسة نفسها بالسلطة رغم ان السلطة لم تكن

---

(١) نوار ، د . عبدالعزيز ، العراق وصراع بعثات التبشير ، مجلة الهلال عدد ٥ ، ٦ سنة ١٩٦٥ .

(٢) سليمان ، د . وليم ، تيارات الفكر المسيحي في الواقع المصري ، مجلة الطليعة عدد ١٢ السنة الثانية .

(٣) شاتلييه ، أ . ل ، الغارة على العالم الاسلامي ، تعر : مساعد اليافي ، ومحب الدين الخطيب (بغداد ١٣٥٠هـ) ص١٢١ .

يوما ما مسيحية ، فايدت كل الحكومات وصورت انتصارات الغرب هـي انتصارات المسيحية وعندما بدأت الهزائم تزعزع اركان هذه الدول تحت ضربات الاستقلال والحرية ؟ فقد اتباع الكنيسة الثقة بالمسيحية وفقدوا الثقة بالخالق العظيم فبدأت تختمر في ضمائر هؤلاء الاتباع علائم القلق والتمرد اللاأخلاقي واخذوا يبحثون عن يقين جديد يريح نفوسهم المعذبة (٤) صحيح ان بعض المبشرين ـ وهم قلة ـ رحلوا عن بلادهم بدافع الايمان ولكنهم كانوا في الواقع ادوات جاهلة لاهداف خبيثة ! اما الاخرون فقد جاءوا الينا يجمعهم رغم اختلاف مذاهبهم كره عميق للاسلام والمسلمين تحدر اليهم من اجدادهم الصليبين الذين استنفرهم البابا (اربان الثاني) لتخليص ضريح المسيح ربهم ومنقذهم !! من ايدى الامم النجسة ، أما الاحفاد الحاليون فلم يأتوا لتخليص الضريح بل لتسمين عجلهم الذهبي من دمائنا وخيراتنا • وبعضهم جاء بعد فشله في حياته الخاصة وركب سفينة المغامرة حالما بليالى الف ليلة وحرامي بغداد والبساط السحرى ومصباح علاء الدين الذى انطفأ هنا واشتعل هنال بزيتنا فاضاء صالات الملذات لعواصم الغرب وبعضهم جاء وهو يعي مهمته غير المشرفة •• فوضع حول رقبته الغليضة صليبا وحول جثته لباس الكهنوت واحتمى حلف متاريس السفارات فكان عيناً واذنا وقلبا للاستعمار • بعضهم في غاية الذكاء والمهارة والقابلية ، وبعضهم في غاية الغباء والحمق والسخف توحدوا جميعا ضد العالم الاسلامي •• وهذه نماذج من افكارهم :

لطفي ليفونيان يقول : « ان المسلمين جهلة لانهم يعتقدون التنزيه في الله تعالى»(٥) .

ـ اما نلسن فيقول : « الاسلام مقلد وان احسن ما فيه مأخوذ من

---

(٤) سليمان د • وليم ، ن • م •

(٥) فروخ ، د • عمر ، واخرون ، التبشير والاستعمار •

النصرانية وسائر ما فيه اخذ من الوثنية كما هو او مع شيء من التبديل» [٦]

ـ اما جسب الامريكي فيقول : « ان الاسلام مبنى على الاحاديث اكثر مما هو مبنى على القرآن . ولكننا اذا حذفنا الاحاديث الكاذبة لم يبق من الاسلام شيء »[٧] .

ـ اما ف . ج . هاربر فيقول : « ان محمداً كان في الحقيقة عابد اصنام ، ذلك لان ادراكه لله في الواقع كاريكاتور » [٨] .

هذه نماذج قليلة من افكار المبشرين لاتحتاج الى تعليق ، فتامل وتدبر ...

ماهو الباعث الحقيقي للتبشير ؟

الباعث الحقيقي الوحيد هو السيطرة الاقتصادية والسياسية فمهما تعددت الوسائل فالغاية واحدة ،وقد نشرت المجلة التبشيرية (العالم الاسلامي) عند كلامها حول جمعية التبشير الكنيسة الانكليزية فقالت : « وقد كان لمبشري هذه الجمعية القدح المعلى في توسيع نطاق المستعمرات الانكليزية بأواسط افريقية وغربها [٩] فلتقر عيون البابوات ما دام تلاميذهم قد ادوا واجبهم باخلاص ! . ومما قاله (اللورد بلفور) رئيس شرف مؤتمر ادنبرج عام ١٩١٠ « ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في امور هامة ولولاهم لتعذر ان تقاوم كثيراً من العقبات» [١٠] ليس أدل من هذا التصريح في كشف العلاقة الوثيقة بين المبشرين والحكومات الاستعمارية . وارى ان لكل دولة سفارتين . سفارة يرفرف فوق سطحها علم ، وسفارة يقرع فوق برجها ناقوس . وقال القس سيمون : «ان الوحدة الاسلامية تجمع امال الشعوب السمر وتساعدهم على التملص من السيطرة الاوربية ولذلك كان التبشير

---

(٦) ، (٧) ، (٨) فروخ ، د . عمر واخرون ن . م .
(٩) شاتلييه ، ن .م ص ١٠٦ .
(١٠) ايضا ص ٦٢ .

عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة »[11] شكرا لهذه الصراحة •
كثيرا ما سبق المبشرون الجيوش الاستعمارية فكانوا ممهدى الطـــريق ، وبعضهم فضل ان تسبقه الجيوش لان ذلك اكثر فعالية لهم فيحتمـــون بالسلطات المحتلة كما حدث في مصر والسودان وسائر افريقيا وبعض بلدان آسيا • حمت هذه السلطات المبشرين مهما كان مذهبهـــم : بروتستانتيا او كاثوليكيا لان الدين او المذهب لايهم هذه السلطات بقدر ما تهمها مصالحها • فكلما تضافر اصابع الكف الواحدة لاعتصار الليمونة تظافرت السلطـــات المحتلة والمبشرون والطابور الخامس والحكام الخونة لاعتصار الشـــعوب الاسلامية وغير الاسلامية • فالمبشرون رأس رمح حكوماتهم لطعن قلـــب البلاد الاسلامية وغير الاسلامية • وعملت الحكومات الاجنبية على حمايـــة هذه الارساليات عند اول بادرة تشير الى الانتباه الى خطرها • فقد تدخلت امريكا منذعام ١٨٤٠ في شؤون تركيا ففرضت عليها (معاهدة الامتيازات الاجنبية) لتحمي النشاط التخريبي للجمعيات التبشيرية • ورغم نفـــي المبشرين وجود علاقة لهم مع حكوماتهم فقد كذبت الوقائع هذا الادعـــاء المزيف ، اذ كثيرا ما لجأ المبشرون الى سفارات بلدانهم بصفتهم رعايا هـــذه البلدان عند تعرضهم الى المضايقة • ولقد ساهم المبشرون في شتى الحروب والاضطرابات التي وقعت في العالم واستغلوها لتثبيت اقدام الاستعمار فكانوا له جواسيسا في مجال السياسة والاقتصاد والدفاع • وكانوا الاصابع التي اشعلت نيران الدموية في العالم الاسلامي كما في مذبحة ١٨٦٠ في لبنان الذي لازال يعاني الآم ومآسي الطائفية وما يعانيه الان جنوب الســـودان وكثير من مناطق اسيا وافريقيا •

---

(١١) فروخ •• ن • م ص ٣٧ •

اساليب المبشرين

من الصعب تحديد اسلوب واحد لجميع الارساليات التبشيرية بمختلف مذاهبها والاستعمار الذى تخدمه والبلدان التى تعمل فيها • فقد تغيرت اساليبها تبعا لتغير الاوضاع والظروف فى كل بلد دنست تربته • ويمكن ـ دون تحفظ ـ ربط تطور اساليبها بتطور اساليب الاستعمار فهى جزء منها ومكملة لها • فانتعاش ارسالية تبشيرية يرتبط بانتعاش احد اذرع الاخطبوط الاستعمارى • وصراع الارساليات وتحالفها يفهم من خلال صراع وتحالف الدول الاستعمارية • فهي تتحالف لصيد الفريسة وتتقاتل عند اقتسامها • فلم تتورع عن استخدام اقذر الاساليب دون وازع من ضمير او دين او مذهب •• ولتكوين صورة عامة عن هذه الاساليب فلنحاول ان نمسك بالخيوط المعقدة والمتشابكة لنرى اين تؤدي ؟

١ ـ التبشير واوضاعنا الاجتماعية

لا تعمل الارساليات في فراغ •• بل فى مجتمعنا ، فى ظل ظروفنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فدرست ظروفنا المختلفة فافلحت فى تشخيص الكثير من مشاكلنا ولكنها اخطأت فى ايجاد الحلول الصحيحة •• ودرست التركيب الديني والمذهبي والطائفي والطبقي لعالمنا الاسلامي • ودرست ديننا وتاريخنا ولغتنا ونفسياتنا ولم تنس دراسة ما تحتويه ارضنا فكانوا ديدان العلق التى جثمت على صدورنا فامتصت دمائنا ونحن فى سبات اهل الكهف لا ندرى ماذا يجرى لنا ولعالمنا •• لقد كان المبشرون الطبيب الذى تسمع دقات قلوبنا ولكن اعطانا الدواء سماً • درسوا مناخنا الاجتماعي ثم عكفوا على وضع الخطط المنظمة[١٢] الناعمة كالافعى والمتلونة كالحرباء ثم اندسوا يعملون •• يتحككون بنا محاولين الحصول

---

(١٢) شاتلييه ، ن • م ص ٢٤ •

على مودتنا فيستخدمون فريقاً منا في مكاتب التبشير ويدخلون معنا في مناقشات دينية ، الا انهم لا يجرحون عواطفنا [١٣] ولم يجرحوا عواطفنا ما دام ضرع بقرتنا الحلوب يسكب اللبن الدهين في اوانيهم . كما انهم عقلاء الى درجة انهم يدرسون اخطائهم ويضعون لها حلولاً ، فلا يكاد مبشر يرحل لسبب أو لآخر حتى تجد مبشراً آخر يأتي فى اعقابه ليبدأ من حيث انتهى سلفه وليصحح بعض اخطائه وليقوم بمجهودات أكثر خطورة على كيان البلاد »[١٤] .

٢ ـ تكوين كادر مخلص :

في البداية كان تنفيذ مهمة الاستعمار في السيطر السياسية والاقتصادية، يقع على عاتق الارساليات التبشيرية ، ثم عملت هذه الارساليات على اعداد فريق من ابناء البلاد التي يدخلونها اعداداً ثقافياً وفنياً وسياسياً يستطيع ادارة دولاب الجهاز الرسمي ويقوم بتنفيذ مهمة الاستعمار بصورة غير مباشرة ، فاوجدت : « .. جيلاً جديداً من رجال الدين يتكلمون ويخطبون وينطقون بلسان عربي مبين واوجدت طبقة ممتازة من الادباء والشعراء يستخدمون معانيهم والفاظهم من ذخيرة اللغة العربية .. »[١٥] استطاعت ذلك عن طريق بعض البعثات التي ارسلتها الى الغرب وعلى حسابها الخاص ، وعن طريق المبعوثين غير الواعين ، وعن طريق جامعاتها ومعاهدها في العالم الاسلامي .

٣ ـ التبشير والتعليم :

قال المستر برونز (ت ١٩٥٤) والذى كان رئيس الجامعة الامريكية

---

(١٣) ايضا ص٤٨ .

(١٤) نوار ، د . عبدالعزيز ن . م .

(١٥) شريف ، د . محمد بديع ، الصراع بين الموالى والعرب (القاهرة ١٩٥٤م) ص ١٩٢ .

في بيروت « لقد برهن التعليم على انه اثمن الوسائل التي استطاع المبشرون ان يلجأوا اليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان .. »[١٦] اما المبشر جسب فقد قال : « ان المدارس شرط اساسي لنجاح التبشير وهي بعد هذا واسطة لا غاية في نفسها . لقـد كانت المدارس تسعى بالاضافة الى التبشير دق الاسفين ، وكانت على الحقيقة كذلك في ادخال الانجيل الى مناطق كثيرة ، لم يكن بالامكان ان يصل اليها الانجيل او المبشرون عن طريق آخر »[١٧] هذه الآراء الصريحة تعبر عن مدى الاستغلال البشع لطموح الشعوب الى نعمة العلم العظيمة . ويظهر خطر هذا الاستغلال عند توجه اطفالنا وهم بعد مادة خام لا يفقهون شيئاً عن دينهم ودنياهم فيترعرعون وقـد تغذوا بافكار تجرفهم عن دينهم . ومدارس المبشرين ليست علمانية ولا تلتزم بدراسة المناهج الرسمية ولا تتورع عن طعن معتقداتنا وتاريخنا وتراثنا ، وتعمل على تنشئة اجيال تربط خيولها بعربة الاستعمار .

فلو اخذنا ـ كمثال ـ الجامعة الامريكية في بيروت ، وهي مؤسسة بشيرية امريكية ، لرأيناها قد أبـدت الاحلاف الغربية والنقطة الرابعـة واسرائيل ، وهاجمت تأميم قناة السويس ، وصفقة الاسلحة المصرية مع روسيا وجيكوسلوفاكيا ، وقضية فلسطين . ولرأيناها تعاقب كل طالب يشترك في نشاط سياسي معاد للغرب مهما كان معتقده السياسي ، وليس هناك أدل من هذه المواقف على ان هذه المؤسسة احدى قواعد الغزو الثقافي للاستعمار الامريكي . وما يصدق على هذه المؤسسة يصدق على الآخريات تدرجا من الروضة حتى الجامعة ...

٤ ـ التبشير والتطبيب :

يستطيع الطبيب الوصـول الى أناس من شتى الطبقـات والمستويات ،

---

(١٦) فروخ .. ن. م . ص٤٦ .
(١٧) ايضا .

فاستغل المبشرون الطب من وسيلة لتخفيف آلام البشر الى وسيلة للتبشير ، فحولوا المستشفيات والمستوصفات الى مراكز تبشيرية تعطي قنينة الدواء باسم الاب والابن والروح القدس . وحرصوا على استخدام اطباء ذوي كفاءة واختصاص عاليين لكسب الثقة ، ولم ينسوا استخدام الطبيبات والممرضات في مهامهم اذ ان جنسهن اللطيف اكثر فائدة من جنسهم الخشن !

٥ ـ التبشير والاقليات الدينية والقومية :

أدرك المبشرون من خلال دراساتهم لاوضاعنا انهم يستطيعون استغلال عدم حل مشكلة الاقليات كأداة لتنفيذ مخططاتهم الاجرامية . فاستغلوا فترة الاحتلال لتنصيب ابناء هذه الاقليات في الجهاز الحكومي لضمان تأييدهم وتأجيج نيران الحقد والتعصب والكره بينهم وبين المسلمين . فاستغلوا فترة التضييق والتخلف السياسي للوقوف ضد بلدانهم التي عاشوا فيها مع المسلمين . فكانت كل دولة استعمارية تبشر لمذهبها تمهيدا لبسط نفوذها ف « كانت خطة المسؤولين الفرنسيين تهدف الى تحويل الاقليات المسيحية في العراق الى الكاثوليكية . وربط الكاثوليك في الشرق برباط التبعية المباشرة لبابا روما ولحكومة فرنسا »[١٨] و « .. وكان النشاط الكاثوليكي التبشيري في العراق يرتفع عندما ترتفع قيمة العراق في مجال التنافس الاستعماري ويضعف ذلك النشاط اذا ضعفت قيمة العراق بالنسبة لفرنسا »[١٩] وتوجه المبشرون البروتستانت الى سلطرة العراق وحرضوهم على رفع راية الانفصال عن الدولة العثمانية وطلب الحماية الانجليزية .. فتعرضوا الى المذابح المؤسفة فكانوا ضحية جاهلة لمخططات الانكليز واستغلوا

---

(١٨) نوار ، د٠عبدالعزيز ، ن ٠م عدد ٥ ص ٢٩ ٠

(١٩) ايضا ص٣٤ ٠

كأداة للضغط السياسى على الحكومة العثمانية • وهكذا كان العالم الاسلامي ساحة حرب بين الدول الاستعمارية وقع ضحيتها المسلمون وغير المسلمين •

٦ ـ التبشير والتقدم المادى :

من المعروف ان المسيحية ليست دينا اجتماعيا ، وبعكسها الاسلام الذى يعمل على تنظيم العلاقات الاجتماعية فلا يرفض او يخاف التقدم المادى • اما المبشرون فيقلبون الآية فيصورون تقدمنا المادى قد تم بفضل الحضارة المسيحية فيجب الاعتراف بفضل الغرب المسيحي واقتباس نظامه السياسى والاقتصادى ••

٧ ـ التبشير والنشاط الاجتماعي :

امتدت أذرع الاخطبوط التبشيرى الى الحياة الاجتماعية ، الى الصلات اليومية •• فاتصلوا بالاطفال فى رياضهم ومدارسهم ، في جدهم ولهوهم ، اتصلوا بالمرأة فى البيت وخارجه • اتصلوا بالشاب طالبا ورياضيا • اتصلوا بالموظف والعاطل • أسسوا جمعية الشبان المبيحين والشابات المسيحيات تضم المسلمين والمسيحيين ! زودوها بالمكتبات والمسابح والملاعب فأقاموا الفرق الرياضية والكشفية • وأحيوا الحفلات ، ونظموا المسابقات والسفرات ، وعقدوا الندوات والمحاضرات • أسسوا النوادي الثقافية والترفيهية حيث الاغراء والمشهيات ! وتوسلوا بأعمال البر والاحسان • وتوجهوا الى المدينة حيث يحتشد السكان ، والى الريف حيث عاشوا مع الفلاحين !• هذه الاساليب أخطر وأخبث من الاساليب المباشرة • فالاولى تتسلل الى القلوب بهدوء وليونة فتكون أكثر فعالية ، والثانية تجعل النفوس تنفر وتهرب •

٨ ـ التبشير والنشاط الثقافى والفكرى

للمبشرين صحفهم الخاصة ومطابعهم الخاصة • رعوا الاستشراق واحتضنوا الحركات الفكرية المشبوهة فى الادب والفن والتاريخ

والاجتماع • فعملوا بدأب واصرار على محاربة تراثنا وتأريخنا ولغتنا ودينا •• اقتلوا المشكلات واقترحوا الحلول التي هي في نفس الوقت مشكلات اخرى ، وعملوا على توجيه الانظار والافكار الى نواحي تافهة لتمييع القضية الرئيسية •• فصرفوا الانتباه عن الواقع الى اللا واقع • دعوا الى الكتابة باللهجة العامية والحروف اللاتينية فانساق البعض عن غفلة وجهل وراء هذه الحركات المخربة • دعوا الى حركات سياسية وفكرية مشبوهة لتفرقة الصف وتفتيت النهضة المعادية للاستعمار فاحتضنوا الحركة الفرعونية في مصر والفينيقية في سوريا والآشورية في العراق • لقد نبشوا القبور ليوقظوا الهياكل النخرة على اقدامها المتداعية •

يمكن فهم الترابط الوثيق بين التبشير والاستشراق والاستعمار اذا عرفنا ، ان حركة الاستشراق بدأت مع الاستعمار الاوربي للعالم الشرقي • وكان على اوربا أن تفهم هذه الدول التي تغزوها حتى تستطيع أن تحكمها •• وقد يحدث أن يتحول الاستشراق من عملية استكشاف فكرية لعالم مغزو ، الى دراسات خالصة لوجه العلم ، ولكننا على أي حال لا نستطيع ابداً أن نتجاهل تلك البداية المريبة حتى ونحن نقرأ دراسات المستشرقين يمجدون التراث العربي »[٢٠] • وغالبا ما جرت عملية الاستشراق تحت رعاية المؤسسات التبشيرية فأعد المستشرقون اعدادا خاصا لهذه المهمة • والفرق الظاهر بين التبشير والاستشراق ، ان الاستشراق أخذ صورة البحث وادعى لبحثه الطابع العلمي الاكاديمي ، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة •• »[٢١] • ونقطة الالتقاء بينهما ان كلاهما دعوة الى توهين

---

(٢٠) صالح ، احمد عباس ، التعصب والخيانة ، مجلة الكاتب القاهرية عدد سنة ١٩٦٦ •

(٢١) احمد ، ابراهيم خليل ، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والاسلامي (القاهرة ١٩٦٤م) ص٤٠ •

القيم الاسلامية ، والغض من اللغة العربية ، وخلق تخاذل روحي ومعنوي ، وايجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية »[٢٢] وقد كتب ابراهيم خليل احمد[*] ان « واجب المؤسسات الاسلامية ورجال الدين تتبع انتاجات المستشرقين والرد عليهم.. واصدار دائرة معارف اسلامية وقاموس اسلامي واصدار مجلة للرد على المستشرقين »[٢٣] . ومن المؤسف ان بعض المثقفين والمشتغلين في الدراسات الاسلامية لا يتناولون نتاجات المستشرقين بالحذر والحيطة الواجبة . وقد نقل الدكتور محسن جمال الدين عن دي كاسترى الذي يقال عنه انه من محبي الاسلام ، نصيحته الى « الدول الاوروباوية التي تميل الى التوسع في الاستعمار أن تتعرف ديانة رعاياها أو اصدقاءها المسلمين (؟) كما ينبغي ، اذ الدول لا تزال حتى الساعة على اعتقادها الذي كانت عليه ايام القرون الوسطى ـ وهو أن الاسلام صورة من صور الديانة الوثنية »[٢٤] . هذه هي نصيحة أحد المستشرقين المحبين للاسلام ! فكيف هي نصائح الذين فاضت قلوبهم الحقد على الاسلام والمسلمين ؟

التبشير في العصر الحاضر :

قد يعترض البعض : ان عصر التبشير قد انقضى ؛ فلم نعد نصطدم بالمبشرين وجها لوجه .. فلا داعي للخوف والقلق . هذا التفكير خاطئ . فالتبشير كاداة للاستعمار قد تغيرت اساليبه بتغير الاستعمار . فبعد ان كان يعتمد على التبشير اعتمادا كبيرا مباشرا امسى يحتل المركز الخلفي فيكتفي في الوقت الحاضر بالتعاون مع اجهزة الاعلام الاستعمارية في محاربة

---

(٢٢) ايضا ص ٧٥ .

(*) كان قسيسا فاعلن اسلامه .

(٢٣) ن . م ، ص ١٠٤ .

(٢٤) جمال الدين ، د . محسن ، المستشرقون والاماكن المقدسة (بغداد ١٩٦٧) ص٢١ .

السياسة المعادية للاستعمار وتشويه الثقافة الاسلامية • والعمل على تزييف التراث الفكرى والحضارة الاسلامية وتهيئة قادة للبلاد يتبنون المصالح الاستعمارّية ، والقيام بجمع المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية لبلدانها ، وخلق الاضطرابات السياسية والدينية والطائفية ••

والحل : واضح • الضرب بشدة ودون رحمة لكل النشاطات المشبوهة لهذه المؤسسات وغيرها ، ورميها خارج حدودنا وغلق الابواب والنوافذ بوجهها وبذلك نكتسب المناعة الصحية فلا نخشى الاصابة بالوباء !

● حينما نمكن لانفسنا فنكون سادة الارض لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ، الدين المعترف بوحدانية الله ، الذى ارتبط حظنا باختياره ايانا ، كما ربط مصير العالم • ولهذا السبب يجب أن نحطم كل عقد الايمان •

● ان الاسرائيلي معتبر عند الله أفضل من الملائكة ، وانه جزء من الله والفرق بين درجة الانسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودى وغير اليهودى ، والشعب المختار هم اليهود فقط أما بقية الشعوب فهو حيوانات أو «جوييم» •

عن : (مقررات حكماء صهيون)

مبدأ الإباحة العامة في الثروات الطبيعية

محمد مهدي الآصفي

- ٢ -

ومما تقدم يتضح لنا ان الغرض من اباحة الثروات الطبيعية في الشريعة الاسلامية هي الملكية العامة والحق العام لاستغلال هذه الموارد .

وهذا الحق يمنع من الاستغلال الفردي والاستغلال الطبقي لهذه الموارد باي شكل من الاشكال ، اذا كان في هذا الاستغلال ضرر على الامة .

الاطار الحضاري والموضوعات الفقهية :

والضرر الفردي قد يكون طفيفاً في ميزان المسائل الاجتماعية ، ولايمنع من الاستغلال الفردي او الطبقي ، ولكن هذا الضرر حينما يصيب الجماعة والامة في اوسع اطار اجتماعي يتضاعف ويزداد خطره في ميزان المسائل الاجتماعية ، ويثير الرأي العام مع ان مادة المشكلة هي شيء واحد أن لم تخف ، ولكن تحول المشكلة من حياة الفرد الى حياة الجماعة ادى الى تضخم المشكلة .

واذا كان الطابع العام للحياة قبل هذا اليوم فرديا .. فأن الطابع العام لحياة اليوم يعتبر اجتماعيا ، والاطار الحضاري قد تبدل من وضعيته الى وضعية اخرى وذلك يقتضينا ان نبدل كثيراً من المفاهيم التي كنا نرجع في فهم معناه الى العرف الحضاري القديم .

فالحاجة والضرر كانتا تفهمان قبل هذا في اطار فردي ضيق،ونفهمهما

اليوم ضمن اطار حضارى آخر ، وعلى صعيد اجتماعي جديد فماكنا بالامس لانعتبره ضررا يعتبر اليوم ضررا على كيان المجتمع ، وماكنا بالامس لانعده حاجة يعتبر اليوم حاجة تختل من دونها الحياة الاجتماعية .

فلا يمكننا اذن ان نفصل الحاجة والضرر عن اطارهما الحضارى ، وان ندرسهما بصورة مستقلة ، من دون أن نأخذ الاطار الحضارى بنظر الاعتبار .

نظام التوزيع (القسمة) :

فحين يعتبر الرأى العام نوعا من الاستغلال الفردى للثروات العامة ضررا على الحياة الاجتماعية تمنع منه الدولة الاسلامية ، وتنظمه بشكل يعود نفعه على الامة عامة ، وتفرض نظام التوزيع (القسمة) بين المستهلكين والمستفيدين من موارد الثروة العامة .

وقد ارتضى هذا النظام ، فيما اذا دعت الحاجة اليه عدد من الفقهاء كما فى الشرائع والايضاح واللمعة والدروس والمسالك وجامع المقاصد[1] .

ولا تتم عملية التوزيع فى كثير من الاحوال دون ان تتدخل السلطة فى الامر ، وتباشر الاشراف على توزيع الثروة على قطاعات الامة من المستهلكين .

(وفي التذكرة عن بعض علمائنا ان الحاكم ينصب من يقسم)[2] ولا يتأتى للباحث ان يعرض صورة تفصيلية عن عملية توزيع الثروه الطبيعية فى المجتمع الاسلامي قبل ان يمارس النظام الاسلامي تجربة الادارة والحكم فى الحياة الاجتماعية .

---

(١) راجع جواهر الكلام جـ ٦ بحث احياء الموات .

(٢) جواهر الكلام جـ ٦ كتاب احياء الموات .

ويكفينا ان نحدد في هذا المجال أبعاد النظرية الاسلامية في مـــوارد الثروة الطبيعية ، ونترك تحديد الشـكل التطبيقي لهذه النظرية الى ظروفها الخاصة ، حتى يتاح لهذا النظام ان يمارس حقه الطبيعي من الحكم والادارة والتنظيم في المجتمع الاسلامي .

* * *

والآن ، بعد ان استوفينا الحديث عن الجانب الاول من هذا البحث ننتقل الى الحديث عن الجانب الثاني من هذا البحث .

فقد سبق ان ذكرنا ان منهجة البحث تقتضينا ان نبحث في جانبين : الجانب الاول في معنى الاباحة والاشتراك .

الجانب الثاني في تحديد الثروات التي يعرضها حكـــم الاباحـــة العامة . وقد انتهينا من الشوط الاول من هذا البحث، وبقي علينا ان ننتقل الى البحث عن الجانب الثاني من هذه الدراسة .

العمل الذي ينفرد به الاسلام :

وقبل ان نحدّد هذه الثروات التي اباحها الاسلام للمسلمين عامة او الناس عامة يجب ان نعلم أن الاسلام لايؤمن بمبدأ اباحة الثروات وشيوعية المال في المجتمع .

وانما يحصر الاباحة في جزء من الثروات العامة ، تكثـر ـ عادة ـ حاجة الناس اليها ، وتكون في معرض الاحتكار من قبل الفئات الرأسمالية، وتؤدي الى التضخم المالي عند طبقة خاصة من المجتمع .

وفيما عدى هذه الثروات لايمنع الاسلام من الملكية الفردية . فيقر اصل الملكية في جزء من الثروة بدافع الضرورة الاجتماعية ، التي لاتزال تعاني منها الشيوعية والمذاهب الاشتراكية الاخرى ، ويتخذ معها احتياطات تشريعية من الداخل والخارج ، ليحفظ سلامة المجتمع من الناحية المالية ، ويمنع من تضخم الثروة في البلاد لحساب فئة خاصة .

ويمنع من الاستغلال الفردي للموارد الطبيعية العامة ، لما يؤدي اليه

من تعريض هذه الثروات للاحتكار من قبل الفئات الرأسمالية ، وتعريض الفئات الاخرى من المجتمع للحرمان .. المشكلة التي تعاني منها الرأسمالية بمرارة ـ والتي تعرض الرأسمالية للتفسخ والتفتت بصورة سريعة .

وبذلك فقد أنفرد الاسلام بحل وسط بين النظم الاشتراكية والرأسمالية ، يتلخص في تقرير مبدء الاباحة العامة في الثروات العامة والابقاء على نظام الملكية الفردية فيما عدى ذلك من الثروات ، مع تعديل هذا الاخير بشكل لا يؤدي الى تورم الملكية الفردية في المجتمع الاسلامي ، والمحافظة على مستويات الملكية لدى مختلف فئات المجتمع .

* * *

واما الثروات الطبيعية التي تقع بمعرض الاحتكار والاستغلال الفردي ، فيعلن الاسلام فيها حق الملكية الفردية ، ويعتبرها ملكا للناس عامة ، سواسية ، حسب تعبير النبي صلى الله عليه وآله .

وبنحو من تنقيح المناط ، بعد دراسة الايات والاحاديث وكلمات الفقهاء التي وردت في هذا الباب ـ والتي اوردنا جملة منها صدر هذا الحديث .. نستطيع ان نتبين أن اصل الاباحة لم ينصب على الماء والكلاء والنار بهذه العناوين ، وانما ينصب على جهة تحوي هذه الاشياء عامة ، وتحوى غيرها .

ولكي نحدد هذه الثروات التي يعرضها في الشريعة حكم الاباحة العامة يجب قبل كل شيء ان نحدد هذه الجهة التي ينصب عليها الحكم ، لننطلق منها الى معرفة اعيان هذه الثروات ومواردها وحدودها ، محافظة على منهجة البحث ، وانتظام حلقاته .

حديث المعدن :

ولئلا يطول بنا المقام في هذا الجزء من البحث نحاول ان نتخذ من حديث حنان السابق منطلقا لدراسة الجهة التي ينصب عليها اصل الاباحة **في التشريع الاسلامي .**

ولهذا الغرض فسوف نعرض الحديث من جديد ، لتملاّها بدقة وعمق ، ولنتبين من خلالها ابعاد هذه الجهة التى تصلح ان تكون مصبا لاصل الاباحة فى التشريع الاسلامى .

فقد روى عن حنان انه قال : « استقطعت رسول الله (ص) معدنا من الملح بمازن فاقطعنيه .

فقلت : يارسول الله انه بمنزلة الماء العد .

فقال رسول الله : فلا ، اذن .

والماء العد الماء الذى لاينقطع ، ولا يحتاج الى عمل لاستخراجه .

وبملاحظة الرواية نجد ان رسول الله (ص) استجاب للمرة الاولى لطلب حنان ، فأقطعه المملحة ، ليختص بها ، وليستغلها ، فوق حاجته الشخصية . ولما اخبره حنان انه بمنزلة الماء العد امتنع النبي (ص) من اقطاعه اياه واسترده منه .

الماء العد :

وبالتأمل فى هذه الرواية نجد ان كلمة (بمنزلة الماء العد) نقطة هامة فى البحث ، لفهم الجملة التى تعرضها الاباحة فى الشريعة الاسلامية ، ومنها يجب ان ننطلق الى فهم الايات الكريمة والروايات واقوال الفقهاء ، رحمهم الله .

وفي الماء العد او ما يكون بمنزلته حسب تعبير حنان يتوفر عنصران :

العنصر الاول الحاجة . فالماء وما يكون بمنزلته كالملح والنار والكلاء يعتبر من اهم حاجات الانسان في الحياة .

ولا يحتاج الباحث الى جهد كثير ليفهم الحاجة ، بهذا المعنى من كلمة (أنه بمنزلة الماء العد) .

الاعداد الطبيعي :

والعنصر الثاني هو (الاعداد الطبيعي) .

والثروات التي ينجز اعدادها في مصانع الطبيعة الضخمة تتوفر بصورة غير محدودة وواسعة في الارض كالماء والملح والنفط ، لتكون يمتناول الانسان بوفرة وسهولة .

وليس الغرض من التهيئة الطبيعية الانجاز الطبيعي الكامل الذي لا يحتاج الى جهد بشري .

فلا يمكن أن يتم انتاج ، عدا حالات نادرة ، من غير أن يتدخل الجهد البشري في انجازه وتكميل صنعه .

فلا يمكن الاستفادة من الماء والملح والحديد مثلا ، ولا يتم انجازه للاستهلاك دون أن يتدخل عنصر الجهد البشري في اعداده للاستهلاك بشكل من الاشكال كالاسالة والتصفية والحمل والصهر وتخليص المعدن من المواد الداخلية وغير ذلك .

ولا يمكن الاستفادة من البترول الا بعد القيام بجملة من العمليات الكيمياوية المعقدة ، حتى تتم تصفيته وتحويله الى عددكبير من المواد النافعة .

فلا يراد من الاعداد الطبيعي – اذن – ان تتم الطبيعة اعداد الثروات للاستهلاك ، وانما يراد به ان يسند العمل في جزء كبير منه الى الطبيعة ، وأن يتم تحضير مادة الثروة في الطبيعة ، ناجزة الصنع او قريبة منه .

اما الثروات التي ينجز صنعها الانسان بنفسه ، وبما يبذله من جهد ، ولا يتم انجاز مادتها في الطبيعة ، فلا تكون من المباحات العامة ، وذلك كالثروة الزراعية والصناعية والمواشي ، وما يتصل بذلك .

وأحال ان التفرقة بين هذين النوعين يمكان من الوضوح فالثروات التي يتم انجازها في الطبيعة تتوفر مادتها ناجزة الصنع في الطبيعة او قريبة من ذلك .

بينما لا تتوفر مادة الطائفة الاخرى من الثروات في الطبيعة ، ولا ينجز اعدادها في الطبيعة ، وان كانت الطبيعة تسهم في اعدادها ، وأنما يتم انتاجها بالجهد البشري الذي يبذله العامل في انجازه اكثر من أي شيء آخر • ولا يتوفر لدى المنتجين الا في حدود الجهد الذي يبذله الانسان في الانتاج •

تورم الثروه :

واذا علمنا ان التشريع الاسلامي يضمن توفير العمل ، ويعمل على اتاحة الفرصة الكافية لمختلف طبقات الامة لممارسة حقهم في العمل والانتاج ••• لم يبق بعد ما يشككنا في امكان تفتيت الاحتكارات الرأسمالية الكبيرة في ظلال مجتمع اسلامي •

فلا يكاد ان يتوفر هذا القسم من الثروة للمنتجين الا بنسبة الجهد الذي يبذله العامل في الانتاج •

بينما لا يتم توفير الثروات المعدة في الطبيعة بنسبة الجهد المبذول من قبل المنتجين ، وانما تتوفر لهم بما تسمح لهم ظروفهم الاجتماعية والمالية من استغلال هذه الثروات والاستيلاء عليها ، نظراً لسبق الاعداد الطبيعي لعملية الحيازة والاستيلاء •

ومثل هذا الحق في الاستيلاء على الموارد الطبيعية يؤدي الى تورم الثروة لدى الطبقات المستغلة ، وحرمان الطبقات الاخرى من هذه الموارد •

هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فان الثروة الطبيعية تتوفر في الطبيعة بصورة وافرة ، وليس كذلك موارد الثروة الاخرى التي يتم انجازها بالجهد البشري ، فانها لا تتوفر الا بصورة شحيحة نسبياً ، وبقدر الجهد المبذول في اعدادها ، اذا قارنها الى موارد الثروة الطبيعية •

وطبيعي ان ذلك يعني ان حق الاستيلاء على موارد الثروة العامة

واستغلالها ، وتملك هذه الموارد يؤدي الى التضخم المالي في ايدي المستغلين اكثر من أي شيء آخر .

* * *

فالاباحة أذن تنصب على هذه الجهة المركبة من عنصري (الحاجة) و (الاعداد الطبيعي) ، وهي التي عبّر عنها (حنان) بقوله انه (بمنزلة الماء العد) .

ولم يكن من الصدفة ان التفت حنان الى هذه الجهة .

والحديث الذي جرى بين النبي (ص) وحنان يدل على أن حنان كان قد سمع أن المعدن اذا كان بمنزلة الماء العد فلا يجوز اقطاعه لاحد . وحينما اجابه النبي (ص) على طلبه أحبّ أن يتأكد من ذلك ، فقال للنبي : انه بمنزلة الماء العد ، فرفض النبي (ص) ان يقطعه أياه .

فلا تنصب الاباحة ـ اذن ـ على الماء والكلاء والنار ، فحسب ، وانما تنصب قبل ذلك على هذه الجهة المركبة من عنصري (الحاجة البشرية) و (الاعداد الطبيعي) ، سواء توفرت هذه الجهة في الماء والكلاء والنار أم غير هذه الامور .

ولذلك نجد ان بعض الروايات تدخل الملح في عداد المشتركات ، وتهمله روايات اخرى ، كما مرّ علينا صدر الحديث ، ممّا يؤكد لنا ان الروايات ليست بصدد احصاء عامة المشتركات وموارد الثروة الطبيعية ، بقدر ماهي بصدد اعطاء مقاييس عامة لمعرفة الثروات الطبيعية المشتركة بين الناس .

وقد يتجاوز الفقهاء عن المذكور في الروايات من المشتركات الى المعادن الظاهرة (كالملح ، والنفط ، والقار ، والمومياء ، والكحل ، والبرام ، والياقوت وغيرها [٣] ويقولون باباحتها ، ويستندون بعد على هذه الاحاديث .

وليس في هذه الاحاديث ذكر للنفط والكبريت والكحل وغيرها .

---

(٣) راجع كتاب جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي جـ٦ كتاب احياء الموات ، وكتاب مفتاح الكرامة للعاملي جـ ٧ ص ٤١ والمبسوط للشيخ الطوسي ومختلف العلامة الحلي كتاب احياء الموات .

الشرق الاسلامي في المسرحية البريطانية في القرن السابع عشر

ضياء الجبوري

محاضر الانكليزية في الكلية

أغلب المسرحيات الانكليزية التي تعرضت للشرق في القرن السابع عشر لم تكن دقيقة أو منصفة في تصويرها لأحواله أو طباع اهله أو افكارهم . ويرجع ذلك لاسباب عدة ، منها التعصب الديني ضد العقيدة الاسلامية ذلك التعصب الذي ساد أرجاء كثيرة من اوربا ، ومنها الخوف الذي ورثه الكتاب الانكليز عن اسلافهم في العصور الوسطى حين كانت الدولة العثمانية متوغلة في قلب اوربا . ومن الاسباب ايضا ندرة المصادر والكتب التي تبحث في شؤون العالم الشرقي عامة والشرق الاسلامي على الأخص واكتفاء المسرحيين بالمعلومات العامة الشائعة عن الشرقيين وتداولها دون التثبت من صحتها او دقتها .

ويجدر بنا ان نذكر ان الصورة الشرقية التي عكسها المسرح البريطاني في ذلك العصر والعصور التي سبقته قد تأثرت تأثراً عظيما بالعلاقات الاوربية ـ العثمانية . فالتوسعات الاسلامية في القرنين الخامس والسادس عشر وتغلغل الدولة العثمانية في اواسط اوربا[1] قد اقض

---

(١) استطاعت الدولة الاسلامية في عهد العثمانيين ان تبسط نفوذها في القرنين الخامس والسادس عشر على شمالي البحر الاسود ، وانتصر الاتراك على امراء (رومانيا) و (ترانسلفانيا) ، والحقوا (هنغاريا) بالدولة الاسلامية وأخذوا الجزية من ملك (بولندا) . وفي عام ١٦٨٣ حاصر الاتراك مدينة (فينا) الشهيرة وأوشكت على السقوط لولا تدخل الامير البولندي (جون سوبنسكي) الذي انقذها من هزيمة محققة .

مضاجع الاوربيين والانكليز معاً وأورث في نفوسهم الفزع والرعب من السيطرة الاسلامية ولهذا فقد اخذ الكثير من الادباء والمسرحيين يحقدون على الشرق وعلى كل ما يرد منه من عقائد أو مفاهيم . وكان القرآن الكريم في مقدمة الامور التي هاجمها ادباء ذلك العصر . ففي عام ١٦٤٩ ظهرت اول ترجمة للقرآن باللغة الانكليزية . وقد تصدر هذه الترجمة « تحذير » غريب للقراء الانكليز جاء فيه :

> اليكم ايها القراء كتاب محمد ... ترجم حديثا الى لغتنا الانكليزية ارضاءً لرغبات الذين يودون معرفة الاباطيل التركية ! وقد أضفنا لهذه الترجمة موجزاً لحياة (محمد) نبي الأتراك ومؤلف القرآن ، ونحن على ثقة من أن قراءة هذا القرآن لاتشكل اى خطر على معتقداتكم ، فقد ترجم من قبل الى عدة لغات اوربية حيث لم يقتنع بأفكاره أحد ولم يجتذب أي شخص للاسترشاد به[٢] .

ولقد ظهرت في هذه الفترة ايضا كتب عديدة عن الشرق ، منها ما كتبه الرحالة الانكليز الذين طافوا الشرق وكتبوا عنه ومنها ما ترجم عن الرحالة الاوربيين . وبالاضافة الى كتب الاسفار هذه فقد ظهرت مؤلفات اخرى وضعها بعض علماء الدين والمؤرخين والنقاد المهتمين بشؤون الشرق. الا ان هذه المؤلفات ادبية كانت أم تاريخية تتسم بروح عدائية تجاه الشرق للتشكيك عن تشويه المفاهيم والقيم والعادات الاسلامية . ولا يمكننا في هذا المجال حصر الكتب التي ظهرت آنذاك ، الا اننا نذكر هنا ابرز هذه

---

(2) A.J. Arberry, The Koran Interpreted (Lonodon, 1955) P. 11.

المؤلفات لكي يطلع القارىء عليها[٣] .

ورغم كل هذا التشويه ـ المقصود منه وغير المقصود ـ فلقـد بقي الشرق بالنسبة لكثير من الادباء الانكليز الاوائل لغزاً محيراً وموطناً للشجاعة الخارقة والمغامرة والحب العنيف. اذ ان المواضيع الشرقية أخذت تثير اهتمام الكتاب منذ القرن الرابع عشر . فكتب (جوسر) مثلا ، اقصوصة العمدة ، التي تدور حوادثها في منغوليا والتي لا يخالها القارىء الا قصة من قصص الف ليلة وليلة . وجاء بعده كتاب عديدون عالجوا الشرق بشكل اكثر تفصيلا منهم الشاعر (مارلو) الذي كتب مسلسلته الشهيرة (تيمور لنك) الزاخرة بالصور والشخصيات الشرقية والتي ما تزال تقرأ حتى يومنا هذا . وبلغ اهتمام (شكسبير) بالشرق ذروته حين كتب مسرحية (عطيل) التي تعتبر قمة الانتصارات المسرحية التي حققها هـذا الشاعر في الحقـل المسرحي . ومن المناسب ان نذكر ان الفترة ما بين عامي (١٥٧٩ و١٦٤٢) شهدت مولد اكثر من خمسين مسرحية كتبت حول مواضيع شرقية صرفة ، بالاضافة الى كتب الاسفار والسير والمقالات التي كتبها مشاهير العصر أمثال فرانسيس بيكون وهمفري بريدو ولانسلوت اندسن .

اما المسرحيات التي اتخذت من الشرق مادة لها فقد بالغت في تصوير الاحداث وشوهت الكثير من واقع الشرق وملامحه . فالشخصيات الشرقية في هذه المسرحيات كانت أقرب الى الخيال منها الى الواقع . وقد امتازت

---

(٣) اكثر الكتب التي لاقت رواجاً هي

Alexander Ross, A View of All the Religions in the World (1675).

Lancelot Addison, The Life and Death of Mahomet (1676).

Humphrey Prideaux, Life of Mahomet (1697).

هذه الشخصيات بالبطش الملحمي الشديد والحقد المتأجج والبطولات النادرة والعقول الشيطانية المدبرة • والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها شخصية (سليمان القانوني) في مسرحية (حصار رودس) لمؤلفها وليم دافننت ، هذه الشخصية التي يتهاوى امامها الاعداء والخصوم وشخصية (المنصور) في مسرحية (فتح غرناطة) التي امتازت بالحب الجارف العنيف والمغامرة الخطرة التي تفوق كل تصور • ومن الشخصيات الشرقية التي سيطرت على المسرح الانكليزي آنذاك شخصية (المفتي) في مسرحية (دون سباستيان) و (لؤلؤة) في مسرحية (امبراطورة مراكش) وشخصية البطل في مسرحية (مصطفى) • والذي يطالع هذه المسرحيات يرى ان مؤلفيها بالغوا في وصف مشاعر شخصياتهم وشوهوا أبعادها المسرحية تشويهاً جعلها تبدو شخصيات اسطورية لا تصدق •

وأسباب هذه المبالغة في التصوير المسرحي للشخصيات والاحداث كثيرة • منها تأثير المسرح الفرنسي للقرن السابع عشر الذي كان مفرطاً بالرومانسية والذي لاقى تقبلا واستحسانا كبيرين لدى الجمهور الانكليزي وعلى الاخص في عصر (عودة الملكية) • ومن الاسباب ايضا تطور (الاوبرا) الانكليزية التي اعتمدت الموسيقى والالوان والمشاهد المثيرة العنيفة وسيلة لها ، ولقد عثر مؤلفوا الاوبرا الانكليز على ضالتهم في المواضيع الشرقية التي هيأت لهم كثيراً من هذه المقومات • ولابد أن نذكر ان ثمة سببا آخر جعل المسرحيين يبالغون في تصوير الشخصيات الشرقية على المسرح وهو خلو ذلك العصر من الانتصارات والبطولات العسكرية التي كان يحلو للكتاب والمسرحيين ان يتغنوا بها ، لهذا انصرف الكتاب من عالم الواقع الذي اختفت البطولات منه الى عالم المسرح الذي أخذوا يغذونه بكل ما تصبوا اليه نفوسهم من بطولة ومغامرة وخيال • واصبح البطل المسرحي بعد هذا يقاتل العشرات وينتصر عليهم ويستطيع الافلات من قبضة اعدائه

ويقوم بأعمال كثيرة لا يقبلها العقل أو المنطق فى كثير من الاحيان .

اما عقائد اهل الشرق وافكارهم فانها لم تنقل بأمانة وصدق . وغالباً ما عرضها المسرحيون بشكل ساخر مشوه . ولم يكن هناك من مبرر لهذا التشويه سوى الحقد الموروث عن الاجيال السالفة والذى انعكس بصورة جلية فى مسرحيات ذلك العصر . ومن العقائد الاسلامية التي توقفت مثلا تحريم الخمر عند المسلمين . فقد أخذ الكثير من المسرحيين يدافعون عن جواز شرب الخمر ويثنون على الديانة المسيحية لا حباً بها ولا تمسكاً بتعاليمها . وعلى سبيل المثال نقتطف هنا ما يرد على لسان احدى الشخصيات فى مسرحية (مسالك البشر) لكاتبها (وليم كونغريف) لنقف على مدى السخرية التي تعرضت لها احكام الشريعة الاسلامية عند هؤلاء المسرحيين :

> ان المسلمين كفرة لأنهم لا يؤمنون بشرب الخمر ، وما الخمر الا تسلية ومتعة للمسيحيين . والاتراك حمقى ذوو شريعة وثنية وقد ابتلاهم الله بشرب الشاى والقهوة . اما نحن الشباب البريطانيين ، فما اسعدنا حظاً وما احلى ان نحتسي الخمرة وأن نشرب نخب مليكنا المحبوب[٤] .

ان ابرز الشعراء الذين تعرضوا للشرق فى مسرحياتهم فى القرن السابع عشر هو (جون درايدن) مؤلف العديد من (المسرحيات البطولية) التي تدور حوادثها فى بلدان اسلامية وشرقية ، وقد حوت مسرحياته هذه الكثير من الاحكام والتفسيرات غير الصائبة عن الشرق والشرقيين . وحول موضوع الخمرة ايضا ، افترى هذا الشاعر على التعاليم الاسلامية افتراءاً باطلا وادعى على لسان احدى شخصياته فى مسرحية (دون سباستيان) ان الخمرة محرمة لعامة الشعب ، ولكن يحق للقضاة أن يسمحوا للبعض

(4) William Congreve, The Way of the World, (London, 1960), ed. W.P. Barret, IV, ii, P. 101.

بدون الآخر باحتسائها ! ففي احدى المشاهد من هذه المسرحية يصدر (القاضي) الفتوى التالية عندما كان يجيب على استفسار الامبراطور (المسلم) الذى كان يشتهي شرب الخمر • يقول (القاضي) :

> نعم ••• ان الخمرة تخالف شريعة الاسلام ••• ولكن ينبغي ان لا تفسر هذه الاحكام بصورة حرفية • اذ يستطيع الملك وحاشيته فقط أن يشربوا الخمرة • وما الخمرة الا شراب العظماء[٥] •

ومن الامور الاخرى التي روجها المسرحيون هو موقف الديانة الاسلامية من المرأة • ولقد وردت فى هذا الباب اشارات وتعليقات كثيرة تثير الدهشة بل الضحك احيانا • منها ان المرأة فى نظر الاسلام جسد خال من الروح ، خلق لتسلية الرجال واشباع غرائزهم ولا يحق لها أن تسهم أو تشارك الرجال فى أي امر من الامور • ففي مسرحية (مكائد العشاق) لمؤلفها (فارقر) تأوه احدى النساء قائلة : « ليتني ولدت مسلمة تركية فقيرة بلا روح ، اذن لوجدتني قانعة بمصيري »[٦] ويردد (جون درايدن) نفس الاسطورة فى مسرحية (دون سباستيان) حين يأمر الملك المسلم بمنع النساء من ابداء آرائهن أو مناقشة مصيرهن ذلك ان المسرحية حاولت تصوير النساء وكأنهن جسد يباع ويشترى لا فكر له ولا روح •

على ان ذعر الانكليز من التوسعات العثمانية فى اوربا انعكس فى مسرحيات العصر وجعل المسرحيين يرددون ان الدين الاسلامي قد انتشر بحد السيف وانه لا يمكن لهذه الديانة أن تنتشر الا بالقوة والغزو

---

(5) John Dryden, "Don Sebastiar," Dramatic Works (London, 1932), ed. M. Summers, III, i, P. 270.

(6) George Farquhar, The Beaux' Stratagem (New York, 1931), ed. MacMillan and Jones, IV. I, P. 298.

والبطش • وقد جرّ هذا الاعتقاد الكثيرين من الادباء الى مهاجمة الدولة الاسلامية والافتراء على الفتوح التي تمت في ذلك العصر • ففي مسرحية (مصطفى) لمؤلفها (روجر بويل) يقوم الوزير (المسلم) باسداء النصح الى السلطان قائلا :

> دع الملوك النصارى يترنمون بالسلام الاجوف ، هؤلاء الملوك الجبناء الذين لا يخوضون الحرب الا للدفاع عن انفسهم • ان نبينا الشجاع قد انتصر بالقوة وبحد السيف ، وما الحرب الا ركن من اركان عقيدتنا الاسلامية(٧) •

ان الشعور العدائي تجاه الفتوحات الاسلامية أدى الىمهاجمة شخصية الرسول محمد (ص) • فلقد نعت النبي بمختلف الاوصاف التي لا تليق بمكانته • وحاول المسرحيون تشويه الجوانب الانسانية لديه واطلقوا عليه مختلف نعوت البطش والحقد والانتقام • ففي مسرحية (دون سباستيان) يحاول أحد القادة التودد والتقرب من محمد (ص) وذلك باصداره الاوامر الى الجند بذبح النصارى وتقديم رؤوسهم هدية اليه (٨) •

وفي مسرحية (حصار رودس) يتحدث احد الاشخاص عن الرسول الاعظم قائلا :

> حسناً فعلَ نبينا الشجاع بأن حرم علينا الهزيمة أو الفشل في الحرب • بل انه أمرنا ايضا أن نوسع امبراطوريتنا هذه بالقوة والبطش وأن نسعى لبسط رقعتها بأسرع ما يكون(٩) •

ولم يكتف المسرحيون بذكر هذه الجوانب المختلقة عن شخصية

---

(7) Sir Roger Boyle, Mustapha, I, iii, 11. 23 ff.

(8) Don Sebastian, II, iii.

(9) William Davenant, The Siege of Rhodes, III,ii

الرسول (ص) بل تعدوها الى اتهامه بالشعوذة والسحر • ولقد ادعى الكثير من الشعراء ان الوحي لم ينزل على الرسول (ص) وانما كان يتلقى التعاليم من حمامة بيضاء كان يربيها ويهتم بها وكانت تحط على كتفه عند الايحاء ! والغريب ان الكثير من اعلام الفكر مثل (شكسبير) قد رددوا هذه الاسطورة في كتاباتهم(١٠) دون التثبت من صحتها او الالتفات الى تفاهتها • الا انه ليس من العدل ان نضع (شكسبير) بجانب (درايدن) مثلا • فالمعروف عن (درايدن) انه امعن في تشويه الكثير من التعاليم الاسلامية ، اما شكسبير فقد ابرز جوانب حسنة كثيرة عن الشرق بالرغم من ان له اشارات ساخرة عديدة وعبارات معادية للشرق •

ان توقف الفتوحات الاسلامية ، وزوال الخطر العثماني عن اوربا وازدياد الاحتكاك بين الشرق والغرب ، كل هذه الامور ساعدت الغربيين والانكليز خاصة على تفهم بعض جوانب الحياة في الشرق الاسلامي بعد أن كانت الافكار السائدة عنه مشوهة أو محرفة أو غير دقيقة في احسن الاحتمالات • وتجدر الاشارة هنا الى ان المؤرخين والرحالة الذين ظهروا في القرنين الماضيين والذين زودوا القراء الغربيين بالكثير من المعلومات عن الشرق كانوا ـ رغم الغشاوة التي حجبت انظارهم أو تعصبهم ضد العقيدة الاسلامية ـ اكثر « موضوعية » من اسلافهم من المسرحيين والادباء الذين اندفعوا وراء عواطفهم أو اطلقوا العنان لخيالهم عندما كتبوا في هذا الموضوع •

---

(١٠) فيما يتعلق بشكسبير راجع مسرحية (هنرى الرابع) السطر ١٤٠ من المشهد الثاني في الفصل الاول • وحول نفس الموضوع يرجى مراجعة قصيدة (درايدن) الشهيرة والمسماة

. The Hind and the Pather

مَن هُم أهل الكتاب ؟

عدنان البكاء

- ٢ -

المنتسبون لأهل الكتاب :

وقد وقع الخلاف بينهم في مسألة أخرى ايضا هي : هل أن مفهوم اهل الكتاب ، الذي ذكره القرآن الكريم ، وخص أهله بأحكام معينة ومعاملة خاصة ؟ « يشمل من كانوا يدينون بالكتاب كالتوراة والانجيل كيفما كان كتابهم ، وكانت احوالهم وانسابهم ام العبرة باتباع الكتاب قبل التحريف والتبديل ، وبأهله الاصليين كالاسرائيليين من اليهود »(١) .

ويظهر أثر الخلاف في موقفنا من اولئك الذين دخلوا دين اهل الكتاب في العصور المتأخرة عن عصر التوراة والانجيل من الشعوب المختلفة الاخرى فعلى الرأي الاول وهو ما ذهب اليه ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبي وابن جريج وعطا والحكم وقتادة(٢) وابو حنيفة واصحابه(٣) يكون شأن هؤلاء شأن أهل الكتاب في شمولهم بالاحكام الخاصة ، من دخولهم في الذمة ومن جواز التزوج منهم ، وغير ذلك .

وعلى الرأي الثاني ، وهو ما ذهب اليه سعيد بن جبير والشافعي فيما حكاه عنه الربيع(٤) يكون لهؤلاء حكم آخر فلا يلحقون بأهل الكتاب ولا

(١) محمد رشيد رضا ، المنار ج ٦ ص ١٧٩ .
(٢) الطوسي ، التبيان ج ٣ ص ٤٤٤ .
(٣) تفسير ابي السعود ج ٢ ص ٧ .
(٤) الطوسي ، المصدر السابق نفسه .

يعاملون معاملتهم .

وعلى هـذا الاساس كان الخـلاف في نصارى العرب فيما ذكروا فأجـاز اصحاب الرأي الاول ذبائحهم وصيدهم ومناكحتهم كغيرهم من أهل الكتاب .

روى ابن جرير عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى بني تغلب فقرأ هذه الآية : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم »[٥] .

وفي رواية له عنه ، انه قال : كلوا من ذبائح بني تغلب ، وتزوجـوا من نسائهم ، فأن الله تعالى قال : وقرأ الآية ، فلو لم يكونوا منهم الا بالولاية لكانوا منهم[٦] .

وقد نجد في ضعف الاستدلال بالآية الكريمة مع ما اشتهر به ابن عباس من معرفة بتفسير القرآن ، ومداليل آياته ، ما يحملنا على الشك بنسبة هذا الكلام لابن عباس وبخاصة وأن الراوي له عكرمة الذى اشتهر بكذبه على ابن عباس .

والحق ان امر ابن عباس باكل ذبائح بني تغلب بصـورة خاصـة ، واضطراره للاستدلال بهذه الآية ـ كما تفترض رواية عكرمة ـ دليـل على وجود راى آخر فيالمسالة ، فاذا كان صاحب هذا الراى عليا ـ كما ستعرف من الروايات الآتية فمن المستبعد ان يتحـداه ابن عباس او يخالفـه مـع ما عرف من ارتباطه به وتبعيته له .

اما اصحاب الرأي الثـاني ، فقـد حرموا أن يعاملوا كأهل ذمة ، وحضروا ذبائحهم ومناكحتهم .

جاء في المهذب لابي اسحاق الشافعي « وان كان من نصارى العرب وهم بهراء ، وتنوخ ، وتغلب ، لم يحل لما روي عن عمر (رض) : انه قال :

---

(٥) سورة المائدة آية ٥١ .

(٦) محمد رشيد رضا ، المنار ج ٦ ص ١٧٩ .

ما نصارى العرب بأهل كتاب لا تحل لنا ذبائحهم . وعن علي بن ابي طالب (ع) قال : لا تحل ذبائح بني تغلب ، لأنهم دخلوا النصرانية بعد التبديل ، ولا يعلم هل دخلوا في دين من بدل منهم أو في دين من لم يبدل[٧] .

وجاء في تفسير ابي السعود ، واستثنى علي (رض) نصارى بني تغلب وقال : ليسوا على النصرانية ، ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر[٨] .

وللحنابلة قول في ذلك الا أن الصحيح في مذهبهم خلافه[٩] .

وقد وردت روايات كثيرة بهذا المعنى عن أهل البيت (ع) ففي حديث رواه زيد عن ابيه عن جده علي (ع) قال : لا تاكلوا ذبائح المجوس ولا نصارى العرب ، فانهم ليسوا بأهل كتاب[١٠] .

وعن ابي جعفر (ع) قال : قال امير المؤمنين (ع) لا تأكلوا ذبيحة نصارى العرب فانهم ليسوا اهل كتاب[١١] .

وفي الصحيحة لمحمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال : سألته عن نصارى العرب : اتؤكل ذبائحهم ؟ فقال كان علي (ع) نهى عن ذبائحهم وعن صيدهم وعن مناكحتهم[١٢] وفي مضمونها روايات اخرى الا أن النهي اقتصر فيها على الذبائح والصيد فقط . وهما في المشهور من مذهب اهل البيت (ع) محرمان بالنسبة لجميع اهل الكتاب . وفي هذه الروايات ما تعين قبيلة خاصة من العرب هي تغلب ، ففي رواية عن ابي بصير قال : قال لي ابو عبدالله (ع) لا تأكل ذبيحة نصارى تغلب فانهم مشركو العرب[١٣] .

---

(٧) ج ١ ص ٢٥١ .
(٨) ج ٢ ص ٧ .
(٩) ابن قدامة ، المقنع ج ٥ ص ٣١ .
(١٠) مسند زيد ص ٢٤٧ ط بيروت .
(١١) الطوسي ، التهذيب ج ٩ ص ٦٦ ط نجف .
(١٢) الشهيد الثاني ، المسالك ج ٢ ص ٢٧٤ ـ ص ٢٧٦ .
(١٣) المصدر نفسه .

ومما سبق يتضح ان اخراج نصارى تغلب كما في بعض الروايات او نصارى العرب بصورة عامة كما في بعضها الآخر عن احكام اهل الكتاب يستند الى سببين اثنين :

اولا ـ لانهم كما في تفسير ابي السعود وكما في مسند زيد عن علي (ع) وكما في التهذيب عن ابي جعفر (ع) « ليسوا أهل كتاب » وبهذا فهم خارجون تخصصاً ، انهم لم يدخلوا النصرانية لتشملهم احكامها وهو ما تدل عليه صحيحة محمد بن مسلم التي تنهي عن « مناكحتهم » ذلك انه اذا وجد خلاف في مذهب أهل البيت (ع) بخصوص ذبائح أهل الكتاب فليس هناك خلاف في أن من مذهبهم جواز التزوج من الكتابيين ، ومعنى ذلك أن نهيهم عن التزوج من نصارى العرب دليل على أنهم لم يكونوا من أهل الكتاب .

اما كيف سموا « بنصارى » اذا لم يكونوا منتسبين لهذا الدين حقيقة . فلسنا ندري . ربما كان ذلك ، لمجاورتهم بعض الفئات النصرانية او تثقفهم بعض العادات المسيحية والى الاخير تشير الرواية السابقة المنسوبة للامام علي (ع) في تفسير ابي السعود « فانهم ليسوا على النصرانية ، ولم يأخذوا عنها الا شرب الخمر » .

ثانيا ـ لانهم كما ورد في المهذب « دخلوا بعد التبديل ولا يعلم هل دخلوا في دين من بدل منهم او في دين من لم يبدل » . وقد نوقش ذلك:

اولا ـ بضعف مستنده فلم يرد في الروايات ما يعتمد عليه في تعليل عدم شمول احكام اهل الكتاب لنصارى العرب بذلك وكل ما هنالك الرواية الضعيفة السابقة التي اوردها في المهذب عن علي (ع) وانما بني الكثير من الفقهاء آرائهم بخصوص هذه المسألة على اساس اجتهاد منهم فيها .

ثانيا ـ لم يؤثر عن النبي (ص) انه كان يفرق في المعاملة بين اهل

الكتاب على هذا الاساس فيقبل الجزية من طائفة لانها لم تبدل ويرفضها من أخرى لانها بدلت .

ثالثا ـ ان القرآن الكريم الذي شرع لاهل الكتاب احكامهم الخاصة لم يشر أن هذه الاحكام انما تخص اولئك الذين لم يبدلوا . بينما تحدث عن مظاهر الكفر التي شملت أهل الكتاب في مواضع شتى من ذلك قوله تعالى واليهود والنصارى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله »[١٤] وقال تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء »[١٥] .

وقوله عن اليهود « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء »[١٦] .

وقوله تعالى عن النصارى « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم »[١٧] .

وقوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا الله ثالث ثلاثة »[١٨] .

وقال الاستاذ محمد رشيد رضا ، بصدد الرد على هذا الرأي « انه لا وجه لهذه المسألة ولا محل فالله تعالى قد احل طعام اهل الكتاب ونكاح نسائهم على الحال التي كانوا عليها في زمن التنزيل وكان هذا من آخر ما نزل من القرآن ، وكان اهل الكتاب من شعوب شتى ، وقد وصفهم بانهم حرفوا كتبهم ونسوا حظاً مما ذكروا به في هذه السورة نفسها كما وصفهم بمثل ذلك فيما نزل قبلها ولم يتغير يوم استنبط الفقهاء تلك المسألة شيء من ذلك[١٩] .

---

(١٤) سورة التوبة آية ٣٠ .
(١٥) البقرة آية ١١٣ .
(١٦) سورة المائدة آية ٦٤ .
(١٧) سورة المائدة آية ٧٢ .
(١٨) سورة المائدة آية ٧٣ .
(١٩) المنار ج ٦ ص ١٧٩ .

المعاملات والسياسات من الحدود والقصاص والديات والاحكام القضائية المشروعة لفصل الخصومات والاحكام الكثيرة الواردة لتأمين الماليات التي يتوقف عليها حفظ دولة الاسلام كالاخماس والزكوات ونحوها .. ولاجل ذلك اتفق الخاصة والعامة على انه يلزم في محيط الاسلام وجود سائس وزعيم يدبر امور المسلمين ، بل هو من ضروريات الاسلام (١١) .

ويقول قدس سره ـ ايضا : « ولا يخفى ان سياسة المدن وتأمين الجهات الاجتماعية في دين الاسلام لم تكن منحازة عن الجهات الروحانية ، والشؤون المربوطة بتبليغ الأحكام وارشاد المسلمين ، بل كانت السياسة فيه من الصدر الاول مختلطة بالديانة ومن شؤونها .. فكان رسول الله (ص) بنفسه يدبر امور المسلمين ، ويسوسهم ، ويرجع اليه في فصل الخصومات وينصب الحكام للولايات ، ويطلب منهم الاخماس والزكوات ونحوهما من الماليات .

وهكذا كانت سيرة الخلفاء من بعده من الراشدين وغيرهم ، حتى امير المؤمنين (عليه السلام) فانه بعدما تصدى للخلافة الظاهرية ، كان يقوم بأمر المسلمين ، وينصب الحكام والقضاة للولايات .

وكانوا في بادىء الأمر يعملون بوظائف السياسية في مراكز الارشاد والهداية كالمساجد ، فكان امام المسجد بنفسه اميراً لهم .. وبعد ذلك كانوا يبنون المسجد الجامع قرب دار الامارة ، وكان الخلفاء والامراء بانفسهم يقيمون الجمعات والاعياد ، بل ويدبرون امر الحج ايضا ، حيث أن العبادات الثلاث مع كونها عبادات قد احتوت على فوائد سياسية لا يوجد نظيرها في غيرها كما لا يخفى على من تدبر .

وهذا النحو من الخلط بين الجهات الروحية والفوائد السياسية من خصائص دين الاسلام وامتيازاته (١٢) .

---

(١١) البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر ص ٥٢ .
(١٢) المصدر نفسه ص ٥٣ .

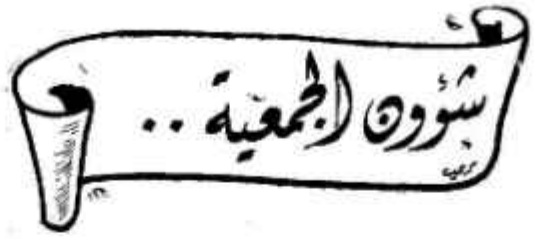

اقامت الكلية حفلة تكريمية للوفد الاسلامي العالمي من اجل قضية فلسطين وكان قد نزل ضيفا على الحكومة العراقية وهو يضم كبار الشخصيات الاسلامية برئاسة الدكتور محمد ناصر رئيس حزب ماشومي الاسلامي باندونيسيا وذلك عصر يوم ٢٦-٨-١٩٦٧ وما ان حل الموعد حتى تقاطر عدد كبير من علماء بغداد ووجهائه وطلبة الكلية ، واعضاء الجمعية ثم تقدم عريف الحفل فقدم الشيخ قاسم عباس النداف معلم القرآن في مدارس الامام الجواد واحد طلاب كلية اصول الدين ، فرتل بعض الآيات من القرآن الكريم ثم قدم العريف فرقة الانشاد لمدارس الامام الجواد (ع) فانشدت (نشيد القرآن) للدكتور محمد اقبال . وبعد أن الهبت عواطف الحاضرين تقدم الحاج ناجح هادي ليلقي قصيدة ترحيبية اسلامية تعرضت لنكبة فلسطين ، فهزت الحاضرين . وحملتهم على استعادتها مرارا بعدها تقدم السيد عدنان البكاء سكرتير الكلية ، وارتجل كلمة قيمة رحب فيها باعضاء الوفد ، وبارك مسعاهم ثم استعرض اسباب النكبة داعياً الى التنبه اليها في مجال التماسنا للعلاج وختم الحفل عضو الوفد العلامة الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي الاستاذ في كلية الزيتونة بالجامعة التونسية ، وقد كانت كلمة شاملة المت بجوانب المشكلة ، وملابساتها التاريخية ، واحاطت بسبل الخلاص منها .

● سافر الحجة السيد مرتضى العسكري رئيس الجمعية وعميد الكلية الى البصرة يوم ٢٠-٦-١٩٦٧ ومكث هناك ثلاثة ايام وذلك من أجل

الاجتماع باللجان المشرفة على مدارس الجمعية للبنين والبنات فيها ، وقد اقيمت له خلال سفرته هذه حفلة تكريمية في مسجد العلامة المجاهد السيد عبدالحكيم الموسوي تكلم فيها العلامة السيد محمد السيد عبدالحكيم مستعرضا ظروفنا الراهنة وما تفرضه من اساليب في العمل والاصلاح مشيراً الى ما يقوم به السيد العسكري في هذا المجال ثم تقدم الشيخ محمد علي الراضي المظفر بقصيدة نالت استحسان الحاضرين واعجابهم تطرق فيها الى ما يقوم به سماحة السيد من اعمال ثقافية واجتماعية في مجال الخدمة الاسلامية العامة .

وبعدها تقدم سماحة السيد العسكري فتحدث الى المستمعين عن تجاربه في مجال الخدمة العامة ، ونصائحه في مواجهة التيارات المعادية وحمل اهل البصرة باعتبار ما يعرف عنهم من حماس اسلامي مسؤولية حمل الرسالة الاسلامية في واقعنا المتهرىء الفاسد .

رسائل الطلاب

يحرص بعض اساتذة كلية اصول الدين ، وبخاصة العميد السيد مرتضى العسكري ومعاون العميد السيد عبدالله الفياض استاذ التاريخ الاسلامي . أن يحمل طلابه خلال العام على كتابة التقارير العلمية ليعانوا تجربة البحث ويكتسبوا خبرة ودربة وقد كان من نتائج ذلك ثمرات ممتازة برز فيها البعض فكان نتاجهم فيما بذل فيها من جهد ومر عليها من صقل من اجمل ما يمكن أن يقدم في هذا المجال ومن هذه البحوث ما تفكر لجنة تعضيد النشر في الكلية) أن تنشره كتبا مستقلة وقد برز خلال ذلك في كتابة التقارير العلمية كل من : ـ

١ ـ عبدالامير الاعسم ٢ ـ صالح مهدي الهاشم ٣ ـ علي مزاحم ٤ ـ حسن رشيد ناجي ٥ ـ شوقي عبدالرزاق المختار ٦ ـ عبدالرضا نويني

٧ ـ بختيار علي ابدال ٨ ـ طالب مهدى الخفاجي ٩ ـ نورالدين العسكرى.

اساتذة الكلية

ضمت الكلية هذا العام عددا جديدا من افاضل اساتذة جامعة بغداد محاضرين فيها وبهذا اصبح ملاك الكلية كمايلى :ـ

١ ـ العميد السيد مرتضى العسكري ٢ ـ معاون العميد الدكتور عبد الفياض . الاساتذة : ١ ـ السيد مهدى الحكيم ٢ ، السيد محمد باقر الحكيم ٣ ـ الشيخ علي الصغير ٤ ـ الشيخ موسى السوداني ٥ ـ السيد محمد بحر العلوم ٦ ـ الشيخ محمد مهدى الآصفي ٧ ـ الدكتور أحمد عبدالستار الجواري ٨ ـ الدكتور ابراهيم السامرائي ٩ـ الدكتور حسين علي محفوظ ١٠ ـ الدكتور حاتم الكعبي ١١ ـ الدكتور السيد علي الهاشمي ١٢ ـ الدكتور عناد غزوان ١٣ ـ الدكتور حسام الالوسي ١٤ ـ الدكتور عبدالباقي الشواي ١٥ ـ الدكتور جواد علوش ١٦ ـ الاستاذ جواد الحسيني ١٧ ـ الاستاذ ضياء الجبوري ١٨ ـ الاستاذ احمد امين .

● كانت جمعيتنا قد استوردت ست سيارات مارسيدس سعة ١٨ راكبا لطلاب مدارسها في بغداد وقد تسلمتها في غضون الشهر التاسع من هذه السنة وباشرت بنقل طلابها وطالباتها فيها والجدير بالذكر ان سياراتنا اول وجبة من سيارات المارسيدس موديل ١٩٦٧ تصل بغداد . ان جمعيتنا لا تدخر وسعا في تأمين راحة طلابها وطالباتها بمختلف الوسائل التي تتيسر لها ، وتقع في امكانها .

● كانت تجربة الدورة الصيفية خلال السنين السابقة من انجح التجارب التي تمارسها الجمعيات في هذا المجال . وفي هذا العام ورغم الاوضاع المؤلمة التي واجهناها مع العالم الاسلامي كله بنكبة ٥ حزيران فقد كان الاقبال ممتازا والفائدة المأمولة كاملة .

● كانت الجمعية منذ البداية معنية بالبحث عن مبنى يلائم ما حصلت عليه مدارس الامام الجواد من شهرة ومكانة في صفوف الامة ويتلافى الاقبال الكبير على التسجيل فيها لدى بداية كل عام وقد وفقنا هذا العام على ان نحصل على بناية ضخمة في شارع ابي نؤاس على نهر دجلة فتم نقل مدارس الامام الجواد ـ ع ـ الثانوية المسائية ، والابتدائية النهارية اليها ، بينما بقيت (ثانوية الامام الجواد (ع) النهارية في مكانها • بمبنى كلية اصول الدين •

● افتتحت جمعيتنا هذا العام مدارس جديدة للبنين، وللبنات• فقد تم في الحلة فتح ثانوية الامام الباقر المسائية للبنين وافتتحت في بغداد الجديدة مدرسة الامام الباقر (ع) الابتدائية للبنين ، وفي النعمانية بلواء الكوت ، وفي المعقل بلواء البصرة تم فتح مركزين لتعليم البنات • الاول برعاية سماحة العلامة الجليل السيد قاسم شبر ، والثاني برعاية سماحة العلامة الجليل السيد عبدالحكيم الموسوي الصوافي • نسأل الله أن يأخذ بأيدي العاملين لما يحب ويرضى •

محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية

مطبعة الارشاد ـ بغداد

تأليف : الدكتور عبدالله فياض

يؤرخ هذا الكتاب ، باختصار كاف للوضع السياسي والحالة الفكرية في الدولة الاسلامية ابتداء من ظهور الاسلام حتى ظهور الدعوة العباسية ، ونهاية الحكم الاموي وهو مجموعة من محاضرات المؤلف الفاضل على طلابه في كلية التربية وكلية اصول الدين •

مع ايليا ابي ماضي في طلاسمه

مطبعة النعمان ـ النجف

تأليف الشيخ احمد الشيخ حميد السماوي

الكتاب شرح موسع للقصيدة الفلسفية المشهورة التي عارض فيها الحجة الشيخ حميد السماوي قصيدة الطلاسم للشاعر ايليا ابي ماضي اوضح المؤلف الفاضل في هذا الكتاب بعض المفاهيم والمصطلحات الفلسفية الغامضة التي وردت في قصيدة والده طاب ثراه ، وقد قدم له حجة الاسلام السيد حسن البجنوردي الموسوي •

الامام الثائر
السيد مهدي الحيدري

مطبعة الاداب ـ النجف

تاليف السيد احمد الحسيني

عرض عام لجهاد العلمـاء ضد الانكليز فى الحرب العالمية الاولى ثم ترجمة وافية لحياة وجهاد حجة الاسلام المجاهد السيد مهدى الحيـدرى طاب ثراه •

مكارم الاخلاق

تاليف الاستاذ محمد حسين الاديب

يعرض الكتاب المبادىء الخلقية التى جاء بها الاسلام مبينا آثارهـا فى حياة الفرد والجماعة مستظهرا على غرضه من ذلك بجملة من النصوص الواردة عن اهل البيت (ع) •

الاسلام في معارفه وفنونه

مكتب النشر الاسلامي ـ بعلبك

سلسلة شهرية يتضمن كل عدد منها مجموعة مقالات اسلامية تعالج مختلف الموضوعات التى تتصل بالعقيدة والشريعة الاسلامية يحررهـا صاحبا الفضيلة الشيخ محمد جعفر والشيخ محمد علي آل ابراهيم •

الاسلام بين العلماء والحكام

الشيخ عبد العزيز البدرى

كتاب يعرض المواقف الاسلامية الجهادية الجريئة التي وقفها علمـاء الاسلام فى وجوه الحكام الطغاة قياما بوظيفتهم الشرعية وواجبهم فى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر •

items for the display of photographs and films on the destruction of life and property caused in Palestine and the desecration of holy shrines, such as the Mosque of Aksa, etc., to remind the Muslim audiences of their religious duty in this behalf.

16. Muslim youth corps may be formed under official patronage, for taking part in the forthcoming struggle.

These are the more important proposals and suggestion, the adoption and execution whereof are vital to our early success and may Allah bestow on us victory.

Peace be upon you and God's blessings.

The Iraqi Muslim Delegation
to the Muslim World.

Baghdad,
23rd June, 1967.

tutes, as a part of Islamic studies in general.

7. Monetary, medical and other forms of material assistance should be provided immediately to the victims of Israeli aggressionfi including the wounded, the refugees and others who have become destitutes in the wake of the late aggression.

8. It seems desirable that each Muslim country should establish a special Fund to finance military and allied measures, aimed at the early and lasting solution of this problem and undoing the damages sustained by us in course of repeated aggressions.

9. It also seems desirable to levy a special nominal tax in each country, say one fils per head or its equivalent. This could be recovered through the salary bills of Government employees and may also be added to the rate of basic fares on local transport and possibly on items of food and drink consumed in hotels and restaurants, etc.

10. Countries may print and issue special postage stamps commemorating the events which have taken place in Palestine.

11. Student organisations may form special committees for furthering the cause of Palestine.

12. Muslim cultural, etc., organisations may incorporate special provisions in their constitutions with the same objects in view, i.e., liberation of Palestine.

13. Such organisations may hold periodically concerts and like events in the same spirit.

14. Magazines and newspapers may be started in Muslim countries to propagate the cause of Palestine.

15. Radio and TV programmes may include special

inso far as it is possible to implement them. Let us remember that serving the Cause of Allah is the most sacred duty as directed by His messenger.

PROPOSALS AND SUGGESTIONS :

1. All states in the Muslim world may initiate measures concerning Palestine as a religious obligation, wholly unaffected by other international commitments.

2. It should be unacceptable to establish friendly relations with Israel in any shape or form, in the fields of politics, trade or culture.

3. Preparations should be undertaken to provide all practicable assistance for the recovery of Palestine from Jewish colonial occupation. The most important measure would be to have faith in God, in keeping with Islamic principles, in all spheres of daily life and to make available all possible support in a material form.

4. There must be continuous and close liaison and active co-operation between all Muslim countries, including of course the Arab states, in relation to this problem in order to concentrate all our resources for its just and speedy solution.

5. Muslim countries should endeavour to send representatives to visit the area where refugees from Palestine and victims of Zionist aggression are concentrated, to make an on-the-spot study of their plight.

6. Study programmes dealing with the Question of Palestine covering all its aspects, in particular the havoc wrought by the Zionist Jews, should be introduced in centres of higher learing, colleges and insti-

thousands of Muslim lives that have been continuously lost. It is an Islamic duty.

These two projects must be taken up, executed and brought to a fruitful and speedy conclusion, if Muslims and Islam are to survive. Indeed, holy war is binding on every Muslim in the event of occupation by the infidels of any part of the Muslim lands. Now the enemies of God have committed trespass on the holy land and the time to act has arrived: "..... And wage war on all the idolaters as they are waging war on all of you. And know that Allah is with those who keep their duty (unto Him)".

Surah IX, Verse 36.

"Lo! Allah loveth those who battle for His cause in ranks, as if they were a soild structure".

Surah LXI, Verse 4.

The day of victory for the Muslims is fast approaching and the moment is near at hand when God will cheer their hearts with resounding success. Insha Allah.

Dear Brethren :

We have come to you from Iraq, the seat of the family of the Prophet and of his companions, to give you an idea of what the holy land has gone through lately to be reminded of our persons and to think of our brothers in Islam and to act in this emergency as commanded by Allah:

".....exhort one another to truth and exhort one another to endurance".

Surah CIII, Vers 3.

Forming part of this Appeal is a set of proposals for your urgent consideration and for implementation

and has not caused the determination of the belivers to sag; their efforts to recover the land and property thus usurped will continue unabated till every inch of the holy land is back in our possession including the shrines:

Faint not nor grieve, for ye will overcome them if ye are (indeed) believers".

Surah III, Verse 139.

That shall come true, God willing. All we have to do is to unite and stand together shoulder to shoulder, be prepared and not to shrink from any sacrifice in in person or property. Israel and all her allies will be nothing compared to the combined forces of the Muslims.

From the moment of this tragedy, there remains nothing to divide the Muslims and they are one for recovering their holy places. Forward! Followers of Mohammad (peace be upon him). March along! Soldiers of Allah. Get going Sons of Islam, till victory is yours. The problem is no longer for the Muslim Arabs to tackle, it is a problem for all Muslims to face and solve. Two essentials are required to be fulfilled, as a prelude to success:-

(a) The Jews must vacate areas occupied by them during their attack beginning on 5th June, 1967, unconditionally and without any concessions being made in return, such as a permanent peace treaty, internationalisation of Jerusalem or any other reciprocatory measures.

(b) All steps must be taken to eliminate Israel as an entity and its existence is not to be tolerated in any form, as a sovereign state or a national home for the Jews. This is indispensable to compensate for the

APPEAL BY THE IRAQI MUSLIM DELEGATION TO THE MUSLIM WORLD

The edition - in - chief of *Risalat Al-Islam* was a member of the Iraqi Muslim delegation that recentry ended a tour covering the following Islamic countries: Indonesia, Singapore, Malaysia, Afghaninstan, Pakistan, India, Iran and Turkey. The delegation explained the Palestine issue and published the following report:

God says : "The believers are naught else than brothers. Therefore make peace between your brethren and observe your duty to Allah that haply ye may obtain mercy".

Surah XLIX, Verse 10.

In the same context, the holy Prophet observed: "The believers are like the limbs of the same body, in their relationship towards each other, treating each other with kindness and love". (Traditions).

Dear Brothers in Islam :

The enemies of God, Christians as well as Zionist Jews, have declared war upon Islam and have taken unlawful possession of the shrines. The have occupied the holy land associated with the Ascension of the Prophet of Islam and have by force of arms usurped Jerusalem, occupying the Mosque of Aksa and planting the Zionist flag on the Dome of the Rock (Omar's Mosque). All these followed indiscriminate manslaughter, killing of the aged men, maiming of young children and outraging of innocent women. Dwelling houses as well as hospitals were alike razed to the ground, with napalm among other weapons of destruction used.

The success of the enemies of Islam is but passing

RISALAT AL-ISLAM

" Message of Islam "

Issued by
USUL AL - DEEN COLLEGE
Baghdad, Iraq

رسالة الإسلام

كلية أصول الدين

كلية أصول الدين

السنة
الثانية
العددان ٥ و ٦

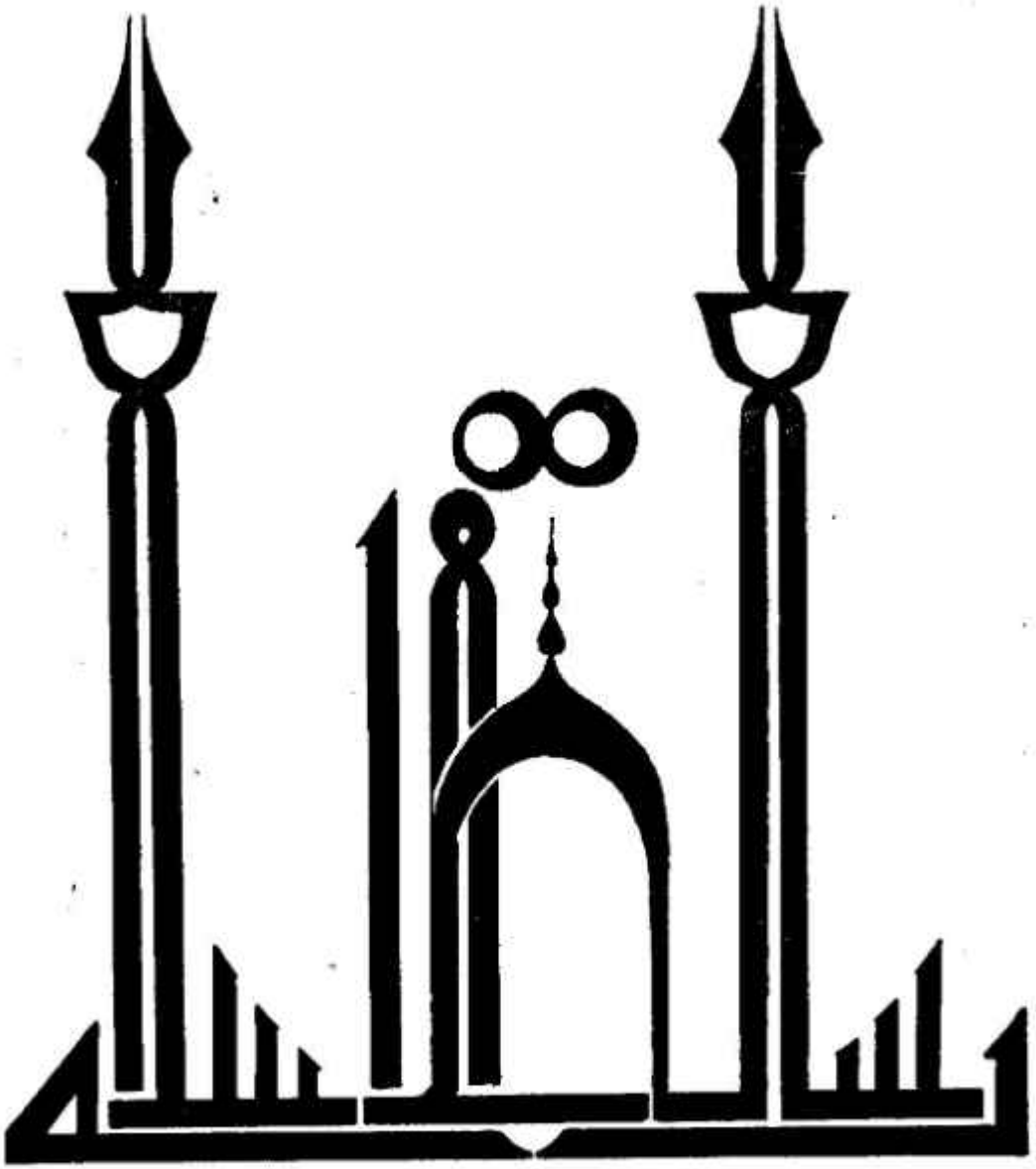

مطبعة المعارف ـ بغداد

رسالتنا	.. .. ..	٥
كلمة التحرير : ماذا بعد النكسة ؟		٨
المحكم والمتشابه في القرآن	.. ..	١١
صلح الحسن (ع)	.. ..	٣٣
ما هو موقفنا من الانحراف العمل اذا استحالت مقاومته	.. ..	٣٩
نكسة ٥ حزيران اسبابها ونتائجها	..	٥٠
خصائص النظام الاسلامي	.. ..	٧٠
ياظلال الاسلام : من وحي النكبة	..	٨٦
الديلم والاسلام	.. .. ..	٩١
مواقف جريئة	.. .. ..	٩٩
تشكيلات الحكومة في التشريع الاسلامي		١٠٤
فتاوى تهمك : مسائل متفرقة اجاب عليها المرجع الاسلامي الاعلى الامام الحكيم مد ظله الوارف	..	١١٢
الصومال	.. ..	١١٤
الرايسز : شعر	.. .. ..	١٢٦
حصاد الحضارة المادية	.. ..	١٢٩
مكتبة المجلة	.. .. ..	١٣٢
كتاب المجلة: الدكتور ابراهيم السامرائي		١٣٥

العدد الخامس والسادس ـ السنة الثانية
١ رمضان ١٣٨٧هـ ـ ٣ كانون الاول ١٩٦٧

اعتذار

نعتذر لوقوع خطأ فى تاريخ صدور هـــذا العدد المدون على الغلاف والصحيح هو التاريـــخ المكتوب اسفل الفهرست .

منطلق

الجاهلية

« وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم » .

ان القرآن الكريم هو منهاج الدعوة الخالد عبر الحركة التاريخية لرسالة السماء ومعاركها المتنوعة التي تخوضها ضد جاهليات الارض وهو بحكم ذلك النبراس الذى يضيء لموكب الرسالة وزحفها الخير فى كل زمان ومكان ويكشف امام القادة والواعين فى هذا الموكب المبارك والزحف الميمون المواقف المختلفة للفئات المعادية وينفذ فى كشفه الى ما وراء هذه المواقف من خلجات نفسية وتصورات مستبطنة ويعرى واقع النوايا والمشاعر التي تستتر خلف تلك المواقف واذا بالنفس البشرية المنحرفة التي تقف فى وجه النور هي النفس البشرية فى كل زمان بدوافعها ونوازعها مهما اختلف الشكل او الاسلوب واذا قصة الدعوة بما تزخر به من تناقضات ومشاكل وردود فعل هى قصة الدعوة على مر التاريخ مهما تباعد المظهر او تباينت الصورة .

« وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه »

هنا يعرض القرآن الكريم منطقا مضللا للكفار ومن ورائه واقع

نفسي منحرف فاعداء الرسالة الاسلامية يستدلون على ان هذه الرسالة ليست جديرة بالايمان والاتباع بان اشخاصا آخرين سبقوهم اليها ولو كانت خيرا لكانوا هم السابقين . والواقع النفسي المنحرف الذى يكمن وراء هذا المنطق المعكوس هو ان سبق الاخرين الى خط الرسالة وبنائها العقائدى الجديد يجعل هؤلاء الذين لم يعوا الرسالة على حقيقتها فى اللحظة الاولى كما وعاها الآخرون يشعرون بان دخولهم فى نطاق الرسالة بعد هذا يعني التبعية للسابقين والاعتراف ضمنا بأنهم اصوب نظرا واسرع وعيا واقوى ادراكا للنور فيواصل الكفار تعاميهم عن النور الجديد لان الشيطان يزين لهم هذا التعامي ويوحي اليهم بأن انفتاحهم المتاخر على النور والتحاقهم بموكب الرسالة يعني السير فى خط اولئك الذين آمنوا فى البدء ووعوا الرسالة وادركوا ابعادها الواسعة ويعني الاعتراف لهم بالاولية فى هذا الوعي والادراك .

وهذا الواقع النفسي المنحرف الذى يشير اليه المفهوم القرآني وهو يحلل موقفا من مواقف الكفار تجاه الرسالة ليس ظاهرة عابرة او خاطرة اتفق وجودها وانما هو نوع من الشعور المنخفض الذى يعيشه قسم من اعداء الرسالة فى كل زمان فان كثيرا من اعداء الرسالة لا يستطيعون فى اللحظة الاولى ان يرتفعوا الى مستوى الوعي الكامل لها وتحمل مسؤولياتها فيعارضونها ويقاومون مدها واشعاعها حتى اذا اتسع هذا الاشعاع واتضحت معالم الطريق اكثر فاكثر واستطاعت الرسالة ان تعبر عن وجودها واهدافها ونظافتها خلال خطها النامي الواعي امكن لهؤلاء الذين عشت ابصارهم فى اللحظة الاولى عن ادراك الحقيقة ان يدركوها الآن ولكن كثيرا من هؤلاء بدلا عن الاعتراف بالحقيقة يواصل مقاومة الرسالة لان الموقف اصبح يحمل الطابع الشخصي اكثر مما يحمل معنى الانفلاق الفكري واصبحت مقاومة الرسالة مظهرا من مظاهر وجوده الخاص المرتبطة بكيانه ومصلحته ونوع علاقاته التي قامت كلها على اساس المعارضة واصبح ينظر الى الرسالة التى يقاومها لا بوصفها اطروحة غامضة لا يعيها بل بوصفها مرتبطة باشخاص آخرين عاشوها منذ اللحظة الاولى وربطوا مصيرهم بها .

وهكذا يطغى على الموقف الرسالى وواقع المعركة الطابع الشخصي الذى يسبغه المنحرفون

على الموقف نتيجة لانحرافهم وانخفاضهم عن المستوى الرسالي لفهم الموقف .

وقد تكون مشكلة هذا الذى لا يريد ان يعي قضيتك لانها اصبحت قضيتك وارتبطت بك وبكيانك قبل ان يعيها هو اشد كثيرا من مشكلة ذلك الذى لم يع حتى الان الرسالة ولم يبصر نورها الحقيقى لان هذا قد يعي خلال الخط الطويل واما ذلك فقد تحول انحرافه الى اصرار شخصي على الانحراف وشعور بان الانحراف يمثل وجوده الخاص واصالته في المعركة .

« واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم » .

وهنا نجد ايضا ان هؤلاء المنحرفين من اعداء الرسالة يحسون انها رسالة هدى وان الاخرين قد ارتفعوا بالرسالة واهتدوا بنورها وبنوا انسانيتهم من جديد على اساسها ولكنهم لا يستطيعون ان يفعلوا ما فعل اولئك الاخرون ولا يملكون من قوة الارادة وعمق الشعور بالمسؤولية وصحة العزم وانشراح الصدر ما يؤهلهم للارتفاع الرسالي فيحقدون على هذه الرسالة التى لم ينفذ هداها الى قلوبهم كما نفذ الى قلوب الاخرين ويتهمونها بانها افك قديم .

واتهام الرسالة بانها افك قديم او انها رجعية فى لغة الكفر المعاصر هو ايضا من الظواهر العامة لحركة المعارضة ضد رسالة السماء ودعوتها على مر التاريخ لان الاصطدام فى كل مرة بين رسالة السماء واعدائها يتمثل فى دعوة من حملة الرسالة الى تصحيح الانحراف وتغيير الاوضاع الشاذة والواقع الفاسد والرجوع بالانسان الى فطرته والى ما سبق فى حياته من تجارب رسالية نيرة قبل الانحراف .

وهذا الترابط الوثيق بين التجارب الرسالية النيرة فى حياة الانسان وتاكيد كل واحدة منها على ضرورة الاستمداد من التجارب السابقة عليها وايمانها بوحدة المعركة على مر التاريخ بين هدى السماء وجاهليات الارض ان هذا كله يتيح للجاهلية فى كل معركة جديدة ان تحمل ضد النور شعار ان هذا افك قديم ورجعية .

وليس هو افكا قديما ولارجعية وانما هو النور الذي اشرق فى حياة الانسان منذ انفتح على السماء واتصل بربه والذي يؤكد وجوده بين كل حين وحين ليصحح الانحراف ويحدد الطريق ويذكر الانسان بدوره الحقيقي فى خلافة الارض واهدافه الكبرى .

انه ليس افكا قديما ولا رجعية وانما هو الشعار الذى تمثل فى كل رسالات السماء انه هذا الشعار .

ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون .

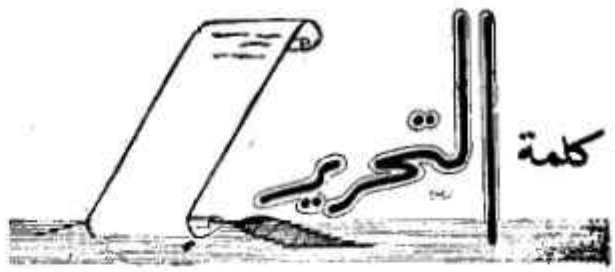

ماذا بعد النكسة

عدنان البكاء

من الواضح أن نكبة ٥ حزيران احدثت هزة عنيفة في ضمير الامة هزة انتزعت الناس جميعا من سباتهم وصرفتهم عن شواغلهم ، لتربطهم بالقضية من الناحية الوجدانية والواقعية وتحملهم على التفكير بعواملها واسبابها المباشرة منها وغير المباشرة .

ومن الطبيعي ان يفتح الحساب ـ لاول وهلة ـ مع الواقع الذي تحياه الامة بكل ابعاده الفكرية والاجتماعية ، والسياسية ، وان يحاكم هذا الواقع باعتباره المسؤول الاول عما حدث ، فلقد كانت الامة مقتنعة بعمق ان ما حدث لم يكن نتيجة لعدم التكافؤ في القوى المادية مع العدو ، وانما هو نتيجة انحرافات واخطاء تتصل بصميم وجودنا الفكري والأخلاقي ، ومن ثم تنعكس على مختلف علاقاتنا في جوانب حياتنا جميعا .

ان هذا في تقدير اغلب المفكرين السبب الاعمق الذي يكمن وراء النكبة . السبب الذي تؤكده دراسة واقعنا ، دراسة فاحصة ، والنظر في مظاهر هذا الواقع وآثاره .

وعلى هذا الأساس تناول اهل الرأي ـ من مختلف المستويات والاتجاهات ـ واقعنا القائم بالحساب والنقد ، فطرحت بهذا الصدد وجهات نظر عديدة يلتقي اغلبها على ضرورة الاصلاح الشامل لحياتنا الراهنة ، الاصلاح الذي يتناول الاسس والركائز التي يقوم عليها فعلا كيان الفرد والمجتمع والدولة بالقدر الذي يوفر

لامتنا ما فقدته من متانة البنية وقوة القاعدة ، وسلامة الاتجاه .

اننا نستطيع بسهولة ـ لو اردنا الاصلاح مخلصين ـ أن نضع اصابعنا على موطن الداء في جسم الامة ونشخص العلة التي ادت بها الى مثل وضعيتها المؤسفة . فأن اي انسان رافق تاريخ هذه الامة لايصعب عليه أن يستذكر ما تميزت به سابقا من تماسك ينتظم جماعاتها وافرادها ومن وحدة تشملها في الموقف والهدف مما كان يعطيها ـ برغم ما تعانيه من تاخر في النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية كثيرا من الهيبة في قلوب اعدائها وكثيرا من الاحترام . ولقد كانت تنتزع النصر دائما في مواضع قد يبعد في الحساب انتزاع النصر في مثلها .

وقد تقلب واقعها عند ذلك وتتامل وجوهه المختلفة فلا تجد شيئا تمتاز به عليها الآن غير صلتها بتاريخها ، واستمساكها بعقيدتها وتشربها للقيم التي تنبع من هذه العقيدة وذلك التاريخ ، وشعورها العميق بذاتيتها واصالتها مما يدفع بها ـ لدى معاركها ـ الى الفداء والتضحية .

وعندها ندرك ـ دون ريب ـ ان الايدولوجيات التي طرات على وجود امتنا ، واطرت بها حياتها قبل النكبة هي التي سلبتها خصائص التماسك والقوة والأصالة ، وكانت العامل الاول وراء ما نلمسه من مظاهر الضعف والتفكك التي مني بها مجتمعنا .

وبحسبك ان ترى الآن اخلالية الجيل الذي صاغته هذه الايدولوجيات ووجهته . بحسبك أن تعرف مستوى همومه ومطامحه وابعاد تطلعاته واهدافه ، لتحيط بمدى النكبة التي حلت بالامة ، من جراء هذه المفاهيم الباطلة ، والافكار المنحرفة .

ان تجربتنا المريرة ـ خلال هذه الفترة ـ لهذه المبادىء الجديدة كانت كافية في مداها ـ على ما نحسب ـ لتعطي القناعة للبعض ان عطاءها لن يختلف في المستقبل عما انتهت بنا اليه فعلا .

ولهذا فالحاجة ماسة ـ الآن ـ لنتلافى خسارتنا ـ الى تنحية هذه الايدولوجيات الكافرة عن حياتنا بكل ما سببته واوحت به من انحراف في التصور والسلوك .

ونحن بحاجة ماسة الى ان نبادر فورا الى مسح مواطن العفن وبؤر السموم التي خلقتها في مجتمعنا في مؤسساتنا من اجل ان نهيىء الجو الملائم السليم ، لنمو اجيال قوية مؤمنة . اجيال تشعر بذاتية امتها ،

وقيمة رسالتها ، وتضطلع بما تتحمله من مسؤولية ازاء ذلك ٠

غير اننا ـ وللاسف ـ ما زلنا نرى أن الامر يجرى فى بلادنا الاسلامية كما كان دونما تغيير او تعديل فما زالت تلكم المفاهيم تردد ومازالت تلكم الشعارات ترفع ٠ لكان النكبة قد شهدت بجدارتها ، ولكان التجربة قد عززت من وجودها او كان الامة كسبت فى ظل هذه الاوضاع التى خلقتها هذه المبادى ما لا تريد ان تخسره فى اعادة النظر فيها ٠

ان اجهزتنا التربوية والتعليمية والاعلامية ، ومؤسساتنا السياسية والاقتصادية ما زالت فى منطلقاتها الروحية والفكرية ٠ وفى عملها على نفس النمط الذى قامت عليه النكبة اننا ننذر ابناء امتنا من أن يطمعوا بنتيجة جديدة ما لم يبعدوا العوامل التى ادت الى النتيجة السابقة فى حياتهم ٠ « او لايرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون »

التوبة آية ١٢٦

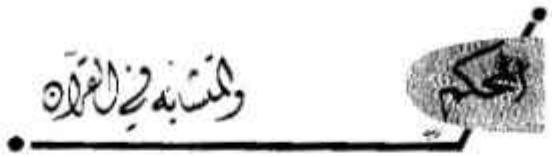

محمد باقر الحكيم

المحكم والمتشابه بمعناهما اللغوي

ا ـ المحكم :

قال في القاموس (احكمه اتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد كحكمه حكماً وعن الامر رجمه فحكم منعه مما يريد كحكمه)[1] . وقال في لسان العرب (احكمت الشيء فاستحكم صار محكما واحتكم الامر واستحكم وثق) . ونقل عن الازهري ـ ان حكمت تأتي بمعنى احكمت[2] وبملاحظة هذين النصين اللغويين نحصل على النتائج الثلاثة التالية في شأن هذه المادة .

١ ـ ان (محكم) مشتق من احكم وحكم .

٢ ـ ان (حكم) تأتي بمعنى وثق واتقن . فهي ذات معنى وجودي ايجابي .

٣ ـ ان (حكم) تأتي بمعنى منع فهي ذات معنى عدمي سلبي .

---

(١) القاموس ـ مادة (حكم) .

(٢) لسان العرب ـ مادة (حكم) .

وقد حاول بعض الباحثين فى علوم القرآن ان يرجع مادة الاحـــكام بمشتقاتها المتعددة كالحكم والحكمة وحكم واحكم وغيرها الى معنى واحـــد يجمعها وهو المنع (٣) ولكن المتبادر من مادة الاحكام معنى وجودى ايجابي هو الاتقان والوثوق كما يشير الى ذلك تصريح اهل اللغة فى تفسير اصـل المادة • والمنع يمكن ان يكون من مستلزمات هذا المعنى الايجابي الامر الذى صحح استعمال المادة فيه ايضا •

ب ـ المتشابه : هو التشابه والتماثل •

قال في القاموس ـ الشبه بالكسر والتحريك •• المثل جمعه : اشباه وشابَهَه وأشبهه ماثله وتشابها واشتبها : اشبه كل منها الاخر حتى التبسا وامور مشتبهه ومشبهة كمعظمه مشكله • والشبهة بالضم ـ الالتباس والمثل• وشبه عليه الامر تشبيها لبسَ عليه وفي القرآن المحكم والمتشابه (٤) • وقال في لسان العرب الشبه والشبيه والشبيهه المثل والجمع اشباه واشبه الشيء الشيء ماثله واشبهت فلانا وشابهته واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها اشبه كل واحد منها صاحبه والمشتبهات من الامور المشكلات والمتشابهات المتماثلات والتشبيه التمثيل والشبهة الالتباس وامور مشتبهة ومشبهه • مشكلة يشبه بعضها بعضا • وشبهه عليه خلط عليه الامر اشتبه بغيره (٥) •

وبملاحظة هذين النصين نجد :

١ ـ ان شابهه واشبهه بمعنى ماثله • وكذا تشابه واشتبه ولكنهما يدلان على وجود الوصف فى الطرفين فهو من قبيل المفاعلة •

٢ ـ ان الشبه يأتي بمعنى المثل فهو معنى وجودي ذا طابع موضوعي ولكنه قد يطلق فى نفس الوقت على ما يستلزمه احيانا من (الالتباس) الذي

---

(٣) راجع بهذا الصدد الفخر الرازي • التفسير الكبـــير ١٧٩/٧ والزرقاني مناهل العرفان ١٦٦/٢ ورشيد رضا • تفسير المنار ١٦٣/٣ •
(٤) القاموس : مادة (شبه) •
(٥) لسان العرب ـ مادة شبه •

هو من المعاني ذات الطابع الذاتي القائم في عالم النفس • بل قد تطلق المادة ويراد منها خصوص المماثلة المؤدية : الى الالتباس كما قد يرمي الى ذلك صاحب القاموس في قوله الانف (وتشابها واشتبها اشبه كل منهما الآخر حتى التبسا) • وهذا النوع من الاستعمال نجده في كل مادة تطلق على معنى يقبل الشدة والضعف حيث قد يكون احد مصاديق المعنى مستلزما لوجود شيء آخر •

القرآن محكم ومتشابه

لقد جاء في التنزيل وصف جميع القرآن الكريم بانه كتاب محكم (الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت (هود : ١) وقال بعضهم في قوله تعالى (الر تلك ايات الكتاب الحكيم (يونس : ١) ان حكيم هنا بمعنى محكم[٥] كما جاء في التنزيل ايضا وصف جميع القرآن بانه كتاب متشابه (الله انزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني) الزمر [٥] •

وفي مقابل هذا الاستعمال الشامل لهذين الوصفين نجد التنزيل يطلقهما بشكل يجعل الاحكام مختصا ببعض الآيات القرآنية • ويجعل التشابه مختصا ببعض آخر منها كما جاء ذلك في قوله تعالى (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب) آل عمران : ٧ • ويكاد الباحثون في علوم القرآن يتفقون في تعيين معنى كل من الوصفين في استعمالهما الشامل حيث يجدون ان العلاقة التي صححت اطلاق وصف الاحكام على الآيات القرآنية كلها هي : ما في القرآن من أحكام النظم واتقانه وما فيه من التماسك والانسجام في الافكار والمفاهيم والانظمة والقوانين • كما يجدون ان العلاقة التي صححت اطلاق وصف المتشابه عليه هي محض التماثل والتشابه بين بعضه والبعض

---

[٥] لسان العرب : مادة حكم ١٣/٥٣ ط دار صادر بيروت •

الآخر في الاسلوب والهدف وسلامته من التناقض والتفاوت والاختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) النساء : ٨٢ • ولكنهم اختلفوا منذ البداية حين حاولوا ان يحددوا المعنى المراد من هذين الوصفين (المحكم والمتشابه) في الآية السابعة من آل عمران الامر الذي أدى الى ولادة علم من علوم القرآن سمي بالمحكم والمتشابه • ومن الواضح ان البحث حين يدور حول فهم المعنى القرآني المراد من كلمتي المحكم والمتشابه في هذه الآية الكريمة لا يكون بحثا اصطلاحيا ولا شبيها بالمعنى الاصطلاحي كما هو الحال في البحث عن المراد بالمكي والمدني لانه يحاول ان يحقق غاية موضوعية وهي معرفة ما اراده الله سبحانه من هاتين الكلمتين[٦] • وقد تعددت الاتجاهات والآراء في معنى المحكم والمتشابه المراد من هذه الآية نظرا لاستمرار البحث فيها منذ العصور الاولى للتفسير ولأهميتها من ناحية مذهبية حتى ان بعض الباحثين ذكر ستة عشر رأيا في حقيقة المحكم والمتشابه • وسوف نكتفي في بحثنا هذا بدراسة الاتجاهات الرئيسية الهامة منها •

مختارنا في المحكم والمتشابه

وتفرض علينا طبيعة البحث ان نذكر الرأي الصواب في تحديد معنى هاتين الكلمتين ليتضح على ضوئه مدى صحة بقية الاتجاهات وانسجامها مع المدلول اللغوي والمحتوى الفكري للاية الكريمة • وبهذا الصدد يجدر بنا ان نستذكر تقسيما تعرضنا له في بحوثنا السابقة وهو ان التفسير تارة يكون للفظ وذلك بتحديد مفهومه اللغوي العام الذي وضع له اللفظ واخرى يكون للمعنى وذلك بتجسيد ذلك المعنى في صورة معينة ومصداق خاص •

وعلى اساس هذا التقسيم نتصور التشابه المقصود في الاية الكريمة ضمن نطاق التشابه في تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه الواقعي الموضوعي لا في نطاق التشابه في العلاقة بين اللفظ ومفهومه اللغوي

---

(٦) قارن بهذا ما ذكره الزرقاني في مناهل العرفان ٢/١٦٦ •

(المعنى) سواء في هذا النفي التشابه الذي يكون بسبب الشك في اصل وجود العلاقة بين اللفظ والمفهوم اللغوي (المعنى) كما اذا تردد اللفظ في استعماله بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي .

وهذا التفسير للتشابه لانتباه على أساس عدم صلاحية كلمة التشابه بحدودها اللغوية لاستيعاب هذا اللون من التشابه اللغوي . وانما نقرر ذلك على أساس وجود قرينة خاصة في الآية الكريمة تأبى الانفتاح على هذا اللون من التشابه وهذه القرينة هي ما نستفيده من قوله تعالى (فيتبعون ما تشابه منه) فان هذا الاتباع لا يكون الا في حالة ما اذا كان للفظ مفهوم لغوي يكون العمل به اتباعا له . اذ ليس من اتباع **الكلام ـ اي كلام ـ ان نأخذ باحد معانيه المشتركة وانما يكون هذا العمل من اتباع الهوى والرأى الشخصي .**

وحين نلاحظ استعمال كلمة الاتباع في مجال آخر نجد هذا الاستنتاج أمرا واضحا فنحن نعرف وجود نصوص كثيرة تأمرنا بضرورة اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية والتمسك بهما . فهل نتوهم فيمن يأخذ باحد المعاني المشتركة للفظ خاص ورد في الكتاب الكريم او في السنة النبوية انه متبع للكتاب والسنة . او لابد لانطباق هذا المفهوم في حقه من الاخذ بالنصوص التي لها ظهور في معان معينة . ولا شك بتعيين الشق الثاني اذن فالتشابه المقصود في الآية الكريمة نوع خاص لابد فيه ان يكون قابلا للاتباع وهذه القابلية تنشأ من عامل وجود مفهوم لغوي معين للفظ يكون العمل به اتباعا له .

فالتشابه لم ينشأ من ناحية الاختلاط والتردد في معاني اللفظ ومفهومه اللغوى لاننا فرضنا ان يكون للفظ مفهوم لغوى معين وانما ينشأ من ناحية اخرى وهو الاختلاط والتردد في تجسيد الصورة الواقعية لهذا المفهوم اللغوى المعين وتحديد مصداقه في الذهن من ناحية خارجية .

فحين نأتي الى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) نجد للفظ الاستواء مفهوما لغويا معينا اختص به وهو الاستقامة والاعتدال مثلا . وليس هناك اى تشابه بينه وبين معنى آخر في علاقته باللفظ فهو كلام

قرآني قابل للاتباع ولكنه متشابه لما يوجد فيه من الاختلاط والتردد في تحديد صورة هذا الاستواء من ناحية واقعية وتجسيد مصداقه الخارجي بالشكل الذي يتناسب مع الرحمن الخالق الذي ليس كمثله شيء .

وحين نفهم المتشابه بهذا اللون الخاص لابد لنا ان نفهم المحكم على اساس هذا اللون الخاص ايضا . وهذا شيء تفرضه طبيعة جعل المحكم في الاية مقابلا للمتشابه فليس المحكم ما يكون في دلالته اللغوية متعين المعنى والمفهوم فحسب بل لابد فيه من التعيين في تجسيد صورته الواقعية وتحديد مصداقه الخارجي ففي قوله تعالى (ليس كمثله شيء) نجد الصورة الواقعية لهذا المفهوم متعينة فهو ليس كالانسان ولا كالسماء ولا كالارض ولا كالجبال .

فالمحكم من الايات ما يدل على مفهوم معين لا نجد صعوبة او ترددا في تجسيد صورته او تشخيصه في مصداق معين . والمتشابه ما يدل على مفهوم معين تختلط علينا صورته الواقعية ومصداقه الخارجي .

الاتجاهات الرئيسية في المحكم والمتشابه

١ ـ اتجاه الفخر الرازي :ـ

الاتجاه الاول ـ ان المحكم هو ما يسمى في عرف الاصوليين بالمبين والمتشابه ما يسمى في عرفهم بالمجمل . وقد جاءت صياغة هذا الاتجاه بأساليب مختلفة ولعل ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير هو اوضح صياغة واوفاها بالمقصود قال :

(اللفظ الذي جعل موضوعا لمعنى . فاما ان يكون محتملا لغير ذلك المعنى وأما ان لا يكون فاذا كان اللفظ موضوعا لمعنى ولا يكون محتملا لغيره فهذا هو النص . واما ان كان محتملا لغيره فلا يخلو . اما ان يكون احتماله لاحدهما راجحا على الآخر . واما ان لا يكون كذلك بل يكون احتماله لهما على السواء . فان كان احتماله لاحدهما راجحا على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة الى الراجح ظاهرا وبالنسبة الى المرجوح مؤولا . واما ان كان احتماله لها على السوية كان اللفظ بالنسبة اليهما معا مشتركا وبالنسبة الى

كل واحد منها على التعيين مجملا • فقد خرج من التقسيم الذي ذكرناه ان اللفظ اما ان يكون نصا او ظاهرا او مؤولا او مشتركا او مجملا •

اما النص والظاهر فيشتركان في حصول الترجيح الا ان النص راجح مانع من الغير والظاهر راجح غير مانع من الغير فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم • واما المجمل والمؤول فهما مشتركان في ان دلالة اللفظ عليه غير راجحة وان لم يكن راجحا لكنه غير مرجوح • والمؤول مع انه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمتشابه لان عدم الفهم حاصل في القسمين جميعا • وقد بينا ان ذلك يسمى متشابها اما لان الذى لايعلم يكون النفي فيه مشابها للاثبات في الذهن واما لاجل ان الذى يحصل فيه التشابه يصير غير معلوم فاطلق لفظ المتشابه على ما لا يعلم اطلاقا لاسم السبب على المسبب[٧]• ويمكن ان نلخص رأي الرازي بالشكل التالي :

اللفظ بحسب دلالته على المعنى ينقسم الى اربعة اقسام •

ا ـ النص ـ وهو ما كانت دلالته على المعنى بالشكل الذى لاتسمح مجالا لاحتمال معنى اخر •

بـ الظاهر ـ وهو ما كانت دلالته على المعنى بشكل راجح مع احتمال معنى آخر •

ج ـ المشترك (المجمل) وهو ما كان دالا على معنيين بشكل متساو •

د ـ المؤول ـ وهو ما كان دالا على المعنى بشكل مرجوح فهو عكس الظاهر •

والمحكم • ما كانت دلالته على المعنى من القسم الاول والثاني لوجود الترجيح فيهما •

والمتشابه : ما كانت دلالته على المعنى من القسم الثالث والرابع

(٧) الفخر الرازي : التفسير الكبير ٧/١٨٠ •

لاشتراكهما في ان دلالة اللفظ فيهما غير راجحة • وانما سميا متشابها لعدم حصول فهم المعنى فيهما • ويمكن أن نلاحظ على هذا الاتجاه بالملاحظتين التاليتين :

١ ـ اننا انتهينا من دراستنا للاية الكريمة الى ضرورة الالتزام بان المتشابه المقصود فيها هو التشابه في تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه لا التشابه في علاقة اللفظ بالمعنى بقرينة اخذ مفهوم الاتباع في المتشابه وهو لايتحقق في موارد الاجمال اللغوي •

٢ ـ وحين نساير الفخر الرازي ونتصور التشابه بسبب علاقة اللفظ بالمعنى لا نجد هناك ما يبرر حصر نطاق التشابه في هذه العلاقة بل يمكننا ان نتصور سببا اخر للتشابه وهو التشابه بسبب تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه والفخر الرازي بتقسيمه السابق يحاول ان يغلق علينا هذا الطريق حيث لا يتصور التشابه الا من زاوية علاقة اللفظ بالمعنى •

ب ـ اتجاه الراغب الاصفهاني

الاتجاه الثاني ـ ان المتشابه ما اشكل تفسيره لمشابهته بغيره سواء كان الاشكال من جهة اللفظ او من جهة المعنى • وقد ذكر الراغب تفاصيل طويلة في شرح هذا الاتجاه[٨] ويلاحظ على هذا الاتجاه بالملاحظة الاولى التي ذكرناها في مناقشة الاتجاه الاول ولكنه يتفادى الملاحظة الثانية حيث ينفتح على تصور التشابه بسبب المعنى بغض النظر عن اللفظ وعلاقته بالمعنى •

ج ـ اتجاه الاصم

الاتجاه الثالث ـ المحكم من الآيات ما كان دليله واضحا لائحا كدلائل الوحدانية والقدرة والحكمة • والمتشابهات ما يحتاج في معرفتها الى تأمل وتدبر • وقد نسب الفخر الرازي هذا الاتجاه الى الاصم[٩] •

---

(٨) الاتقان ٢/٥ •

(٩) الفخر الرازي ـ التفسير الكبير ٧/١٧٢ •

ويلاحظ على هذا الاتجاه : انه يرجع الاحكام والتشابه الى عـــامـل خارجي لا ينبع من نفس الكتاب الكريم • وهذا العامل الخارجي هو مدى وضوح الدليل وخفائه على متبنيات القرآن الكريم ومفاهيمـــه في الوقت الذى تدل الآية الكريمة على ان الاحكام والتشابه ينشآن من عامل داخلي يرتبط بالكتاب نفسه•ولذلك ينفتح مجال استغلال اتباع المتشابه في الفتنة• وحين يكون الدليل على احدى دعاوى القرآن الكريم غير واضح على سبيل الفرض • لايكون استغلاله اتباعا للقرآن ابتغاء الفتنة وانما يكون نقدا للقرآن الكريم نفسه •

اضف الى ذلك انه على اساس هذا التفسير للمحكم لا يمكننا ان نفهم المحكم على انه ام الكتاب بعد ان كان الدليل الخارجي هو العامل فيالاتقان والوثوق لانفس الآية الكريمة •

د ـ اتجاه ابن عباس

الاتجاه الرابع ـ ان المحكم ما يؤمن به ويعمل به • والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به • وقد صيغ هذا الاتجاه باساليب مختلفة نسب بعضها الى ابن عباس وبعضها الىابن تيمية[١٠] •

ولعل هذا الاتجاه يقوم على اساس فهم حرمة العمل بالمتشابه من الاية الكريمة ولزوم الايمان به فحسب بخلاف المحكم فانه مما يؤمن به ويعمل به ايضا •

وقد لاحظ العلامة الطبـاطبائي على هذا الاتجـاه بانـه لا يقوم بتحديد معنى المحكم •

والمتشابه ـ كما هو المقصود ـ وانما يبين حكما من احكامهما ، وهو لزوم الايمان والعمل مما بالمحكم **والايمان فقط بالمتشابه • ونحن** بحاجة الى تعيين معنى كل واحد منالمحكم والمتشابه لنعمل بالاول ونكتفي بالايمان

---

(١٠) العلامة الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن ٣/٣٣ •

بالثاني [11] .

ويمكن ان نضيف الى ذلك . ان الاية الكريمة لا تمنع من العمل بالمتشابه وانما تحرم اتباع المتشابه بقصد الفتنة والتاويل دون العمل به بعد ارجاعه الى المحكم .

هـ ـ اتجاه ابن تيميه

الاتجاه الخامس ـ ان المتشابه هو آيات الصفات خاصة اعم من صفات الله سبحانه كالعليم والقدير والحكيم والخبير . وصفات انبيائه كقوله تعالى في عيسى ابن مريم عليهما السلام (وكلمته القاها الى مريم وروح منه)النساء ١٧١ . وما يشبه ذلك [12] .

ويكاد ينهج الاتجاه الخامس المنهج الذي سار عليه الاتجاه الرابع حيث لا يعطينا تحديدا معينا للمحكم والمتشابه . وانما يعرفنا على المتشابه من خلال ذكر بعض مصاديقه وامثلته كالصفات .

اضف الى ذلك انه لا مبرر لحصر المتشابه في الصفات دون غيرها في الوقت الذي نجد ان اكثر المفاهيم التي تتحدث عن عوالم يوم القيامة تشترك مع الصفات في بعض المفاهيم التي تتحدث عن عالم الغيب بشكل عام . مع انها ليست من الصفات في شيء . على ان التشابه في صفات الانبياء انما كان بسبب اضافة هذه الصفة الى الله سبحانه كما في الاية الكريمة . واما صفة النبي باعتباره انسانا فليس فيها تشابه .

ز ـ اتجاه العلامة الطباطبائي .

الاتجاه السادس ـ ما تبناه السيد الطباطبائي في تفسيره (الميزان) بعد ان ناقش الاتجاهات المختلفة في تحديد معنى المحكم والمتشابه قال :

(ان الذي تعطيه الاية في معنى المتشابه ان تكون الاية ـ مع حفظ

---

(١١) المصدر السابق نفسه ٣/٣٦ .
(١٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

كونها آية ـ دالة على معنى مريب مردد • لا من جهة اللفظ بحيث تعالجه الطرق المألوفة عند اهل اللسان كارجاع العـــام والمطـــلق الى المخصص والمقيد ونحو ذلك • بل من جهة كون معناها غير ملائم لمعنى اية اخـــرى لاريب فيها تبين حال المتشابه) (١٣).

وقال في موضع آخر (ان المراد بالتشابه كون الاية بحيث لا يتعـــين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بين معنى ومعنى حتى يرجع الى محكمات الكتاب فتعين هي معناها وتبينها بيانا فتصير الاية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الاية المحكمة والاية المحكمة محكمة في نفسها(١٤).

ويمكننا ان نوضح رأي العلامة الطباطبائي في هذا البحث بالنقـــاط التالية :ـ

١ ـ ان التشابه لا ينشأ من دلالة اللفظ على المعنى حيث يجب ان تكون الاية المتشابهة دالة على معنى معين عرفي •

ويستند هذا الالتزام الى ان التشابه في الاية الكريمة اخذ بالشكل الذي يمكن استغلاله في مجال الفتنة • واذا لم يكن اللفظ له ظهور فـي معنى معين لايمكن استغلاله في مجال الفتنة حيث (جرى دأب اهل اللسان في طرق التفاهم ان لايسمعوا ما هذا شأنه من الالفاظ • فلم يقدم على مثله اهل اللسان سواء في ذلك اهل الزيغ منهم والراسخون في العلم) (١٥) •

٢ ـ ان تكون الاية المتشابهه دالة على معنى يتعارض مع مدلول ايـة اخرى غير مريب وهي الاية المحكمة • ويستند هذا الالتزام الى ان الايات المحكمة هي ام الكتاب وتعني الامومة هذه حل التشابه عند الرجـــوع الى المحكمات بالشكل الذي يتعين به مدلول الاية المتشابهة على ضوء مدلول الاية الاخرى المحكمة • وهذا لا يتحقق اذا لم يكن تعارض بين الآيتين(١٦) .

---

(١٣) الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن ٣/ ٤٠ •
(١٤) المصدر السابق ٣/ ١٩ •
(١٥) المصدر السابق ٣/ ٣٣ •
(١٦) المصدر السابق ٣/ ٤٣ •

٣ ـ ان يكون المعنى المدلول للاية المتشابهة مرددا ومريبا •

ويستند هذا الشرط الى ضرورة وجود المقياس الذى نرجع اليه فى معرفة الآية المحكمة الام من الآية المتشابهة التى نرجع اليها بعد وجود التعارض بينهما وهذا المقياس هو ريب المعنى فى المتشابه واستقراره فى المحكم •

٤ ـ ان ظاهر الاية السابعة من ال عمران هو انقسام الايات القرآنية بشكل استيعابي الى المحكم والمتشابه بحيث تنعدم الواسطة (١٧) •

ويمكننا ان نلاحظ على هذا الاتجاه بعدة ملاحظات :

فأولا ـ نجد هذا الاتجاه غير قادر على تحديد الموقف تجاه الايات التى تكون دالة على معنى مردد بين معنى مريب ومعنى غير مريب • لان هذه الايات لا تكون واجدة لميزان المتشابه لفقدانها الظهور اللفظى كما انها غير محكمة لما فيها من التردد فى الدلالة على المعنى •

وحين يعجز الاتجاه عن تحديد موقفه من هذه الايات نجد النقطة الرابعة غير واردة فى المحكم والمتشابه • وقد يتشبث هذا الاتجاه بالمذهب الذى يقول بضرورة ان تكون جميع الايات القرآنية ظاهرة فى معان معينة على اساس ان القرآن الكريم كتاب هدى ونور مبين وحينئذ فلا يبقى مجال لمثل هذه الفرضية فى ايات القرآن الكريم •

ولكن هذه الضرورة القرآنية انما يلتزم بها فى الحدود التى تقول بعدم وجود اية قرآنية غامضة بشكل مطلق بحيث لا يوجد فى القرآن ما يوضحها ويفسرها والا فمن الممكن الالتزام بوجود آيات قرآنية مجملة الدلالة من ناحية مفهومها اللغوى مع الالتزام بوجود ما يوضحها فى القرآن

---

(١٧) المصدر السابق ٢/٣٢ •

الكريم نفسه • وهذا الالتزام لا يزيد عن الالتزام ـ من حيث الروح ـ عن الالتزام الذى آمن به هذا الاتجاه بان يكون اللفظ ظاهرا فى معنى مريب يفسره المحكم •

وبعد هذا لا مجال لادعاء ان الاية المتشابهة لابد وان تكون ظاهرة فى معنى اذ يكتشف هذا عن التزام غريب من القرآن الكريم يتلخص فى انه كلما اراد معنى غير مريب من لفظ غير ظاهر فيه يستعمل لفظا ظاهرا فى معنى مريب ويكشف عن ارادته للمعنى غير المريب بواسطة المحكم ، دون ان يستعمل اللفظ فى معنى مردد بين المريب وغير المريب ويكشف عن هذا التردد بواسطة المحكم •

وثانيا ـ ان هذا الاتجاه يلتزم بضرورة قيام الاية المحكمة بدور احكام الاية المتشابهة بعد ارجاعها اليها • مع ان الاية المحكمة لا تقوم الا بدور تضييق نطاق تصور المعنى فى الاية المتشابهة على ضوء ما تعطيه الاية المحكمة من معنى لا ان تجعل من الاية المتشابهة آية محكمة بشكل يتحدد صورة معناها ويتجسد مصداقه •

اذ يكفي فى صدق مفهوم الاحكام على الاية ان تقوم بدور الوقاية من تسرب صور ومصاديق المعاني الباطلة الى المعنى المتشابه • وهذا يكون فى بعض الاحيان نتيجة طبيعية لتصورنا للمحكم والمتشابه حيث اخذناه على اساس التشابه فى تحديد صورة المعنى ومصداقه لا فى تحديد مدلول اللفظ ومعناه • وبهذا نجد الفرق بين احكام القرينة اللفظية لذى القرينة بشكل يجعله مختصا بمعنى خاص وبين احكام الاية المحكمة للاية المتشابهه • مع اننا نتصور هذا الشيء فى القرينة اللفظية ايضا •

وثالثا ان هذا الاتجاه يلتزم بضرورة التعارض المفهومي بين المحكم والمتشابه كما جاء فى النقطة الثانية فى الوقت الذى عرفنا ان الاية المتشابهه لا تدل على مفهوم لغوى باطل ليلتزم بتعارضه مع المفهوم اللغوى للاية المحكمة • وانما

ينشأ الزيغ من محاولة تأويل الاية المتشابهة الذى يعنى تجسيدها فى مصداق معين وصورة محددة الامر الذى يفرض علينا الرجوع الى المحكم فـــى محاولة تحديده وتجسيده • وهذا الشيء هو الذى يستفاد من معنى الايـة الكريمة حيث ان الاية المتشابهة لو كانت دالة بحسب ظهورها على معنى باطل لـكان مجـرد اتباعه زيغا دون محاولة تأويله مع ان الآية تقول انهم يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله •

ونخلص من مجموعة هذه الاراء والمناقشات الى تلخيص الـــرأى المختار بالنقاط التالية : ـ

١ ـ ان الاية المتشابهة لابد وان تكون ذات ظهور خاص فى معنى لغوى معين بقرينه قوله تعالى (فيتبعون) •

٢ ـ ان المعنى الذى تدل عليه الاية المتشابهة لا يكون بمفهومه اللغوى باطلا وانما يكون صحيحا والفتنة والزيغ انما يكونان بمحاولة تجسيده فى صورة ومصداق باطل •

٣ ـ ان التشابه انما يكون فى المعنى نفسه وذلك بتحديد صـــورة المعنى وتجسيد مصداقه لا فى علاقة المعنى باللفظ والاحكام ما يكون فى قبال هذا التشابه بان تكون صورة المعنى المحكم محددة ومصداقه الواقعى مجسدا بشكل يستقر اليه القلب ولا يتردد فيه •

فاى معنى قرآني اذا لاحظناه فان كنا نتردد فى تحديد صـــورته وتجسيد مصداقه فهو معنى متشابه والاية التى تتضمنه اية متشابهة • وان كنا لا نتردد فى تحديد صورته وتجسيد مصداقه وانما يركن القلب والعقل الى صورة واضحة ومصداق معين فهو معنى محكم والاية التى تتضمنه آيـة محكمة •

الحكمة فى وجود المتشابه فى القرآن الكريم

لقد تعرض الباحثون فى علوم القرآن لهذا البحث وذكروا لاثارته سببين •

الاول ـ ان القرآن الكريم كتاب هداية ونور مبين ووجود المتشابه فيه لا يتفق مع هذه الحقيقة لان المتشابه لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم .

الثاني ـ ما اشار اليه الفخر الرازي ونسبه الى الملاحدة ـ ان وجود المتشابه في القرآن كان سببا لاختلاف المذاهب والاراء وتمسك كل واحد منها بشيء من القرآن بالشكل الذي ينسجم مع مذهبهم . وهـذا يناقض الاهداف التي جاء من اجلها القرآن الكريم .

ولذا عمل الباحثون في علوم القرآن على استكشاف وجوه الحكمة في المتشابهات في القرآن . وعلى هذا الاساس ذكرت وجوه متعددة ومختلفة تتأرجح بين الضعف وغاية القوة والمتانة [١٨] .

وسوف نشير في بحثنا الى بعضها مع مناقشة ما يستحق النقد منها .

الاول ـ ما ذكره الشيخ محمد عبده ـ ان الله سبحانه انزل التشابه ليمتحن قلوبنا في التصديق به فانه لو كان كل ما ورد في الكتاب واضحا لاشبهة فيه عند احد من الاذكياء ولا من البلداء لما كان في الايمان به شيء من معنى الخضوع لما انزل الله تعالى والتسليم لما جاءت به رسله [١٩] .

وقد ناقشه العلامه الطباطبائي بان الخضوع هو انفعال معين وتأثـر خاص من قبل الضعيف في مقابل القوي . ولا يكون ذلك من الانسان الا لما يدرك عظمته او لشيء لا يتمكن من ادراكه لعظمته وكبره كقـدرة الله وعظمته وسائر صفاته التي اذا واجهها العقل رجع القهقرى لعجزه عـن الاحاطة به . وهذين الامرين غير واردين في المتشابه لانه وان كان مـن الامور التي لا يدركها العقل ولا ينالها ولكنه يقر باعتقاده لادراكها وحينئذ

---

(١٨) راجع بهذا الصدد الفخر الرازي . التفسير الكبير ٧/١٨٤ـ ١٨٥ ، والسيوطي الاتقان ٢/١٢ـ١٣ والزرقاني مناهل العرفان ٢/١٧٨ـ ١٨١ .

(١٩) رشيد رضا تفسير المنار ٣/١٧٠ .

لا معنى لخضوعه لها [٢٠]».

ولكن هذه المناقشة لا يمكن الالتزام بها وذلك لان معنى الامتحان بالمتشابه هو وضعه كمقياس بين المؤمن وغيره . فالمؤمن من امن به استسلاما منه للمتشابه وان لم يدرك كنهه دون محاولة تاويله . والذى زاغ قلبه يغتر به ويدعى معرفة تاويله والانسان فى حالة غروره وان لم يكن خاضعا ولكنه غير مؤمن لان الخضوع لا يكون الا من المؤمن وهو لايكون مغترا .

وبعبارة اخرى ان المتشابه لا يكون بطبيعته موردا لاغترار العقل وانما قد يزيغ الانسان فيغتر بادراكه لكنهه . ومن هنا جاء تمحيص القلوب بالمتشابه . فاذا صدق الانسان به واستسلم له فهو قد ثبت على الايمان واذا اغتر به وحاول معرفة تأويله فقد زاغ قلبه . وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم حيث قال (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) فهو شيء تمحص به القلوب . فمن كان فى قلبه مرض وزيغ اتبعه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

الثاني ـ ماذكره الشيخ محمد عبده ايضا ان وجود المتشابه فى القران كان حافزا لعقل المؤمن الى النظر كيلا يضعف فيموت فان السهل الجلى جدا لا عمل للعقل فيه والعقل اعز القوى الانسانية التى يجب تربيتها والدين أعز شيء على الانسان فاذا لم يجد العقل مجالا للبحث فى الدين يموت عامل العقل فيه واذا مات فيه لا يكون حيا بغيره[٢١] .

وقد ناقشه العلامة الطباطبائي ان القرآن الكريم اهتم بالعقل وتربيته اهتماما بالغا . فامر باستعمال العقل فى الايات الافاقية والانفسية اجمالا فى بعض الموارد كما فصل ذلك فى موارد اخرى كالامر بالتدبر فى خلق السموات والارض والجبال والشجر والدواب والانسان واختلاف الالسنة

---

(٢٠) الطباطبائي ـ الميزان فى تفسير القرآن ٣/٥٧ .
(٢١) رشيد رضا ـ تفسير المنار ٣/١٧٠ .

والالوان • كما حث على التفكير والسير في الارض والنظر في احـــوال الماضين وحرض العقل والفكر ومدح العلم بابلغ المدح وفي كـــل ذلك ما يغني عن سلوك طريق آخر هو انزال المتشابهات الذي يكون مزلقة للاقدام ومصرعا للعقل (٢٢) •

الثالث ــ ما ذكره الشيخ محمد عبده ايضا • ان الانبياء بعثـوا الى جميع الاصناف من عامة الناس وخاصتهم وفيهم العـالم والجاهل والذكي والبليد • وهناك من المعاني ما لايمكن التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه الجميع على السواء وانما يفهمه الخاصة منهـم عن طريق الكناية والتعريض ويؤمـر العامة بتفويض الامـر فيـه الى الله تعالى والوقوف عند حد المحكم فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده (٢٣) •

وقد ناقشه العلامة الطباطبائي بان الكتـاب الكريم كمـا يشتمل على المتشابهات كذلك يشتمل على المحكمات التي تبين هذه المتشابهات عنـــد الرجوع اليها ولازم ذلك ان لاتتضمن المتشابهات من المعاني ما هو ازيد مما تكشف عنه المحكمات وعند ذلك يبقى سؤالنا • ما فائدة وجود المتشابهات في الكتاب؟ واي حاجة اليها مع وجود المحكمات ؟ على حاله •

والسبب في هذا الاشتباه الذي وقع فيه الشيخ محمد عبده انه اخذ المعاني نوعين متباينين ــ الاول ــ معاني يفهمها جميع المخاطبين من العامـــة والخاصة وهي مداليل المحكمات • الثاني ــ معاني حقيقتها بحيث لا يدركها الا الخاصة ولا يتلقاها غيرهم وهي المعارف الالهية والحكم الدقيقة فكان من نتيجته انمن المتشابهات مالا ترجع معانيها الى المحكمات • وقد مر ان ذلك مخالف لمنطوق الايات الدالة على ان القرآن يفسر بعضه بعضا وغير ذلك (٢٤) •

---

(٢٢) الطباطبائي ــ الميزان في تفسير القرآن ٣/٥٨ •
(٢٣) رشيد رضا • تفسير المنار ٣/١٧٠ ــ ١٧١ •
(٢٤) الطباطبائي • الميزان في تفسير القرآن ٣/٥٨ •

وهذه المناقشة لا تقوم على اساس منطقي • اذ ما هو الشيء الذي يمنع من وجود هذين القسمين من المعاني •

اذا كان المانع من ذلك هو ما يشير اليه العلامة الطباطبائي من امومة المحكمات للمتشابهات •• فقد عرفنا ان هذه الامومة لا تعني اكثر من وضع حدود خاصة معينة للمتشابهات تمنع عن الزيغ فيها وتسقط من الحساب جميع الصور والتجسيدات غير المنسجمة مع روح القرآن • وهذا لا يعني تجسيد الصورة الحقيقية للمعنى المتشابه وتعيينها في مصداق خاص حتى تختفي الفائدة منه •

فقوله تعالى (ليس كمثله شيء) محكم يسقط من الحساب جميع التجسيدات التي تشبه الاشياء كمفهوم الاستواء على العرش في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ولكنه لا يعطينا الصورة الواقعية والمصداق المجسد لهذا الاستواء فهو معنى مستقل لا يمكن ان نفهمه عن ذلك المحكم (ليس كمثله شيء) •

واذا عرفنا دور المحكم تجاه المتشابه امكننا ان نتصور بسهولة ان بعض المعاني لا يدركها الا الراسخون في العلم دون العامة • خصوصا المعاني التي ترتبط ببعض المعلومات الكونية الطبيعية كجريان الشمس (الشمس تجري لمستقر لها) او تلقيح الرياح (وجعلنا الرياح لواقح) او جعل الماء مصدرا للحياة (وجعلنا من الماء كل شيء حي) فان كل هذه المعلومات حين تتكشف لدى العلماء تكون من المعلومات التي اشار اليها القرآن الكريم ويعرفها الخاصة من الناس دون غيرهم •

والعلامة الطباطبائي نفسه تصور هذا التمايز بين الناس في الادراك للمعاني وان حاول ان يصوغه بشكل آخر (فظهر ان للناس بحسب مراتب قربهم وبعدهم منه تعالى مراتب مختلفة من العمل والعلم • ولا زمه ان يكون

ما يتلقاه اهل واحدة من المراتب والدرجات غير مايتلقاه اهل المرتبة والدرجة الاخرى التي فوق هذه او تحتها • فقد تبين للقرآن معان مختلفة مترتبة) (٢٥) •

فهو يتعقل في المعنى القرآني الاختلاف • ولكنه يتصوره على اساس الاختلاف في الدرجة والمرتبة للمعنى الواحد كما يتعقل في الفهم الانساني هذا الاختلاف ايضا • وحين تتعقل ذلك لا يبقى ما يمنع ارادة القرآن الكريم بآية معينة مرتبة ودرجة خاصة من معنى معين دون غيرها • وحينئذ لا يقدر على فهم هذه المرتبة والدرجة الا ذلك القريب من الله •

الرابع ـ ما ذكره العلامة الطباطبائي ـ ان التربية الاسلامية سارت على منهج معين بفرض الواقع للانسان وعلاقته بالله سبحانه خالق الكون ومدبر اموره وبالمعاد والجزاء •

وهذا المنهج يتلخص في ان عامة الناس لا يكاد تتجاوز افهامهم وعقولهم المحسوسات المادية الى عالم ما وراء الطبيعة • ولايمكن ان يعطى انسان ما معنى من المعاني الا عن طريق تصوراته ومعلوماته الذهنية التي حصلت له خلال حياته المادية والعقلية • والناس في هذه التصورات والمعلومات على مراتب ودرجات تختلف باختلاف الممارسة المادية والعقلية •

والهداية القرآنية ليست مختصة بجماعة دون اخرى وانما هي هبة الله سبحانه للناس كافة •وهذا الاختلاف في الفهم وعموم الهداية القرآنية : يفرضان ان يسوق القرآن الكريم بياناته مساق الامثال بان يستثمر ما يعرفه الانسان ويعهده في ذهنه من المعاني والصور ليبين ما لايعرفه من هذه المعاني والصور •

وقد يكون ذلك في القرآن الكريم مع عدم وجود التوافق الكلي بين المعنى الذي يعرفه الانسان مسبقا والمعنى الجديد الذي يحاول القرآن الكريم تعريف الانسان عليه • وانما يلحظ القرآن جانبا معينا من الانسجام

---

(٢٥) المصدر السابق ٣/٦٧ •

والتوافق • كما نفعل ذلك فى حياتنا العملية حين نستمر الاوزان والمكاييل للتعريف بالمواد الغذائية وغيرها مع عدم وجود التوافق بينها وبين المـــواد الغذائية فى شكل او صورة او حجم •

وحين نستعمل الصورة المادية المحسوسة ـ التي عرفها الانسان فى حياته كأمثال للمعارف الالهيه المجردة يقع الفهم الانسـاني فى ادراكه لهذه المعارف الممثلة بين امرين قد يستلزم كل منهما محذورا :ـ

الاول ـ الجمود بهذه المعارف فى مرتبه الحس المادى وحينئذ تنقلب عن واقعها المجرد الذى استهدفته الهداية القرآنية •

الثاني ـ الانعتاق من الاطار المادى للمثال والقيام بعملية تجســريد للخصوصيات غير الداخلة فى التمثيل • وهذا يستلزم ـ احيانا الـــزيادة والنقيصة فى هذه العملية او الشدة والضعف •

ولذا نجد القرآن يلجأ الى عملية واسعة فى التمثيل تفاديا لهذه المشاكل العقلية والنفسية • وذلك بتوزيع المعاني التى يريد من الانسان ادراكهـا وتربيته على تصورها • الى امثال مختلفة وجعلها فى قوالب متنوعة حتـــى يفسر بعضها بعضا ويوضح بعضها امر بعض لينتهي الامر الى تصفية عامـــة تؤدي الى النتيجتين التاليتين :ـ

الاولى ـ ان البيانات القرآنية ليست الا امثالا لها فى ما ورائها حقائق ممثلة وليس الهدف والمقصود منها مرتبط باللفظ المـأخـوذ مـن الحس والمحسوسات فنتخلص بذلك من محذور الجمود •

الثانية ـ بعد الالتفات الى أن البيانات القرآنية أمثـال ـ نعلم حـدود المعنى الالهي المقصود من وراء هذه البيانات حين نجمع بين هذه الامثـــال المتعددة وننفى بكل واحد منها خصوصية من الخصوصيات المأخوذة من عالم الحس الموجودة فى المثال الآخر • فنطرح ما يجب طرحه من الخصوصيات

المحيطة بالكلام ونحتفظ بما يجب الاحتفاظ به منها[٢٦] .

ولا شك ان هذا الوجه يمكن ان يعتبر تعليلا وجيها لورود الكثير من الايات المتشابهه ولكننا لا نقبله تعليلا شاملا لكل ما ورد في القـــرآن من المتشابهات حيث نرى ان بعضها لايمكن تحديد مصداقه بشكل قاطع بناء على مذهبنا في حقيقة المتشابه الذى عرفنا فيه ان المفهوم اللغوى له مفهوم صحيح وغير باطل لينتفى الريب بواسطة الامثلة الاخرى القرآنية .

وفي نهاية المطاف يجدر بنا ان نذكر خلاصة الوجه الصحيح فـــي حكمة ورود المتشابه في القرآن . وبهذا الصدد يحسن بنا ان نقســـم المتشابه الى قسمين رئيسيين .

الاول ـ المتشابه الذى لا يعلم تأويله ومصداقه الا الله .

الثاني ـ المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم .

اما ورود القسم الاول في القرآن فلأن من الاهـداف الرئيسة التـي جاء من اجلها القرآن الكريم هو ربط الانسان الذى يعيش الحياة الدنيـا بالمبدأ الاعلى وهو الله سبحانه وبالمعاد وهو الدار الآخرة وعوالمهـا . وهذا الربط لا يمكن ان يتحقق الا عن طريق اثارة المواضيع التى تتعلق بعالـم الغيب وما يتصل به من افكار ومفاهيم لينمّي غريزة الايمان التى فطـــر الانسان عليها ويشده الى عالمه الذى سوف ينتهي اليه . فلم يكن هناك سبيل امام القرآن الكريم يتفادى به المتشابه في القرآن بعد ان كان هو السبيـل الوحيد الذى يوصل الى هذا الهدف الرئيسى .

واما ورود القسم الثانى في القرآن الكريم بهذا الاسلوب امام العقل

---

(٢٦) العلامة الطباطبائي . الميزان في تفسير القرآن ٣/٥٨ ـ ٦٥ . وقد لخصنا كلامه وتركنا بيان الامثلة والايضاحات الفكرية التى اوردهـــا لتأييد مدعياته .

البشري كبعض المسائل الكونية وغيرها لينطلق فى تدبر حقيقتها واكتشاف ظلماتها المجهولة ونحن فى هذا العصر حين نعيش التطور المدني العظيم في المجالات العلمية المختلفة • ندرك قيمة بعض الايات القرآنية التى المحت الى بعض الحقائق العلمية ووضعتها تحت تصرف الانسان لينطلق منها فى بحثه وتحقيقه •

وبهذا يمكن ان نقدم تفسيرا لحكمة ورود المتشابه فى القـــرآن الكريم •

« هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن امّ الكتـــاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغـاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب »

آل عمران آية ٧

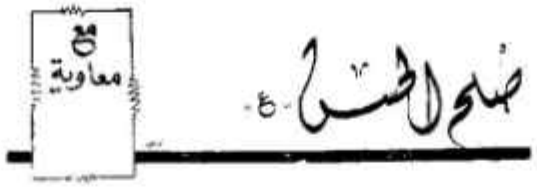

هذا مقال كان قد ارسله المجتهد الكبير العلامة السيد محسن الامين قدس الله روحه سنة ١٣٦٨ هـ الى سماحة السيد العسكري ليلقى فى حفل كان قد اقامه لذكرى الامام الحسن (ع) ولم يقدر للحفلة ان تقام فلم تلق الكلمة ولم تنشر ولما كان السيد الامين من رجالنا الكبار وممن يعتز بآثارهم . فقد نشرنا مقالته هذه بمناسبة مولد الامام الحسن (ع) .
التحرير

لا نريد ان نتكلم على هذا المقام بصفة اننا نعتقد انه احد الائمة الاثني عشر الذين نعتقد عصمتهم وانما نريد ان نتكلم عليه بصفة مجردة وننظر الى الامور من وجهتها التاريخية الصرفة ونحكم عليها حكما مستفادا مما ثبت من رواية الرواة واهل الاخبار فنثبت ان الحسن عليه السلام لم يعد فى حربه وصلحه مع معاوية سنة الحزم والتدبير والنظر فى عواقب الامور والاحتياط لعدم الالقاء باليد الى التهلكة الذي واقق فيه حكم العقل حكم الشرع .

لما بلغ معاوية وفاة امير المؤمنين عليه السلام وبيعة الحسن دس رجلين الى الكوفة والبصرة ليتجسسا له ويكتبا اليه بالاخبار ويفسدا على الحسن الامور فعلم بهما الحسن ـ ع ـ وامر بضرب اعناقهما فقتلا . وشعر الحسن ـ ع ـ بتخاذل اهل الكوفة ولما بلغه ان معاوية جمع العساكر وسار قاصدا الى العراق بعث حجرا بن عدى يأمر العمال والناس بالتهيوء للمسير وجمع الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد .. وانه فى كلامه ليتخوف خذلان الناس له وقد وقع ما تخوفه ـ فما تكلم منهم احد ولا اجابه بحرف

فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فأنبهم ووبخهم واجاب الحسن عليه السلام بالسمع والطاعة وتوجه من فوره الى المعسكر وامر غلامه ان يلحقه بما يصلحه وفعل مثله قيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرياحي وزيادة بن صعصعة التيمي فحينئذ نشط الناس للخروج واجتمع منهم عسكر عظيم .

وشتان بين عسكر يجتمع لاول وهلة بمجرد الدعوة خالص النية نافذ البصيرة . وعسكر لايجتمع الا بعد التوبيخ والتقريع والحث على الجهاد . وبعث الحسن عبيدالله بن العباس في اثني عشر الفا من فرسان العرب وقراء المصر الرجل منهم يرد الكتيبة ولوصاه بهم فقال يا ابن عم الن لهم جانبك وابسط وجهك وافرش لهم جناحك وادنهم من مجلسك فانهم بقية ثقة أميرالمؤمنين وامض حتى تستقبل بهم معاوية فاحبسه حتى نأتيك ولكن خبرك عندى كل يوم وشاور هذين قيس بن سعد وسعيد ابن قيس واذا الفيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك . هذا منتهى التدبير وجودة الرأى وحسن القول والعمل .

وجاء معاوية بعسكره فنزل«مسكن»وجاء عبيدالله بأثقاله فارسل اليه معاوية ان يدخل فى طاعته ويعطيه الف الف درهم نصفها معجل ونصفها مؤجل الى دخوله الكوفة فانسل عبيد الله ليلا ودخل عسكر معاوية وخان عهد الحسن ـعـ ودخل فى طاعة من ارسل بسر بن ارطأة فذبح ولديه على درج صنعاء تحت ذيل امهما فماذا يصنع الحسن اذا فعل ابن عمه هذا الفعل واطاع عدوه الواتر له . وسار الحسن عليه السلام بجيشه ومعه اخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولابيه وبعضهم خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل وسيلة وبعضهم اصحاب فتن وطمع فى الغنائم وبعضهم شكاك واصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون الى دين فلما وصل ساباط المدائن اراد ان يمتحن اصحابه ويستبرىء احوالهم فى الطاعة ليتميز بذلك اولياؤه من اعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية فخطبهم وقال فى خطبته ان

ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة
فظنوا من هذا الكلام انه يريد ان يصالح معاوية فقالوا كفر والله الرجل وهذا يدل على انهم خوارج وشدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى اخذوا مصلاه من تحته ومطرفه عن عاتقه ثم ركب فرسه واحاط به جماعة من شيعته يمنعون الناس عنه فطعنه رجل في فخذه حتى بلغ العظم وشق فخذه وقال اشركت يا حسن كما اشرك ابوك • وفي رواية انه لما نزل المدائن نادى مناد في العسكر الا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا فنفروا الى سرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى بساطا كان تحته فازداد لهم بغضا ومنهم ذعرا • ومن كانت هذه حالهم كيف يمكن الركون اليهم والاستنصار بهم • وكتب جماعة من رؤساء القبائل الى معاوية بالسمع والطاعة ، في السر ، واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن اليه عند دنوهم من عسكره وبلغ الحسن ذلك ودس معاوية الى عمرو بن حريث والاشعث بن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي دسيسا أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه انك اذا قتلت الحسن فلك مئة الف درهم وجند من اجناد الشام وبنت من بناتي ، فلما الحسن ذلك فاستلأم ولبس درعا وشترها وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة الا كذلك ، فرماه احدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة وورد على الحسن كتاب قيس بن سعد يخبره بما صنع عبدالله بن العباس فازدادت بصيرته بخذلان القوم له وفساد نيات المحكّمة فيه ، بما اظهروا له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب امواله ولم يبق معه من يأمن غوائله الا خاصته وهم جماعة لا تقوم لاجناد الشام فكتب اليه معاوية في الهدنة والصلح واتفذ اليه يكتب بكتب اصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به او تسليمه اليه فاشترط لنفسه في اجابته الى صلحه شروطا كثيرة وعقد له عقودا كان في الوفاء بها مصالح شاملة فلم يثق به الحسن وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير انه لم يجد بدا من اجابته لما كان

عليه اصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر فى حقه والفساد عليه والخلف منهم له وما انطوى عليه كثير منهم فى استحلال دمه وتسليمه الى خصمه وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره الى عدوه وميل الجمهور منهم الى العاجلة وزهدهم فى الاجلة فتعلق لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه والاعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين فاجابه معاوية الى ذلك .

ومما تقدم يعلم ان الحسن عليه السلام لم يفرط فى امر السياسة بشيء واخذ بالحزم والتدبير فعلم بالجاسوسين الذين ارسلهما معاوية وقتلهما واستحث أهل العراق وسار بمن تبعه منهم لقتال معاوية وارسل اثني عشر الفا مقدمة له واقر عليهم ابن عمه عبدالله ابن العباس وامره بمشاورة قيس وسعيد لما يعلم من نصحهما وان امارات الخذلان كانت بادية على اهل العراق بتثاقلهم اول الامر حين دعاهم وانهم لم يخرجوا الا بعد التانيب والتوبيخ ممن عرفت وان المخلصين له منهم كانوا اقل قليل واكثرهم خوارج واهل عصبية خرجوا تبعا لرؤسائهم وطمعا فى النهب ولم يكونوا اهل بصيرة وانه كان يتخوف خذلان اصحابه من اول الامر وان خطبته بالمدائن لم تكن الا لاختبارهم واظهار اسرارهم ، وانه لم يكن من الرأى ان يسير بهم على تلك الحال اذ لايؤمن ان يسلموه الى معاوية فلما ظهر له فساد نيات الخوارج بما اظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب امواله مع ما كان من فعل عبيدالله بن العباس وما علم من مكاتبة اصحابه معاوية وما ضمنوه له من القتك به او تسليمه اليه وعلم انه لو لم يصالح لسلموه الى معاوية ولكانت المفسدة اعظم ، اجاب الى الصلح مكرها مرغما مختارا اقل الضررين واهون المفسدتين وان صلحه هذا لا يجعل لمعاوية عذرا ولايرفع عنه وزرا بل يزيده ذما واثما . ومما يدل على ماذكرته ما ذكره ابن الاثير فى تاريخه قال : لما ارسل معاوية الى الحسن فى تسليم الامر اليه خطب فقال:اما والله ما يثنينا عن

اهل الشام شك ولا ندم وانما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في مسيركم الى صفين ودينكم امام دنياكم واصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم الا وقد اصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره • فاما الباكي فخاذل واما الطالب فثائر الا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفة فان اردتم الموت رددناه وان اردتم الحياة قبلناه واخذنا لكم الرضا فناداه الناس من كل جانب البقية ، البقية • وما حكاه سبط ابن الجوزي عن السدي انه قال لم يصالح الحسن معاوية رغبة في الدنيا وانما صالحه لما رأى اهل العراق يريدون الغدر به وفعلوا معه ما فعلوا فخاف منهم ان يسلموه الى معاوية والدليل عليه انه خطب بالنخيلة قبل الصلح فقال ايها الناس ان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية انما هو حق اتركه ارادة لاصلاح الامة وحقنا لدمائها وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين •

وقد ابان عليه السلام وجه العذر في مصالحته لمعاوية بما لايمكن احدا دفعه في ما رواه الصدوق في العلل بسنده عن ابي سعيد انه قال للحسن بن علي عليهما السلام يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت ان الحق لك دونه وانه ضال باغ فقال يا ابا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله (ص) لبني ضمرة وبني اشجع ولاهل مكة حين انصرف من الحديبية اولئك كفار بالتنزيل وهؤلاء كفار بالتاويل يا ابا سعيد اذا كنت اماما من قبل الله تعالى لم يجب ان يسفه رايي فيما اتيته من مهادنة او محاربة وان كان وجه الحكمة فيما اتيته ملتبسا الا ترى الخضر لما اخرق السفينة وقتل الغلام واقام الجدار اسخط موسى -ع- فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى اخبره فرضي ، هكذا انا سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه فلولا ما اتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الارض احدا الا قتل •

وقال عليه السلام في جملة كلام له رواه الطبرسي في الاحتجاج والله ما سلمت الامر الى معاوية الا اني لم اجد انصارا ولو وجدت انصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ولكن عرفت اهل الكوفة وبلوتهم

ولايصلح لي منهم من كان فاسدا • انهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل انهم لمختلفون ويقولون لنا ان قلوبهم معنا وان سيوفهم لمشهورة علينا • ومن مجموع ما مر يعلم الوجه في صلحه عليه السلام وانه كان هو الـــرأى والصواب •

بيروت ـ ٢٧ صفر سنة ١٣٦٨ •

« الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا »

« الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة »

مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى •

اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتـم بهما لن تضلوا بعدى •

رسول الله (ص)

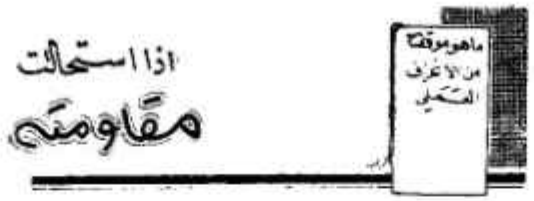

اذا استحالت مقاومة

محمد حسين فضل الله

هل ننسحب من الميدان انطلاقا من طبيعة ارتباط واقع الدعوة بواقع العمل ، فاذا اصبح العمل مستحيلا ، اصبحت قضية الدعوة بلا معنى ؟! او اننا نبقى في الطريق ، نتابع النداء تلو النداء ، والدعوة تلو الدعوة وان لم يجبنا غير الصدى .

ربما يرى بعض العاملين لزوم اختيار السؤال الاول ، في مقام الجواب نظرا الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من الواجبات التي تقع في طريق العمل . ومن الطبيعي لهذا ان تفقد الدعوة مبرراتها اذا فقدت هدفها ولذلك قال بعض العلماء ـ ان هذا الواجب يعيش في اطار احتمال التأثير والمقابلة لصحيح الاحراف .

ولكننا لا نرى ذلك ، واننا نعمد الى اختيار السؤال الثاني ، انطلاقا من حقيقة اساسية وهي : ان للحكم الشرعي مجالين ، احدهما المجال الداخلي الذي يعيش التشريع معه في داخل النفس فكرا وعاطفة ، يوحي للنفس العمل ويحاكمها اذا انحرفت ، وهو الذي يمثل الضمير الديني في حياة المسلم . ثانيهما : المجال الخارجي ، الذي يمارس فيه الانسان المسلم تطبيق الشريعة في حياته الخارجية .

ولابد للمسلم ـ من اجل ان يكون منسجما مع اسلامه ـ من ان يعيش معاليم الله في كلا المجالين ، لتركيز البناء الخارجي للعقيدة على قاعدة ذاتية في نفس الانسان .

ولهذا فان علينا ـ في حالة استحالة تقويم الانحراف في المجال الثاني ـ ان لا نغفل المجال الاول ، فيجب ان نتابع الدعوة للاحتفاظ بالاستقامة في خط العقيدة لتبقى المسؤولية حية داخل الذات ، كعقيدة تتحكم في النفس لئلا يمارس المرء جريمته وانحرافه ، وهو مرتاح الضمير .

وبكلمة اوضح : ان الانسحاب من الدعوة عند اليأس من تصحيح الانحراف وتقويمه سوف يؤدي الى تأكيد الانحراف في حياة الانسان العقيدية ، في تصوراته للحياة ، في المفاهيم التي يؤمن بها بعيدا عن مفاهيم الاسلام الاصيلة ، بالاضافة الى الانحراف الخارجي ، وسينتهي ـ بالتالي ـ الى انعدام الاحساس بالذنب عند ممارسة العمل غير الشرعي ، مما يقتضي تحطيم الحواجز النفسية التي يريد الاسلام اقامتها في النفس ، من اجل ان تكون ضمانة عن الانحراف في الفكرة والتصور .. وستكون النهاية ان يصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا فتتغير الصورة وتتبدل الى العكس تماما ، كما وعد بذلك الرسول الاعظم ـ ص ـ في حديثه عن نتيجة الاهمال ، وانعدام المسؤولية في حياة الامة ، عند امتداد الانحراف .

ومن هنا نجد ان القضية لا تدخل في نطاق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لتخضع لشروطها الفقهية ، وانما تدخل في اطار التبليغ ومحاولة ابقاء العقيدة حية في نفوس المسلمين .

بقيت هنا ملاحظة على طبيعة السؤال الاول : وهي : اننا لا نصحح فرض انحراف لا تمكن مقاومته فلا بد لهذا السؤال ، من ان يمثل جانب المرحلة المعينة التي يمكن فيها هذا الفرض لا طبيعة العمل نفسه في مدى الزمن .

التدرج في الدعوة كقاعدة عامة للعمل :

من المفيد لنا ـ ونحن نستعرض خطوات الداعية ، التي يجب ان يخطوها في طريق العمل ـ ان نستفيد من تدرج الدعوة الاسلامية في التبليغ ، لنجعل منها قاعدة عامة للعمل .

فهي ـ فيما نفهم ـ ليست طريقة تنبع من الظروف الانية او المحلية التي عاشت فيها الدعوة في بدء الرسالة ، وانما تنبع من طبيعة اي تنظيم للحياة ، وللعقيدة ، وللعمل يراد له البقاء والاستمرار والخلود ، انطلاقا من مبدأ الاعداد النفسي للامة قبل احاطتها بالحزام الكلي للفكرة .

لان العقيدة ـ اية عقيدة كانت ـ عندما تستهدف تغيير الواقع الفكري والحياتي للامة ، الذي يعني نقل الامة من اجوائها السابقة الى اجواء العقيدة الجديدة وتبديل مفاهيمها الاجتماعية والروحية وتطوير عقليتها في اتجاه ذلك ، ان العقيدة ـ عندما تستهدف ذلك كله ـ لابد لها من القيام بعملية التغير والتحول ، بشكل تدريجي ، لتعتاد الامة اجواءها الجديدة شيئا فشيئا ، دون هزة عنيفة ، او ردة فعل شديدة ، تفرضها المفاجأة ، وتدعو اليها الطفرة .

ومما يؤكد انطلاق هذا الموقف في تدريجية التشريع الاسلامي ، من قاعدة عامة وخطة شاملة .. ان القضية لم تقتصر على التدرج في مفردات التشريع بانزال الاحكام على دفعات ، وانما تمثلت في التدرج في طبيعة كل حكم بنفسه فلم يحاول الاسلام مفاجأة الناس بالحكم ، وانما حاول تهيئة الاجواء العامة واعدادها اعدادا خاصا على مراحل ، كما حدثنا عن ذلك بعض الاحاديث التي عرضت لموضوع تشريع الخمر .

تشريع الخمر كمثل على القاعدة :

فقد ورد في "الكافي" : (عن بعض اصحابنا مرسلا قال : ان اول ما نزل في تحريم الخمر قول الله عزوجل « يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما اثم كبير ومنافع للناس اثمهما اكبر من نفعهما » فلما نزلت هذه الاية احس القوم بتحريمها وتحريم الميسر وعلموا ان الاثم مما ينبغي اجتنابه ، ولا يحمل الله عزوجل عليهم من كل طريق لانه قال : (ومنافع للناس) .

ثم انزل الله عزوجل آية اخرى « انما الخمر والميسر والانصاب

والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » فكانت اغلظ من الاية الاولى واشد .

ثم قال عز وجل : « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله فهل انتم منتهون » فامر باجتنابها وفسر عللها التي لها ومن اجلها حرمها .

ثم بين الله عزوجل تحريمها وكشفه في الاية الرابعة مع ما دل عليه في هذى الآية المذكورة المتقدمة بقوله عزوجل .

« قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » وقال عزوجل في الاية الاولى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس » ثم قال : ان الاثم في الخمر وغيرها وانه حرام .... » .

ثم استطرد الحديث في اعتبار هذه القضية في الخمر قاعدة عامة في كل تشريع « ذلك ان الله عزوجل اذا اراد ان يفترض فريضة انزلها شيئا بعد شيء حتى يوطن الناس انفسهم عليها ويسكنوا الى امر الله عزوجل ونهيه فيها وكان ذلك من فعل الله عزوجل على وجه التدبر فيهم اصوب واقرب الى الاخذ بها واقل لنفارهم منها [1] .

الامام الصادق يتحدث عن الفكرة :

ويحدثنا الامام الصادق عن ذلك فيما يرويه الكافي عنه : « عن ابي عبدالله الصادق ـ ع ـ » قال : ان الله رفيق يحب الرفق ، فمن رفقه بعباده تسليله اضغانهم ، ومضادتهم لهواهم وقلوبهم ، ومن رفقه بهم : انه يدعهم على الامر ، يريد ازالتهم عنه رفقا بهم ، لكيلا يلقى عليهم عرى الايمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا ، فاذا اراد ذلك نسخ الامر بالاخر فصار منسوخا[2]» .

---

(١) الكافي ج ٥/٤٠٦ مطبعة حيدرى طهران .

ويستفاد من هذا الحديث : ان مبدأ النسخ في التشريع كان منسجما مع قاعدة الاعداد النفسي للتشريع النهائي ، ومراعاة المرحلة التي تتركز فيها قوة المكلف الايمانية والروحية ، على تقبل التشريع والعمل به ، لئلا يصبح التشريع ثقيلا على المكلف في الوقت الذي لايملك القدرة على حمله .

الاسلوب في مستوى القاعدة :

وما دمنا قد وصلنا بهذا الاسلوب الى مستوى القاعدة ، فيمكننا استخدامه في مجال التبليغ وعرض الدعوة على الناس ، فلا نحاول تقديم التشريع اليهم دفعة واحدة بل نتدرج فيه تبعا لقوة الايمان عندهم ، وتدرجهم في العقيدة ، فلا نحمل على صاحب الخطوة الاولى ، ما نحمله على صاحب الخطوة الثانية ، وهكذا .. لتنسجم الدعوة مع عقلية المخاطبين ومستواهم ودرجة ايمانهم .

ويرشدنا الى ذلك ما رواه عبدالعزيز القراطيسي عن الامام الصادق ـعـ ، قال : **قال لي ابو عبدالله : يا عبدالعزيز : ان الايمان عشر درجات بمنزلة السلم ، يصعد منه مرقاة مرقاة ، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء (حتى ينتهي الى العاشر) .**

ثم يقول ـعـ : « فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك ، واذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ، ولاتحملن عليه ما لا يطيق فتكسره . فان من كسر مؤمنا فعليه جبره [٧] .

ويوضح الامام الصادق ـعـ هذه الفكرة في حديث آخر ، بمثل ، وذلك في حديثه مع بعض اصحابه .

« ساضرب لك مثلا : ان رجلا كان له جار ، وكان نصرانيا فدعاه الى الاسلام وزينه له فاجابه ، فاتاه سحرا ، فقرع عليه الباب ، فقال له من هذا؟

---

(٢)الكافي ج٢/١١٨ مطبعة حيدري طهران

قال انا فلان قال وما حاجتك ؟ فقال : توضأ والبس ثوبيك ومر بنـــا الى الصلاة قال : فتوضأ ولبس ثوبيه وخرج معه قال : فصليا ما شاء الله ثم صليا الفجر ثم مكثا حتى اصبحا ، فقام الذى كان نصرانيا يريد منزله فقال له الرجل : اين تذهب ؟ النهار قصير ، والذى بينك وبين الظهر قليل قال : فجلس معه الى ان صلى الظهر ، ثم قال : وما بين الظهر والعصر قليـــل ، فاحتبسه حتى صلى العصر ، قال : ثم قام واراد ان ينصرف الى منزله فقال له : ان هذا آخر النهار واقل من اوله ، فاحتبسه حتى صلى المغرب ، ثم اراد ان ينصرف الى منزله فقال : انما بقيت صلاة واحدة قال : فمكث حتى صلى العشاء الاخرة ثم تفرقا ، فلما كان سحيرا غدا عليه ، فضرب البـاب عليـه فقال : من هذا ؟ قال : انا فلان : قال وما حاجتك ؟ قال توضأ والبس ثوبيك، واخرج بنا نصل قال : « اطلب لهذا الدين من هو افرغ منى وانا انســـان مسكين وعلي عيال .

فقال ابو عبدالله ـعـ : ادخله فى شيء اخرجه منه (او قال) : ادخله من مثل ذه واخرجه من مثل هذا (٣) .

فى خطى الاسلوب :

أ ـ وعلى ضوء ما قدمناه نستطيع ان نقرر خطأ الاسلوب الـــذى يحاول عرض التشريع دفعة واحدة امام مختلف المستويات ، او تبليغ بعض نقاط العقيدة ، دون بعض ، لبعض الناس وذلك ، لان التشريعات مترتبة فى الخفة والثقل ، فلا يصح دعوة الناس الى ما ينقل عليهم تركه بادىء ذى بدء لاعتيادهم على ممارسته او حاجتهم اليه ، بل ينبغى دعوتهم الى ما يسهل عليهم امتاله ، لخفته على طباعهم وقربه الى حياتهم ، لان امتثال التكليف الشديد يتطلب قوة ، لايملكها الانسان بادىء ذى بدء ، ومرونة يحتاج الى اعتيادها .

اما امتثال التكليف الخفيف ، فيهيىء له هذه القوة ، تماما كما يتدرج

---

(٣) الكافى ج٢/٤٣ ـ ٤٤ مطبعة الحيدرى بطهران

كالرياضيون في رفع الاثقال ، من الاوزان الخفيفة الى الاوزان الثقيلة ، حسب مراتبها ، لان حمل كل وزن يعطي الجسم قوة تعينه على حمل الوزن الاخر الذى لا يستطيع الجسم حمله في المرتبة الاولى .

ب ـ وفي جانب العقيدة ، نلاحظ ان نقاط العقيدة واصولها متدرجة ، فلا يمكن فهم مسألة النبوة ، بشكل منفصل عن مسألة الالوهية ، ولا يجوز عرض مسألة الامامة بمعزل عن مسألة النبوة ، كما لا معنى لعرض مسألة وجود الله وعدله وقدرته ، وحكمته ، لا رتباط كل جانب من هذه الامور بالجانب الاخر .

ولذلك فان من الخطأ الواضح عرض مسألة ـ الامام المنتظر ـ الذى تعتقد به الشيعة الامامية ، منفصلة عما يتقدمها من اصول العقيدة والمذاهب لانها لن تفهم الا في هذا المجال ، تماما ، ككل نتيجة يحتاج فهمها الى مقدمات .

ج ـ ومن بين هذه القضايا التى ينبغى ملاحظة طبيعة الارتباط فيها بين الجوانب المتعددة ، قضية (الخوارق للعادة) من معجزات الانبياء والاوصياء ، فقد دأب الكثيرون من الخطباء والوعاظ والعلماء ، على ذكرها والتحدث في المجالس التى تضم المستويات المختلفة في الفكر والعقيدة والايمان ، ممن يفهم جذور هذه القضايا وممن لا يفهم شيئا من ركائزها ، الامر الذى يولد في نفوس مستحدثي الايمان ، او البعيدين عنه ، فكرة الخرافة عن الدين ، بالنظر الى ان قضية المعجزات مرتبطة بفكرة الايمان بالله من جهة ، والغيب من جهة اخرى ، وفهم طبيعة النبى او الولى الذى تتم هذه القضية على يديه ومعرفة الظروف التى تعيش فيها هذه الامور ، ومدى ارتباطها بقدرة الله التى لا تقف عند حد .

فاذا لم تكن هذه الجوانب معروفة عند السامع ، فلا يمكن له ان يفهم طبيعة المعجزة الا على اساس انها من الاساطير التى تتعلق بها الاديان لخداع

السذج والبسطاء من الناس .

وبكلمة واحدة : ان على الداعية والمبلغ ان يفكر قبل ان يقوم بواجب الدعوة والتبليغ ، بان من الممكن ان يكون المجلس الذى يتحدث فيه ، مشتملا على مختلف المراتب والدرجات فى الايمان .

ولذا فان عليه ـ فى هذه الحالة ـ ان يجعل حديثه منسجما مع الخط المشترك بين هذه المراتب ، لئلا يفاجىء بالانكار بادىء ذى بدء .

وقد ورد فى بعض الاحاديث (ما مضمونه) : « لا تحدث بما تسابق الافهام الى تكذيبه » ، وفى هذا الحديث اشارة الى طبيعة المضمون والشكل والعرض .

بعض نماذج القاعدة من سيرة النبى ـص ـ

وقد نلاحظ فى الاحاديث التى تتحدث عن سيرة النبي (ص) ، انه كان يدرس عقلية الشخص الذى يريد هدايته وارشاده ، وظروفه ، وطبيعة المجتمع الذى يعيش فيه ، والجماعات الذين يرتبط بهم ، والعادات التى يعتادها ، ثم يعطيه التوجيه بالمقدار الذى ينسجم مع هذه الامور .

أ ـ ففي بعض الاحاديث : ان شخصاً جاء الى النبي ـص ـ وقال له : انى لا استطيع القيام باداء الصلوات الخمس ، ولكنى استطيع الالتزام باداء ركعتين فى اليوم .

فما كان من النبي (ص) ـ فيما يقول الحديث ـ الا ان وافق معه على ذلك ، ومضى الرجل فى اداء الركعتين كل يوم ، حتى ذاق حلاوة الصلاة ، وانسجم مع اجوائها الروحية وعرف قيمتها وفائدتها ، فرجع الى الصلوات الخمس يؤديها بكل اخلاص وخشوع فقد عرف النبي (ص) ان هذا الانسان لا يعرف قيمة الصلاة ومعناها ، ولذا فهو يعتبرها عبئا ثقيلا على حياته ، لايؤدي الاشياء المفروضة عليه من خارج ذاته ، دون ارادة او رغبة ، ولذا

فقد حاول التخفيف من هذا العبء مهما امكن ، بهذه الطريقة .

ولاحظ النبي (ص) ـ ازاء هذا الواقع ـ انه ان لم يوافق على التخفيف في المرحلة الاولى فسوف لن يربح شيئا من هذا الرجل ، ولن يكون امره بالصلوات الخمس شيئا عمليا على كل حال .

فاراد (ص) ان يجعله يعيش اجواء الصلاة وروحانيتها ، بعيدا عن الشعور بالثقل والتعب ، فرضي منه بما طلب ليضع قدمه على اول الطريق ، فيعرف ما في الدرب من الوان المتع الروحية ، ليسير فيه طواعية واختيارا دون ضغط او اكراه .

وهكذا رأينا النتيجة التي قدرها النبي (ص) منسجمة مع الغاية الطبيعية لهذا الاسلوب .

اما الفكرة التي نستطيع استفادتها من هذا الحديث ، فهي : ان على الداعية والمبلغ ، ان يستعمل افضل الاساليب واقربها للسير مع الشخص الذي يدعوه نحو بداية الطريق ، ليطلع على ما فيه من خير وراحة وطمانينة ، فيسعى اليه بعد ذلك بنفسه .

ب ـ وربما نجد في السيرة النبوية بعض الاحاديث التي تدلنا على المرونة التي تلاحظ وتدرس طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه الانسان في اعطائه بعض التعاليم دون بعض فقد ورد في الكافي «عن ابي عبدالله قال : قال رجل للنبي (ص) يارسول الله علمني قال : اذهب ولا تغضب فقال الرجل : قد اكتفيت بذلك فمضى الى اهله ، فاذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفا ولبسوا السلاح ، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ، ثم قام معهم ، ثم ذكر قول رسول الله ـص ـ لاتغضب ، فرمى السلاح ، ثم جاء يمشي الى القوم الذين هم عدو قومه ، فقال : ياهؤلاء ما كانت لكم من جراحة او قتل او ضرب ليس فيه اثر فعلي في مالي انا او فيكموه فقال القوم : فما كان فهو لكم نحن اولى بذلك منكم ، قال : فأصطلح القوم وذهب الغضب » .

فقد لاحظ النبي ـص ـ طبيعة المجتمع العشائرى الذى يخضع لتقاليد العصبية التى تثيرها الكلمة الحادة ، وتهزها اللحظة الخاطفة ، وعرف حاجة الانسان الذى يعيش فى هذا المجتمع الى ان يملك اعصابه ، ليتصرف بهدوء بعيدا عن نوازع العصبية ومواقفها فاختار لهذا الانسان وصية ترك الغضب ، لانها تمثل الضمانة الوحيدة التى يستطيع معها الانسان تفادى كـــل آثار العصبية من القتل والنهب والاعتداء على الاخرين وغير ذلك من الامور التى حرمها الله واراد سلامة المجتمع منها .

وقد رأينا كيف استطاعت هذه الوصية ان تؤتي ثمارها فى اللحظات الحاسمة التي عاشها هذا الانسان مع قومه واعدائهم .

وقد اكتفى النبي ـ ص ـ بهذه الوصية ، ولم يضف اليها شيئا لانه رأى ـ بثاقب نظره ان العصبية هي المشكلة الاولى فى المجتمع الذى يعيش فيه هذا الانسان ، بحيث لو تفادى آثارها لاستطاع ان يجعل من نفســـه انسانا مستقيما طيبا ، لفقدان المشاكل الاخرى التى تثير الانسان نحو الشر وتقوده الى الهاوية ، بالمستوى الذى يرتفع الى مستوى هذه المشكلة .

وهكذا استطاعت هذه القضية ان تعطينا درسا فى مراعاة الظـــروف الطبيعية التي يعيشها الانسان او المجتمع الذى يراد اصلاحه وملاحظة اكثر المشاكل تعقيدا والحاحا على حياة الشخص ، لمعالجتها ، بالدرجـة الاولى ، واعطائها الافضلية فى التوجيه ، من اجل ان يكسب الانسان بممارسة عملية المقاومة فيها ، قوة يستطيع ان يتغلب معها على بقية المشاكل بسهولة .

وقد يتساءل البعض :

لماذا يراد منا ان نتدرج فى التبليغ ، وملاحظة ظروف الاشخاص ، ودراسة مستوى عقيدتهم وايمانهم ، اذا كانوا مسلمين يؤمنون بالاســلام ونظمه فقد يكون لهذا التدرج مبرر ، فى نطاق العمل الذى يعيش فى وسط غير اسلامى لابتعاده عن واقع العقيدة الاسلامية وروحيتها .

اما المسلمون ، فانهم يؤمنون بكل تشريع انزله الله على قلب النبي محمد (ص) فلا نحتاج معهم الى اى عملية (دبلوماسية) في هذا المجال •

ولكن فات هؤلاء •• اننا نتحدث فى مجتمع المسلمين الـذى يعيش معنا الان دون ان يعي مفاهيم الاسلام وايحاءاتها ، وانما يتقبله بشـكل تقليدى ، لا يتصل بالمضمون من قريب او بعيد ، بل ربما يتعدى الى اعتقاد بعض المفاهيم الخاطئة والافكار المنحرفة ، باسم الدين ، الامر الذى يجعل عملية مخاطبته ، والتحدث معه فى شؤون العقيدة ، لا تختلف عن مخاطبة اى شخص من خارج العقيدة ما داما يشتركان فى طبيعة الانحراف عـن الخط المستقيم •

ولذلك نجد ان من الخطأ الواضح •• عرض مفاهيم الاسلام جملـة واحدة امام ابنائنا الذين عاشوا فى اجواء غير اسلامية ، وتبنوا بعض الافكار المنحرفة ، لان ذلك قد يسبب لهم الارتباك والضلال ، وينتهى بهـم الى الجحود والكفران •

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هـي احسن •

بحث واف عن النكسة قدمه العلامة الجليل السيد مهدي الحكيم مدرس النظام الاسلامي في الكلية • الى مؤتمر العالم الاسلامي المنعقد في عمان بتاريخ ١٦-١٠-١٩٦٧ حين حضره ممثلا لسماحة والده المرجع الاسلامي الاعلى السيد الحكيم دام ظله حاملا رسالة سماحته التي نشرناها في العدد السابق •

ان ما حدث خلال الايام الخمسة العاصفة والنتيجة المأساة التي انحسرت عنها ، والتي ستكون - عندما يكتب تاريخ هذه الفترة - نقطة من ابرز نقاط التاريخ الحديث للمسلمين العرب ، ينبغي أن يكون حافزاً لنا على القيام بمراجعة شاملة الى الظروف والملابسات التي جعلت من النتيجة المأساة قدرنا المحتوم •

ان ما حدث ببساطة كان نتيجة خطأ ما ، ولكن الكلام في تحديد نوع هذا الخطأ • قد يكون من رأي الرجل العادي ذي التفكير السطحي ، وبعض القادة العسكريين ، ان ما حدث كان نتيجة خطأ عسكري يقوم على سوء تقدير للموقف العسكري الفعلي للعدو •

ولكن لنا في تحديد نوع الخطأ رأي آخر ، فنحن نعتقد بأن ما حدث كان نتيجة لخطأ اكبر وأفدح ، وما كان لأي خطأ عسكري أن يؤدي الى ما حدث لولا الاخطاء الكبرى التي قام عليها وجودنا الفكري ، ونظامنا التربوي ، ومناهجنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية •

كل أمة تواجه تحديات تتفاوت في اهميتها بتفاوت طموح الامة ، وتختلف باختلاف ظروفها هي وظروف اعدائها فالتحدي اذاً من لوازم وجود كل أمة طامحة ان لم يكن من لوازم وجود كل أمة على الاطلاق ليس مهما ، وانما المهم هو نوعية ردود الفعل التي تنعكس على الامة نتيجة

للتحدي . وقد واجه المسلمون في العصر الحديث التحديات الكبرى التالية:

١ ـ الاستعمار الغربي .

٢ ـ التخلف الفكري .

٣ ـ الفقر الناتج عن سوء توزيع الثروة وتخلف وسائل الانتاج .

٤ ـ اسرائيل .

ونحن نريد أن نمر سراعا في تحليل ردود الفعل التي انعكست على واقع الامة نتيجة هذه التحديات باستثناء موضوع اسرائيل فسنتحدث عنه بشيء من التفصيل .

١ ـ الاستعمار الغربي :

تعرف المسلم العادي على الحضارة الحديثة من خلال قوتها المادية متمثلة بالاستعمار الغربي ، بعد أن هيأته عهود طويلة من الحكم الاسود المخالف لاحكام الاسلام لقبول هذا الاستعمار أول الامر بما غرست تلك العهود في قلبه وعقله من ايمان بأنه لا يقدر عن طريق جهده الخاص ان يغير واقعه ويحسن ظروفه .

وقد بقيت هناك حقيقة واحدة يدركها المسلم العادي بعفوية وبساطة وهي : ان هذا الاستعمار يمثل قوة مجافية للاسلام ، وعلى ضوء هذا الادراك انبعث لكفاح الاستعمار ممثلا في جيوش الاحتلال ، وقد استند قادة المسلمين في كفاحهم ضد الاستعمار الى الروح الدينية ، واستثمروها الى المدى الذي كانوا يحسنون أن يعملوا في نطاقه ، ويدركوا ابعاده .

وقد اضطرت القوى الاستعمارية واحدة بعد الاخرى ان تخرج بعد أن تبين لها بوضوح استحالة استمرار وجودها بالشكل التقليدي في محيط بشري معاد لها ، ويجعل مصالحها الحيوية معرضة لخطر مستمر .

ولكن القوى الاستعمارية لم تخرج الا بعد أن خلفت وراءها مشكلات خطيرة نذكر فيما يلي أكثرها خطورة :

أ ـ انشاء كيانات ثقافية للمسلمين تقوم على فكرة (القومية) فعملت على احياء التاريخ الجاهلي لكل جماعة عنصرية مسلمة لاعطاء هذه الجماعات شخصيات تاريخية وحضارية ـ وان كانت مصطنعة ـ منفصلة عن شخصيتها التاريخية والحضارية التي جاءتها من قبل الاسلام ومن قبل كونها تشكل جزءاً من الامة الاسلامية •

ب ـ تكوين فئة من المثقفين على المناهج التي أرادها الاستعمار وخطط لها في العالم الاسلامي ، ولُقن هؤلاء المثقفون معلوماتهم ومناهجهم الفكرية وفقا للحضارة الغربية ، ولمفاهيمها عن الكون والحياة والانسان • وقد تسلم كثير من هؤلاء بعض مقاليد السلطان في كل بلد اسلامي خرج منه الاستعمار بقواته المنظورة ، فسيطروا بذلك على قسم كبير من مقدراته • مارسوا حكمه ، ووجهوا سياساته التربوية والاقتصادية والاجتماعية • وقد اتهم هؤلاء الحاكمون شعوبهم بالتأخر والجهل والرجعية ، وتخيلوا أنفسهم وكأنهم يقومون بمهمة تاريخية ، فاستخدموا القوة التي يملكونها لارغام شعوبهم على اتباع طريقتهم ونهجهم ، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف الى ايجاد هوة عميقة الغور بين الحاكمين والمحكومين ، وأوجب أن يمثل الحكم في نظر الامة دور المتهم دائما ، فهي تحاكمه في استمرار وتدينه باستمرار •

٢ ـ التخلف الفكري :

كان من نتائج انفتاح العالم الاسلامي على الحضارة الغربية من خلال الشكل المادي لها متمثلا بالاستعمار ، وما خلف ذلك من اندهاش موقت • أن ساد الاعتقاد لدى كثيرين بأن الغرب متفوق فكريا على الشرق الاسلامي وان الحضارة الغربية اكثر اصالة من الحضارة الاسلامية ، لأنها حققت نتائج ملموسة اكثر نجاحا ، ومن ثم فان المفاهيم والمبادىء التي تقوم عليها هذه الحضارة ينبغي أن تكون أصح وأحرى بالقبول • وقد ساعدت الحركة

التبشيرية ـ باعتبارها تنتسب الى المستعمرين ، على ترسيخ هذه الاوهـام معطية لها بعداً دينياً جعل الاسلام في موقف المتهم ، وأدين من قبل حركة التبشير بانه هو المسؤول عن تخلف المسلمين ولسنا فـي حاجة الى القول بأن الاستعمار استغل هذه الاوهام وساندها بكل ما يملك من وسائل •

وقد دخل التعليم الحديث ـ وفق المناهج الغربية ـ الى العالم الاسلامي في ظل الاستعمار الغربي وصاغت الاجهزة الاستعمارية مناهج التعليم بشكل يوجب تحطيم القيم الروحية ، والاخلاقية الاسلامية في عقول الاجيـال المسلمة الناشئة ، وتشويه التراث الحضاري للمسلمين ، رافعة في مقـابل ذلك كله القيم الغربية في الفكر والعمل والمبادىء الحضارية الاوربية •

وقد تابع حكام ما بعد عصر الاستعمار الظاهر المباشر هذا النهج ولم يفرقوا ـ عن جهل أو عن سوء نية ـ بين انسانيات الحضارة ، وتكنولوجيتها، بين مضمونها الروحي والاخـلاقي ومظاهرها المـادية ، ولذا فلم يدركوا ـ او لم يريدوا أن يدركوا ـ ان العالم الاسلامي اذا كان بسبب فساد الحكم فيه ، ومن ثم ابتلاءه بالترف ، ومن ثم فقد مؤسساته المتماسكة وسقوطه في هاوية التبعية الاجنبية ، ومن ثم فقده المناعة ، وانهيـاره أمام الكارثة المعولمة .. اذا كان بسبب ذلك قد فقد قدرته على متابعة تقدمه في التطبيقات التكنولوجية للمبادىء الفكرية ، فانه لم يفقد المضمون الروحي والاخلاقي، وان الاصلاح الذي كان يجب أن يحدث في الجانب التربوي هو التركيز على انسانيات الاسلام ، واعطاء الامة مناعة ضد الغزو الاوربي الفكري ، مع الاخـذ بمناهج العلوم التطبيقية • لم يدركوا أو لم يشاؤا أن يدركوا هذه الحقيقة البسيطة فتابعوا المناهج التي تعلموا على وفقها •

وقد كان من نتائج متابعة هذه المناهج أن تعرض كثيرون من المثقفين للضياع الديني وفقدوا القدرة على مقاومة تيار الترف والانحـلال الخلقي الذي تميزت به الحضارة الغربية في هذا القرن ، وغدا المثل الاعلى لدى

اكثر الناس هو تحقيق هذا الترف وهذا الانحلال فى حياتهم الخاصة .

ثم كان أن امتدت أيدي الحاكمين خلال ذلك الى التشريع الاسلامي فى الحياة العامة والخاصة فأزاحوه فى معظم المجـــالات ، واستوردوا فى مقابل ذلك أنظمة للمجتمع مزيجة من الانظمة الاوربية المتعددة ، وغـدا القانون الغربي ـ بما يقوم عليه من مفاهيـم فكرية مستمدة من الحضارة الغربية ـ هو الذى يحكم مجتمعنا .

وبقي الاسلام الى عهد قريب محصوراً ضمن نطـــاق الاحـــوال الشخصية ، حتى تعاظم المـد الكافر فأزاح الاسلام وتشريعاته ـ فى كثير من البلاد الاسلامية ـ حتى عن هذه المنطقة الضيقة من حياة الفرد المسلم ، وغدا المسلمون يساسون وتصاغ حياتهم الشخصية والعامة وفقـــا لمبادىء وقوانين بعيدة عن الاسلام تمام البعد ، هذا مع محافظة الدولة على بقاء اسم الاسلام دينا رسميا للدولة .

وقد كانت هذه التحديات فى الثقافة والاجتماع والتشريع سببا فى ردود فعل متفاوتة الشدة لدى القادة الروحيين الذين ادانوا هذه المنـاهج بالمروق والانحراف .

ولقد نتج عن الاخطا المتعمدة والعفوية التي جاءت عن طريق موقفا الخاطىء اساسا من التخلف الفكرى عدة مضاعفات أهمها :

أ ـ عمق الشعور لدى الرأى العام بأنه محكوم بفئات من النـــاس اكثرها غريبة عنه ، وتمثل افكارا ومناهج مخالفة للعقيدة التي يؤمن بها .

ب ـ نشوء فئة من المتعلمين على المنهاج الغربي غـدت قاعدة فكرية للافكار والمناهج المنافية للاسلام .

جـ ـ عدم قدرة هذه الفئـــة على التعرف على هموم الناس العـاديين ومشاكلهم ، ومن ثم معالجتها بالطريقة المناسبة لعقائدهم ومثلهم العليـــا ،

وذلك لأنها تعيش فى مناخ فكري غريب عن ثقافة الجماهير وعقائدها .

د ـ شيوع الانحلال الخلقي والترف مما سبب رخاوة المجتمع ، وأفقده المناعة اللازمة لمقاومة التحديات ، والقدرة على تبديل موقفه المتخاذل أمام تحديات وقوى الآخرين المعادية .

هـ ـ كانت لدى المجتمع قضية كبرى يحيى عليها ويقتحم الموت بشجاعة من أجلها وهي (الاسلام) وقد سببت جميع الاوضاع المذكورة ضعف هذه القضية وفقدانها الكثير من قدرتها على التأثير فى الجماهير .

٣ ـ الفقر الناتج عن سوء توزيع الثروة وتخلف وسائل الانتاج :

كان مجتمع ما قبل عصر الاستعمار ـ بحكم كونه زراعيا ، وسبب عدم التطبيق الصحيح للمناهج الاسلامية ـ يعاني من الفقر ومن سوء توزيع الثروة . ومع أن الاحتكاك بالحضارة الغربية واقتباس الاساليب الحديثة فى تنمية الثروات الطبيعية قد زاد من الثروة العامة نوعا ما ، الا انه لم يساهم الا بجزء ضئيل فى رفع مستوى معيشة الشخص العادى . والعامل المهم فى ذلك يعود الى أن حكام ما بعد عصر الاستعمار كانوا فى الغالب من اتباع المستعمرين ، فحابوهم من نهب ثروات البلاد ، واستغلالها لحسابهم الخاص ، ولم يستخدم هذه الثروات فى تنمية الدخل الفردى ، ومن ثم فلم تساهم مساهمة تذكر فى رفع مستوى المعيشة ، بل على العكس ساهمت فى انخفاض مستوى المعيشة لدى فئات كثيرة من الناس ، لأن نمو الثروات العامة نتج عنه ارتفاع فى تكاليف المعيشة لم يصاحبه ارتفاع فى الدخل الفردي .

وقد أوجد الاحتكاك بالغرب ـ حاجات جديدة وفتح ابوابا للانفاق لم يستطع أكثر الناس التمتع بها لعدم قدرتهم على تنمية دخلهم ، بما يوازي التكاليف المرتفعة والحاجات الجديدة ، فنتج عن ذلك ان تكوّن لدى كثير من الناس شعور بالاضطهاد والظلم . وقد كان هذا الشعور حافزا مهما

على التغيرات الكبرى التي حدثت في البلاد الاسلامية ، واشتداد ساعد الحركات الاجتماعية المناهضة للرأسمالية الغربية ، تلك الحركات التي لم يكن لدى روادها الادراك الواعي للاسلام كنظام يمكن الاعتماد عليه في معالجة شرور الرأسمالية ، فجاءت حركاتهم تحمل في مضمونها فكرا غربيا الحاديا ونظرة مادية صماء ، تستبعد كل القيم الروحية والاخلاقية ، وتتنكر لكل المثل العليا .

واسفر الحكم الجديد في بعض البلاد الاسلامية ، وفي ظل هذه التغيرات الجديدة عن وجهه ، واذا هو حكم ضال منحرف يسخر من الاسلام وتشريعاته ونظمه ، ويدعو علانية الى رفضها والتخلي عنها . وغدا اسم الاسلام يثير الذعر والتقزز والشبهات لدى اكثر الاوساط الحاكمة في العالم الاسلامي ، وعلى الخصوص في العالم العربي .

وقد حاول الحكام الجدد ، وقواعدهم الفكرية أن يكوّنوا لدى الجماهير عقيدة جديدة تقوم على أنقاض الاسلام ، فبشروا بالاشتراكية عقيدة في بعض المجتمعات ، وبالقومية ذات المحتوى الاشتراكي في بعض المجتمعات الاخرى ، بينما بقيت بعض المجتمعات الاسلامية ذات الانظمة التقليدية تتمسك بالقومية الخام عقيدة تستخدمها في مقابل الدعوة الى الاسلام ، وفي سبيل ايجاد رباط معنوي بين الجماهير بعد أن فقد الرباط الديني تأثيره الفعال بسبب ما وجه اليه من هجمات وما تعرض له من تحريف وتزييف .

وبالرغم من التخريب الهائل الذي تعرض له المجتمع ـ بسبب هذه الدعوات الغريبة ـ في تقاليده وعقائده واخلاقياته واقتصاده واجتماعه ، فان هذه الدعوات لم تحقق للفرد العادي شيئا ذا قيمة من وعودها المسولة في تحسين مستواه المعيشي . بل بقيت الكثرة الساحقة من الاشخاص

العاديين في نفس مستواها المعيشي السابق ، وانخفض المستوى المعيشي لكثير من الفئات الموسرة بسبب المناهج الجديدة التي لم تساهم أبداً في زيادة الانتاج ، بل أحدثت رد فعل نتج عنه انخفاض الانتاج في قطاعات كثيرة ابرزها الزراعة ، ولم تساهم ابداً في عدالة التوزيع بل بقي توزيع الثروة الناتجة على حاله الاول تقريبا .

لقد نتج عن الاخطاء التي ارتكبت في معالجة الفقر وسوء توزيع الثروة .

أ ـ شيوع الالحاد في اوساط واسعة من المثقفين وشيوع الشك في القيم الروحية في اوساط اخرى .

ب ـ عمق الهوة التي تفصل بين الرأي العام والحاكمين في كثير من البلاد الاسلامية نتيجة لشعور الرأي العام أكثر فأكثر بانه محكوم بنظام معاد للاسلام الذي يعتقده ويؤمن به .

ج ـ غلو الحكام القائمين في بعض البلاد الاسلامية في محاربتهم الاسلام بعد شعورهم بأنه يشكل عقبة صلبة أمام الافكار المنحرفة الضالة ، والمناهج الجديدة المستمدة من هذه الافكار .

د ـ تعاظم مد الترف وانهيار القيم السامية ، والرغبة العارمة في اللهو المحرم نتيجة الفراغ الداخلي لدى الفرد وشيوع الانحلال الخلقي بصورة أكثر عمقا وامتدادا مما كان في أي وقت مضى .

٤ ـ اسرائيل :

وحديثنا هنا سوف يكون في جانبين اولا : الجولة الاولى .

ان مشكلة فلسطين طرحت على صعيد (قومي عربي) بينما كان ينبغي أن تطرح على صعيد (اسلامي) فان للمؤامرة على فلسطين بالاضافة الى البعد الاستعماري المحض بعدا دينيا ايضا .

وقد تعاون الاستعمار الغربي والاستعمار الشرقي على انجاح المخطط الصهيوني للاستيلاء على فلسطين خلافا لجميع الشرائع والقوانين .

وقد كان طرح هذه المشكلة على صعيد قومي عربي نتيجة حتمية لنشوء الكيانات القومية الجاهلية والاقليمية في العالم الاسلامي ، ولاستيلاء اشخاص هم اعداء للفكرة الاسلامية على مقدرات الحكم في البلاد الاسلامية ، ولخضوع البلاد الاسلامية للتوجيه الاستعماري الفكري والاقتصادي ، فاعتبر العرب ان هذه القضية تخصهم وحدهم ، باعتبار أن فلسطين تقع ضمن العالم العربي ، واعتبر المسلمون من غير العرب ان هذه القضية عربية فقط نتيجة لنمو تيار القومية الجاهلية في المجتمعات الاسلامية غير العربية.

بل قد بلغ من تجرد هذه المشكلة عن صبغتها الاسلامية ان بعض الدول الاسلامية غير العربية اعترفت باسرائيل على تفاوت في درجات الاعتراف .

ثم عولجت هذه المشكلة ـ في نطاق العالم العربي ـ بشكل خاطىء ايضا .

فان الكيانات الاقليمية للعرب كانت تتنازع باستمرار حول : من منها اولى بأن يتزعم الحركة القومية العربية ويقود العرب في حركتهم الحديثة ؟! وكانت مشكلة فلسطين هي عنوان النزاع في كل نزاع نشب بين العرب .

وقد كان النزاع بين الكيانات الاقليمية ـ ردحا من الزمن ـ نزاعا بين الاسر الحاكمة في العالم العربي ،ثم غدا النزاع نزاعا بين أنظمة الحكم المختلفة لدى العرب .

وكان العرب هم الذين يدفعون ثمن هذه النزاعات دائما من ثرواتهم العامة ، ومن وحدتهم الوطنية ، ومن تضامنهم امام العالم الخارجي في المحافل الدولية ، وكان ذلك ينعكس على مشكلة فلسطين فيزيدها صعوبة ، ويزيد النضال في سبيل حلها مرارة ...

وبالرغم من أنها كانت عنوان النزاع في كل صراع عربي ، فان

العرب لم يكيفوا مجتمعاتهم من الداخل بشكل يدل على انهم يواجهون عدواً يقف من ورائه الاستعمار العالمي ، وأنهم يواجهون معركة قد تكون هي الاخيرة من معاركهم في التاريخ ، وأعظمها خطوة ، وأبعدها أثراً في مستقبلهم لأجيال طويلة .

ونحلل فيما يلي بعض الابعاد البارزة للوضع الداخلي والعربي منسوبا الى واقع المشكلة الفلسطينية كمشكلة عربية اسلامية .

١ ـ البعد الديني :

تزايد تيار الالحاد في السنين الاخيرة في العالم العربي حدة وضراوة ، بحكم سيطرة قوى تتبنى المناهج ذات المضمون الالحادي في بعض الدول العربية وتزايد التيار المناهض للدين والروحية بوجه عام في جميع الدول الاخرى ذات الانظمة التقليدية .

ولا نشك في كون التعليم الثانوي والعالي قد غدا مكرسا اكثر فأكثر لحرب الاسلام ، أو اهماله واحتقاره على الاقل ، وقد غدت الكتابات المعادية للاسلام وللروحية بوجه عام مادة للصحافة اليومية ، بحيث ان الانسان العادي أخذ يشعر بأنه يعيش في جو لا ديني تقريبا .

في هذا الجو الفكري تحولت المشكلة الفلسطينية من ذات صفة دينية ، وعدت مشكلة قومية بحتة في ذهن جانب كبير من الرأي العام العالمي والعربي .

وعلينا أن نعترف ـ ونحن متأكدون من هذا بحكم خبرتنا الشخصية ـ بأن الرأي العام الاسلامي غير المثقف وجانب كبير من فئة المثقفين ايضا لا يزال متماسكا من الناحية الدينية ، ولا يزال يرفض بعناد الافكار اللادينية التي تبشر بها أجهزة الحكم في بلاده .

ولم تستطع اجهزة الحكم أن تجعل من الفكرة القومية ـ بشكلها

العام أو بشكلها ذي المضمون الاقتصادى الاجتماعي ـ قضية وجود للشخص المسلم العادى ، قادرة على تحريكه حتى الموت فى سبيل اهدافها وشعاراتها، كما كان شأن الفكرة الاسلامية فى قدرتها على التحريك فى معارك المسلمين التاريخية مع اعداء الاسلام •

واذاً قد ربطت القضية الفلسطينية بالقومية ، وجردت من مضمونها ومغزاها الاسلامي ، فقد غدا الشخص المسلم غالبا ـ ونحن متأكدون من هذا بحكم خبرتنا الشخصية ـ يشعر بأنه مدفوع للقتال ، أو للمساهمة فى الجهد الحربي فى سبيل قضية لا يؤمن بها ، ولا تعنيه لأنها تمثل شعاراً لا يؤمن به ، ويشعر أنه مدفوع الى ذلك من قبل قوى حاكمة لا يثق بها ، لأنها تمثل تيارا فكريا غريبا عن معتقداته وتقاليده •

٢ ـ البعد الاجتماعي :

تزايد باستمرار تيار الترف والانحلال الخلقي والرغبة فى اللهـــو الحرام ، وقد أدى هذا الى نشوء جيل رخو غير قادر فيما يبدو على تحمل الصعاب فى سبيل المهمات الكبرى التي يواجهها العالم العربي والاسلامي • ونظرة متأنية الى شباب المدن كافية لاقناعنا بهذا الحكم ، ونلاحظ أن مواد الترف تجد لها سوقا رائجة دائما مما يعزز نظرتنا هذه •

ولم تبذل الاجهزة التربوية أي جهد فى سبيل انشاء جيل محارب ، حتى الآن ، وفى حدود علمنا لم يدخل التدريب العسكرى فى جملة المواد الجامعية ، او فى المدارس الثانوية ، وبدلا من ذلك وقـــع هؤلاء الشباب فريسة للتيارات الحزبية الكافرة المتصارعة داخل العالم العربي ، والتى مزقت وحدة الأمة ، وشتت كلمتها ، وأذهبت ريحها •

ومما يدخل فى الحديث عن البعد الاجتماعي ازاء هـــذه المشكلة ، الانقسامات المذهبية والقومية داخل البلاد العربية ، وشعور قسم كبير من

أفراد الامة بالغبن والاضطهاد من قبل السلطة الحاكمة ، ولم يفعل المسؤلون في هذا البعض من البلاد العربية شيئا لحل هذه المشاكل الداخلية في بلادهم مع قدرتهم على حلها بالتأكيد .

٣ ـ البعد الاقتصادي والمالي :

تملك بعض الدول العربية المنتجة للبترول رؤوس أمـــوال ضخمة تزيد على حاجتها الفعلية للانفاق ، وهي تودع هذه الاموال لدى المصارف الاجنبية في الدول الغربية ، وثمة دول عربية اخرى تعاني من حاجتها الى النقد النادر لتمويل صناعتها الناشئة ، ولتطوير زراعتها المتطلقة ، وهي تعتمد على المصادر الاجنبية في هذا التمويل ، ولا تحصل على رؤوس الامـوال اللازمة الكافية . وما تحصل عليه من رؤوس الاموال انما تحصل عليـه لقاء شروط ، أو على الاقل يجعل اقتصادها رهن ارادة الدول والمؤسسات المقرضة ، ومن ثم يقيدها بقيود سياسية لا بد منها .

وهذا الوضع يجعل الضامن الشكلي للدول العربية تحت رحمـــة أحداث وتطورات السياسة العالمية . فلو أن رؤوس الاموال العربية الفائضة استعملت في تطوير الاقتصاد العربي في الدول التي تملك العنصر البشري والخبرة .. لعاد ذلك بالخير على العالم العربي كله ، ولادى بدوره الى تقوية الموقف العربي أزاء المشكلة الفلسطينية أمام الرأي العام الدولي .

ولكن حالة الذعر التي أثارتها الانظمة الاشتراكية في بعض الدول الاشتراكية في تقديم الدليل على نجاحها ، والشك في نزاهتها عزز الرأي القائل : بان المساهمة في مشاريع هذه الدول أمر غير مأمون العواقب ، بل ان معظم رؤوس الاموال المحلية في هذه الدول الاشتراكية قد تسلل خارجاً الى أوربا وغيرها من المراكز المالية الاكثر أمانا .

وهكذا يؤدي صراع الانظمة في العالم العربي الى تعويق عملية التقدم

الاقتصادي مما سبب لها قيوداً في حركاتها السياسة ، تنعكس على قضاياها ، ومن جملتها قضية فلسطين .

٤ ـ في مجال الاعلام والتوعية :

بالرغم من أن جهداً كبيراً يبذل في مجال الاعلام وتوعية الرأي العام العربي عن القضية الفلسطينية فاننا لا زلنا نشك في ان هذا الجهد قد آتى ثمراته في المجتمعات العربية غير المجاورة لفلسطين المحتلة ، والتي تحتك باستمرار مع الغاصبين .

وذلك لان الشخص العادي لا يرى في حياته اليومية من تصرفات السلطات ما يدعم الكلام المكتوب في الصحف ، أو المذاع في الراديو . فحكومته لا تتصرف وفقاً للكلام الذي يصدر عن أجهزة الاعلام فيها . فليس اقتصاد حرب ، وليس المجتمع مبنياً على أنه في حالة حرب ، وليس في المدرسة أو النادي ما يؤيد كلام أجهزة الاعلام أيضاً ، بل ان الشخص العادي يسمع باستمرار مجموعة من الحكومات العربية تتهم مجموعة اخرى من تلك الحكومات بانها عميلة للاستعمار ولاسرائيل ، وبذلك حصل لدى الشخص العادي الانطباع بان الامر لا يعدو أن يكون مزايدة كلامية غير جادة ، ولذا فهو لا يفكر في المشكلة على انها مشكلته هو لانه لم يواجه في واقعه اليومي ما يحمله على هذا الاعتقاد .

٥ ـ على صعيد العلاقات الدولية :

كنتيجة لاعتبار الحكام العرب المشكلة الفلسطينية مشكلة قومية ، وتجريدها من صبغتها الاسلامية ، وقفت الدول الاسلامية ـ غير العربية ـ منها موقف اللامبالاة ، بل اعترفت بعض هذه الدول باسرائيل بنوع من الاعتراف . وبينما كان من الممكن ببساطة ان تلقي هذه الدول بكل ثقلها الدولي الى جانب العرب في صراعهم ، نجد انها جعلت هذه القضية موضع مساومة في المحافل الدولية ، كل ذلك بسبب انحراف العرب في دعواهم

قومية هذه المشكلة . ومن الغريب ـ في هذه الايام ـ أن تنشط الدبلوماسية العربية في الدول الشيوعية وتبدو بحسب الظاهر جامدة في البلاد الاسلامية مع ملاحظة أن حكومات البلاد الاسلامية غير العربية ـ بالرغم من معادات بعض دول العرب لها في قضاياها ـ قد تصرفت في هذه القضية بوحي من دينها الاسلامي ، ووقفت الى جانب المسلمين العرب في هذه القضية .

٦ ـ الفلسطينيون :

لا يبدو أن اللاجئين الفلسطينيين قد أدركوا واجبهم تجاه أرضهم المحتلة ، بل سمحوا لانفسهم أن يكونوا سلعة في النزاعات العربية الاقليمية ، وموقفها اللامبالي من مشكلتهم الكبرى ، مشكلة وطنهم المحتل ، مما يحمل بقية العرب على الشعور بأن هؤلاء اللاجئين أقل تحمساً للحرب . وفيما عدا سكان المخيمات ، يمارس هؤلاء اللاجئون في البلاد العربية حياة سهلة غير مسؤولة ، وغير شاعرة بالمأساة .

٧ ـ العـــدو :

ان ابناء العرب لم يعد روا العدو حق قدره ، وظلوا طوال عقدين من الزمن يصورون اسرائيل لجماهيرهم وكأنها بناء هش يمكن ان ينهار بسرعة فائقة ، فاما بين المخيلة للفرد العربي العادي أصبح بهزء ، ولزالت كيانه ، واشاعت لديه الذعر الذي يشيعه في الانسان اكتشافه لحقيقة مذهله لم يتوقعها . ولم يدخل المسؤولون العرب بحسابهم ان اسرائيل :

١ ـ مجتمع عسكري بكل معنى الكلمة : فاقتصادها وصناعاتها ، وزراعاتها ، وتجاراتها ، وعلاقاتها الدولية ، ونظامها التربوي والاجتماعي ، وحتى أساليب البناء فيها مكرسة لاغراض الحرب ولتحمل ظروف الحرب .

٢ ـ انها مجتمع ديني بكل معنى الكلمة ، فقد قامت على فكرة دينية ، ولا تزال تستخدم ببراعة فائقة وعود التوراة الاسرائيلية لالهاب الحماس

وروح الفناء لدى اليهودي العادي حيث كان في بلاد الدنيا .

٣ ـ ان الذين اوجدوها لن يسمحوا بازالتها ، وحتى الشيوعيون لن يسمحوا للعرب بتحقيق هدفهم البعيد المدى في ازالة اسرائيل . لان القوى السياسية العالمية لم توجد اسرائيل بدوافع انسانية ، وانما بدوافع مصلحية ، لاجل أن يكون ثمة سبب لحضور القوى العالمية في منطقة تثير الخيال بامكانياتها التطورية الهائلة في المستقبل ، ولتعويق هذا التطور أو الاستفادة منه .

٤ ـ ان اسرائيل وجدت نتيجة لحركة عالمية استعمل فيها كل سلاح مالي ، أو عسكري ، أو اقتصادي ، أو ثقافي أو دعائي ، ولا يمكن أن تزول اسرائيل الا بحركة عالمية مماثلة ، يكون العالم الاسلامي وصداقات دوله وعلاقاتها الدولية حجر الثقل فيها .

ثانيا ـ اقتراحات حول الجولة الثانية :

١ ـ حقائق اسلامية حول النصر والهزيمة :

نحن في العالم العربي مسلمون ، ولذا فلا بد أن ندخل في حسابنا قبل كل شيء بعض الحقائق الاسلامية حول النصر والهزيمة .

اننا كمسلمين لا ننتصر بقوتنا فقط ، ولا ننتصر بكثرة عددنا أو بثروتنا فقط ، وانما ننتصر قبل كل شيء ـ وبالاضافة الى كل الوسائل المناسبة المادية والمعنوية ـ بالايمان بالله تعالى ، والتوكل عليه وتسليم الامر اليه . ولدينا من تاريخنا مع الرسول الاعظم (ص) مثلان بارزان نذكرهما للعظة والعبرة ، فانهما ينيران لنا طريقنا فيما ينبغي علينا أن نفعل :

أولهما : مثالنا في معركة بدر ، والاسلام في أول انطلاقته الكبرى ، والمسلمون لا يزالون قلة ذليلة ومعزولة عن محيطها المعادي لها . وجاء فريق منهم مع النبي (ص) وهم لا يرون انهم يلقون حرباً فكانوا على غير استعداد ،

وكان عدوهم أكبر منهم قوة وأكثر عدداً ، وأغزر مورداً ، ومع ذلك انتصر المسلمون على عدوهم في بدر ، انتصاراً يعتبر نقطة تحوّل في التاريخ العالمي ، فقال تعالى في حكايته عن هذه المعركة من جملة ما قال : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) ـ (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران : ١٢٤ و ١٢٧ .

وثانيهما ـ منالنا في معركة حنين ، وقد حقق الاسلام بقيادة رسول الله (ص) أعظم انتصاراته ، وغدا أعظم قوة في شبه الجزيرة على الاطلاق ، وكانت الوثنية قد هزمت شر هزيمة ، وتجمعت فلولها في حنين . وقد أصاب الغرور كثيراً من المسلمين واعتزوا بقوتهم وغفلوا عن استمداد النصر من الله تعالى ، والتسليم له ، والتوكل عليه . فهزموا بالرغم من كثرتهم وقوتهم وارتفاع معنوياتهم ، وقد قال الله تعالى في حكايته عن هذه المعركة من جملة ما قال : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ـ التوبة ٢٧) .

فالايمان بالله تعالى وحده هو الذي ينصرنا المسلمين ، ولا يمكن أن ننصر اذا تجردنا عن الايمان . ونحن في معركتنا مع اليهود كنا فاقدين لهذا الايمان الذي يهب النصر . وكان هدفنا من حربنا غير ديني ، وانما قام على فكرة جاهلية هي فكرة القومية ، وكان المحاربون في صفوفنا على العموم ضعفاء الايمان بالله ولم يستمدوا النصر والقوة منه تعالى ، وانما ـ بسبب ضحالتهم الروحية أو فراغهم الروحي ـ استمدوا ذلك من دولهم ، ومن أسلحتهم ومن كثرة عددهم ؛ فلذلك هزمنا في هذه الجولة ، وعلينا أن لا نكرر غلطتنا القاتلة ، فقد تكون الجولة الثانية هي الجولة الاخيرة ، واذا كان الله قد ابتلانا لينبهنا فعلينا أن نستجيب بقلوب منفتحة للتنبيه الالهي .

٢ ـ المشكلة اسلامية ايضا وليست عربية فقط :

يجب أن يعاد النظر فى كيفية طرح المشكلة ، ويجب أن تطرح على صعيد اسلامي ، وعلى أوسع نطاق ممكن ، فان العالم الاسلامي لا يزال يمثل وحدة شعورية وثقافية متماسكة بالرغم من التخريب الرهيب الذي تعرضت له روابطه الروحية والعقلية . وقد أثبتت الاحداث الاخيرة صدق هذه الملاحظة بما لا يقبل الشك ، ونحن على ثقة تامة بان المسلمين فى العالم سيقومون باندفاع بالدور المطلوب منهم فى المعركة .

أما الطريقة التي سيكون بها الاتصال بالمسلمين فيجب أن تكون موضع عناية . ان الجامعة العربية يمكن أن تقوم بالاتصال بالهيئات الرسمية ، وان النجف الاشرف والازهر الشريف يمكن أن يقوما بدور حيوي فى هذا المجال ، وأن المؤسسات الاعلامية يجب ان تثبت فاعليتها فى هذا المجال .. كل ذلك يستخدم لاجل وضع المسلمين شعوباً وحكومات أمام مسؤولياتهم . هذا وان تنوع العلاقات الدولية للحكومات الاسلامية عربية أو غير عربية يمكن أن يقدم لها فرصاً لا حد لها لتكوين رأي عام دولي عالمي يعطف على هذه المشكلة .

٣ ـ تنمية الحياة الروحية :

يجب ان تكف أجهزة الاعلام العربية ، ودوائر النشر الحكومية ، ومعاهد التعليم الابتدائي والثانوي والعالي عن العطف على موجة الالحاد والتكفير التي تسمم أرواح الناشئة وعقولها منذ عقد من السنين على الاقل ، ويجب أن يكف المسؤولون عن تشجيع الملحدين على نفث سمومهم فى الاذاعات والصحف والكتب ، فان هذا السخف لا يحصل لنا منه الا الدمار والخراب ، ويجب أن يعاد منذ الآن بناء الحياة الروحية لدى الانسان العربي عن طريق ادخال التعليم الديني بصورة أساسية فى مناهج التعليم الابتدائي والثانوي والعالي ، مع تشجيع الناشئة على ممارسة العبادات من صلات

وصوم • وتلغى مواد الرسم والموسيقى من المدارس وتعطى حصصها لتدريب العسكري وللدين ، ويجب أن تفتح الصحافة والاذاعة صدرها للبرامج الدينية التي تتيح للانسان العادي أن ينمي حياته الروحية في صميم واجبات شعب التوجيه المعنوي في الجيش ، ويجب أن يتسلم ذلك أشخاص أكفاء على مستوى عال من التدين والعلم ، مع ملاحظة الفروق المذهبية بين الجنود • أما الائمة المعينون في الجيش الآن فان أكثرهم لا يقومون بأي عمل ، بل أنهم لا يحسنون أي عمل •

٤ ـ معسكرات الشباب :

بالاضافة الى لزوم ادخال التدريب العسكري بصورة أساسية في جميع مناهج التعليم الابتدائي والثانوي والعالي ، ولزوم التربية العسكرية على غرار ما فعلته المانية وايطاليا واليابان فيجب انشاء معسكرات للشباب على المدار العام يؤمها :

١ ـ الطلاب الثانويون والجامعيون في العطلة السنوية •

٢ ـ الشباب غير الطلاب في شهر واحد في السنة على الأقل •

ويشتمل هذا المعسكر على ما يلي :

أ ـ التدريب العسكري الكامل •

ب ـ دراسة دينية مركزة وواعية تستهدف الى جانب تنمية المعرفة العقلية ، تنمية الحياة الروحية ، وذلك بجعل العقيدة حالة عاطفية وشعورية •

ج ـ التاريخ الاسلامي مع التركيز على دور اليهود المزري ، وموقفهم من الشعوب كما تصوره التوراة •

د ـ مواد ثقافية ذات صفة علمية كالهندسة ، والحساب وجغرافية فلسطين الكاملة بحالتها الحاضرة ، وتركيب المجتمع اليهودي في فلسطين ، وكل ما له علاقة بمعرفة العدو مما لا يخل باجراءات الامن والحالة المعنوية •

هـ ـ يستحسن أن تختار أماكن المعسكرات بحيث تربي القدرة على تحمل المشاق والصعوبات ، وأن لا تشتمل على مواد تسلية أو لهو ، وبحيث تماثل الاماكن المتوقعة للقتال فى فلسطين .

و ـ يجب أن يشرف على كل معسكر ـ الى جانب المدرب العسكري ، والمعلم أو المدرس ـ رجل من الروحانيين على مستوى عال من التدريب ، والعلم ، والرغبة فى العمل ، والخبرة العالية .

٥ ـ بناء مجتمع عسكري :

بالاضافة الى ادخال التعليم العسكري والتربية العسكرية فى صلب التعليم العام ، وانشاء معسكرات الشباب . لا بد من اتخاذ الخطة الضرورية لبناء مجتمع عسكري . والخطوة الاولى فى سبيل ذلك هي : توجيه جميع الاموال التي ترصد لاستيراد وانتاج مواد الترف ، وانشاء مؤسسات اللهو المحرم نحو الجهد الحربي . وذلك بانشاء مصانع السلاح ، وبالعناية الفائقة بالجندي المحترف ، وتقديم ضمانات أوفى لعائلته ، وغير ذلك من الوجوه التي تطبع المجتمع بطابع الصرامة ، وتجعله متأهباً لاي طارىء ولا تغفل العناية الفائقة لانتاج المواد الاساسية الغذائية للاستغناء عن المصادر الخارجية الاجنبية ، واتخاذ الخطوات الادارية والاجتماعية المؤدية الى ذلك ، ومنها : اعادة النظر فى برامج الاصلاح الزراعي فى المناطق التي فشل فيها هذا الاجراء غير الحكيم .

٦ ـ التركيز على دور اللاجئين الفلسطينيين :

يجب أن يركز على دور اللاجئين الفلسطينيين بصورة أساسية ، ويجب أن ينتزعوا من حياتهم العابثة اللاهية التي يمارسها أكثرهم وكأنهم ليسوا لاجئين ، ليقوموا بقسطهم فى المعركة .

٧ ـ التعايش السلمي بين الدول العربية :

ان أنظمة الحكم فى العالم العربي منحـرفة عن الاسـلام بدرجات متفاوتة ، واذا لم يكن لنا أن نطالب باقامة حكم اسـلامي ، أو أقـرب الى الاسلام ، فاننا نطلب من الحاكمين أن يسلكوا فيما بينهم سياسة التعايش السلمي بين أنظمتهم المتعارضة ، وان يعرفوا جيداً انهم كانوا عنصراً أساسياً فى الهزيمة التي حلت بنا والتي تعرضنا لها ، وأن يهيئوا لشعوبهم المجالات الكافية للتعبير عن أرادتهم ومطالبهم ، ويستعينوا بالطاقات الهائلة والخبرات الكثيرة التي يملكها مواطنون عزلوا عن مجالاتهم الفنية بحجج واهية . جاعلين فى كل ذلك المصلحة العامة رائدهم ، واعلاء كلمة الاسلام غايتهم وهدفهم ، والله سبحانه الموفق المعين وهو حسبنا ونعم الوكيل .

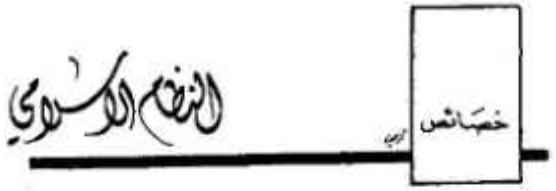

يمكننا ان نحلل النظام الاسلامي الى العناصر الآتية :

١ ـ المحتوى التشريعي للنظام الاسلامي وهو أحكام الشريعة الاسلامية التي عالجت تنظيم حياة الانسان .

٢ ـ الواضع للنظام وهو الله تعالى لاننا بوصفنا مسلمين نؤمن بان المحتوى التشريعي المستمد من الكتاب والسنة كله نزل عن طريق الوحي على خاتم النبيين .

٣ ـ الهدف من النظام الاسلامي هو التربية الشاملة للانسانية في كل مجالات حياتها ونشاطها .

٤ ـ الصياغة القانونية للنظام الاسلامي وهذه الصياغة هي العملية التي يتحمل مسؤوليتها الفقه الاسلامي ويمارسها فقهاء الاسلام خلال استنباطهم لاحكام الشريعة الاسلامية من الكتاب والسنة .

وفي الواقع ان المحتوى التشريعي في كل نظام وهدفه الواضح له هي عناصر ثلاثة مترابطة لان الهدف هو الذي يحدد نوعية المحتوى التشريعي والواضح هو الذي يحدد الهدف وعلى هذا الاساس فنحن حين ندرس خصائص النظام الاسلامي ومزاياه بوصفه نظاما دينيا يجب ان ندرسها من خلال هذه العناصر وترابطها ونوعية تأثير كل واحدة منها عن الأخر .

ويمكننا ان نلخص اهم خصائص النظام الاسلامي فيما يلي :

اولا ـ استيعاب المشرع لكل الخبرات

١ ـ استيعاب المشرع الواضح للنظام لكل الخبرات اللازمة لعملية التنظيم الاجتماعي لان الواضع هنا هو الله بينما الواضع للانظمة الاجتماعية الاخرى هو الانسان وعلم الله تعالى بالانسانية وحاجاتها ومنافعها واضرارها وكل ابعادها علم محيط مستوعب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها وعلم الانسان في مجال التنظيم الاجتماعي يقوم على اساس الخبرة والتجربة وهي وسيلة محدودة في نطاقها معروضة للخطأ في اكثر الاحايين عاجزة عن استيعاب كل الاوجه المتعددة للمسألة الاجتماعية الواحدة .

وقد يدافع انصار النظام البشري عن قدرة الانسان على التنظيم الاجتماعي ويحاولون اثبات ان الخبرة الانسانية كافية وحدها لتحمل الانسان مسؤولية التنظيم واكتشاف النظام الاجتماعي الاصلح دون حاجة الى نظام الهي ويقررون بهذا الصدد عادة ان قدرة الانسان على ادراك النظام الاصلح واكتشاف متطلبات التنظيم الاجتماعي تنمو عنده من خلال التجارب الاجتماعية التي يعيشها فحينما يطبق الانسان الاجتماعي نظاما معينا ويجسده في حياته يستطيع ان يلاحظ من خلال تجربته لذلك النظام الاخطاء ونقاط الضعف المستمرة فيه والتي تتكشف له على مر الزمن فتمكنه من تفكير اجتماعي اكثر بصيرة وخبرة حتى يصل الى الدرجة التي تتيح له ان يدرك المسالة الاجتماعية بكل ابعادها ويضع لها حلها الافضل بفضل تجاربه الاجتماعية كما استطاع في مجاله الكوني بفضل التجارب الطبيعية ان يكتشف كثيرا من حقائق الكون ويعرف افضل الطرق الى السيطرة على الطبيعة والاستفادة منها فكنا نؤمن بخبرة الانسان وتجاربه الطبيعية في المجال الكوني كذلك يجب ان نؤمن بخبرة الانسان وتجاربه التنظيمية في المجال الاجتماعي .

والواقع ان التجارب الاجتماعية ـ اي تجارب الانسان الاجتماعي للانظمة الاجتماعية المختلفة حتى اذا وصلت في عطائها الفكري الى درجة التجارب الطبيعية وهي تجارب الانسان لظواهر الطبيعة ـ يبقى الفارق الكبير قائما بالرغم من ذلك بين رصيد الخبرة الذي يعتمد عليه التنظيم

البشري والرصيد الذى قام على اساسه النظام الاسلامي لان الفرق بين الرصيدين هو الفرق بين الانسان المحدود والخالق المطلق غير المحدود .

ولكن التجارب الاجتماعية فى الحقيقة لا تصل فى عطائها الفكرى الى مستوى التجارب الطبيعية بل يبقى الانسان فى مجال التنظيم الاجتماعي دائما اقل قدرة على تحمل مسؤولية الموقف منه فى مجال التجارب الطبيعية واكثر عجزا عن ايجاد المثل الاعلى للنظام الاجتماعي .

ومرد ذلك الى فروق جوهرية بين التجربة الاجتماعية والتجربة الطبيعية ويمكن ان نذكر منها مايلى :

اولا ـ ان التجربة الطبيعية يمكن ان يباشرها ويمارسها فرد واحد فيستوعبها بالملاحظة والنظرة ويدرس بصورة مباشرة كل ما ينكشف خلالها من حقائق واخطاء فينتهي من ذلك الى فكرة معينة ترتكز على تلك التجربة .

واما التجربة الاجتماعية فهي عبارة عن تجسد النظام المجرب فى مجتمع وتطبيقه عليه فتجربة النظام الاقطاعي او الرأسمالي مثلا تعني ممارسة المجتمع لهذا النظام فترة من تاريخه وهي لاجل ذلك لا يمكن ان يقوم بها فرد واحد ويستوعبها وانما يقوم بالتجربة الاجتماعية المجتمع كله وتستوعب مرحلة تاريخية من حياة المجتمع اوسع كثيرا من هذا الفرد او ذاك .

فالانسان حين يريد ان يستفيد من تجربة اجتماعية لا يستطيع ان يعاصرها بكل احداثها كما كان يعاصر التجربة الطبيعية حين يقوم بها وانما يعاصر جانبا من احداثها ويتحتم عليه ان يعتمد فى الاطلاع على سائر ظواهر التجربة ومضاعفاتها على الحدس والاستنتاج والتاريخ .

وثانيا ـ ان الحقيقة التي يريد الانسان معرفتها فى مجال التجربة الطبيعية يجدها الانسان فى تجربة مباشرة او يستنتجها مما يجده فى

التجربة استنتاجا منطقيا فاذا اراد ان يعرف درجة الحرارة التي تؤي الى غليان الماء امكنه ان يشاهد ذلك فى تجربة مباشرة ويحس بأن الغليان بدأ حين وصلت درجة الحرارة الى مئة مثلا واذا اراد ان يعرف امكانية تحول المادة الى طاقة امكنه ان يقيس وزن الذرة قبل تحطيمها بوزن حطامها بعد التفجير ويستنتج ان الفارق بين الوزنين من المادة قد تحول خلال تحطيم الذرة الى طاقة .

واما الانسان فى مجال التجربة الاجتماعية فهو يريد معرفة التنظيم الاصلح المنسجم مع كل ابعاد الانسانية وهذا التنظيم الاصلح لايجده مباشرة في مجال التجربة ولا عن طريق الاستنتاج المنطقي منها فتجزء النظام الاقطاعى مثلا تكشف مضاعفات هذا النظام ونتائجه وآثاره ولكنها لاتكشف بصورة مباشرة او منطقية عن البديل الاصلح الذى يسلم من كل تلك المضاعفات دون ان يعني بمضاعفات مماثلة من شكل آخر وانما يقدر الانسان البديل وفقا لتصوره وحدسه الخاص .

وعلى هذا الاساس نعرف ان الانسان بينما يقترب عادة باستمرار نحو الحقيقة فى مجال التجربة الطبيعية قد يبتعد عنها كثيرا فى مجال التجربة الاجتماعية .

وثالثا ـ ان الفكر الذى تمونه التجربة الطبيعية اكثر موضوعية وزاهه من الفكر الذى يستمده الانسان من التجربة الاجتماعية وهذه النقطة من اهم النقاط الجوهرية التى تمنع التجربة الاجتماعية من الارتفاع الى مستوى التجربة الطبيعية والعلمية ففى التجربة الطبيعية ترتبط فى الغالب مصلحة الانسان الذى يصنع تلك التجربة باكتشاف الحقيقة كاملة صريحة .

وليس له على الاكثر ادنى مصلحة بتزوير الحقيقة او طمس معالمها التى تتكشف خلال التجربة فاذا اراد مثلا ان يجرب درجة تأثير جراثيم السل بمادة كيماوية معينة حين القائها فى محيط تلك الجراثيم فسوف

لايهمه الا معرفة درجة تأثرها مهما كانت عالية او منخفضة ولن ينفعه في علاج السل ان يزور الحقيقة فيالي في درجة تأثرها او يهون منها وعلى هذا الاساس يتجه تفكير المجرب في العادة اتجاها موضوعيا نزيها • واما في التجربة الاجتماعية فلا تتوقف مصلحة المجرب •

دائما على تجلية الحقيقة واكتشاف النظام الاجتماعي الاصلح لمجموع الانسانية بل قد يكون من مصلحته الخاصة ان يستر الحقيقة عن الانظار فالشخص الذي ترتكز مصالحه على نظام الرأسمالية والاحتكار او على النظام الربوي للمصارف مثلا سوف يكون من مصلحته جـــدا ان تجيء الحقيقة مؤكدة لنظام الرأسمالية والاحتكار والربا المصرفي بوصفه النظام الاصلح حتى تستمر منافعه التي يدرها عليه ذلك النظام • فهـو اذن ليس موضوعيا بطبيعته ما دام الدافع الذاتي يمنه على اكتشاف الحقيقة باللون الذي يتفق مع مصالحه الخاصة • وكذلك الشخص الاخـــر الذي تتعارض مصلحته الخاصة مع الربا او الاحتكار لايهمه شيء كما يهمـــه ان تثبت الحقيقة بشكل يدين الانظمة الربوية والاحتكارية فتفكيره يقترن دائما بقوة داخلية تحيد له وجهة نظر معينة وليس شخصا محايدا بمعنى الكلمة •

وهكذا نعرف ان تفكير الانسان في المسألة الاجتماعية لا يمكن عادة ان تضمن له الموضوعية والتجرد عن الذاتية بالدرجة التي يمكن ضمانها في تفكير الانسان حين يعالج تجربة طبيعية •

ونستخلص من كل ما تقدم ان النظام البشري لا يعتمد الا على الخبرة المحدودة التي يكتسبها الانسان عبر تجاربه الاجتماعية بكل ما يكتنفها من نقص وما يعرضها للخطأ والانحراف بينما يعتمد النظام الاسلامي على تقدير من اللطيف الخبير •

ثانيا ـ قدرة النظام الاسلامي على انشاء القيم الخلقية

ثانيا ـ قدرة النظام الاسلامي على انشاء القيم الخلقية لانه يربي الفرد المسلم على النظرة الدينية الى الحياة والكون وفي هذه النظرة الدينية يدرك

الانسان انه يسير على خط طويل لا يحدده الموت وان الموت ليس الا انتقالا من مرحلة معينة في هذا الخط الى مرحلة اخرى اوسع افقا وارحب مجالا واطول بقاء وعلى اساس ادراك الامتداد الواقعي للخط يحس الانسان بان المرحلة القصيرة التي يحدها الموت على هذا الخط الممتد ليست هي كل مجاله وفرصته الوحيدة للتعبير عن وجوده والتوسع في هذا الوجود وان مداخل اخرى غيبية على الخط تنتظره وتتطلب منه الاهتمام بمستقبله فيها ومن الطبيعي لمن امتزج مع نفسه وروحه الايمان بتلك المراحل الغيبية وامتداد الخطر عبرها ان يكون اكثر انفتاحا على مرحلة ما قبل الموت من ذلك الخط واوسع افقا وارحب تطويرا واعمق تقييما لها ولكل ما يعاصرها من دوافع ومغريات فينشأ في نفسه الاستعداد للتضحية لصالح تلك المراحل الغيبية التي آمن بها واذا انفتح الانسان على التضحية في سبيل غير المنظور والتنازل عن اشياء محسوسة لحساب اهداف غير محسوسة . كما يمكن ان ينفتح على القيم الخلقية التي تقوم جميعا على اساس التضحية في سبيل هدف اكبر غير منظور واصبحت الاخلاق والمقاييس الخلقية امرا ممكنا من الناحية العملية ومضمون هذا الايمان الذي يقدمه الدين الى الانسان يفقد الاخلاق رصيدها الواقعي وقوتها الا انه وبتجربة التاريخ البشري يبرز بوضوح مدى الارتباط بين الدين والقيم الخلقية في حياة الشعوب والامم .

وحين يزرع التنظيم الاجتماعي البذور الاخلاقية في نفوس الافراد ويجعل من القيم الخلقية قوى فعالة في سلوكهم وحياتهم يحصل من ناحية على ضمانات ذاتية للتنفيذ والاجراء نابعة من شعور الفرد بالمسؤولية الاخلاقية ويستطيع من ناحية اخرى ان يتسامى بالفرد تدريجا ويفجر كل طاقات الخير فيه ولا يعود النظام بمجرد تحديد خارجي صارم لتصرفات الافراد بل يصبح مجالا يتسامى الافراد ضمن اطاره وخلال تطبيقه روحيا ويحققون المثل الصالح للانسانية على الارض .

واما الانظمة الاجتماعية الاخرى التي لا تربط الانسان باهداف غير

منظورة ولا تشده الى مصالح اكبر من وجوده الانى الذى تمثله هذه الحياة المادية فهى لا يمكن ان تقدم اى اساس حقيقى للتضحية فى سبيل الاهداف الكبيرة او تبرير معقول للتنازل عن مصالح الوجود الانى وبالتالى تفقد القيم والمقاييس الخلقية كل رصيدها ومعناها وتتبدل اخلاق التضحية باخلاق الانانية وتصبح اللذة والمصلحة الشخصية والكسب الانى هى المقاييس بدلا عن القيم ذات الطابع الغيبي ويعود النظام الاجتماعى مجرد قوة من خارج تفرض على الفرد وتحدد من تصرفه وتتربص به فلا يستجيب الفرد للنظام الاجتماعى الا بقدر ما تفرض عليه الاستجابة بقوة القانون ولايستطيع النظام ان ينفذ الى قلب الفرد وروحه وانما يبقى مجرد عملية ضبط للسلوك بالقدر المحدود الذى يتاح للاجهزة التنفيذية من الرقابة والاشراف .

ثالثا ـ ارتفاع النظام الاسلامي عن الواقع يتيح له القدرة على تغييره

امام النظام الاجتماعى واى تقنين يعالج علاقة من العلاقات البشرية هدفان احدهما تفادى المشاكل التى قد تنجم عن تلك العلاقة لو اهملت ولم تنظم فالصلة العملية بين العامل ورأس المال او الزوج والزوجة هى علاقة اجتماعية قد تؤدى بطبيعتها الى الوان من المشاكل التى يمكن تفاديها عن طريق تنظيم تلك العلاقة وتحديد شروطها وملابساتها .

والهدف الاخر هو تربية الانسان وتنمية مواهبه وطاقاته واستئصال نقاط الضغط من نفسه وامداد بذور الخير بالقوة والرعاية . وهذان الهدفان مختلفان جدا لان الهدف الاول لا يمس الا السطح الظاهرى والمكشوف للعلاقات الاجتماعية بينما يتغلغل الهدف الثانى الى صميم النفس البشرية ويحاول ايجاد الوسط البشري الصالح لايجاد علاقات اجتماعية صالحة .

وكل نظام ينشئه الانسان الاجتماعي لا يمكن ان يحقق الهدف الثاني ولا ان يكون جديرا بتربية هذا الانسان وتصعيده فى المجال الانساني الى

آفاق ارحب وانما يقتصر دوره على الهدف الاول فحسب لان النظام الذي يصنعه الانسان الاجتماعي يعكس دائما واقع الانسان الذي صنعه ودرجته الروحية والنفسية فاذا كان المجتمع يتمتع بدرجة منخفضة من قوة الارادة وصلابتها مثلا لم يكن ميسورا له ان يربي ارادته وينميها بايجاد نظام اجتماعي صارم يغذي الارادة ويزيد من صلابتها لانه ما دام لايملك ارادة صلبة فهو لايملك القدرة على ايجاد هذا النظام ووضعه موضع التنفيذ وانما يضع النظام الذي يعكس ميوعة ارادته وذوبانها والا فهل تنتظر من مجتمع لايملك ارادته ازاء اغواء الخمرة مثلا واغرائها ولا يمتع بقدرة الترفع عن شهرة رخيصة كهذه هل تنتظر من هذا المجتمع ان يضع بصورة جدية وعملية نظاما صارما يحرم امثال تلك الشهوات الرخيصة ويربي في الانسان ارادته ويرد اليه حريته كلا طبعا فنحن لا نترقب الصلابة من المجتمع الـــذائب وان ادرك اضرارا هذا الذوبان مضاعفاته ولا نأمل من المجتمع الذي تستعبده شهوة الخمرة ان يحرر نفسه بارادته مهما احس بشرور الخمر وآثارهـــا لان الاحساس بذلك انما يتعلق ويتركز لدى المجتمع اذا استرسل في ذوبانـــه وعبوديته للشهوة واستغرقها وهو انما استرسل في ذلك اصبح اشد عجـزا عن معالجة الوقف والعود بارادته الى دور اعلى .

وهكذا يكون النظام الاجتماعي البشري دائما نسخة للواقع وتعبيرا عنه ولا يكون على مستوى التربية والتوجيه وحتى الانظمة الاجتماعية التغييرية هي نتيجة تطلب الواقع للتغيير وعدم امكان استمراره .

واما النظام الاسلامي فهو بوصفه من صنع الله وليس من صنع الانسان لا يكتفي بالهدف الاول بل يبتغي الهدف الثاني ويمارس التربيـــة والتغيير وينظر الى الواقع باعتباره موضوعا يجب ان يعالج ويطور لا باعتباره مصدرا يستمد منه .

وهذا هو معنى القيمومة للدين التي ذكرها القرآن الكريم قال الله

تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون) •

فالقيمومة هي شأن الشريعة الالهية والنظام الالهي واما النظام والتشريع الذى يضعه الانسان فلا يصلح ان يكون فيما على الانسان ومكملا له نظير الصبى يصنع تعليمات لنفسه فان هذه التعليمات لا تصلح لتربيته وتكميله لانها تعكس نقاط ضعفه وتعبر عن مستواه وانما يتكامل الصبى وينمو روحيا وفكريا على اساس التعليمات التى يتلقاها من ابيه او استاذه •

٣ ـ النظام الاسلامى لا يرتبط بالعامل الاقتصادى •

يمارس الانسان الاجتماعى فى حياته نوعين من العلاقات احدهما علاقته مع الطبيعة والاخر علاقته مع اخيه الانسان وخلال علاقته بالطبيعة يحصل الانسان على قوى الانتاج ووسائله التى يستعملها فى كسب معيشته من الفأس والمحراث الى الالة البخارية ثم الى الكهرباء والطاقة الذرية وفقا لتطور الخبرة البشرية بالطبيعة ونمو سيطرة الانسان عليها • وخلال علاقة الانسان باخيه الانسان يمارس اشكالا من التنظيم الاجتماعى التى عاشتها البشرية فى ادوارها المختلفة • ومن التصورات الاساسية التى يقوم عليها النظام الاسلامي هو تصور هذين النوعين من العلاقات وتمييز احدهما عن الاخر فالاسلام يؤمن بان لكل من العلاقات الكونية للانسان مع الطبيعية والعلاقات الاجتماعية له مع الانسان الاخر مجراها وخطها الخاص خلافا للماركسية التى تربط النوع الثانى من العلاقات بالنوع الاول وبالتالى تربط النظام الاجتماعي بوسائل الانتاج ـ اى بالعامل الاقتصادى ـ فهى ترى ان كل تطور فى وسائل الانتاج واشكاله يواكبه تطور حتى فى العلاقات الاجتماعية والنظام الاجتماعى وان كل شكل من اشكال التنظيم الاجتماعى مرتبط حتماً بشكل معين من الانتاج ولا يصلح ولا يمكن أن يوجد الا في المرحلة التى يعيش فيها الانسان ذلك الشكل المعين من الانتاج فالنظام الذى

يصلح لمجتمع الكهرباء والذرة غير النظام الاجتماعي الذى يصلح لمجتمع الصناعة اليدوية •

والاسلام يرفض هذه الصلة الحتمية المزعومة بين اشكال الانتاج وتطوراته واشكال التنظيم الاجتماعي وتطوراته ويرى ان للانسان حقلين يمارس فى احدهما عمله مع الطبيعة فيحاول بمختلف وسائله ان يستثمرها ويسخرها لاشباع حاجاته ويمارس فى الآخر علاقاته مع الافراد والآخرين فى شتى مجالات الحياة الاجتماعية واشكال الانتاج هى حصيلة الحقل الثانى وكل من الحقلين بوجوده التاريخى تعرض لتطورات كثيرة فى شكل الانتاج او فى النظام الاجتماعى ولكن هذا يعنى الترابط المحترم بين تطورات اشكال الانتاج وتطورات النظم الاجتماعية وتبعية كل نظام اجتماعى لشكل معين من الانتاج •

والاسلام اذ يرفض هذه الصلة الحتمية لا يقرر ذلك نظريا فحسب بل هو يقدم الدليل العملى على ذلك من وجوده التاريخى فقد سجل الاسلام فى تجربته الواقعية للحياة نصرا فكريا وبرهانا حيا على كذب تلك الصلة المزعومة بين النظام الاجتماعى واشكال الانتاج ودلل على ان الانسانية تستطيع ان تكيف وجودها الاجتماعي تكييفا انقلابيا جديدا بينما يظل اسلوبها فى الانتاج كما هو دونما تغيير • فان الواقع الاسلامى الذى عاشته الانسانية لحظة قصيرة من عمر الزمن المديد واحدث فيها اروع تطوير شهدته الاسرة البشرية لم يكن هذا الواقع الانقلابى فى التنظيم الاجتماعى الذى خلق امة واقام حضارة وعدل من سير التاريخ •• وليد اسلوب جديد فى الانتاج او تغيير فى اشكاله وقواه ولم يكن من الممكن لو اخذنا بوجهة النظر الماركسية ان يوجد هذا الانقلاب الشامل الذى تدفق الى كل جوانب الحياة دون ان يسبقه اى تحول اساسى فى ظروف الانتاج وهكذا يجب ان نعرف عن النظام الاسلامى ان من التصورات الاساسية التى يتبناها هو ان النظام

الاجتماعي ليس مرتبطا بالعامل الاقتصادي ولا ناتجا عنه في علاقة حتمية كما تتصور الماركسية .

٤ ـ الثبات في النظام الاسلامي :

ومن خصائص النظام الاسلامي انه نظام ثابت يقدمه الاسلام بوصفه قاعدة صالحة للبناء الاجتماعي في كل مكان وزمان لا باعتباره تنظيما مرحليا وشكلا اجتماعيا مرتبطا بعصر معين او ظروف خاصة .

فالنظام الاسلامي من وجهة نظر الاسلام صالح للتطبيق على الامة الامة وقادر على اسعادها وتربيتها وتنظيم حاجاتها مهما اختلفت ظروفها المادية وتطورت اشكال انتاجها واتسعت علاقاتها مع الطبيعة وازدادت السيطرة البشرية عليها خلافا للماركسية التي ترى استحالة النظام المطلق . وقد تبينا في الامر السابق الاساس النظري لهذا الخلاف وهو موقف الاسلام والماركسية من تحديد نوع العلاقة بين النظام الاجتماعي واشكال الانتاج فان الاسلام حينما آمن بان الانظمة الاجتماعية ليست مرتبطة حتما باشكال الانتاج كان من الممكن انسجاما مع هذا الايمان ان يقدم نظامه بوصفه نظاما مطلقا صالحا للبشرية في كل زمان .

وكثيرا ما تواجه النظام الاسلامي شبهات تتعلق بشأنه وصلاحيته المطلقة في كل زمان . وتنصب هذه الشبهات على مناقشة وجهة النظر الاسلامية القائلة بامكان وجود نظام اجتماعي واحد صالح للازمنة المختلفة بان كيف يمكن لنظام اجتماعي واحد ان يعالج مشاكل الحياة الاجتماعية وينظم شؤونها في عصور متعددة تختلف في اسلوب الحياة ونوع الحاجات وطبيعة المشاكل التي تتعرض لها وكذا يبدو في تصور ساذج للاسلام ان النظام الاسلامي لا يمكن ان يواصل اصلاحيته للبقاء وقدرته على اداء رسالته مع اختلاف مقتضيات الزمن وتباين الظروف وتطور الاوضاع البشرية في كل الميادين . ولكن هذا التصور الساذج يزول اذا عرفنا مفهوم الاسلام

عن الحياة الاجتماعية من ناحية وعرفنا طبيعة التنظيم الاجتماعي في الاسلام من ناحية اخرى •

ففي ضوء الاسلام ليست الحياة الاجتماعية وتنظيماتها المختلفة تابعة من الاشكال المتنوعة للانتاج لكي يتغير شكل التنظيم الاجتماعي بتغير شكل الانتاج وانما هي تابعة من حاجات الانسان نفسه لان الانسان هو القوة المحركة للتاريخ لا وسائل الانتاج وفيه تجديد صيغ الحيـاة الاجتماعية وتنظيماتها المختلفة فقد خلق الانسان كما تقدم في بحث سابق مفطورا على حب ذاته والسعي وراء حاجاته وبالتالي استخدام كل ما حوله في سبيل ذلك وكان من الطبيعي ان يجد الانسان نفسه مضطرا الى استخدام الانسان الاخر في هذا السبيل ايضا لانه لايتمكن من اشباع حاجاته الا عن طريق التعاون مع الافراد الاخرين فنشأت العلاقات الاجتماعية على اساس تلك الحاجات واتسعت تلك العلاقات ونمت باتساع تلك الحاجات ونموها خلال التجربة الحاسة الطويلة للانسان • فالحياة الاجتماعية اذن وليدة الحاجات الانسانية والنظام الاجتماعي هو الشكل الذي ينظم الحياة الاجتماعية وفقا لتلك الحاجات الانسانية ••

ونحن اذا درسنا الحاجات الانسانية وجدنا ان فيها جانبا رئيسيا ثابتا على مر الزمن وفيها جوانب تستجد وتتطور طبقا للظروف والاحوال • فهذا الثبات الذي نجده في تركيب الانسان العضوي وقواه العامة وما اروع فيه من اجهزة للتغذية والتوليد وامكانات للادراك والاحساس يعني حتمـا اشتراك الانسانية كلها في خصائص وحاجات وصفات عامة •

ومن ناحية اخرى نجد ان عددا كبيرا من الحاجات يدخل في نطاق الحياة الانسانية بالتدرج وينمو من خلال تجارب الحياة وزيادة الخبـرة بملابساتها وخصائصها فالحاجات الرئيسية ثابتة اذن والحاجات الثانوية تستجد وتتطور وفقا الخبرة بالحياة وتعقداتها • واذا عرفنا الى جانب ذلك

ان الحياة الاجتماعية تابعة من الحاجات الانسانية وان النظام الاجتماعى هو الشكل الذى ينظم الحياة الاجتماعية وفقا لتلك الحاجات كما سبق .. واذا عرفنا ذلك كله خرجنا بنتيجة وهي : ان النظام الاجتماعى الصالح للانسانية ليس من الضرورى لكى يواكب نمو الحياة الاجتماعية ـ ان يتطوره يتغير بصورة عامة كما انه ليس من المعقول ان يصوغ كليات الحياة وتفاصيلها فى صيغ ثابته بل يجب ان يكون فى النظام الاجتماعى جـــانب رئيسى ثابت وجوانب مفتوحة للتطور والتغير ما دام الاساس للحياة الاجتماعية (وهـو الحاجات الانسانية) يحتوى على جوانب ثابتة وجوانب متغيرة فتنعكس كل من جوانبه الثابتة والمتطورة فى النظام الاجتماعى الصالح .

وهذا هو الواقع فى النظام الاجتماعي للاسلام تماما فهو يشتمل على جانب رئيسي ثابت يتصل بمعالجة الحاجات الاساسية الثابتة فى حيـاة الانسان كحاجته الى الضمان المعيشي والتوالد والامن وما اليها من الحاجات التى عولجت فى احكام توزيع الثروة واحكام الزواج والطلاق واحكام الحدود والقصاص ونحوها من الاحكام المقررة فى الكتاب والسنة .

كما يشمل النظام الاجتماعي فى الاسلام ايضا على جوانب مفتوحة للتغير وفقا للمصالح والحاجات المستجدة وهى الجوانب التي سمح فيها الاسلام لولي الامر ان يجتهد فيها وفقا للمصلحة والحاجة على ضوء الجانب الثابت من النظام .

ونحن اذا درسنا ذلك الجانب الرئيس الثابت من التشريع الاسلامى فى النظام الاجتماعي نجد ان الاسلام قد زوده بعناصر الحركة والمرونـة ايضا ذلك لان هذا الجانب التشريعى وان كان يعالج القسم الثابت مـــن الحاجات البشرية غير ان هذه الحاجات الاساسية الثابتة فى حياة الانســـان بالرغم من ثباتها قد يختلف اسلوب اشباعها باختلاف الظروف والملابسات فحاجة المجتمع الى قوة حربية مثلا حاجة ثابتة غير ان اسلوب اشباعها يختلف باختلاف مستوى الامكانات العسكرية وتطور العمليات الحربية وقد لوحظ

فى الاسلام عامل التطور والتغير فى اسلوب الاشباع بالنسبة الى الحاجات الرئيسية الثابتة فزودت التشريعات الثابتة فى النظام الاجتماعي بمرونة تجعلها صالحة لمسايرة هذا العامل والانفتاح على متطلبات التطور والتغير فى اساليب الاشباع فقد افترض فى تلك التشريعات الثابتة ان تعالج الخطوط العريضة من الحاجات الاساسية الثابتة فى حياة الانسان .

واما تفاصيل تلك الخطوط والاساليب التفصيلية التى تحدد طريقة اشباع تلك الحاجات فقد اتخذت منها الشريعة احد موقفين فاما ان تتركها للجوانب المفتوحة من النظام الاجتماعى . فالتشريع الثابت يشتمل على الخط العريض لاشباع الحاجة والتفاصيل موكولة تشريعيا الى ولى الامر يجتهد فيها وفقا للظروف والملابسات ومثال ذلك التشريع الاسلامى الثابت لاعداد القوة الحربية فقد عالج الحاجة الاساسية الثابتة على مستوى الخط العريض (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وترك تفاصيل القوة واساليب اعدادها الى شريعات من القسم الثانى يمارسها ولى الامر وفقا للظروف المتجددة فى كل عصر . هذا هو الموقف الاول للشريعة تجاه التفاصيل . والموقف الثانى انها هو ما نجده عندما يكون التشريع الثابت فى النظام الاسلامى المجتمع قد عالج الحاجة الاساسية علاجا تفصيليا ووضع الاساليب المحددة لاشباعها ايضا فان هذا التشريع الثابت بوصفه قد تكفل بكل التفاصيل يفقد المرونة اللازمة لمراجعة الظروف المستجدة فى كل عصر ولهذا تعوض الشريعة عن هذه المرونة عن طريق فئة خاصة من التشريعات التى تدخل فى نطاق القسم الثابت من التشريع وهى فئة اعدت تشريعيا لتكييف التشريعات الثابتة الاخرى وتعدل منها باستمرار اذا كانت تلك التشريعات قد استعرضت كل التفاصيل وتضم هذه الفئة قواعد عديدة كقاعدة «لاضرر ولا ضرار فى الاسلام» وقاعدة لا حرج فى الدين » وقاعدة كي لايكون دولة بين الاغنياء منكم الى غير ذلك من القواعد التى تقوم بدور

الرقيب والمطور في نطاق التشريعات الثابتة ومثال ذلك ان سلطة المالك على ما له من التشريعات الثابتة في التنظيم الاسلامي للمجتمع • وقد عالج هذا التشريع حاجة الانسان الى التملك بوصفها حاجة اساسية ثابتة غير ان هذا الاشباع قد يشكل احيانا الخطر على الوجود الاجتماعي ومصالح الاخرين الحياتية اذا اتيح للمالك ان يستغل ماله للاضرار فتقوم قاعدة لا ضرر ولاضرار في الاسلام بتحديد قاعدة السلطة وتكييفها دائما وفقا لمتطلبات الموقف •

وهكذا نعرف من كل ما تقدم ان التصميم الذي انشيء النظام الاجتماعي في الاسلام وفقا له يتغلب على مشكلة التغير المستمر في الظروف والملابسات والاتساع والتعقيد المستمر في الحاجات واساليب اشباعها لان النظام الاجتماعي الاسلامي يعالج الحاجات الاساسية الثابتة في حياة الانسان بتشريعات ثابتة على مستوى الخطوط العريضة لا تختلف في عصر عن عصر آخر تبعا لثبات الحاجات نفسها وعدم اختلافها ويعالج النظام الاجتماعي الاسلامي تفاصيل واساليب اشباع تلك الحاجات الاساسية الثابتة كما يعالج الحاجات المتنامية المستجدة باستمرار بروح تشريعية صرفة كفيلة بمواجهة كل الظروف والاحوال • على ضوء ما شرحناه عن هذه المرونة في التشريع الاسلامي يمكن ان نستخلص اسبابها في امور ثلاثة :

١ ـ وجود جوانب مفتوحة للتغير في التنظيم الاجتماعي الاسلامي موكولة الى ولي الامر واجتهاده الخاص الى صف الجانب الثابت من التشريع الذي يعالج الحاجات الاساسية الثابتة •

٢ ـ ان التشريعات الثابتة التي عالجت الحاجات الاساسية الثابتة قد اغفلت في كثير من الاحيان تحديد التفاصيل واساليب الاشباع لان هذه

التفاصيل تتسع للتطور والتغير وفقا للظروف هذا الى مرونة التشريع الثابت وصلاحيته على مدى الخط .

٣ ـ ان التشريعات الثابتة التى عالجت الحاجات الاساسية بصورة تفصيلية ولم تقتصر على الخط العريض للعلاج قد وضع الى جانبها فى دائرة التشريعات الثابتة ما يكفيها ويطورها ويمنحها المرونة اللازمة لمواجهة الظروف المختلفة .

هذه ملامح عامة عن نظام الاسلام للمجتمع ودراسة لبعض خصائصه وتصوراته الاساسية وسوف ناخذ بالبحث فيما يلي المذهب الاقتصادي فى الاسلام الذي يعبر عن الجانب المرتبط بالحياة الاقتصادية من التنظيم الاسلامي للمجتمع وندرسه على ضوء تلك الملامح العامة ونستعرض بعض مفاهيمه وخصائصه وتفاصيله .

يا ظلال الاسلام

يا ظلال الاسلام : هل تملك الاصداء ، أن تبدع النشيد الجميلا
هل تشق الاشباح ، للفجر ، درب الشمس ، حتى تحطم المستحيلا
لا يزال الصدى يطوف بانغام السرايا ، رتابةً وذهولا
وحفيف الاشباح في كل افق يتخطى الحياة جيلا فجيلا

* * *

يا ظلال الاسلام : مرت حكايات الليالي ، على دروب سُرانا
حاملات من الدجى بعض بلواه ومن بؤسنا بقايا دمانا
فشربنا من وحيها الدمع مراً يتنزى فيه نواح الحزانى
واقفنا لم يضحك الوحي للشمس ، كما يضحك السنا في ذرانا

* * *

يا ظلال الاسلام : لم يسترح ، للمجد ، في وعينا الجريح طموح
ابدا نحن في الطريق .. ربيع دائم الخصب ، وانطلاق سموح
ان غفونا ، فكل احلامنا العذراء ، أنْ كيف تستعاد الفتوح
غير انا قد نستفيق على الشوط ، وقد اتعب السُراة الجموح

* * *

عذرنا : اننا نلملم للغاية ، ، بعض المنى وبعض الاغاني
ثم نزجي الحديث عن كل تاريخ مجيد ، ملوّن بالاماني
لم لا شيء غير اصداء ماضينا ، وآهات حاضر حيرانِ
وحماس للامنيات ، وجيش من خطابات قائد نشوانِ

* * *

ذنبنا : اننا اتكلنا على الله .. ولم نعرف الطريقَ اليه
فتركنا العدوّ ، يضرى على الشوط ، ولم نحشد الدياجي عليه
ومضينا نحصي قوانا .. ونختال ، فقد فاق جمعنا ما لديه
وانتشينا بالحلم ... وانتحر الصبح ، ومات الشعاع في مقلتيه

* * *

ذنبنا : اننا اختلفنا على القمة .. من يسبق الجميع صعودا ؟
وسخرنا كل القوى الشم ، في محرابها الضخم ، عدة وعديدا
فاذا النصر كان .. كنت زعيما عالي القدر ثائراً صنديدا
واذا ما خسرت شوطك في الثورة ! كنت الجبان والرعديدا

* * *

ذنبنا : اننا تمزقنا الاهواء ، عبر الافكار والاحزاب
الدماء الحمراء ، ري ظمأ الحكم ، في صرعة الهوى والشباب
والقواميس لم تعد تنجد الثوار .. من فرط ما جنوا من شباب
فمضينا الى اللغات لنجني ما بها من شتائم الاذناب

* * *

كلنا يطلب الجذور ، ليبني فوقها ما يشاء من افكار
لم يهو ، ليمسح الدرب للآخر ، في مبدأ بعيد القرار
يعد الشعب بالسعادة ، في كلّ حديث ، في طرح كلّ شعار
لم يعلي يهدم الدار حتى تتعالى عمارة الاحرار

* * *

تلك اخلاقنا التي عاشت النكبة فيها ، شبابها وصباها
لا تزال الثارات تشغل اذهان السرايا في زحفها ومداها
كلنا في الطريق ، للسلطة العمياء ، نجتاح امّها واباها
ويعود الحديث للثار يردي كل طاقات امتي في سراها

* * *

ذنبنا : اننا افقنا على الثروة في كف ماجن وخليع
ودخيل : يخاف من كل وعي مشرق الروح ، كالصباح الوديع
يحسب الهمسة الخفية في الليل ، دليلا لثورة في الجموع
تتلظى ، ليستريح من الاعياء ، شعب يعيش ذل الدموع

* * *

ووريث للحكم ، يحسب ان الشعب ملك لجده وابيه
يتلهى به ، ليملأ لهو العمر من بؤسه ، ليلهو فيه
ويعد ابتسامه وعطاياه ، مثالا ، لكل ملك نزيه
ويرى العدل منحة منه للناس ، وحقا لكل من يصطفيه

* * *

هؤلاء الذين عاشوا مع التاريخ عبئا يشل كل قوانا
انهم خلف هذه السحب السوداء ، في كل ربوة من قرانا
انهم سر جرحنا ، سر بلوى جيلنا ، في صباحنا ومسانا
يختفي الاجنبي فيهم ، فهم خلف المآسي التي اضاعت خطانا

* * *

اي معنى اني اعيش لأحني هامتي للعبيد والاصنام
اي معنى اني اسخر طاقاتي ، لفرد يعيش من آلامي
كيف احيا ، أين الحياة التي احلم ، ان عشت ، في الدجى احلامي
انا حر ، حريتي هبة الله ، وعز الايمان في اسلامي

* * *

ذنبنا : اننا نقدس أصناما ونحني لهم مصير البلاد
فهم قبلة العقيدة ، ان شاؤا ، وسر الايمان والاعتقاد
وهم القوة ، التي تبدع الفتح ، وتحميه من شرور الاعادي
وهم وعينا ، ووحي السماء البكر والملهمون بين العباد

* * *

ذنبنا : اننا نصفق للانسان ، ان اشرقت علينا سماه
ونغني له ، ونعمى عن الظلمة ، تغزو حياته وسراه
اننا طيبون غرقى ، نحب النور ، نحيا احلامنا في هداه
غير انا ، قد نستغل ، وقد يلحق بالركب من يشل خطاه

* * *

اننا طيبون : نؤمن بالخير ، نرى الخير في الجميع مثالا
كل احلامنا ، ونحن نعيش الهم ، ان نترك الهموم الثقالا
ان نغني للفجر ، ان نشتكي الليل ـ يا ليل ـ في نشيد الكسالى
ان نعيش المدى خفافا ، كما نرجو ، ـ نشاوى ـ صبابة وابتهالا

* * *

اننا طيبون : نحيا مع الماضي ، نراه مقدسا معصوما
بدربه ، ضعفه ، زعاماته الرعناء ، توحي لنا الصراط القويما
فترانا نقدس الجهل فيه ونرى الانحراف نهجا سليما
نحن صرعى خرافة : تحسب الماضي ، في كل خطوه مستقيما

* * *

كان ذاك الماضي ، كحاضرنا المحموم ، في راحتيه خير وشر
بعض ابطاله ، يعيشون للحق ، فهم في الحياة حُب وطهر
وترى بعضهم يعيشون للشر ، فهم ـ في الطريق ـ شوك وجمر
ولكل سبيله في مدى العمر .. فهذا عبد ، وذلك حُرّ

* * *

كان ذلك الماضي ، يضم الاباطيل ، يذيق الابرار ، كل اضطهاد
كان يحمي القوي ، يحرس درب الظلم فيه في عصبة الاوغاد
يسرق الامن والهدوء من الاعين في هداة الشعاع الهادي
ويثير الضباب ، في كل افق يحمل الوحيُ فيه سرّ الرشاد

* * *

النا اوفياء !! نخلص للانسان ، مهما جنت يداه علينا
اله ارلنا ! ، فقد كان من قوم ، توالى نداهم في يدينا
جده ، كان صاحب السلطة الكبرى ، فامجاده تعود الينا
وعلينا ، ان نحمل الوارث الاكبر ، فوق الرقاب مهما مشينا

* * *

اننا طيبون ، لكنما يا فجر ، قد توقظ الجراحُ العيونا
فتثور الاعماق ، في ثورة الآلام ، تجتاح بالكفاح السجونا
ويعود السرى ، يثير نشيد الفتح ، حرا ، كما نشاء ، مصونا
ويمد الصباح كفيه ، للفاتح ، روحا خفاقة وحنينا

* * *

ذنبنا : اننا ابتعدنا عن الله ، وعشنا ـ مع الطريق ـ حيارى
وفقدنا ايماننا وخشينا نقطع الدرب خلسة وفرارا
لا رقيب هنا : فمن يعرف الخائن .. من ذا يخافه ، ان توارى
واذا عاشت الحياة مع الاطماع ، فارقب مصيرها المنهارا

* * *

يافلال الاسلام : نحن مع النكبة روحاً وخاطراً وكيانا
لن نسيل الدموعَ ، لن نطلق الصرخة ، لن تسمع الحياة بكانا
لن يشل الاسى خطانا ، فقد نحيا لنمحو آلامنا بدمانا
حلمُ النصر لن يموت ، ومهما طال ، فالله خالدٌ في رؤانا

* * *

قد يطول انتظارنا لشروق الشمس في القدس في رحاب الجليلِ
قد يموت الجيل الذي عاش في النكبة ، قبل انتصارنا المأمولِ
غير انا سنأكل الصخر ، نحسو العلقم المر في مدانا الطويلِ
وبأيماننا قوانا ، وفي أرواحنا البيض روعة التهليلِ

* * *

الديلم والإسلام

(١)

فاضل الخالدي :
كلية التربيـة

يمكن تحديد بلاد الديلم ، بانها المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر[١]، ومن جهة الغرب شيء من اذربيجان وبلاد الران .[٢] وبلاد الديلم تتالف من قسمين احدهما سهل والآخر جبل ،[٣] وقد كوّن هذا السهل نهر « سعيد رود » عندما اخترق جبال البرز وصبّ في بحر قزوين عند كوتم في اقليم جيلان .[٤] اما الجبل او المنطقة الجبلية فانها منيعة وباردة وتكسو قممها الثلوج،[٥] ومع ذلك فهي لا تخلو من الاشجار والغياض والغابات [٦] .

يسكن الديلم ـ سكان الجبال ـ الاراضي الجبلية على الجهة الشمالية لجبال البرز بين نهر « سفيدرود » ونهر « شالوس »،[٧] في حين يسكن الجيل ـ سكان السهول ـ الاراضي السهلية الساحلية على بحر قزوين في

---

(١) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٣٥٣ .

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ .

(٣) ابو اسحاق الصابي : المنتزع من كتاب التاجي في اخبـار الدولة الديلمية .

(٤) ليسترنك : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٠٤ .

(٥) ابن حـوقل : المسالك والممالك ص ٢٦٧ ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ .

(٦) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ .

(٧) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتاخرة ص ٢٣٨.

ركنه الجنوبي الغربي [٧] ؛ وهي سهول كثيرة الاشجار والفيـــاض [٩] وحافلة من الداخل بالمستنقات [١٠] . وعلى الرغم من الاختلاف الموجـود في بعض الوجوه بين الديلم والجبل الا ان الجغرافيين والمؤرخين المسلمين اصطلحوا على تسمية هذين الفريقين بالديلم أو الديالمة .

وقد اختلف الباحثون في أصلهم ، فذهب « الصابي » : الى انهم من بني ضبة في العرب ، وقـد هاجروا الى هذه البلاد بعد ان قام نزاع بينهـم وبين جيرانهم من القبائل ، وقد افترقوا فرقتين لانهم كانوا ينتسـبون الى أخوين هما : « ديلم » و «جيل» [١١] . ومعنى قول الصابي أن الديلم من سلالة العرب ، غير ان معظم المؤرخين المسلمين لم يؤكدوا هذه الصلة فـي النسب ، وانما اكتفوا بنقل ما اورده الصابي مسبوقا بقولهم : وزعم وذكر وروى .. الى آخره . وذلك لشكوكهم أو عدم ايمانهم بصحة هـــذا النسب [١٢] .

والديلم كما يتضح لى لا صلة لهم بالعرب [١٣] ، اما محاولة الصابي

---

(٨) ابن حـــوقل : المسالك والممـالك ص ٢٦٧ ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ .

(٩) الاصطخري : المسالك والممـالك ص ١٢١ ، ابن حـــوقل : المسالك والممالك ص ٢٦٨ .

(١٠) دائرة المعارف الاسلامية ـ لفظة جيلان ـ

(١١) المنتزع من كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية .

(١٢) انظر : الاصطخري : المسالك والممالك ص ٢٠٥
ابن حوقل المسالك والممالك ص ٢٦٨
المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٥١١

(١٣) الدكتور حسين امين : تاريـخ العراق في العصر السلجوقي ص ١٩ ـ الدكتور حسين امين : من تاريخ العراق في العصر البويهي ص ٤٧ (مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية المجلد السابع عشـر ، سنة ١٩٦٣) .

في ارجاع نسبهم الى العرب فقد اقتضتها ظروف الصابي نفسه ، لقد كان ابو اسحق الصابي كاتبا لديوان الانشاء في بغداد في عهد الامير عضد الدولة البويهي وكان « عضد الدولة » اعظم أمراء الاسرة البويهية التي استولت على السلطة السياسية ببغداد سنة ٣٣٤هـ وبسطت نفوذها على اغلب بلاد ايران والعراق وديار بكر وعُمان وغيرها من الاقاليم . ولمّا كان عضد الدولة ملكاً طموحاً بعيد النظر ، فقد عزم على تكوين دولة واسعة الارجاء وتشمل بلاد العرب والعجم ، فكان لابدّ له من مبررات لتحقيق حلمه العريض ، فهداه تفكيره الى ان يوصل نسب قومه الديلم بالعرب ليحقق في ذلك غرضا سياسيا كبيرا ، ويتضح ذلك الغرض اكثر من المصاهرة التي قامت بينه وبين الخليفة العباسي الطائع لله في سنة ٣٦٩هـ، فيذكر مسكويه[١٤] أن عضد الدولة **« دبّر ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى ، ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله بمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مائة الف دينار ، وبنى الامير علي ان يرزق ولداً ذكراً منها فيولي العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه ، ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة البويهية »** .

هذا من ناحية انتسابه الى العرب ، وامّا من ناحية انتسابه الى الملك الساساني « بهرام جور » كما زعم الصابي [١٥] ، فان عضد الدولة أراد ان يوهم الشعوب الايرانية بأنه سليل أسرته في نظر هذه الشعوب .

لقد طلب عضد الدولة من ابي اسحق الصابي ان يكتب سفراً في تاريخ الاسرة البويهية ، ووضع بين يديه كل ما كان يحتاجه من أخبار هذه الاسرة ، فلما فرغ من تدوينه رفعه الى الملك البويهي باسم : « التاجي

---

(١٤) تجارب الامم ج ٢ ص ٢١٤ .

(١٥) المنتزع من كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية .

في أخبار الدولة الديلمية » .

وبالرغم من المزاعم التى أوردها الصابي فى مؤلفـــه عن الأسرة البويهية الا ان ما حواه من معلومات عن الديالمة وبلادهم واسلامهـــم وعلاقتهم بالخلافة العباسية على قدر كبير من الاهمية ، وللأسف فأن هذا المؤلف التأريخى لا يزال مفقودا ولم يعثر منه سوى على جزء صغير يعرف باسم « المنتزع من كتاب التاجي فى اخبار الدولة الديلمية » ، وهو مخطوط وله فيلمان أحدهما فى قسم المخطوطات فى مكتبة الجامعة العربية بالقاهرة برقم (١٢٦٢) والآخر فى قسم المخطوطات فـــى دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم (٢٣٥) .

وللديلم الذين نحن بذكرهم خصائص وصفات عرفوا بها كما ذكرها المؤرخون ، فمن هذه الصفات الشجاعة ، فيذكر المقدسى[١٦] انهم اصحاب دولة ورجولة وهيبة ، ويصفهم الصابي [١٧] بان الشجاعة من عاداتهم فهي تجرى فى عروقهم جيلا بعد جيل . وليس ادل على ذلك من ان بلادهم لم تفتح صلحا فى اول الاسلام بل فتحت عنوة ، كما أن الفاتحين الاوائل لم يستطيعوا التوغل فى الداخل [١٨] . وقد حاول الحجاج بن يوسف والى الامويين فى العراق أن يفتح بلادهم ليدخلهم فى الاسلام فأمر برســـم خارطة لبلادهم فلما اظهرها لرؤسائهم بغية الامتناع عن مقاومة جيشـــ المسلمين قالوا له : « قد صدقوك عن بلادنا ، هذه صورتها غير انهـــم لـــم يصوروا لك فرسانها الذين يمنعون هذه العقاب والجبال ، وستعلم ذلك لو تكلفته » [١٩] .

---

(١٦) احسن التقاسيم ص ٣٥٣ ، ٣٥٥ .
(١٧) المنتزع من كتاب التاجي فى اخبار الدولة الديلمية .
(١٨) المنتزع من كتاب التاجي فى اخبار الدولة الديلمية .
(١٩) ابن النعقية : مختصر كتاب البلدان ص ٢٨٣ .

كذلك عرف الديلم بالكرم فيذكر الصابي [٢٠] انهم رغم ما جبلوا عليه من الشدة والأنفة والغلبة لمن حاربهم فقد طبعوا على الجود والكرم وهم خلاف غيرهم من سائر العجم • وقد اعتادوا من الضيافة واكرام الدخيل ما اعتادوه العرب من كرم •

وقد وصف الديلم بالطيش والعجلة والبوار وقلة المبالات[٢١] كما وصفوا بالجهل والحماقة وكثرة التنازع فيما بينهم •[٢٢] وقالوا في اوصافهم الجسمية : انهم كانوا حسان الوجوه واللحى ولهم طلل[٢٣] وكان الغالب فيهم النحافة وخفة الشعر •[٢٤]

أمّا لغتهم فيبدو أنها لغة فارسية ولكن بلهجة محلية خاصة كما هو الحال في اللهجات الكثيرة التي تنتمي الى لغة واحدة كالعربية مثلا • فقد وصف الرحالة الايراني ناصر خسرو الذي عاش في القرن الخامس الهجري أحد العلماء بانه كان يتكلم الفارسية بلهجة الديالمة[٢٥] ويذهب « الدوري » [٢٦] الى لغة الديلم لهجة ايرانية شمالية تختلف عن الفارسية التي هي لهجة جنوبية وبالاخص لهجة بلاد فارس ، ولكن أغلبية الديلم كانوا قد اصبحوا ايرانيين في العصر الاسلامي • أمّا الجغرافيون المسلمون الذين زاروا مناطقهم فقد وصفوا لسانهم بانه مختلف منغلق [٢٧] وينفرد

---

(٢٠) المنتزع من كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية •
(٢١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢٦٨ •
الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ •
(٢٢) القزويني : آثار البلاد ص ٢٢١ •
(٢٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٣٦٨ •
(٢٤) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ •
(٢٥) سفرنامة ص ٣ (ترجمة الدكتور يحيى الخشاب) •
(٢٦) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ٢٣٨ •
(٢٧) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٦٨ •

عن الفارسية والرانيه والارمنية[٢٨] ، كما ذكروا أن فى بعض الجبل طائفة تخالف لسانهم لسان الجيل والديلم • [٢٩]

أما دياناتهم قبل أن يتخذوا الاسلام دينا فيبدو انها كانت خليطا من تقاليد وعادات موروثة ، ومن فلسفات وديانات متعددة ، فيذكر المسعودى [٣٠] ان بين الديلم كان دين المجوسية والوثنية (اى المذاهب التي كانت سائدة في ايران قبل الاسلام كالزرداشتية والمزدكية والمانية وسواها من المذاهب) ، وان بعضهم ربما عرف المسيحية [٣١] ولعل بعضهم عرف الاسلام ايضا خلال الفتوحات الاسلامية الاولى وذلك عن طريقة الحرب والتجارة بينهم وبين ديار الاسلام المجاورة •

لقد ذكرنا ان الديلم قاوموا الفتح الاسلامي ، وعلى الرغم من ان قسما من بلادهم قد فتح عنوة من قبل الجيوش الاسلامية ، الا انهم لم يدخلوا فى الاسلام ، كما أخفقت كل المحاولات العسكرية التى بذلها الامويين وحتى العباسيون لحملهم على اعتناق الاسلام • غير ان الاسلام استطاع ان يدخل بلاد الديلم بصورة سلمية ويعتنقه عدد كبير منهم على أيدي العلويين الذين لجأوا اليهم في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وذلك حين لاذ يحيى بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب (رض) ببلاد الديلم هربا من بطش الخليفة هرون الرشيد ،

---

(٢٨) ابن حوقل : المالك والممالك ص ٢٦٨ •
ـ الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ •
(٢٩) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٢١ •
ـ ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢٦٨ •
(٣٠) مروج الذهب ج٢ ص ٥١١ ، وانظر : ابن خلدون : كتاب العبر ج٣ ص ٣٦٧ •
(٣١) الدوري : دراسات فى العصور العباسية ص ٢٣٩ •

فاجتمع اليه عدد كبير من الديلم وبايعوه بعد ان دخلوا فى الاسلام ، فقويت شوكته في تلك الاصقاع ، فكان لهذا العلوى الفضل الكبير على نشر الاسلام فى تلك الربوع وقتذاك [٣٢] .

وبالرغم من الخليفة الرشيد تمكن بمعاونة وزيره الفضل بن يحيى البرمكي من استدراج الثائر العلوي الى بغداد بمنحه الأمان ، ثم نقض الرشيد للامان وقتله ، الا ان اتباع يحيى بن عبدالله واصلوا مساعيهم فى نشر الاسلام ، كما أن تتابع خروج العلويين الى بلاد الديلم ، واتخاذهم منها مراكز ثورة ضد الخلافة العباسية ساعد كثيرا على انتشار المذهب الشيعي [٣٣] .

على أن اكبر موجة اسلامية غمرت بلاد الديلم وتم بموجبها نشر الدين الاسلامي على اسس اقتصادية واجتماعية وسياسية شملت طبقات الديلم ، تلك التي تمت على يد علوي آخر يدعى « الحسن بن علي الاطروش » . لقد دخل هذا الثائر الزيدي المذهب الى بلاد الديلم سنة ٣٠١ هـ ، واقام بينهم ثلاثة عشر سنة يدعوهم الى الاسلام ويقصر منهم على العشر ، ويدافع عنهم ، فلبوا دعوته واسلم منهم خلق كثير على المذهب الزيدي ، وبنى لهم المساجد[٣٤] .

---

(٣٢) انظر : ابن طباطبا : الفخري فى الآداب السلطانية ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

: المسعودي : مروج الذهب جـ٢ ص٢٦٦ ، ٤١٣ .

: المنتزع من كتاب التاجي فى اخبار الدولة الديلمية .

(٣٣) : المنتزع من كتاب التاجي فى اخبار الدولة الديلمية .

- المسعودي : مروج الذهب حـ٢٦٦ ، ٤١٣ .
- الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج٢ص ٤٥٠ ، ج٧ ص ٩٠ .
- ابن الاثير : الكامل حـ ٧ ص ٥٠ .

(٣٤) المسعودي : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥١١ .

- المنتزع من كتاب التاجي فى اخبار الدولة الديلمية .
- ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص٣١ .
- ابن خلدون : كتاب العبر جـ٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

وقد استطاع « الاطروش » أن يقضي على النظام الاقطاعي الذى كان يستند على سلطة رؤساء العوائل واستبدله بنظام التعاون بين طبقات الديلم المختلفة [٣٥] ، الامر الذى سهل عليه تثبيت زعامته السياسية ـ فضلا عن زعامته الدينية ـ بين الديلم والخروج بهم من معاقلهم لمهاجمة امـــلاك الخلافة العباسية [٣٦] .

(٣٥) الدوري : دراسات في العصور العباسية ص ٢٣٩ .
(٣٦) المسعودى : مروج الذهب ج٢ ص ٥١١ .
ـ ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص ٣١ .
ـ ابن خلدون : كتاب العبر حـ٣ ص ٣٦٦ ـ ٢٦٧ .
ـ المنتزع من كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية .

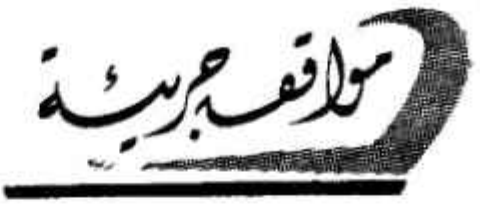

افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر

في تاريخنا الاسلامي وقت كان الحكم يقوم باسم الاسلام ويفترض فيه الالتزام بتشريعه كانت تظهر للمسلمين كثير من المواقف الجريئة امام الحكام ، في مقام الانكار والمحاسبة مواقف قد تبدو لنا الآن صورة من صور البطولة الفردية النادرة ولكن تكررها ووحدة منطلقها وغاياتها يكشف لنا بوضوح انها كانت اقرب للتعبير عن روح النظام الاسلامي ، ومزاج التربية الاسلامية مما هي لحالات فردية خاصة .

ان الاسلام اعطى للامة حقا صريحا واضحا في مراقبة الحاكم ، ومحاسبته عمل اساس القوانين الاسلامية ضمن نظام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه حق يفرع به ادناهم انف اعلاهم وقد فهم الحاكم والمحكوم معا ذلك ووعياه ، فلم يكن للحاكم ان يتمرد ولا للمحكوم ان يتردد فكانت هذه النماذج الرائعة من المواقف الجريئة التي لن يوجد نظيرها في غير ظلال الحكم الاسلامي .

امير في مجلس القضاء

أتت امرأة شريك بن عبدالله قاضي الكوفة ، وهو في مجلس القضاء فقالت : أنا بالله ثم بالقاضي . قال : من ظلمك ؟ قالت : الامير موسى بن عيسى عمّ امير المؤمنين ، كان لي بستان على شاطىء الفرات فيه نخل ورثته عن ابي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا ، وجعلت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل ويقوم به ، فاشترى الامير موسى بن عيسى

من جميع اخوتي وساومني ورغبني فلم أبعه فلما كانت هـذه الليلة بعث بخمسمائة غـلام فاقتلعوا الحائط فاصبحت لا اعرف من نخلي شيئا • فقال : يا غلام : احضر طينة فاحضرها فختمها وقال امضِ بهـا الى بابه حتى يحضر معك ، فاخذها الحاجب ودخل على موسى ، فقال : قد اعدى القاضي عليك ، وهذا ختمه ، فقال : ادع لي صاحب الشرطة فدعا بـه فقال : امض الى شريك وقل : يا سبحان الله ! ما رأيت اعجب من امرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح اعديتها عليّ قال صاحب الشرطة : ان رأى الامير أن يعفيني من ذلك ! فقال : أمضِ ويلك ، فخرج ، وقال لغلمانه : اذهبوا واحملوا لي الى حبس القاضي بساطاً وفراشاً وما تدعـو اليـه الحاجة • ثم مضى الى شريك • فلما وقف بين يديه ، أدّى اليـه ما قاله موسى • فقال لغلام المجلس : خذ بيده فضعه في الحبس ، فقال صاحب الشرطة والله قد علمت أنك تحبسني ، فقدمت ما احتاج اليه في الحبس •

وبلغ موسى بن عيسى الخبر ، فوجه الحاجب اليه وقال له رسـول أدى رسالة ، ايّ شيءٍ عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه في الحبس فحُبِس فلما صلى الامير العصر بعث الى اسحاق بن الصباح الاشعثي ، والى جماعة من وجوه الكوفة من اصـدقاء شريك ، وقال لهم : ابلغـوه السلام واعلموه انه استخف بي وأني لست كالعامة فمضى اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم : مالي أراكم جئتموني في جمع من الناس فكلمتموني ؟ من هاهنا من فتيان الحي فأجابه جماعة من الفتيان فقال : ليأخذ كل واحد منكم بيـد رجـل فيذهب به الى الحبس • ما انتم الا فتنـة وجزاؤكم الحبس • قالوا له : اجاد أنت ؟ قال : نعم حتى لا تعودوا لرسالة ظالم فحبسهم •

فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن ، وفتـح البـاب

واخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء ، جاءه السجان فأخبره فدعا بالقمطر[1] فختمه ووجه به الى منزله ، وقال لغلامه الحق بثقلي الى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الامر منهم ، ولكن اكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الأعزاز اذ تقلدناه لهم . ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد . وبلغ الخبر موسى بن عيسى فركب في موكبه فلحقه ، وجعل يناشده الله ويقول : يا ابا عبدالله تثبت ، انظر اخواني اتحبسهم ؟ قال : قال : نعم لأنهم مشوا اليك في أمر لم يجز لهم المشي فيه ولست ببارح أو يردوا جميعا والا مضيت الى امير المؤمنين فاستعفيته مما قلدني .

فأمر موسى بردهم جميعا الى الحبس وهو واقف مكانه حتى جاء السجان فقال : قد رجعوا جميعا الى الحبس . فقال لاعوانه : خذوا بلجام دابته بين يدي الى مجلس القضاء فجروا به بين يديه حتى ادخل الى المسجد وجلس في مجلس القضاء ، فجاءت المرأة المتظلمة ، فقال : هذا خصمك قد حضر ، فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت ، اولئك يخرجون من الحبس . فقال شريك : اما الآن فنعم . اخرجوهم من الحبس .

ثم قال شريك . ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟ قال صدقت . قال : ترد ما اخذت منها ، وتبني حائطها سريعا كما كان . قال : أفعل ذلك . قال لها : أبقى لك عليه دعوى ؟ قالت : لا ، وبارك الله عليك وجزاك خيراً . قال قومي فقامت من مجلسه .

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى واجلسه في مجلسه وقال : السلام عليك ايها الامير ، أتأمر بشيء ؟ فقال : بأي شيء آمرك ؟ وضحك فقال له شريك : ايها الامير ذاك الفعل حق الشرع ، وهذا القول حق الادب ، فقام الامير وانصرف الى مجلسه .

---

(١) وعاء الرسائل .

اذ ، لا عليّ حي

دخلت عكرشة بنت الاطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكّاز لها فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية : الآن ياعكرشة صرت عندك امير المؤمنين ؟ قالت : نعم اذ لا عليّ حي . قال : ألست المتقلدة حمائل السيف بصفين وانت واقفة بين الصفين تقولين أيها الناس عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يرحل عنها من قطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم . انمعاوية دلف اليكم بعُجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة . دعاهم بالدنيا . فأجابوه ، واستدعاهم الى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله فى دين الله ، وأياكم النواكل فان ذلكينقض عرى الاسلام ويطفيء نور الحق ، هذه بدر الصغرى ، والعقبة الاخرى يامعشر المهاجرين والانصار امضوا علىبصيرتكم واصبروا على عزيمتكم ، فكأني بكم غداً ، وقد لقيتم اهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر تروث روث العتاق . فكأني اراك على عصاك هذه قد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطرش بن رواحة فان كدت لتقتلين اهل الشام لولا قدر الله وكان امر الله قدرا مقدورا .

فما حملك على ذلك ؟

قالت : يا امير المؤمنين قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم » .

وان اللبيب اذا كره امراً لا يحب اعادته .

قال : صدقت . فاذكري حاجتك .

قالت : انه كانت صدقاتنا تؤخذ من اغنيائنا فترد على فقرائنا ، وانّا

قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير ، فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه عن الغفلة وراجع التوبة وان كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة واستعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه انه ينوبنا من امور رعيتنا امور تبشق ، وبحور تنفهق .

قالت : ياسبحان الله والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا على غيرنا وهو علام الغيوب .

قال معاوية : هيهات يا اهل العراق نبّهكم علي بن ابي طالب فلن تطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وانصافها .

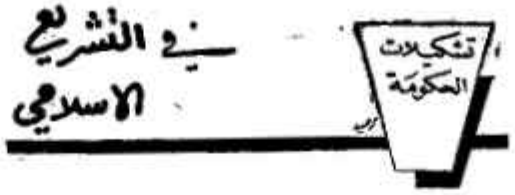

عبد الهادي الفضلي

ان الذي أعنيه ـ هنا ـ بكلمة (دولة) هو (الحكومة) ، وهو الذي سيدور حوله الحديث عن (تكوين الدولة) ..

والمعنى هذا هو أحد معنيي الكلمة .. وربما تطرقت عابرا في خاتمة الحديث الى معناها الآخر ، وهو (الارض والامة والحكومة) :

ربما انتظرنا من التشريع الاسلامي ـ هنا ـ ان يزودنا بتفاصيل وافية عن تشكيلات الحكومة في عصر الغيبة ..

الا اننا حينما نفهم ان التشكيلات ـ هنا ـ تعني الوسائل والاساليب التي تتخذ وتتبع في ادارة ورعاية شؤون الامة .. نفهم انها موضوع ، وليست بحكم .

وذلك ، ان الاساليب أنواع من سلوك الانسان وأعماله ..

ومن الواضح : ان سلوك الانسان وأعماله هي موضوعات تتوجه اليها الاحكام ، لتوجيه السلوك الانساني الوجهة التي ينبغي أن يسير عليها.

وان الوسائل وسائط في تحقيق الامتثالات ..

ومن الواضح أيضا : ان الوسائط ـ هنا ـ موضوعات لا أحكام ، لانها لا تختلف في مجال تحقيق الامتثال عن الاساليب ، الا بما يتنوع به السلوك من صدوره عن الانسان بلا مساعد ومباشرة ، ومن صدوره بمساعد ومن غير مباشرة ..

فهي ـ أعني الوسائل هنا ـ جزء متمم لما يحقق الامتثال في المجال الذى يفتقر فيه الى الواسطة .

وفي ضوئه :

لا ينتظر من التشريع أن يحدد لنا تشكيلات الحكومة ، فيعين الوسائل والاساليب ذلك ان تحديد الموضوعات لايعود اليه ـ عادة ـ ، وانما وظيفته ـ تشريعا ـ وضع الاحكام المناسبة للموضوعات بما يحقق المصلحة للناس ، ويبعد المفسدة عنهم ..

يضاف اليه :

ان خضوع الموضوعات للتغيرات الزمانية والمكانية ، وللتطورات الحضارية والمدنية ، مما يقف دون اعطاء تحديد ثابت لها .

الخط العام للحكومة :

نعم .. هناك شيء ينتظر من التشريع ان يقوله ، لانه يتمشى مع طبيعة الموضوعات في مختلف تطوراتها وتغيراتها .. وهو : اعطاء حكم يحدد نوعية الوسائل والاساليب هنا . وبعبارة الصق بالحديث : وضع خط عام للحكومة في تشكيلاتها .

وهذا اللون من الحكم لانعدامه في التشريع الاسلامي ، فقد فرض على المسلم ـ بصفته فردا ـ وعلى المسلمين ـ بصفتهم مجتمعا ودولة ـ أن يتخذوا الوسائل وينتهجوا الاساليب في أطار الاحكام الاسلامية العامة .

اعني : انه فرض عليهم تحديد الموضوع أولا ـ وسيلة كان أو اسلوبا ـ والتماس حكمه الشرعي ثانيا .

فمتى ما حدد الموضوع والتمس حكمه المسوغ لاتخاذه واتباعه ، عد وسيلة اسلامية ، أو اسلوبا اسلاميا ..

والعكس بالعكس .

ويعرف ذلك بالبداهة من طبيعة التشريع الاسلامي .

وعلى هديه :

يلاحظ دائما في وضع تشكيلات الحكومة متطلبات الظروف والملابسات المحيطة بالدولة ـ امة وحكومة ـ في مجال ما يحقق لها المصلحة العامة ، وفي أطار الاحكام الاسلامية العامة .

مستثنيات :

فقط .. استثنى التشريع الاسلامي بعض الوسائل والاساليب فحددها بصورة خاصة أمثال :

١ ـ تعيين المسؤول العام للدولة من قبل التشريع ـ كما لمسناه في موضوع رئيس الدولة ـ حيث اعطى التشريع الاسلامي كلمته فيه ، واناط به المسؤولية الكبرى في مجال الحكم .

٢ ـ تقييد الدولة بدستور موضوع .

٣ ـ تقييد تعيين الحكام بتوفر شروط معينة فيهم ، امثال : الكفاءة والعدالة[١] ، وغيرهما من امكانيات الحكم وضماناته .

وذلك لان طبيعة الاحتياط فيما يجعل التشكيلات الحكومية تحقق للامة والحكومة مصلحتهما العامة تفرض ذلك فرضا ..

ومنه نستطيع ان ندرك مدى اهتمام التشريع الاسلامي للمسألة ، حيث حسب للتطور كل الحساب وأخذه بنظر الاعتبار التام ، فلم يضع التفاصيل لئلا تصطدم بالتطور ، ولم يهمل وضع التعاميم احتياطا عن انحراف القضية .

السلطات الثلاث :ـ

وفي ضوء ما انتهينا اليه من اعتبار الفقيه الاعلم حاكما عاما

---

(١) : في حديث الامام امير المؤمنين (ع) : « لا تقبلن في استعمال عمالك وامرائك شفاعة الا شفاعة الكفاية والامانة » .

للمسلمين ، ورئيسا اكبر للدولة الاسلامية ·· ومن ان التشكيلات الحكومية تعود الى طبيعة الظـروف ومقتضيات الاحوال المحيطة بالامـة والحكومة والملابسة لهما يكون توزيع السلطات الثلاث ، بالشكل الذي يعطي المخطط العام للحكومة كما يلي :

أ ـ السلطة التشريعية :

تعود الى الفقهاء العدول، تحت اشراف الفقيه الاعلم (رئيس الدولة)·· فتشكل اللجان والهيئات التشريعية منهم وباشرافه ··

ووظيفتها تلخص بما يأتي :

١ ـ بيان الاحـكام ··

والاحكام : هي التي شرعت بنص خاص من الكتاب والسنة أو ثبت بالضرورة من الدين ، أمثال : وجوب الزكاة والخمس وتعيين مصارفهما ، واعداد القوة قدر المستطاع لارهاب عدو الله ··

ونستطيع أن نصطلح عليها بـ (الدستور) ·

٢ ـ وضع التعاليـم ··

والتعاليم : هي الاحكام التي لم تشرع بنص خاص ، وانما اوكل امر استنباطها الى اجتهاد الفقهاء داخل اطار الاحكام الاسلامية العامة ، نظرا لتطورها ، تبعا لتغير الظروف والاحوال ، مثل : وجوب التدريب العسكري في هذا العصر ، نظرا لتطور وسائله واساليبه ، الى ما يفرض ذلك مـن باب المقدمة للدفاع الواجب ·· ومثل تحديد مقدار ضريبة الخراج والجزية ، وما شـاكل ·

ونستطيع ان نصطلح عليها بـ (النظام) ·

ب ـ السلطة التنفيذية :

تعود الى الامناء من أبناء الامة ممن تتوفر فيهـم امكانيات القيـام بمسؤولية التنفيذ وضماناته الشرعية · ويرجع أمر تعيينهم الى رئيس الدولة واللجان التي أعدها وشكلها لذلك ممن تتوفر فيهم الخبرة الكافية للقيام بمثل هذا العمل ·

ووظيفتها تتلخص بما يأتي :

١ ـ القيام بتطبيق الدستور والانظمة .

٢ ـ تشكيل لجان وهيئات عملية ، تختار أفرادها من مختلف الاختصاصيين : سياسيين واقتصاديين وعسكريين وتربويين واجتماعيين ... والخ .
ممن تتوفر فيهم الضمانات الشرعية ..

توكل اليهم مهمة القيام بدراسة مجالات التطبيق ، ومعرفتها معرفة كاملة بشتى ظروفها وملابساتها وأحوالها وجميع علاقاتها .. وبتقديم نتائج الدراسة الى السلطة التشريعية ، لتقوم هي بدورها بتزويد السلطة التنفيذية بالاحكام الخاصة لهذه الموضوعات .

أمثال : تكوين علاقات سياسية مع دولة اخرى ، أو عقد اتفاقية تجارية ، أو فتح مشاريع زراعية وصناعية وثقافية وصحية واجتماعية وما شاكلها .

لتقوم هي ـ أعني السلطة التنفيذية ـ بعد أخذ أحكامها من السلطة التشريعية ـ بدورها في تطبيقها .

ـ السلطة القضائية :

وتعود الى الفقهاء ايضا .
ويرجع امر تعيينهم الى رئاسة الدولة .
ووظيفتها :
القضاء بين المواطنين ، وحل الخصومات ، سواء كانت قائمة في نطاق ما يسمى ـ اليوم ـ بـ (الاحوال الشخصية) ، أو في غيره من نطاقات الحياة المختلفة ..

وذلك لان الاسلام لا يحتوي نوعين من القضاء : مدنيا وشرعيا ، وانما كل القضايا ، من وجهة نظره ، سواء كانت من نوع ما يسمى ـ اليوم ـ

بالقضايا المدنية ، او القضايا الشرعية ، يعود امر حلها الى القانون الاسلامي ووفق احكامه .

لان القوانين المدنية من وجهة نظر الاسلام لا تعتبر قوانين للتطبيق ، ولا يسوغ بحال من الاحوال الاخذ بها .

شكل الحكومـــة :

ونستطيع بعده أن نخلص الى أن شكل الحكومة الاسلامية زمن الغيبة هو أنها :

حكومة دستورية ، يرأسها الفقيـه الاعلم العادل ، وتـدار من قبـل أجهزة كافية من الاختصاصيين العدول ، وباشراف الرئاسة العادلة .

مبدأ الحق الالهي :

وهنا أود أن اشير الى مفارقة وقع فيها بعض الكتاب حول الموضوع ، وهي اعتبارهم أمثال هذا الحكم من نوع (الحق الالهي) ..

وفي عقيدتي : ان منشأ المفارقة هو عدم التفرقة بين الحق الالهي ، الفكرة المعروفة في التاريخ والتي تمثلت في حكم الفراعنة بمصر القديمة ، وفي حكم الملوك في القرنين السابع عشر والثامن عشر في اوربا ، وخاصة في فرنسا[٢] .. وبين الحق الالهي الذى يتبناه التشريع الاسلامي . ذلك ان الاولى تؤمن بالحق الالهي تكوينا ..

ومعناه : ان الحاكم ان لم يكن الها كالفراعنة يتصرف بمربوبيـــه كيف يشاء .. فالله تعالى سلطه على الناس بالشكل الذى لا يسوغ لهم بحال من الاحوال محاسبته أو معارضته ، لان تسلطـه شيء لابد وان يقـع .. ولعلنا ندرك ذلك أيضا من تسميتـه بـ (التفويض الالهي)أيضـا .

وان الاسلام يؤمن بالحق الالهي تشريعا ..

---

(٢) يقرأ : دكتور محمد طه بدوى ودكتور محمد طلعت الغنيمي ، النظم السياسية والاجتماعية ص ٢٥٩ .

ومعناه : ان الله تعالى ـ بصفته مشرعا للدستور ـ منح الحاكم نيابة أو اماما أو غيرهما ممن تتوفر فيه شروط الحاكم المسلم حق الحكم في الناس قانونيا « لتحكم بين الناس بما أراك الله »[٣] ومن فرض التشريع الاسلامي على الامة مراقبة الحاكم المراقبة التامة ، ومحاسبته المحاسبة الشديدة ، وعزله حين المخالفة والاصرار عليها ، يفهم ذلك بوضوح .

والتاريخ الاسلامي مملوء بوفرة من شواهد محاسبة الامة للحكام المسلمين[٤] .

دور الامة في المراقبة :

اما دور الامة في مراقبة الحكومة ومحاسبتها وعزلها ، فنستطيع ان نوجزه بما يأتي :

هو ان على الامة ـ كل الامة ـ ملاحظة الجهاز الحاكم في مجالات التشريع والتنفيذ والقضاء الملاحظة المستوعبة والدقيقة ، فمحاسبته عند وقوع أي خطأ تشريعيا كان أو تنفيذيا أو قضائيا .. « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »[٥]... « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[٦]

والاسلوب الذى تتبعه الامة في المحاسبة والعزل هو :

أولا : ان تتبع الاساليب اللا عنفية ، ومعالجة القضية بالطرق السلمية.

وثانيا : عند عدم الجدوى تتبع الاساليب العنيفة ، وتعالج القضية بالطرق الثورية .

---

(٣) الآية ١٠٥ من سورة النساء .

(٤) يقرالاطلاع على بعض الشواهد : الميرزا النائيني ، تنبيه الامة وتنزيه الملة .

(٦) الآية ٧٢ من سورة التوبة .

ويراعى في اتباع الطرق الثورية الاحتياط التام في وقوع الضرر الاقل : وبمقدار ما تقتضيه الضرورة •

وفي ختام الحديث ـ هنا ـ أعود لافي بما وعدته من التطرق عابرا الى الدولة في مجالها الواسع ، وهو :

الدولة في مجالها الواسع :

١ ـ الارض ، والتي تعني (الوطن) •
٢ ـ والامة ، والتي يريدون بها (المواطنين) •
٣ ـ والحكومة ، والتي يقصد منها (السلطة) •

فالارض أو الوطن الاسلامي ـ اليوم ـ هو : كل بقعة من الارض كانت خاضعة سياسيا الى حكم اسلامي ، سواء بقيت بأيدى المسلمين ، أو سلبت منهم كفلسطين وأسبانيا •

ويعني هذا : ان على الدولة الاسلامية ـ عند قيامها في أي بقعة من الارض كانت ـ استرجاع ذلك الوطن الاسلامي ، بقسميه : الباقي بأيدي المسلمين ، والمسلوب منهم ، واخضاعه للنفوذ السياسي الاسلامي •

والمراد بالامة أو المواطنين؛كل من توفرت فيهم شروط المواطنة، وفق تعليمات التشريع الاسلامي في المجال السياسي •

أما الحكومة أو السلطة •• فقد مر الحديث عنها •

فتاوى تهمك

توجه للمرجع الاسلامي الاعلى السيد الحكيم دام ظله يوميا مختلف الاسئلة من قبل المسلمين الذين يرجعون اليه في شتى اقطار العالم راجين بيان الحكم الشرعي بخصوصها • ننشر بعضها مما تعم به البلوى لفائدة قراء مجلتنا مما قد لا يوجد في رسالته العملية مد الله في عمره •

التحرير

المقيم في المدينة الكبيرة

س١ ـ ما يقول سماحتكم ، بالنسبة لرجل يقيم في مدينة كبيرة كبغداد ؟ هل تنقطع اقامته بتنقلاته بين أطرافها ؟

ج ـ لا يضر في نية اقامة عشرة أيام في مكان واحد نية الخروج الى المواضع القريبة منه اذا كانت مدة الخروج يسيرة لا تتجاوز الساعات كالخطيب الذي ينوي الاقامة في بغداد ناويا الخروج الى الكاظمية للزيارة والى الاعظمية للخطابة والى الكرادة للاحتفال مثلا ثم يرجع الى مقره الموقت الذي نوى فيه الاقامة

عشرة أيام ، وقد كنا نحتاط في ذلك فرفعنا الاحتياط تسهيلا للعاملين والله سبحانه الموفق .

١٢ شوال ١٣٨٧

كثير السفر

س ٢ ـ وما يقول سماحتكم :

في رجل اقتضى عمله أن يتردد على بغداد ثلاثة أيام في الاسبوع لمدة ثمانية أشهر هل يصوم هذه الايام الثلاثة في رمضان ، وهل يتم الصلاة فيها .

ج ـ نعم هو كثير السفر فعليه التمام في صلاته والصوم في شهر رمضان اذا كان وطنه بعيدا عن بغداد بمقدار المسافة الشرعية والله سبحانه العالم .

١٢ شوال ١٣٨٧

سباق الخيل

وما يقول سماحتكم :

في سباق الخيل « الرايسز » الذي شرعت له القوانين في بعض البلاد العربية والاجنبية ، والذي يجري فيه الرهان من قبل بعض المتفرجين على السباق وغيرهم على رؤوس الخيل ، وايها الغالب ، فهل تجوز مثل هذه المراهنة ، وهل يكون اخذ المال من هذا الطريق جائزا او مشروعا . وهل هذا من السباق المشروع في الاسلام أم لا ؟ افتونا ماجورين اطال الله عمركم الشريف .

ج ـ السباق المفروض في السؤال ليس من السباق المشروع في في الاسلام ، وأخذ المال فيه بالمراهنة سحت حرام ، أعاذ الله المسلمين من الوقوع في مثل هذه الآثام التي تنذر بالدمار ، وخراب الديار والله سبحانه العالم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٧ شوال ١٣٨٧

الصومال

بقلم : عباس فاضل السعدي

« الموقع والحدود »

يقع الصومال في شرق أفريقيا بين المحيط الهندي شرقا واثيوبيا وكينيا غربا ، وبين اريتريا وخليج عدن شمالا وكينيا والمحيط الهندي جنوبا • ممتدا من مضيق باب المندب في الشمال حتى راس شامبون في الجنوب ، أي بين حوالي خط عرض (٥ر١٢) درجة شمالا و (٢) درجة جنوبا ، وخطي طول ٤١ و ٥١ درجة شرقا •

ولموقع الصومال هذا أهمية استراتيجية ، فهو يتحكم في مدخل البحر الاحمر ، وتقابل اراضيه قاعدة عدن العسكرية ، كما انه قاعدة للامدادات الحربية ، وارضه مستوية تصلح أن تكون مطارا طبيعيا لكل أصناف الطائرات ، وذا أهمية تجارية لكونه يشرف على ساحل طويل • ونتيجة لهذه الاهمية تكالبت قوى الاستعمار للسيطرة عليه واستثمار خيراته •

« المساحة والسكان »

تبلغ مساحة جمهورية صوماليا (٧٤٥ر٩٢٠) كيلومترا مربعا (٢٨٨ر٠٠٠ ميلا مربعا) • ومساحة الصومال الفرنسي ٢٣ر٣١٠ كيلومترا مربعا (٩ر٠٠٠ ميلا مربعا)[١] • أي ان مجموع مساحة بلاد الصومال كلها (٧٦٩ر٢٣٠) كيلومترا مربعا (٢٩٧ر٠٠٠ ميلا مربعا) •

ويبلغ عدد سكان جمهورية صوماليا بموجب احصاء ١٩٦١ (٢ر٠٣٠ر٠٠٠) نسمة[٢] • وعدد سكان الصومال الفرنسي (٦٧ر٠٠٠) نسمة • نسبة المسلمين في جميع البلاد ١٠٠٪ • ويتكلم كثير من الصوماليين اللغة العربية لاحتكاكهم المباشر بالعرب اذ ان هناك عددا كبيرا من العرب يعيشون في الصومال •

خارطة الصومال

وهنالك أجزاء مغتصبة من الصومال مثل اقليم اوغادين الذى اغتصبته الحبشة ، والمقاطعة الشمالية في كينيا،فمقاطعة هرر فى اثيوبيا تضم ما يقرب من نصف مليون صومالي[٢] . وتحاول حكومة الصومال الوطنية توحيد جميع أجزاء الصومال (المستقل والمغتصب) ، وعلى الاقطار العربية وبقية أجزاء العالم الاسلامي تأييدها فى هذا الحق وتقديم المساعدة اللازمة لها .

« المدن المهمة »

أهم المدن مقاديشو عاصمة الجمهورية ، يبلغ سكانها ٨٦٫٦٠٠ نسمة استنادا الى احصاء ١٩٦٠[٢] • وجيبوتي عاصمة الصومال الفرنسي (١٧٫٠٠٠ نسمة) ، وبربرة (٤٠٫٠٠٠ نسمة) وهي عاصمة وميناء الاقليم الشمالي ، وميركا (٦١٫٤٠٠ نسمة) ، وهارجيسا (٤٠٫٠٠٠ نسمة) حسب احصاء ١٩٦٠[٢] ، وقسمايو (١٢٫٠٠٠ نسمة)[٣] التي تقع عند مصب نهر جوبا •

« السطح »

يتكون السطح من هضبة مثلثة الشكل تستند قاعدتها على ساحل المحيط الهندي ، تسمى بهضبة الصومال وهي امتداد لهضبة اثيوبيا التي تنحدر باتجاه الشمال والشرق حيث تنتهي بالسهول الساحلية لخليج عدن والمحيط الهندي • وتتميز هذه السهول باتساعها في الجنوب وضيقها في الشمال • وتزداد الهضبة ارتفاعا باتجاه الداخل نحو الغرب والشمال الغربي فتصل الى حوالي (٥٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر • وتقوم حول خليج عدن أمام الحد الشرقي للهضبة وعلى بعد قريب من الساحل سلسلة من التلال الصخرية القاحلة (واقصى ارتفاع تبلغه هذه السلسلة هو فيما يظهر ٦٠٠٠ قدم تقريبا)[٣] •

تحتوي الهضبة ، من الناحية الجيولوجية ، على صخور الشست والصخور البلورية • وفي الشمال تغطيها صخور رملية غير عضوية (حمراء وارجوانية) مع صخور كلسية ، ومن المحتمل انها تعود الى العصر الطباشيري الادنى Cretaceous • وتحتوي السهول الداخلية من بربرة والحافة البحرية بين الساحل وقدمات الهضبة على صخور كلسية Limestone [٤] •

تقسم بلاد الصومال حسب سماتها الطبيعية الى ثلاثة أقاليم : ١ ـ أقليم گوبان (ومعناه الأرض المحترقة) ، يتميز بشدة حرارته • ٢ ـ اقليم اوگو (ومعناه الأرض المرتفعة) في شمال الصومال ، ويبلغ ارتفاع هذه المنطقة ٧٫٨٩٤ قدما ممتدة من الصومال الفرنسي بمحاذاة الساحل وتنحدر تدريجيا باتجاه الجنوب نحو هضبة هود في أواسط البلاد التي يقرب ارتفاعها من (٣٠٠٠) قدم في الوسط وأكثر من ذلك في مرتفعات هرر غرب الهضبة • وهذا الاقليم أكثر اعتدالا من سابقه • ٣ ـ اقليم توگو (أي السيول) •

ويصادف المسافر اربعة مظاهرطبيعية ابتداء منالساحل نحوالداخل: ١ ـ الجسور الرملية المتحركة على الساحل • ٢ ـ التلال او السهول القصيرة من الرمل الابيض • ٣ ـ الرمل الاحمر الصواني وتغطية الغابات ومعظمها من اشجار السنط • ٤ ـ شذة من الارض الرسوبية التي تحاذي الانهار الصالحة للزراعة[٣] •

أما المجارى المائية المنحدرة من هضبة اثيوبيا ، فتتسع في جريانها بعد سقوط الامطار العينية وتندفع حاملة معها الكثير من المواد الرسوبية منحدرة نحو الجنوب الشرقي لتصب في المحيط الهندي ، وأهمها نهري « ويبي شبيلي » و « جوبا » اللذان ينبعان من مرتفعات الحبشة • فالاول يسير الى أن يقترب من مقديشو حيث ينحرف بمحاذاة الساحل حتى يلتقي بنهر جوبا عند مدينة مارغريتا ، ثم يستمر جنوبا في جريانه حتى مصبه في المحيط الهندي قرب خط الاستواء عند مدينة قسمايو • ويعتمد فيضان النهرين على الامطار الساقطة في مرتفعات اثيوبيا • وهناك أنهار فصلية تنتهي بالمحيط الهندي منها وادي دارور في الشمال حيث يصب في خليج هافون قرب مدينة هارداپو ، ووادي النوگال الى الجنوب منه حيث ينتهي عند خليج نيگرو •

« المنـــــاخ »

تتميز البلاد ، سيما الساحل الشمالي منها ، بشدة الحرارة • ففي مدينتي بربرة وبندر قاسم يتراوح الحد الاقصى للحرارة بين ٤٠°م (١٠٤°ف) و ٤٢°م (١٠٨°ف) • أما الحد الادنى للحرار فهو ٢١°م (٧٠°ف) • ويسود المناخ الاستوائي في الجنوب • أما معدل الحرارة السنوي في الجهات الساحلية التي تتميز بكثرة رطوبتها فيصل الى حوالي ٢٨°م (٨٢°ف) • وأحر فترة في الجنوب تكون خلال شهري آذار ونيسان ، وأبرد فترة تمتد من آب الى تموز[٤] • وتتعرض البلاد الى رياح شمالية من خليج عدن وجنوبية من المحيط الهندي •

أما الموسم الرئيسي للمطر فهو الشهور الباردة بين تشرين ثاني وآذار • ونادرا ما يزيد مجموع المطر السنوي على (٣) انجات • وتتميز الاراضي المرتفعة بكثرة أمطارها حيث تصل الى أكثر من (٢٠) انجا خصوصا في الجهات الغربية • وتتميز بعض السهول الداخلية ، لا سيما في هود، بجفافها وقلة مياهها عدا مياه البرك الفصلية • وعند مقارنة الشمال مع الجنوب نرى ان الجنوب يتباين فيه مجموع المطر السنوي بين (١٣ و ١٢) انجا في كل من الساحل والداخل • وفي شمال وجنوب الصومال فصلان رئيسيان للمطر : الاول بين آذار وحزيران ، والثاني بين ايلول وكانون أول[٤] •

« الثروة الاقتصاديـة »

تعتمد جمهورية صوماليا على الزراعة والرعي ، فيشتغل ثلثا السكان بالرعي وسدسهم بالزراعة، وما تبقى في التجارة والصناعة والصيد والوظائف الحكومية • فالصومال بلاد رعوية تكثر فيها الاعشاب والحيوانات خاصة في القسم الغربي من الاقليم الشمالي ، وفي الجنوب بين جوبا ووادي شبيلي • ويتجمع الرعاة وقطعانهم في فصول الجفاف قرب الينابيع[٢] •

وفي البلاد حوالي ١٢ مليون راس من البقر والغنم والماعز[٥] . وفي الصومال الاوسط (البريطاني) وحده حوالي مليون رأس جمل وثلاثة ملايين رأس غنم[٦] . وقسم من السكان يعتمد على صيد السمك ، كذلك صيد الاسود والفيلة والغزلان والنعام .

أما الزراعة فقد تطورت بعد الحرب العالمية الثانية لا سيما في المنطقة الجنوبية حيث تعتمد الزراعة على الري . وفي الشمال تزرع المحاصيل في دورتين : الاولى تبذر في مايس وتحصد في آب ، والثانية تبذر في ايلول أو تشرين أول وتحصد في حدود الاربعة أشهر الاخيرة . وفي الجزء الغربي من الاقليم الشمالي (١٤٠٫٠٠٠) ايكر مستغلة في الزراعة ، وأهم محصول في هذه المنطقة هو الذرة الصيفية التي تزرع بعد سقوط المطر الموسمي في شهري نيسان ومايس وتحصد في ايلول وتشرين أول[٢] .

وأهم منطقة زراعية في القطر هي الواقعة بين نهري جوبا وشبيلي حيث تنتج أغلب ما يحتاجه القطر من المنتجات الزراعية . وتقدر المساحة الصالحة للزراعة في هذه المنطقة حوالي (٣٠٫٠٠٠) ميل مربع ، غير أن المستغل لا يزيد على عشر هذه المساحة . وأهم محاصيل المنطقة الجنوبية هي : الحبوب ، الفول ، الدخن ، السمسم ، القطن ، الكسافا[٢] ، والموز الذي ينتج بصورة رئيسية من قبل الايطاليين في سهل جوبا ، كما يزرع قصب السكر في سهل شبيلي الاوسط من قبل الايطاليين والصوماليين ، ويزرع أيضا الخوخ والبطاطس والبن والتبغ اضافة الى جمع الصمغ والبخور من الاشجار .

أما في ميدان المعادن والصناعة ، فهنالك بعض المعادن (وخاصة في الصومال الفرنسي) مثل الميكا ، الكبريت ، النفط ، رواسب الحديد ، والملح . اضافة الى صناعة المواد الغذائية ، تعليب اللحوم ، صناعة السكر ، المنتجات الحيوانية ، تجفيف وحفظ السمك ، والزبيب والجعة .

وأهم صادرات البلاد : الموز ، المنتجات الحيوانية ، الجلود ، الصمغ ، الحبوب ، القطن ، والملح . أما الواردات فغالبيتها مواد غذائية ومنسوجات وآلات ميكانيكية وبترول . وقدرت قيمة الصادرات بـ (٢٠٫٣٨٠٫٠٠٠) دولارا . بينما بلغت قيمة الواردات (٣٠٫٧٧٠٫٠٠٠) دولارا[٤] . وللصومال علاقات تجارية مع سواحل الجزيرة العربية وأقطار ساحل أفريقيا الشرقي وايطاليا وبعض الاقطار الاخرى .

« المواصلات »

هنالك عدة طرق للمواصلات من بينها خط حديدي يخترق هضبة الهوبيا يبدأ « من جيبوتي على خليج عدن في الصومال الفرنسي حتى العاصمة اديس ابابا على الهضبة مارا في وادي هواش الجاف الخالي من السكان تقريبا . ولهذا الخط أهمية كبيرة في نقل صادرات وواردات البلاد (الحبشة) من الساحل الى منطقة العاصمة الكثيفة السكان والانتاج الزراعي وبالعكس »[٧] . وفي عام ١٩٦٠ شيد طريق يربط ميناء ميركا وقسمايو مارا بمزارع الموز .

« التعليم »

وفي ميدان التعليم هناك ما يقرب من (٤٠٠) مدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية وما يقرب من (٢٠٠) مدرس عربي مسلم من الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٦٠[٢] .

« الصومال في التاريخ »

صلة العرب بافريقيا :

اتصل العرب بأفريقيا منذ الالف الثاني قبل الميلاد ، وجاؤا اليها بسفنهم الشراعية مستفيدين من الرياح الشمالية في الشتاء ، والرياح الجنوبية الغربية في الصيف[٨] . وكانت حركة التجارة قوية وهي تنتقل من دولة عربية الى اخرى في عهد ملكة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد وعلى اتصال وثيق بشرق أفريقيا[٩] . وأقدم من قدم الى هذا الشاطىء

للتجارة حينا وللاستيطان حينا آخر هم الامراء التجار من جنوب الجزيرة العربية أبناء سبأ وأحفادها . ففي منتصف الالف قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل اتخذت ثقافة الشاطىء صبغة عربية ، وكلما ذاب هؤلاء في الافريقيين أتت روافد اخرى من الجزيرة العربية والخليج العربي ، حتى ان مدن الساحل الشرقي الافريقي أعتبرت مدن عربية لا أفريقية وكان « سير رجلاند كويلاند » يسمي هذه المدن القديمة « منازل عربية »[١٠] .

وقد أشار الرحالة الاغريقي مؤلف كتاب « الكشاف البحري » في القرن الاول الميلادي الى دور العرب في أفريقيا وعجب لكثرة السفن العربية على الساحل الشرقي للقارة[١١] . كما ان الساحل الذي تقع فيه اليوم أراضي الصومال وكينيا وتنجانيقا ، كان يسمى بساحل اوزان عند البحارة . رغم ان دولة الاوزانيين في جنوب الجزيرة كانت قد اندثرت منذ سنة ٦٠٠ ق.م ، وتلتها دولة قطبان ثم عادت سبأ وبعدها حمير توثق صلاتها بشرق أفريقيا كسابقاتها . وأتت بعدها فترة نمت فيها قوة البطالسة في مصر وقوة الرومان أيضا . وتوات مملكة اكسوم السلطان على التجارة في الجانب الجنوبي من البحر الاحمر[٩] . وقد لعبت هذه المملكة دورا مهما في مرافىء المحيط الهندي على الساحلين العربي والافريقي . وفي نهاية القرن الرابع الميلادي أصبحت قوية وغنية فسيطرت على الشمال ووصلت الى ارتريا واثيوبيا ، وامتد نفوذها الى الاراضي المنخفضة الشرقية فهيمنت على طرق التجارة المهمة[١١] .

وبعد ظهور الاسلام تسلم المسلمون مضيق البحر الاحمر كله ومنعوا غيرهم عن مياهه . فتدهورت مملكة اكسوم واختفت من سجل التاريخ بين القرن السادس والرابع عشر الميلادي[١٢] .

« ظهور الاسلام »

انتشرت الدعوة الاسلامية ، في شرق أفريقيا منذ الهجرة الاولى

للمسلمين الى الحبشة سنة ٦١٤م وبعد ذلك توالت الهجرات والحملات ـ وصبغت بعض الروايات تاريخ الصوماليين بالصبغة الاسلامية برد نسبهم الى عقيل بن أبي طالب ابن عم الرسول[٣] • وتشير بعض المصادر الى أن بدء دخول الاسلام الى ساحل أفريقيا الشرقي كان في عهد عبد الملك (٦٨٥ ـ ٧٠٥م) عندما قدم الى هذا الساحل جماعة من العرب العمانيين نتيجة انهزامهم في معارك مع جيش عبدالملك[١٣] • وجاءت موجة ثانية (من اتباع الامام زيد) الى سواحل مقاديشو في أواخر القرن التاسع الميلادي[١٤] •

وهاجرت جماعة من العرب من ساحل الخليج العربي في ثلاث سفن بزعامة سبعة اخوة هاربين من اضطهاد ملك الاحساء وبنوا أول مدينة هي مقاديشو (٨٦٠م) التي أصبحت سيدة الساحل • ويمكن القول ان أهالي الساحل استبدلوا عقيدتهم الدينية بالاسلام فيما بين ٨١٣ و ٩٧٥م[١٥] •

ومنذ القرنين الثامن والتاسع ، انطلقت حركتان اسلاميتان لنشر الاسلام في أفريقيا الشرقية ، الاولى جاءت من الشمال مع وادي النيل • والثانية انطلقت من عمان الى الصومال فآمن الصوماليون بسرعة خاصة بعد تأسيس مقاديشو[٥] • والمعروف ان « المهاجرين ، من العرب والفرس ، أقاموا مراكز تجارية على ساحل خليج عدن وساحل المحيط الهندي بين القرن السابع والعاشر »[٢] • وكانت السفن العربية ، في القرن الثامن ، تحمل مصنوعات الحديد ومختلف البضائع من أفريقيا لتنقلها الى كل مكان • فامتد سلطان العرب المسلمين في القرن العاشر من الرأس الافريقي، مقابل جنوب الجزيرة العربية ، حتى سفالا جنوب نهر زمبيزي • كما وصل علي بن الحسين جزيرة كلوا قرب دار السلام وظل خلفاؤه على عرشها حتى القرن السادس عشر حين تغلب عليهم البرتغاليون[١١] •

وقد شهد نهاية القرن الحادي عشر كثيرا من مراكز التجارة على طول الساحل شماله وجنوبه ، وظهرت مدن يحكمها عرب مسلمون خلص أو عرب سواحليون أمتد سلطانهم حتى سفالا جنوبا[١١] .

وفي القرن الثاني عشر جاءت موجة اسلامية جديدة كان من نتيجتها أن أصبح جميع الصوماليين مسلمين[٥] ، وأسلم جميع أهل الساحل حتى زنجبار[١٦] . فوصلت الدعوة الاسلامية الى داخل الحبشة مما أدى الى قيام صراع عنيف بين الاسلام والمسيحية حتى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وما بعدهما . وتشكلت عدة سلطنات اسلامية أهمها عدل ، ايفات ، هرر . فاتفق الاحباش مع البرتغاليين للقضاء على الاسلام ، ولكن الدولة العثمانية اتفقت مع سلطان عدل (أحمد بن ابراهيم) لضرب الحبشة غير ان الحملة فشلت . لذا استولى الاحباش على مملكة زيلع العربية عام ١٤٠٣ . غير أن السلطان أحمد أعاد الكرة فانتصر عليهم واحتل قسما من الحبشة في عام ١٥٢٩ . وفي سنة ١٥٤١ نزلت جيوش البرتغال والحبشة فكان من نتيجتها مقتل السلطان . فقامت سلطنة هرر تحمل على عاتقها رفع لواء الاسلام .

وعندما نزل المستعمرون البرتغاليون على ساحل موزمبيق عام ١٥٠٢ انتشروا على طول الساحل الافريقي الشرقي وقاموا بأعمال اجرامية حيث أحرقوا كلوا وخربوا ممباسا وبربرة واقتحموا سور زيلع . ويصف (باربوسا) زيلع التي شاهدها بعد هجوم الغزاة عليها فقال : « خربها البرتغاليون تخريبا ، ذبحوا كثيرا من رجالها ، وحملوا لسفنهم ما عن لهم أن يحملوه من أسرى ، واستحيوا النساء ، وسلبوا ذهب المدينة الذى كان كثيرا ، ونهبوا الفضة والنحاس وما جاء في طريقهم من سلع »[١٢] . ومن الشواهد الصادقة على قسوة البرتغاليين الغزاة ، رسالة بعث بها صاحب ممباسا الى صديقه صاحب مالندي ، بعد غزو بلاده يقول فيها : « ان عرب

ممباسا والسواحيليين عادوا لمدينتهم بعد الهجوم وقد اسودت حوائطها فلم يجدوا حيا فيها • لم يجدوا رجلا ولا امرأة ولا ولدا • لم يجدوا شيخا ولا صبيا ولا طفلا مهما صغر سنه • ذبح الغزاة كل من عجز عن النجاة بنفسه »[١٥] •

وفي القرن السابع عشر احتل امام عمان الساحل ، وفي القرن الثامن عشر كان الساحل خاضعا لسلطان مسقط حتى سفالا جنوبا • وفي أوائل القرن التاسع عشر انقسمت دولة مسقط الى سلطنة عمان وسلطنة زنجبار• فأصبحت مقديشو من نصيب سلطنة زنجبار • وبعد ذلك بدأ النفوذ العثماني حيث خضعت زيلع له • ثم تنازل العثمانيون عنها فيما بعد الى مصر (١٨٦٠ ـ ١٨٨٤) • وبعد ذلك بدأ النفوذ الاوربي ، حيث احتلت فرنسا عام ١٨٨٢ قسما من الصومال (الصومال الفرنسي) وما زالت تسيطر عليه• كما سيطرت بريطانيا على قسم آخر (الصومال البريطاني) فأصبح خاضعا للحماية الانكليزية منذ عام ١٨٨٣ حين استولى البريطانيون على ميناء بربرة • أما ايطاليا فقد دخلت الصومال حينما استأجرت موانىء بنادر على الساحل الصومالي من سلطان زنجبار عام ١٨٩٢ ولمدة خمسين عاما •

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية طردت ايطاليا من الصومال • وفي عام ١٩٥٠ قررت الامم المتحدة خضوع الصومال الايطالي لوصاية ايطاليا لمدة عشر سنوات • وفي عام ١٩٥٩ جرت انتخابات فنال الصومال الايطالي استقلاله ، ونتيجة للضغط الشعبي وافقت انكلترة على ضم الصومال الانكليزي اليه فاصبح يعرف بـ « جمهورية صوماليا » التي نالت استقلالها عام ١٩٦٠ •

---

(١) سعيد الصباغ ، الاطلس العام ، ميلانو ، ١٩٦٣ ، ص (ج) •

(٢) I.M.L. "Somali Republic, Encyclopaedia Britannica, Vol. 20, p. 967 - 8.

(٣) تشير ولي « الصومال » ، دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ١٤ ، ص ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ •

(٤) Ency. Brit. Op. Cit. Vol. 20, p. 966.

(٥) جان بول رو ، الاسلام فى الغرب ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢١١ ، ٢٧٢ .

(٦) عبدالرحمن زكي ، أفريقيا الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٥٢ .

(٧) أحمد نجم‌الدين فليحة ويسري عبدالرزاق الجوهري ، أفريقية ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥٩ .

(٨) محمد حامد الطائي « المسلمون فى أفريقيا » ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، العدد الاول ، ١٩٦٧ ، ص ٨ .

(٩) باذل دافدسن ، أفريقيا تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد أحمد ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٢٤٠ ـ ١ .

(١٠) ن.م ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٦ .

(١١) ن.م ، ص ١١ ـ ١٢ .

(١٢) ن.م ، ص ٢٦٩ ، ٢٨٨ .

(١٣) W.H. Ingrams, Aschool Historg.

ومجلة المسلمون ، العدد العاشر ، شباط ، ١٩٦٣ ، ص ٩٢ .

(١٤) مجلة المسلمون ، العدد العاشر ، ص ٩٢ .

(١٥) عبدالرحمن زكي ، م . س ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ، ومجلة التربية الاسلامية ، العدد ١١ ، السنة السادسة ، تشرين أول وتشرين ثاني ، ١٩٦٤ ص ٧٠٢ .

(١٦) هاري و.هازارد ، وسميلي وكوك ، أطلس التاريخ الاسلامي ، ترجمة ابراهيم زكي خورشيد ، القاهرة ، ص ١٦ .

ابو ابراهيم

واطل مصباح الخميس
متهرىء الاضواء في وجه عبوس
وتعالت الاصوات تخترق الفضاء
وكانها رجع الصدى
في كل ساحة ، في كل موقف ، في كل شارع
صوت المنادي للسباق
واتت تسارع باشتياق .
مخمورة الافكار في وضح النهار
وعلى انتظار .
تلك الجموع البائسة هذا الصباح
ومنذ لاح
خفت الى « الرايسز » آلاف الرجال مع الصباح
وتلوك آمالاً جسام
وتغور في الحلم البهيج تعمر القبب العظام
وتفيق من افكارها تلك الجموع الزاحفة
الساعة الرعناء تنذر بابتداء
ويلفها الميدان كالوحش الكسير .
وتسمر النظرات في صف الخيول
تلك الجموع ونستشير
اصحابها القدماء منعدمي الضمير
وهم الذين قضوا حياة في السباق
منذ الطفولة
فترعرعوا في وسطها حتى الرجولة

موعد سباق الخيل « الرايسز » في ملعب المنصور عصر الخميس كل اسبوع .

والنظرة الخرساء تعلن عن حلول الموعد
فتمطت الاموال تنفر من جيوب السادرين
واللاعبـون
بدأوا يجيلون العيون
ويزرعون
في كل شوط حظهم ويقهقهون
وعلا ضجيج في الفضاء
وعلا النـداء
واللحظة الرعناء ـ كالاعصار ـ تزار بانتشاء
وتمص اضواء الرجاء
ويعود اصحاب الخيول يشمرون
الريح يمرغهم نشاوى خادرين
ومضت حشود الخاسرين
تجر اذيال الفشل .
وتغص في مر الأمل
اين الليالي الزاهيات
اين النجوم الحالمات
ذهبت هباء
مرت كاطياف الخيال كانها ارج الطيوب
ولن تؤوب
اواه ما اقسى الخيال .
فرش الدروب بكل ما يزهي الحياه
وينير آفاق السماء
ويمرع الروض النضير
ويعيد احلام الشباب
ويزرع الأمل الكبير .
لكنها لحظات ، ثم تلوب اعراس الخيال
وتهدمت تلك القباب الشاهقة
وتهشمت تلك الرياض الباسقة

وغفت اعاصير « المغامر » في الغروب
ذهبت مع الشمس الجريحة عند اطلال الخميس
في لفحة اليوم العبوس
وبدت على شفتيه تمتمة تجوب
اين النقود ؟
اين الدنانير البهية ، هل تعود ؟
ذهبت هباء في الهواء
في لحظة نارية الأجواء ، تنهش بازدراء
ويعود ملتاع الضمير ينوء في ثقل الفشل
ماذا جنته يداه ؟ كيف ذوى الأمل ؟
ويجيل طرفاً حائرا
« والملعب » المنهوم قهقهة ساخرا
ويضج في الم دفين
افهل تعود ؟ تلك النقود ؟
وترد اصداء النداء
لا ، لن تعود ، تلك النقود ،
ذهبت هباء في هباء

النجف الاشرف — ابو ابراهيم

عصابات امريكا تستأجر المراهقين

ظهر احد افراد عصابة من المراهقين في شيكاغو في الرابعة عشرة من عمره تلقى ستة دولارات وقطعة ساندويش ثمنا لقيامه بعملية قتل ، وبدأ البوليس الآن تحقيقا شاملا حول المراهقين الذين يستأجرون للقتل ، ويقول مسؤولون عن تطبيق القانون انهم عثروا على دلائل تشير الى ان رجال عصابات يستأجرون مراهقين لم يبلغوا السابعة عشرة من العمر للقيام بأعمال اغتيال بين رجال العصابات .

ويقول المستر جون ستايموس مدعي عام الولاية انه يبدو أن النظرية وراء حركة استئجار المراهقين هي ان رجال العصابات يعتقدون ان المراهقين يلقون معاملة متساهلة في المحاكم اذا القي القبض عليهم .

وقال انه بالامكان اتهام المراهقين لارتكابهم جرائم اساسية ومحاكمتهم في محاكم الجنايات ، ولكن اذا حكم عليهم بالسجن ، قد يمكن حسب قوانين الولاية سجنهم ، وانما يسلمون الى لجنة الشباب في أليوى . وبعد قضاء سنتين في عهدة اللجنة بامكان المراهق الخروج عن السجن والبقاء تحت المراقبة بغض النظر عن الجريمة التي ارتكبها .

(رويتر) نقلا عن جريدة الجمهورية العدد (٣٧ السنة الاولى)

المخدرات في الكنيسة

اشتكى اوستن وليامس القس فى كنيسة سانت مارتن فى لندن الى السلطات البريطانية طالبا أن تضع حدا للمراهقين الذين جعلوا من كنيسته محلا لتبادل المخدرات وقال : ان هؤلاء يدخلون بحجة الصلاة فيتركون المخدرات تحت المقاعد ليأتي غيرهم لالتقاطها وقد وضعت الكنيسة تحت مراقبة السكوتلانديارد .

حصاد السكر

المستر تريل فوستر ٥٨ سنة فى مدينة هوليود قتل زوجته وطفليه عندما عاد مخمورا ودخل بسيارته الى غرفة النوم . وقد هرع رجال المطافىء والبوليس لانقاذ الزوجة والطفلين ولكن بعد فوات الاوان .

العرى على الطوابع

عرض فى اسواق استراليا طابع يحمل صورة لامرأتين عاريتين بمناسبة المؤتمر العالمي الخامس لعلوم النساء والتوليد الذى يعقد فى سيدني وتظهر الصورة مؤخرتى المرأتين العاريتين .

زيادة في خسائر الاجرام ب ٨ ملايين سنة ١٩٦٥

أموال قدرها حوالى ٤٢ مليون دينار قد سرقت فى المملكة المتحدة خلال سنة ١٩٦٥ حسب ما ورد فى مجلة الامن . انها تظهر زيادة بحوالى ٨ ملايين دينار او ٢٣٪ من المبلغ . ٣٤ مليون دينار سنة ١٩٦٤ و١١ مليون دينار فى سنة ١٩٦٣ ان لندن وحدها مسؤولة عن نصف هذه الزيادة .

وان البوليس قد استرجع ٨ ملايين دينار وعلى هذا فان المبلغ المسروق الباقي بأيدي العصابات المنظمة حوالى ٣٣ مليون دينار .. ان المدن الكبرى مسؤولة عن المقدار الاكبر لهذه السرقات .

ان هذا المقدار المفقود لا يحوي الا الاموال التي تسرق في القطاعات العامة والصناعية والتجارية ، والتي يمكن اثباتها قانونياً .. ان مقدار هذه الاموال بواسطة عدة مصادر يقدر بين ٧٥ مليون دينار و ١٠٠ مليون دينار سنوياً .

التايمز ٦ آب سنة ١٩٦٥

امريكا على حافة الدمار

هل الولايات المتحدة القوية الفتية ستعاني نفس المصير الذي انتهت به الروم وحضارتها ؟ ان رئيس العلماء المستشارين لجونسون يظن ذلك اذا لم يوقف التسمم الكيماوي لمحيطهم ..

ان تقريراً سلم الى جونسون يشرح أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية ، والتي هي جزئياً بسبب التسمم الكيمياوي للطبقة الحاكمة والتي تنتهي بالضعف العقلي ... ان الرئيس الامريكي قد أمر قسم الصحة ان يبحث بسرعة في هذا الموضوع ، ويجمع المعلومات الكافية حوله .

الجارديان ٢١ حزيران ١٩٦٦

تركة ببغاء

ينتظر مسؤولو مستشفى دوباك يوبيلي بفارغ الصبر ساعة وفاة لويس الذي ورث ٢٠ الف جنيه استرليني ومنزلا كبيرا في فكتوريا ـ كولومبيا البريطانية من الآنسة فكتوريا ولسن التي توفيت قبل ١٧ عاما وذلك لان المستشفى هو الوريث الشرعي لـ « لويس » ولويس هذه .... ببغاء !!

مستنقع الحياة الغربية

نشرت مجلة (براڤو) التي تصدر في ميونخ تحقيقا صحفيا قالت فيه ان ١٦ بالمائة من الفتيات الالمانيات فقدن عذريتهن وهن في سن بين الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة وأن ٢٧ بالمائة من الفتيات الالمانيات في سن السابعة عشرة ولدن أطفالا غير شرعيين !!

منهاج الاصول

الجزء الرابع ، صفحة ٣٦٦
مطبعة النجف

هذا الكتاب من تأليف حجة الاسلام الشيخ محمد ابراهيم الكرباسي وهو يعتبر من أشمل الكتب الاصولية ، واحدثها أما مادة الكتاب فالتقريرات الكاملة لبحث آية الله المحقق الشيخ ضياءالدين العراقي • ويضم هذا الجزء مباحث البراءة والاشتغال والتخيير •

الطريق الى الله

من منشورات مكتبة الامام الحسين (ع) العامة
في السماوة

تاليف العالم الاخلاقي الشيخ حسين البحراني
تقديم العلامة الشيخ مهدى السماوى

يعتبر هذا الكتاب من اجل الكتب الاخلاقية وأحسنها يقول السيد حسن الصدر قدس سره فيه ، ما رأيت كلاماً أحسن من كلامه في الاخلاق اللهم الا بيانات جمال السالكين للسيد رضي الدين بن طاووس • ومؤلفه كما يقول السيد الامين في أعيان الشيعة : عالم فاضل اخلاقي من متأخري

المتأخرين من فقهاء النجف وعلمائها في الحديث والرجال والعرفان ، جزى الله العاملين في مكتبة الامام الحسين أحسن ما يأملون على نشر هذا الاثر القيم .

هكذا نبـدأ

سلسة من هدى الاسلام
٩ ـ ١٠

منشورات مكتبة التربية
٢٤٥ صفحة

تاليف الاستاذ الفاضل عبدالغني شكر الشمري
تقديم حجة الاسلام المجاهد السيد محمد باقر الصدر

جاء في التقديم ، ان هذا الكتاب يتضمن محاولة مارس فيها تبسيط المذاهب والاتجاهات الفلسفية المتعددة ، ومحاكمتها ، والتدليل باستمرار على صحة الموقف الفلسفي الاسلامي ، وتفنيد المواقف الفلسفية الاخرى التي تقفها مختلف المدارس المادية للاتجاه الآلهي على الصعيد الفلسفي وقد دلل الكاتب في عرضه الموفق على ما يتمتع به مصنفه الكريم من اطلاع واسع واستعداد فكري خصب ، وجودة ذهن في المناقشة والاستنتاج ومواهب تؤهله لاداء رسالته وتعده لمستقبل اكبر انشاء الله . .

حقيقة الاوضاع المالية والنقدية في العراق

تاليف الاستاذ الفاضل جميل هاشم الكاظمي
مطبعة اسعد ـ صفحة ٦٨

دراسة للاوضاع الاقتصادية والمالية والنقدية ولاسباب الكساد والبطالة والغلاء في العراق واستعراض لآراء وفعاليات المسؤولين للفترة من سنة (١٩٥٥) ولغاية ١٩٦٧ وذلك من خلال المناقشات لميزانية ٦٧ـ٦٨ المالية .

الاسلام والقضية الفلسطينية

تاليف الاستاذ الفاضل عبدالكاظم البديري

مطبعة النعمان ـ ١٠٠ صفحة

يبحث الكتاب اخلاقية اليهود وما عرفوا به من اتجاه عدائي للبشرية ، وما تحمله كتبهم من مبادىء هدامة ، ثم ما قاموا به من دور في حرف الخلق الانساني ، وزرع الويلات والحروب وينتهي الكتاب بالحديث عن قضية فلسطين والدور المشرف الذي لعبه علماء الاسلام في معركتها القائمة .

نهاية الكون
بين
العـلم والقرآن

من منشورات دار المحيط

مطبعة الآداب ـ النجف ـ ٢٠٤ صفحة

بقلم الاستاذ الفاضل محسن عبدالصاحب المظفر

تقديم المربي الكبير الاستاذ احمد امين

يبحث الكتاب حتمية نهاية العوالم المادية على ضوء العلم الحديث ، مستشهداً بالآيات التي سبقت الى تقرير هذه الحقيقة ، والكيفية التي تكون عليها وقد برهن المؤلف على ضوء العلم الحديث على انكدار النجوم ، وربط هذا الانكدار بانفطار السماء ، وبحث عن تكور الشمس وانشقاق القمر ونهاية أرضنا هذه بحثاً يدل على سعة الاطلاع وكثرة التتبع وجودة الجمع . انه من خير الكتب التي تفسر الآيات الكونية في القرآن . تفسيراً علمياً لتثبت وجها من اعظم الوجوه الاعجازية في القرآن وفق الله مؤلفه لما يرضى .

كتاب المجلة

للدكتور
ابراهيم السامرائي

سؤالات

نافع بن الأزرق

إلى

عبد الله بن عباس

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نشر مسائل نافع بن الأزرق[1] التى توجه بها الى عبدالله بن عباس[2] (رضي الله عنه) ، والأجوبة التى رد بها ابن عباس ، وذلك لاهميتها التاريخية فى علم التفسير ، ذلك ان ابن عباس قد اعتمد فيها منهجا لم يسبق اليه وهو شرح الفاظ القرآن والاستدلال عليها بما جاء فى شعر العرب • ان الاحتجاج بالشعر فى تفسير وتوضيح مفردات القرآن لم يكن معروفا قبل هذه الاجوبة التى أثرت عن ابن عباس • وقد كان الكثير من علماء اللغة يتجنبون هذا السبيل مخافة ان يقولوا فى كلام الله شيئا لا يحسنون الكلام فيه • غير ان ابن عباس قد عرف بعلمه فى الشعر والانساب والتاريخ ، وكان عمر اذا اعضلت عليه مسالة دعاه وقال له : انت لها ولامثالها • وقال عنه ابن مسعود : ترجمان القرآن ابن عباس • ولعلمه بالشعر وحفظه له رووا عنه انه قال : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه •

---

(١) هو نافع بن الازرق بن قيس الحروري ، وكان راس الازارقة ، واليه نسبوا • وقد صحب عبدالله بن عباس وساله المسائل التى نضطلع بنشرها فى هذه الرسالة ، وقد توفي سنة ٦٥ للهجرة • انظر : الكامل للمبرد (ط محمد شاكر ٢/١٧٢-١٨١) ، الأغاني (ط دار الكتب ٦/١٤٢)•

(٢) هو أبو العباس عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولد بمكة ونشا فيها وشهد بدء عصر النبوة وسمع من الرسول (ص) وروى عنه الاحاديث وعمر طويلا ، وشهد مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الجمل وصفين وتوفي سنة ٦٨ للهجرة •

انظر : الاصابة ، ت ٤٧٧٢ ، حلية الاولياء ١/٣١٤ نكت الهميان ١٨٠ ، وفيات الأعيان ١/٧٤٨ •

جاء في الاتقان »[٣] : « قال ابو عبيد في فضائله : حدثنا هشيم عن حصين بن عبدالرحمن عن عبدالله ابن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس انه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ، قال ابوعبيد : يعني كان يستشهد به على التفسير » .

وقد آثرت ان أنشر هذه المسائل لمكانها التاريخي في علم التفسير كما اشرت ، ولانها لم تنشر كلها ، فقد نشر الكثير منها السيوطي في « الاتقان » ، ولكن نسخ « الاتقان » على طبعاتها الكثيرة مشحونة بالخطأ . ثم اعاد نشرها محمدفؤاد عبدالباقي وذيل بها كتابه معجم غريب القرآن[٤]. ولكنه نشر المسائل الموجودة في « الاتقان » . ومن أجل ذلك عمدت الى نشر المسائل المشار اليها كاملة كما وردت في الاصل المخطوط المحفوظ في دار الكتب المصرية ١١٦ مجاميع م (انظر فهرس الكتب العربية الموجودة في الدار لغاية سنة ١٩٣١ الجزء الثاني) ولقد اعتمدت على مصورة هذا الأصل المخطوط الموجود في خزانة المجمع العلمي العراقي وهو ضمن مجموع برقم ٩٦/م مشتمل على :

(١) جزء من الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور لابن الاثير .

(٢) سؤالات نافع ابن الازرق لابن عباس .

(٣) المتشابه للثعالبي .

(٤) المثلثات لصاحب القاموس .

(٥) المثلث للازهري .

(٦) مثلث قطرب .

(٧) فوائد لغوية من شمس الأدب .

---

(٣) الاتقان للسيوطي (ط مطبعة حجازي القاهرة) ص ١٢١ .

(٤) معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبدالباقي (طبع في القاهرة سنة ١٩٥٠م) . ومن المفيد أن اشير ان صاحب المعجم قد غير نظام المسائل كما وردت في الاصل المخطوط وكما وردت في « الاتقان » فقد أثبت الالفاظ التي سأل عنها نافع ابن الازرق في المتن وأحال على الحاشية التي استشهد بها ، ولم يبق في النص صورة السؤال والجواب ، وقد عمد الى هذا الاسلوب ليكون على نمط « معجمه » المشار اليه .

وتشغل هذه « المسائل » من المجموع جملة اوراق تقع بين الورقة ١٢٤ الى الورقة ١٤٤ • وهي بالقلم النسخي الجميل ويبدو ان خطها حديث وقد خلت من تاريخ يشير الى النسخ • ومقاس الورقة ٢٦ × ١٥ وتشتمل الورقة على ٢٩ سطرا • وقد كان عملي في نشر هذا الاثر منصبا على ضبط النص وتحقيقه مستعينا بكتب الادب واللغة والتفسير ودواوين الشعر ومجاميعه ما تيسر لي ذلك • ولم أشر في الحواشي الى الخلافات في رواية الابيات الشعرية خوفا من اطالة النص وزيادته على القدر الذى تتسع له مجلة كلية اصول الدين وقد ذيلت الرسالة بثبت للمراجع التى استعنت بها في النشر •

والله اسال ان يكون عملي هذا مسعىً التمس به رضاه انه نعم المولى ونعم النصير •

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو الحسين عبد الصمد بن علي بن محمد مكرم المعروف بابن الطَّسيّ قراءة عليه من لفظه في مسجده بدرب رَباح يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وثلثمائة قال : حدثنا أبو سهل السري بن سهل بن حربان الجنديسابوري بجنديسابور قراءة عليه سنة ثمان وثمانين ومائتين ، قال : حدثنا يحيى بن عبيدة الملي ، واسم أبي عبيدة بحر بن فروخ ، قال : أخبرنا سعيد بن أبي سعيد قال : حدثنا عيسى بن دأب عن حميد الأعرج وعبدالله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه ، قال :

بينا عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أسدل رجله في حوض زمزم ، اذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن ، وعن الحلال والحرام ، واذا هو لا يتعايى بشيء يسألونه عنه ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويم : قم بنا الى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم له به فقاما اليه فقالا :

يا ابن عباس ما يحملك على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم لك به ، أشيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هذا منك تخرصا ، فان كان هذا منك تخرصا فهذه والله الجرأة على الله عزوجل ، فقال ابن عباس مجيبا لنافع بن الازرق . لا والله ، ما هذا مني تخرصا لكنه علم علمنيه الله ، ولكني سأدلك على من هو أجرأ مني يا ابن ام الأزرق ، قال : دُلَّني عليه ، فقال رجل تكلم بما لا علم له به ، أو رجل كتم الناس علما علمه الله عزوجل فذاك أجرأ مني يا ابن ام الأزرق . وقال نجدة : فانك تريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عزوجل فتفسره لنا وتأتينا بمصداقه من كلام العرب ،

فان الله عزوجل انما انزل القرآن بلسان عربي مبين .

قال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضرا ان شاء الله تعالى ، فقالا : يا ابن عباس أخبرنا عن قول الله عز وجل « عن اليمين وعن الشمال عزين[1] » ، قال : عزين الخلق الرقاق . قالا : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى يكونوا حول منبره عزينا[2]

قال نافع : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وابتغوا اليه الوسيلة »[3] الحاجة ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة العبسي وهو يقول :

ان الرجال لهم اليك وسيلة ان يأخذوك تكحلي وتخضبي[4]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل «شرعة ومنهاجا[5]»، قال : الشرعة : الدين ، والمنهاج : الطريق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وهو يقول :

لقد نطق المأمون بالصدق والهوى وبيّن للاسلام دينا ومنهجا[6]

قال : يعني به النبي صلى الله عليه وسلم[7] .

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « اذا أثمر ويَنَعِه[8] » قال : نضجه وبلاغه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

اذا ما مشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبت يانع[9]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشا[10] » ، قال : الرياش : المال . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يريش ولا يبري[١١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لقد خلقنا الانسان في كَبَد »[١٢] . قال : في اعتدال واستقامة[١٣] ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

يا عين هلا بكيت أربدَ اذ قمنا وقام الخصوم في كَبَد[١٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يكاد سنا برقه يذهب الأبصار »[١٥] . قال : السنا الضوء الذي يدخل في الكوة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وهو يقول :

يدعو الى الحق لا يبغي بـه بدلا يجلو بضوء سناه داجي الظلم

قال : يا ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجل : « بنين وحفدة »[١٦] . قال : ولد الولد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال[١٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : « وحنانا من لدنا »[١٨] . قال : رحمة من عندنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم ، أما سمعت طرفة بن العبد وهو يقول :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض[١٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أفلم ييأس الذين آمنوا »[٢٠] . قال : أفلم يعلم الذين آمنوا ، بلغة بني مالك ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت مالك بن عوف وهو يقول :

لقد يئس الاقوام اني أنا ابنه
وان كنت عن أرض العشيرة نائيا[٢١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ... يا فرعون. مثبورا »[٢٢] . قال : ملعونا محبوسا من الخير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبدالله بن الزبعرى وهو يقول :

اذ أتاني الشيطان في سنة النو م ومن مال ميله مثبور[٢٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فألجاءها المخاض »[٢٤] . قال : فألجأها المخاض الى جذع النخلة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر [حسان بن ثابت]، وهو يقول :

اذا شددنا شدة صادقة فأجأناكم الى سفح الجبل[٢٥]

قال : يا ابن عباس فأخبرني عن قول الله عزوجل : « وأحسن نديا »[٢٦] . قال : النادي المجلس والنكأة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو سلامة بن جندل]،

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير الى اعداء تأويب[٢٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «أثاثاً ورئياً»[٢٨]. قال : الأثاث المتاع ، والري من الشراب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [وهو محمد بن نمير النفعي]،

كأن على الحمول غداة ولوا من الرئي الكريم من الأثاث[٢٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فيذرها قاعاً صفصفا »[٣٠] . قال : القاع الأملس ، والصفصف المستوي ، قال : وهل تعرف العرف ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

بملمومة شهباء لو قذفوا بها
شماريخ من رَضوى اذاً عاد صفصفا[٣١]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحَى »[٣٢] . قال : لا تعرف فيها من شدة حر الشمس ، قال: فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر وهو يقول : [وهو عمر بن أبي ربيعة] .

رأت رجلاً أما اذا الشمس عارضت
فيضحَى وأما بالعشي فيخصر[٣٣]

قال : يا ابن عباس فأخبرني عن قول الله عزوجل : « عجلاً جسداً له خوار »[٣٤] . قال : يعني له صياح ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

كأنّ بني معاوية بن بكر الى الاسلام صائحة تخور[٣٥]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « ولا تنيا في ذكري[٣٦] » . قال : أي لا تضعفا عن أمري ، يعني موسى وهرون ، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

اني وجدك ما ونيت ولم أزل أبغي الفكاك له بكل سبيل[٣٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « القانع والمعتر »[٣٨] . قال : القانع الذى يقنع بما يعطي ، والمعتر الذى يعترض الأبواب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، « أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو زهير بن أبي سلمى]

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل[٣٩]

قال: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل: «وقصر مشيد»[٤٠]

قال : مشيد بالجص والآجر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

شاده مرمراً وجللـه كلـ سأ فللطير في ذراه وكور[٤١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « شواظ من نار »[٤٢] . قال : الشواظ اللهب الذى لا دخان له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت يهجو حسان ابن ثابت وهو يقول :

ألا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب الى عكاظ[٤٣]
أليس أبوك فينا كان فينا لدى القينات فسلاً في الحفاظ[٤٤]
يمانياً يظل يشب كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ

فأجابه حسان بن ثابت :

أتاني عن أميٍّ ثنا كلام وما هو في المغيب بذي حفاظ[٤٥]
ستأتيه قصائد محكمات وتنشد بالمجاز الى عكاظ
همزتك فاختضعت بذل لفظ بقافية تأجج كالشواظ

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « قد أفلح المؤمنون »[٤٦] . قال : قد فاز المؤمنون وسعدوا يوم القيامة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

فاعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد أفلح من كان عقل[٤٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «والله يؤيد بنصره من يشاء »[٤٨] ، قال : يقوي بنصره من يشاء ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول :

برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصراً فنزل[٤٩]
وعلونا يوم بدرٍ بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « ونحاس فلا تنتصران »[٥٠] . قال : النحاس الدخان يلفتك يا ابن آدم يا ابن أم الازرق، الدخان الذى لا لهب فيه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [النابغة الجعدى]

يضيء كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا[٥١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أمشاج نبتليه »[٥٢] قال اختلاط ماء الرجل وماء المرأة اذا وقعا في الرحم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا ذؤيب وهو يقول :

كأن الريش والفوقين منه خلاف النصل سيط به مَشيج[٥٣]

قال : ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « من بقلها وقثائها وفومها وعدسها »[٥٤] . قال : الفوم الحنطة ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : أما سمعت أبا محجن الثقفي[٥٥] وهو يقول :

قد كنت أحسبني كأغنى واحد قدم المدينة في زراعة فوم[٥٦]

قال : يا ابن أم الأزرق ومن قرأها على قراءة عبدالله بن مسعود « الثوم » فهو هذا المنتن ، وقال أمية بن أبي الصلت :

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة

فيها الفراديس والفومان والبصل[٥٧]

وقال أمية أيضا :

أنفى الدياس من القوم الصحيح كما

انفى من الارض صوب الوابل البرقا[٥٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وأنتم سامدون »[٥٩] قال : السمود اللهو والباطل ، قال : وهل تعرف العرب

ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت هزيلة بنت بكر تبكي قوم عاد وهي تقول :

ليت عاداً قبلوا الحق ولم يبدوا الجحودا[٦٠]
قيل قم فانظر اليهم ثم ذر عنك السمودا
لن تراهم آخر الدهر كما كانوا قعودا

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لا فيها غَول »[٦١] . قال : يقول ليس فيها نتن ولا كراهية كخمر الدنيا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

رب كاسٍ شربت لا غول فيها وسقيت النديم منها مزاجا[٦٢]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « والقمر اذا اتسق[٦٣] » . قال : اتساقه اجتماعه واستواؤه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت طرفة وهو يقول :

ان لنا قلائصا نقانقا مستوسقات لو يجدن سائقا[٦٤]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « وهم فيها خالدون »[٦٥] . قال : هم فيها باقون لا يخرجون منها أبداً ، كذلك أهل النار وأهل الجنة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

فهل من خالد إما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار[٦٦]

وقال لبيد بن ربيعة :

كل بني ام وان كثروا يوماً يصيرون الى واحد[٦٧]
فالواحد الباقي كمن قد مضى ليس بمثروك ولا خالد

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « وجفان كالجوابي »[٦٨] . قال : جفان كالحياض تتسع الجفنة للجزور ، قال :

وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت طرفة بن العبد وهو يقول:

كالجوابي لا تني مترعة لقرى الاضياف أوللمختضر[٦٩]

وقال أيضاً :

يجبر المحروب فينا ماله بقياب وجفان وخدم[٧٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فيطمع الذى في قلبه مرض »[٧١] . قال : في قلبه الفجور وهو الزنا ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

حافظ للفرج راضٍ بالتقى ليس ممن قلبه فيه مرض[٧٢]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « من طين لازب »[٧٣] قال : الملتزق الجيد وهو الطين الحر ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت النابغة وهو يقول :

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشرضربة لازب[٧٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وتجعلون له اندادا »[٧٥] . قال : الانداد الاشباه والأمثال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد وهو يقول :

أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل[٧٦]

وقال حسان بن ثابت يرد على أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب :

أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء[٧٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم »[٧٨] . قال الخلط والحميم الغساق ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو أمية بن أبي الصلت]

تلك المكارم لا قَعبانِ من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[٧٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « عجل لنا قطنا »[٨٠] . قال : القطّ الجزاء وهو الحساب أيضا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الاعشى وهو يقول :

ولا الملك النعمان يوم لقيته بنعمته يعطى القطوط ويطلق[٨١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الطلاق مرتان »[٨٢] . هل كانت العرب تعرف الطلاق ثلاثاً في الجاهلية ؟ قال : نعم ، كانت العرب تعرفه ثلاثاً باتاً ، ويحك يا ابن ام الازرق أما سمعت قول الأعشى وقد أخذه أخناه ، فقالوا : والله لا نرفع عنك العصا أو تطلق أهلك فانك قد أضررت بها فقال :

يا جارتي بيني فانك طالقه كذاك امور الناس غادٍ وطارقه[٨٣]

فقالوا : والله لا نرفع عنك العصا أو تبني لها الطلاق ، فقال :

بيني فان البين خير من العصا وان لا تزال فوق رأسي بارقه[٨٤]

فقالوا والله لا نرفع عنك العصا أو تلمت لها الطلاق فقال :

وبيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقه[٨٥]

وذوقي فتى حيٍّ فاني ذائق فتاة اناس مثل ما أنت ذائقه

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « من حمأ مسنون »[٨٦] . قال الحمأ السوداء وهو الناط أيضا ، والمسنون المصور ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم أما سمعت حمزة بن عبدالملك وهو يمدحه عليه السلام :

أغرّ كأن البدر سنة وجهه جلا الغيم عنه ضوؤه فتبددا[٨٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وأطعموا البائس

الفقير »[٨٨] . قال : الذى لا يجد شيئاً من شدة الحال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت طرفة وهو يقول :

يغشاهم البائس المدقع والضعيف وجار مجاور جنب[٨٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ماء غدقا »[٩٠] . أي ماء كثيرا جارياً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

تدني كراديس ملتفاً حدائقها كالنبت جادت بها أنهارها غدقا[٩١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أو آتيكم بشهاب قبس »[٩٢] . قال : شعلة من نار تقتبسون منه ، وذلك ان موسى عزم لما خرج من أرض مدين يريد مصر وذلك في ليلة مظلمة وطشت السماء فأنزل أهله وولده وقدح النار فلم يقدح شيئا فرفعت له نار من الشجرة ، فقال لاهله : «امكثوا اني أرى نارا لعلي آتيكم منها بجذوة» ، يقول : بجمرة أو آتيكم بشهاب قبس تقتبسون منه نارا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت طرفة بن العبد وهو يقول :

هم عراني فبت أدفعه دون سهادي كشعلة القبس

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لهم عذاب أليم »[٩٣] . قال الأليم الوجيع ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول :

نام من كان خلياً من ألم وبقيت الليل طولاً لم أنم[٩٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وقفينا على آثارهم »[٩٥] . قال : اتبعنا على آثار الأنبياء أي بعثنا على آثارهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

يوم قفت عيرهم من عيرنا واحتمال الحي في الصبح فلق[٩٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « اذا تردّى »[٩٧] . قال: اذا مات وتردى في النار، قال : نزلت في أبي جهل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدى بن زيد وهو يقول :

خَطِيئَتُه منيـــة فتـــردى وهو في الملك يأمل التعمير[٩٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في جنـــــات ونَهَر »[٩٩] . قال : النهر السعة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قيس بن الخطيم[١٠٠] وهو يقول :

ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها[١٠١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « والأرض وضعها للأنام »[١٠٢] . قال : الأنام الخلق وهـم ألف امـة ستمائـة في البحـر وأربعمائة في البر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

فان سألتا منمّ نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحّر[١٠٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « انه ظن أن لن يحور »[١٠٤] . قال: انه ظن انه لن يرجع (يقمه الحبشه) الى الله في الآخرة، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

[لبيد بن ربيعة]

وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذهو ساطع[١٠٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ذلك أدنـى أن لا تعولوا »[١٠٦] . قال : أجدر أن لا تميلوا ولا تبخسوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هـو عبدالله بن الحارث بن قيس]

انا تبعنا رسول الله واطرحوا قول البنيّ وعالوا في الموازين[١٠٧].

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «وهو مليم»[١٠٨].

قال : المليم المسيء المذنب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول :

بريء النفس ليس لها بأهل ولكنّ المسيء هو المليم[١٠٩].

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح »[١١٠] . قال : الا أن تدع المرأة نصف المهر أو يعطيها زوجها النصف الباقي ، فيقول : كانت في ملكي وحبستها عن الزواج، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت زهير بن أبي سلمى وهو يقول :

حزماً وبراً للاله وشيمةً تعفو على خلق المسيء المفسد[١١١].

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « اذ تحسونهم باذنه »[١١٢] . قال تقتلونهم بأمر محمد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ومنا الذي لاقي بسيف محمد
فحسّ به الأعداء عرض العساكر[١١٣].

وقال أوس بن حجر :

فما غضبوا انا نحس عليهم
ولكن رأوا ناراً تحس وتسفع[١١٤].

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ألفينا عليه آباءنا»[١١٥]. قال: يعني وجدنا عليه آباءنا ، قال فهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

فحسبوه فألفوه كما زعمت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد[١١٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فمن خاف من موص جنفاً »[١١٧] . قال : الميل والجور في الوصية ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

وأمك يا نعمان في أخواتها تأتي ما يأتينه جنفا[١١٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « بالبأساء والضراء »[١١٩] . قال : البأساء الخصب ، والضراء الجدب ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زيد بن عمرو وهو يقول:

ان الاله عزيز واسع حكم بكفه الضر والبأساء والنعم[١٢٠]

قال يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « الا رمزا »[١٢١] قال : الاشارة باليد والوحي بالرأس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ما في السماء من الرحمن رامزة الا اليه وما في الارض من وزر[١٢٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فقد فاز »[١٢٣]. قال يعني فقد سعد ونجا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبدالله بن رواحة وهو يقول :

وعسى أن أفوز ثم ألقى حجة التقى بها الفتانا[١٢٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « سواء بيننا وبينكم »[١٢٥] . قال : عدل بيننا وبينكم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

تلاقينا فقاضينا سواء ولكن جر عن حال لحال[١٢٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لا تأخذه سنة ولا نوم »[١٢٧] . قال : السنة الوسنان الذى هو نائم وليس بنائم ، قال :

وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهير ابن أبي سلمى وهو يقول :

ولا سنة طول الدهر تأخذه ولا ينام وما في أمره فند[١٢٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ماله في الآخرة من خلاق »[١٢٩] . قال : ماله في الآخرة من نصيب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول :

يدعون منها بقوم لا خلاق لهم الا سرابيل من قطر وأغلال[١٣٠]

وقال عدي بن زيد :

سوف يأتيك والسلام جميعاً لكلانا فماله من خلاق[١٣١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « كل له قانتون »[١٣٢] . قال : كل له مقرون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

قانتاً لله يرجو عفوه يوم لا يكفر عبد ما ادخر[١٣٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «جد ربنا»[١٣٤] . قال : ارتفعت عظمة ربنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا

فلا شيء أعلى منك جداً وأمجد[١٣٥]

مليك على عرش السماء مهيمن

لعزته تعنو الوجوه وتسجد

عليه حجاب النور والنور حوله

وانهار نور حوله تتوقد

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « بينها وبين حميم آن »[١٣٦] . قال : الآن الذي انتهى طبخه وحرّه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

وتُخضّب لحية غدرت وخانت
بأحمر من نجيع الجوف آن[١٣٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « سلقوكم بألسنة حداد »[١٣٨] . قال : الطعن باللسان ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

فيهم الخصب والسماحة والنجدة فيهم والخاطب المسلاّق[١٣٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أعطى قليلا وأكدى »[١٤٠] . قال : أعطى قليلاً من ماله ومنع الكثير ثم كدّره بمنه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

أعطى قليلاً ثم أكدى بمنه
ومن ينشر المعروف في الناس يحمد[١٤١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في الفلك المشحون »[١٤٢] . قال : السفينة الموقرة الممتلئة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الابرص وهو يقول :

شحنا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذلّ من الصراط[١٤٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « عُتُلّ بعد ذلك زنيم »[١٤٤] . قال : الزنيم كزنمة الشاة ، كذلك ولد الزناء ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو الخطيم التميمي]

زنيم تداعتــه الرجـال زيـادة

كمـا زيد في عرض الأديم الأكارع[١٤٥]

قـال : يا ابن عبـاس أخبرني عن قـول الله عزوجل : « طـرائـق قددا »[١٤٦] . قال المنقطعة من كل وجه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ولقـد قلت وزيـد حاسـر يوم ولت خيل زيد قددا[١٤٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « قل أعوذ برب الفلق[١٤٨] . قال : قل أعوذ برب الصبح اذا انفلق من ظلمـة الليل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهير بن أبي سلمى وهو يقول :

الفارج الهم مسدول عساكره كما يفرّج غم الظلمة الفلق[١٤٩]

قـال : يا ابن عبـاس أخبرني عن قول الله عزوجـل : « كـلا لا وزر »[١٥٠] . قال : الوزر الملجأ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عمرو بن كلثوم التغلبي وهو يقول :

لعمـرك مـا ان لـه صخـرة لعمرك ما ان له من وزر[١٥١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فمنهم من قضى نحبه »[١٥٢] . قال : أجله الذى قدر له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

ألا تسألان المرء ماذا يحـال أنحب فيقضَى أم ضلال وباطل[١٥٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « من كل زوج بهيج »[١٥٤] . قال : الزوج الواحد ، والبهيج الحسن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الاعشى وهو يقول :

وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة محبواً بذاك معا[١٥٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ذو مرة فاستوى »[١٥٦] . قال : ذو شدة في أمر الله عزوجل وهو جبريل عليه السلام ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

قد كنت أقريه اذا ضافني وهناً قِرى ذى مرةٍ حازم[١٥٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا »[١٥٨] . قال : المصرات السحاب يعصر بعضها بعضا فيخرج الماء من بين السحابتين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما نابغة بني ذبيان وهو يقول :

تجرّ بها الأرواح من بين شمأل
وبين صباً بالمعصرات الدوامس[١٥٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « سنشد عضدك بأخيك »[١٦٠] . قال : العضد المعين الناصر على أمره ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

في ذمة من أبي قابوس منقذة للخائفين ومن ليست له عضد[١٦١]

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الا عجوزاً في الغابرين »[١٦٢] . قال : عجوز في الباقين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيدالله بن الابرص وهو يقول :

ذهبوا وخلفني المخلّف فيهم فكأنني في الغابرين غريب[١٦٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل « الانصاب والازلام »[١٦٤] . قال : الأنصاب الحجارة التي كانت العرب تعبدها من دون الله وتذبح لها ، والأزلام القداح ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

فـلا لعمـر' الـذى مسَّحت كعبتـه

وماهرين على الأنصـاب من جسـد[١٦٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «فلا تأسَ»[١٦٦]. قال : لا تحزن يا موسى ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتحمل[١٦٧]

وقـال : يا ابن عباس اخبرني عن قـول الله عزوجل : « وهـم يصدِفون »[١٦٨] . قال : يعرضون عن الحق ، نزلت في قريش ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وهو يقول :

عجبت لحلم الله عنا وقـد بدا له صَدُّنا عن كل حق منزل[١٦٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ان تبْسَل نفس بما كسبت »[١٧٠] قال : يعني ان تحبس نفس بما كسبت في النار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهيراً وهو يقول :

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فقلبي مبسل غلقا[١٧١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «فلما أفلت»[١٧٢]. قال : فلما زالت الشمس عن كبد السماء ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت كعب بن مالك الانصاري وهو يقول يرثيه عليـه السلام :

فتغير القمر النـير لفقده والشمس كُسفت وكادت تأفل[١٧٣]

قـال : يا ابن عبـاس أخبرني عن قول الله عزوجـل : « فأصبحت كالصريم »[١٧٤] . قال الصريم الذاهب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

غدوت اليه غدوة فوجدته قعوداً لديه بالصريم عواذله[١٧٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « تفتؤ تذكر يوسف »[١٧٦] . قال : لا تزال تذكر يوسف ، وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

لعمرك ما تفتأ تذكر خالداً وقد غاله ما غاله تيع قبل[١٧٧]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « خشية املاق »[١٧٨] . قال : مخافة الفقر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

واني على الاملاق يا قوم ماجد أُعدّ لأضيافي الشواء المضهبا[١٧٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « حدائق وأعنابا »[١٨٠] . قال : الحدائق البساتين ، قال : ول تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

بلاد سقاها الله أما سهولها فقضب ودر مندق وحدائق[١٨١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وكان الله على كل شيء مقيتا »[١٨٢] . قال : قادرا مقتدرا ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الزبير بن عبدالمطلب وهو يقول :

وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا[١٨٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «جعل ربك تحتك سريا »[١٨٤] . قال السري النهر الصغير وهو الجدول ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

سهل الخليقة ما جد ذو نائل مثل السري تمده الأنهار[١٨٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ولا يؤوده حفظهما »[١٨٦] . قال : لا يثقله حملهما عزوجل ، قال : وهل تعرف

العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

يعطي المئين فلا يؤده حملها محض الضرائب ماجد الأخلاق[١٨٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وكأسا دهاقا »[١٨٨] . قال : الكأس الخمر والدهاق الملآن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

أتانا عامر يرجو قرانا فأترعنا له كأساً دهاقا[١٨٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ان الانسان لربه لكنود »[١٩٠] . قال : الكفور النعم وهو الذى يكفر وجده ويمنع رفده ويجيع عبده ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

شكرت له يوم العكاظ نواله ولم أك للمعروف ثم كنودا[١٩١]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « فسينغضون اليك رؤوسهم »[١٩٢] . قال : يحركون رؤوسهم استهزاءً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول :

أتنغض لي يوم الفجار وقد ترى
خيولاً عليها كالأسود ضواريا[١٩٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يُهرَعون اليه »[١٩٤] . قال يقبلون اليه بالغضب ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو مُهلهل] .

أتونا يُهرَعون وهم أسارى نسوقهم على رغم الأنوف[١٩٥]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « بئس الرفد

المرفود »[١٩٦] . قال : بئس اللعنة بعد اللعنة ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول :

لا تقذفني بركن لا كفاء له وانّ تأثّنك الاعداء بالرِفَدِ[١٩٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وما زادوهم غير تتبيب »[١٩٨] . قال : غير تخسير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت بشر بن أبي خازم وهو يقول :

فهم جدعوا الأنوف فأوهنوها وهم تركوا بني سعد تبابا[١٩٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وقالت هيت لك »[٢٠٠] . قال : قد تهيأت لك قم فاقض حاجتي ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أحيحة بن الجلاح وهو يقول :

به أحمي المضاف اذا دعاني اذا ما قيل للأبطال هيتا[٢٠١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يوم عصيب »[٢٠٢] . قال : يوم شديد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

هم ضربوا قواس حيل حجر يجب الزاد في يوم عصيب[٢٠٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « انها عليهم مؤصدة »[٢٠٤] . قال : أبواب النار على الكفار مطبقة قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

تحن الى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة[٢٠٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وهم لا يسأمون »[٢٠٦] . قال الملائكة لا يفترون ولا يملون عن العبادة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

من الخوف لا ذو سأمة من عبادة
ولا هو من طول التعبد يجهد[٢٠٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « طيراً أبابيل »[٢٠٨] قال : ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها فتبلبل عليهم فوق رؤوسهم، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

وبالفوارس من ورقاء قد علموا
أحلاس خيل على جرد أبابيل[٢٠٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « حيث ثقفتموهم »[٢١٠] . قال : حيث وجدتموهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول :

فاما تَثْقَفَن بنو لُؤَيٍّ جذيمة ان قتلهم دواء[٢١١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فأثرن به نقعا »[٢١٢] . قال : النقع ما يسطع من حوافر الخيل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول :

عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها كداء[٢١٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في سواء الجحيم »[٢١٤] . قال : في وسط الجحيم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

رماها بسهم فاستوى في سوائها
وكان قبولا للهوادى الطوارق[٢١٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في سدر مخضود »[٢١٦] . قال : المخضود الذي ليس بشوك ، قال : أو تعرف

العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول :

ان الحدائق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود[٢١٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل « طلعها هضيم »[٢١٨] . قال : متصل بعضه الى بعض ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

دار لبيضاء العوارض طفلة مهضومة الكشحين ريا المعصم[٢١٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « قولا سديداً »[٢٢٠] . قال : قولا عدلا حقا ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حمزة بن عبدالمطلب يمدحه صلى الله عليه وسلم :

أمين على ما استودع الله قلبه فان قال قولا كان فيه مسددا[٢٢١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الاّ ولا ذمة »[٢٢٢] . قال : الآل القرابة والذمة العهد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

جزى الله الاّ ان بني وبينهم جزاء ملوم لا يؤخر عاجلا[٢٢٣]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « أسفل سافلين »[٢٢٤] . قال : هكذا الكافر من الشباب الى الكبر ، ومن الكبر الى النار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول :

فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل
عن الشعب والعدوان في أسفل السفل[٢٢٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « خامدين »[٢٢٦] . قال : أصبح قوم صالح في ديارهم ميتين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

خلوا ثيابهم على عوارتهم فهم بأفنية البيوت خمود[٢٢٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « من كل حدب ينسلون »[٢٢٨] . قال : ينشرون من جوف الأرض من كل ناحية ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت طرفة بن العبد وهو يقول:

وأما يومهن فيوم سوء تخطفهن بالحدب الصقور[٢٢٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « زبر الحديد »[٢٣٠] . قال : قطع الحديد ، قال : فهل تعرف العرف ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت كعب بن مالك وهو يقول :

تلظى عليهم حين شدّ حميّها
بزبر الحديد والحجارة ساجر[٢٣١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فسحقاً لاصحاب السعير[٢٣٢] . قال : بعداً لأصحاب السعير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يهجو أُبَيّ بن خلف فهو خلف ويقول :

ألا من مبلغ عني أبيّاً فقد ألقيت في سحق السعير[٢٣٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « للدين حنيفاً »[٢٣٤] : قال : دينا مخلصا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حمزة بن عبدالمطلب وهو يقول :

حمدت الله حين هدى فؤادي الى الاسلام والدين الحنيف[٢٣٥]

وقال أيضا رجل يذكر بني عبدالمطلب وفضلهم :

أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتم لنا غاية قد يهتدى بالذوائب

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ان الكافرون الا في غرور »[٢٣٦] . قال : ما الكافرون الا في باطل ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يهجو أبي بن خلف ويقول :

تمنيك الاماني من بعيد وقول الكفر يرجع في غرور[٢٣٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وسيداً وحصوراً »[٢٣٨] . قال الحصور الذى لا يأتي النساء ، قال : وهل تعرف النساء ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول :

وحصور عن الخنا يأمر النا س بفعل الخيرات والتشمير[٢٣٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فأخذتكم الصاعقة »[٢٤٠] . قال الصاعقة العذاب وأصله الموت ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

قد كنت أخشى عليك الحتوف وقد كنت آمنك الصاعقه[٢٤١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : مسومين »[٢٤٢] . قال : الملائكة عليهم عمائم بيض مسومة فتلك سيما الملائكة يا ابن أم الأزرق ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ولقد حميت الخيل تحمل شكتي
جراداء صافية الأديم مسومه[٢٤٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « عبوساً قمطريرا »[٢٤٤] قال : الذى ينقبض وجهه من شدة الوجع ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [وهو أمية بن أبي الصلت]

ولا يوم الحساب وكان يوماً عبوساً في الشدائد قمطريرا[٢٤٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يوم يكشف عن ساق »[٢٤٦] . قال : عن شدة الآخرة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

أسلم عصام انه شر باقْ قبلك سر الناس ضرب الأعناق[٢٤٧]

قد قامت الحرب بنا على ساقْ

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ان الينا إيابهم »[٢٤٨] . قال : الاياب المرجع ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيدالله بن الأبرص وهو يقول :

وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب[٢٤٩]

وقال :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر[٢٥٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « صواع الملك »[٢٥١] . قال الصواع الكأس الذى كان يشرب به ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الاعشى وهو يقول :

له درمك في رأسه ومشارب وقدر وطباخ وصاع وديسق[٢٥٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « انه كان حوباً كبيراً »[٢٥٣] . قال : إثماً كبيرا بلغة الحبشة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

فاني وما كلفتموني من أمركم ليعلم من أمسى أعقّ وأحوبا[٢٥٤]

قال يا ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجل : « ذلك لمن خشي العنت منكم »[٢٥٥] . قال : ذلك لمن خشي الاثم منكم فيتزوج الأمة وان

لم يفعل فهو خير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

رأيتك تبتغي عنتي وتسعى على الساعي عليّ بغير ذُحل[٢٥٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ولا يظلمون فتيلا »[٢٥٧] . قال : لا ينقصون من الخير والشر مثل الفتيل وهو الذى يكون في شق النواة ، وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو
ثمّ لا يرزأ الاعادي فتيلا[٢٥٨]

وقال الأول :

أعاذل بعضّ لومك لا تلجي فان اللوم لا يغني فتيلا

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ما يملكون من قطمير »[٢٥٩] . قال : القطمير الجلدة البيضاء التي على النواة وهكذا من عبد غير الله فانه لا ينفعه قدر قطمير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول :

لم أنل منهم قَسيطاً ولا زُبداً ولا فوقة ولا قطميرا[٢٦٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فانفروا ثبات »[٢٦١] . قال : البة عشرة فما فوق ذلك ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عمرو بن كلثوم وهو يقول :

فأما يوم خشيتنا عليهم فنصبح خيلنا عُصَباً ثبينا[٢٦٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أركسهم بما كسبوا »[٢٦٣] . قال : حبسهم في جهنم بما عملوا ، قال : وهل تعرف

العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت امية بن أبى الصلت وهو يقول :

فأركسوا في حميم النار إنهم
كانوا عصاةً وقالوا الافك والزورا(٢٦٤)

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أمرنا مترفيها »(٢٦٥) . قال : سلطنا عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة يقول :

إن يُغبَطوا يسروا وان أمِروا
يوماً يصيروا الهُلكِ والنكَدِ(٢٦٦)

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أن يفتكم الذين كفروا »(٢٦٧) . قال : ان يضلكم الذين كفروا بالعذاب والجهد بلغة هوازن ، قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

كل امرىء من عباد الله مضطهَد
ببطن مكّة مقهورٌ ومفتون(٢٦٨)

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «والمنخنقة»(٢٦٩) . قال : كانت العرب تخنق الشاة فاذا ماتت أكلوا لحمها ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

يغط غطيط البكر شُدّ خناقه
ليقتلني والمرء ليس بقتال(٢٧٠)

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : كأن لم يغنوا فيها »(٢٧١) . قال: كأن لم يكونوا في الدنيا حين عذبوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود[٢٧٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « عذاب الهون »[٢٧٣] . قال : الهون الدائم الشديد ، قل : وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

انا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والمخزاة والهون[٢٧٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ولا يظلمون نقيرا »[٢٧٥] . قال النقير ما في ظهر النواة ، ومنه تنبت النخلة ، قال : لا يظلم الله العباد قدر النقير ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

وليس الناس بعدك في نقير وليسوا غير أصداء وهام[٢٧٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لا فارض ولا بكر »[٢٧٧] . قال : الكبيرة الهرمة ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [وهو خفاف بن ندبة]

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضاً
يساق اليه ما تقوم على رجل[٢٧٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الخيط الابيض من الخيط الاسود »[٢٧٩] . قال : بياض النهار من سواد الليل وهو الصبح اذا انفلق ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن الصلت وهو يقول :

الخيط الابيض ضوء الصبح منفلق
والخيط الاسود لون الليل مكموم[٢٨٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ولا تيمموا الخبيث منه »[٢٨١] . قال : لا تعمدوا الى شر ثماركم وخرقتكم فتعطوه

في الصدقة لو أعطيتم ذلك لم تقبلوا ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

يممت راحلتي أمام محمد أرجو فواضله وحسن نداه[٢٨٢]

وقال أيضاً :

تيممت قيساً وكم دونه من الارض من مهمه ذى شزن[٢٨٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « بئسما شروا به أنفسهم »[٢٨٤] . قال : حيث باعوا نصيبهم من الآخرة بطمع يسير من الدنيا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو المسيب بن عَلَس]

يعطي بها ثمناً فيمنعها ويقول صاحبها ألا تشري[٢٨٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « عرباً أترابا »[٢٨٦] . قال : هن العاشقات لأزواجهن اللاتي خلقن من الزعفران ، والاتراب المستويات ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول :

عهدت بها سعدى وسعدى عزيزة

عروب تهادى في جوار خرائد[٢٨٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « حساناً من السماء »[٢٨٨] . قال : ناراً من السماء ، قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول :

بقية معشر صبت عليهم شآبيب من الحسبان شهب[٢٨٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وعنت الوجوه »[٢٩٠] . قال : استسلمت الوجوه وخضعت لله يوم القيامة ،

قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول :

ليبك عليك كل عان بكربة وآل قصيٍ من مقل وذي وفر[٢٩١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « معيشة ضنكا »[٢٩٢] . قال : الضنك الضيق الشديد من كل وجه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

والخيل قد لحقت بها في مأزق ضنك نواحيه شديد المقدم[٢٩٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « من كل فجٍ عميق »[٢٩٤] . قال : من كل طريق بعيد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول ويذكر قوم عاد :

حازوا العيال وسدّوا الفجاج باجساد عادٍ لها آبدات[٢٩٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « سامراً تهجرون »[٢٩٦] . قال : كانوا يهجرون على اللهو والباطل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

وباتوا بشعب لهم سامر اذا خب نيرانهم أوقدوا[٢٩٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في يوم نحس مستمر »[٢٩٨] قال : النحس البلاء والشدة ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهير بن أبي سلمى وهو يقول :

سواء عليه أي يوم أتيته أساعة نحس تتقى أم بأسعد[٢٩٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « والسماء ذات الحبك »[٣٠٠] . قال : ذات الطرائق والخلق الحسن ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهير بن أبي سلمى وهو يقول :

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا

لا ينكصون اذا ما استُلحِموا وحَمُوا[٣٠١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « بالعشي والاشراق »[٣٠٢] . قال : اذا أشرقت الشمس وحلت الصلاة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

لم ينم ليلة التمام لكي يصبح حتى أضاءه الاشراق[٣٠٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « حتى تكون حَرَضاً »[٣٠٤] . قال: الحرض المدنف الهالك من شدة الوجع، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

أمن ذكر ليلى ان نأت غربة بها

كأنكَ جمٌ للاطباء مُحرَض[٣٠٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فذاك الذي يدُعُّ اليتيم »[٣٠٦] . قال : يدفع اليتيم عن حقه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا طالب يقول :

يقسّم حقاً لليتيم ولم يكن يدع لدى ايسارهن الأصاغرا[٣٠٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « السماء منفطر به »[٣٠٨] . قال : منصدع من خوف يوم القيامة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ظباهن حتى أعوض الليل دونها

أفاطير وسمي رواء جذورها[٣٠٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فهم يوزعون »[٣١٠] . قال : يحبس أولهم على آخرهم حتى تنام الطير ، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

وزعت رعيلها بأقبّ شَهد اذا ما القوم شدّوا بعد خمس[٣١١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « كلما خبت زدناهم سعيرا »[٣١٢] . قال : الخبوّ أن النار تطفأ مرة وتستعر اخرى ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

والنار تخبو عن آذانهم وأضرمها اذا ابتدروا سعيرا[٣١٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يوم تكون السماء كالمُهل »[٣١٤] . قال : كدُردي الزيت ومواد العرق من خوف يوم القيامة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

تبارى بها العيس السموم كأنها
تبطنت الأقراب من عرق مهلا[٣١٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا »[٣١٦] . قال : سبحان تنزيه له وحده لا شريك له الذي أسرى محمداً صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى البيت المقدس ثم رده الله الى المسجد الحرام ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

قلت له لما علا فخره سبحان من علقمة الفاخر[٣١٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فأخذناه أخذاً وبيلا »[٣١٨] . قال : أخذاً شديداً ليس له ملجأ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

اذل الحياة وعز الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلا[٣١٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فنقبوا في البلاد »[٣٢٠] . قال : هربوا في البلاد بلغة اليمن ، قال : وهل تعرف

ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

فنقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الأرض أي مجال[٣٢١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فلا تسمع الا همسا »[٣٢٢] . قال : الوطء الخفي والكلام الخفي وهذا يوم القيامة ، قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو أبو زبيد الطائي]

فباتوا يدلجون وبات يسري يصير بالدجى هادٍ هموس[٣٢٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « قد شغفها حباً »[٣٢٤] . قال : الشغاف في القلب في النياط ، يقول : قد امتلأ قلبها من حب يوسف ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

وفي الصدر رحب دون ذلك داخل

دخول الشغاف غيبته الأضالع[٣٢٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فهم مقمحون »[٣٢٦] . قال : المقمح الشامخ بأنفه المنكس رأسه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو بشر بن أبي خازم]

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح[٣٢٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فهم في أمر مريج »[٣٢٨] . قال : المريج الباطل الفاسد ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

فراغت فانتقدت به أحشاءها فخر كأنه خوط مريج[٣٢٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ماء

ثجاجا »[٣٣٠] . قال : الثجيج الكثير الذى ينبت منه الزرع ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا ذؤيب وهو يقول :

سقى أم عمرٍ كل آخر ليلة حناتم سُودٌ ماؤهن ثجيج[٣٣١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ملوماً محسوراً »[٣٣٢] . قال مستحياً مستحلا قد حسرت من المال فتقول : هلا أبقت ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ما قادَ من عرب اليَّ جوادهم الا تركت جوادهم محسورا[٣٣٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول عمر بن الخطاب : « كَذَبَ عليكم الحجُ »[٣٣٤] . قال : يعني بقوله : عليكم بالحج ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الهذلى وهو يقول :

وذبيانةٍ أوصت بنيها بأن كَذَبَ القراطف والقروف[٣٣٥]

قال : زدني يا ابن عباس ، قال : وقال رجل آخر من هذيل :

كَذَبَ العتيق وماءُ شنٍّ بارد
ان كنت سائلة غبوقاً فاذهبي[٣٣٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل : « محسوماً »[٣٣٧] . قال : دائمة شديدة محسومة بالبلاء ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن الصلت يقول :

وكم كنا بها من قرط عام وهذا الدهر مقتبل حسوم[٣٣٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « حتماً مقضياً »[٣٣٩] . قال : الحتم الواجب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبى الصلت يقول :

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم[٣٤٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وحور عين »[٣٤١] . قال : الحوراء البيضاء المنعمة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : أما سمعت الأعشى وهو يقول :

وحور كأمثال الدمى ومناسف وماء وريحان وراح يصنع[٣٤٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « شمساً ولا زمهريراً »[٣٤٣] قال : كذلك أهل الجنة لا يصيبهم حر الشمس فيؤذيهم ولا البرد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

برهرهة الخلق مثل الفنيق لم تر شمساً ولا زمهريرا[٣٤٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « إن عذابها كان غراما »[٣٤٤] . قال : عذاب جهنم بلاء ملازم شديد كلزوم الغريم للغريم، قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت بشر بن أبي خازم وهو يقول :

ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذاباً وكانا غراما[٣٤٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « كل جبار عنيد »[٣٤٦] . قال : الجبار القتال ، والعنيد الذي يعند عن حق الله ، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

مصر على الحنث لا تخشى شواكله
يا ربح كل مصر القلب جبار[٣٤٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : وما هو بالهزل »[٣٤٨] . قال : القرآن ليس بالباطل واللعب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قيس بن رفاعة وهو يقول :

وما أدري وسوف إخال أدري أهزل ذاكم أم قول جد[٣٤٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : يخرج من بين الصلب والترائب »[٣٥٠] . قال : الترائب موضع القلادة من المرأة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول : [هو الحارث بن خالد الخزومي]

والزعفران على ترائبها شرقاً بها اللبات والنحر[٣٥١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وكنتم قوماً بورا »[٣٥٢] . قال : هلكى بلغة عمان وهم من اليمن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر وهو يقول :

فلا تكفروا ما قد صنعنا اليكم وكافوا به فالكفر بور لصانعه[٣٥٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « على سرر موضونة »[٣٥٤] . قال : الموضونة ما يوضن بقضبان الفضة عليها سبعون فراشاً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول :

أعددت للهيجاء موضونة فضفاضة كالنهى بالقاع[٣٥٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وهو ألد الخصام »[٣٥٦] . قال : الجدل المخاصم في الباطل وفي كل وجه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت مهلهلاً وهو يقول وينوح على كليب :

ان تحت الاحجار حزماً وجودا وخصيماً ألد مغلاق[٣٥٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يعجل حنيذ »[٣٥٨] . قال : الحنيذ النضيج ما يشوى بالحجارة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

لهم راح وفار المسكك فيهم وشاديهم اذا شاموا حنيذا[٣٥٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فاذا هم من الاجداث »[٣٦٠] . قال : الاجداث القبور ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبدالله بن رواحة وهو يقول :

حيناً يقولون اذ مروا على جدثي
أرشده يا رب من غارٍ وقد رشَدَا[٣٦١]

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ان الانسان خلق هلوعا »[٣٦٢] . قال : ضجراً جزوعاً ، نزلت في أبي جهل بن هشام ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم، أما سمعت بشربن أبي خازم وهو يقول :

لا مانعاً لليتيم نحلته ولا مكباً لخلقه هلعا[٣٦٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ولات حين مناص »[٣٦٤] . قال : ليس بحين فرار، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

تذكرت ليلى حين لات تذكر وقد بنتُ عنها والمناص بعيد[٣٦٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ذات ألواح ودسر »[٣٦٦] . قال : الدسر الذى تخرز به السفينة ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

سفينة نوتي قد احكم صنعها
منحتَّة الألواح منسوجة الدسر[٣٦٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أو تسمع لهم ركزا »[٣٦٨] . قال : حساً يعني الحركة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

وقد توجس ركزاً مقفرٌ نَدُسٌ
بنبأة الصوت ما في سمعه كَذِبُ[٣٦٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وجوه يومئذ باسرة »[٣٧٠] . قال : كالحة قاطبة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الابرص وهو يقول :

صبحنا تميماً غداة النسار بشهباء ملمومة باسره[٣٧١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الى ربهم ينسلون »[٣٧٢] . قال : النسل المشي الخبب ، وهذا يوم القيامة ، قال : قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني جعدة وهو يقول :

عسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل[٣٧٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فظلت أعناقهم لها خاضعين »[٣٧٤] . قال : العنق الجماعة من الناس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الحارث بن هشام وهو يقول ويذكر أباجهل :

يخبرنا المخبر أن عمراً أمام القوم في عنق مخيل[٣٧٥]

قال : يا ابن عباس ، أخبرني عن قول الله عزوجل : « قسمة ضيزى »[٣٧٦] . قال قسمة جائرة حين وصفوا أن لله البنات لا اله الا الله ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

ضازَت بنو أسد بحكمهم اذ يعدلون الرأس بالذنَب[٣٧٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « إنَا » . قال : الانا النضج يعني اذا ادرك الطعام ، وذلك أن أمراء المؤمنين كانوا يدخلون بيت النبي صلى الله عليه وسلم فيحدثون قبل أن يدرك الطعام ويكلمون نساءه وذلك قبل الحجاب فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل

الله عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي حتى يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه »[٣٧٨] . فلم يدخلوا بعد ذلك الا باذن وكانوا اذا دخلوا أكلوا الطعام وانتشروا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

يفعم ذاك الانا العبيط كمـــا يفعم عزب المجالة الجمل[٣٧٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وشرابك لم يتسنه »[٣٨٠] قال : لم تغيره السنون عن حاله لانه كان كان وضع فى دن العصير ليبل به الخبز فأماته الله مائة عام ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

طاب منه الطعم والريح معـــاً لن تراه يتغير من أسَنّ[٣٨١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « كل ختـــار كفور[٣٨٢] . قال : الختّار الغدار الغشوم ، قال : وهل تعرف العـــرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

لقد علمت واستيقنت ذات نفسها
بأن لا تخاف الدهر صَرمي ولا خَتري[٣٨٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وألسلنا له عين القِطر »[٣٨٤] . قال : أعطى الله داود عليه السلام عيناً من صفر كمـــا يسيل الماء ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

فألقى فى مراجل من حديد قدور القطر ليس من البراة[٣٨٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أكُل خَمط »[٣٨٦] . قال : الخمط الاراك ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

مـا مغـزل فـرد تراعى بعينهـا
أغن غضيض الطرف من خلل الخمط[٣٨٧]

قـال : يا ابن عبـاس أخبرني عن قـول الله عزوجل : « جـدد بيض »[٣٨٨] . قال الجبال طريقة بيضاء وطريقة خضراء وهذا مثل ضربه الله للعباد لكي يخافوه ، وهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

قد غادر النسع في صفحاتها جدداً
كأنهـا طـرق لاحت عـلى أكـم[٣٨٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون »[٣٩٠] . قال : نفرت قلوب الكفار من ذكر الله عزوجل، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عمرو بن كلثوم التغلبي وهو يقول :

اذا عض الثقاف بها اشمأزت ... وولتهـم عشوزنـة زبونـا[٣٩١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « انا وجدنا آباءنا على امة »[٣٩٢] . قال : وجدنا آباءنا على ملة غير الملة التي تدعونا اليها ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول : [البيت لعنترة]

فاقني حيـاك لا أبالك واعلمـي
انى امرؤ سـأمـوت ان لم أقتل[٣٩٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لا يئلتكم من أعمالكم »[٣٩٤] . قال : لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً بلغة بني عبس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمـا سمعت الحطيئـة وهـو يقول :

أبلغ سراة بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا أكلتا ولا كذبا[٣٩٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فشاربون شرب الهيم »[٣٩٦] . قال الابل يأخذها داء يقال له الهيام فلا تروى من الماء . قال : فشبه شرب أهل النار من الحميم بشرب الابل الهيم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة يقول :

أجزت الى معارفها بشعث وأطلاح من العيدي هيم[٣٩٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وفاكهة وأبا »[٣٩٨] . قال : الأبّ القصفصة وما يعتلف منه الدواب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

ترى به الأبّ واليقطين مختلعا
على الشريعة يجرى تحتها الغرب[٣٩٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فدكتا دكة واحدة »[٤٠٠] . قال : زلزلة شديدة عند النفخة الآخرة ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

ملك ينفق الخزائن والذمّة قد دكها وكادت تبور[٤٠١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عوزجل : «ولكن لا تواعدوهن سراً »[٤٠١] قال : السر الجماع ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

ألا زعمت بسباسة اليوم انني
كبرت وان لا يحسن السر أمثالي[٤٠٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ومنه شجر فيه تسيمون »[٤٠٤] . قال : فيه ترعون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الاعشى وهو يقول :

ومشى القوم بالعماد الى الرزحى

وأعيا المسيم أين المساق[٤٠٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لم يطمثهن »[٤٠٦] . قال : كذلك نساء أهل الجنة لم يدنُ منهن غير أزواجهن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

مشين اليّ لم يُطمثن قبلي وهن أصح من بيض النعام[٤٠٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لا ترجون لله وقاراً »[٤٠٨] . قال : لا تخشون لله عظمة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا ذؤيب وهو يقول :

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها

وحالفها في بيت نُوبٍ عوامل[٤٠٩]

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أو مسكينا ذا متربة »[٤١٠] . قال : ذا حاجة وجهد ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

تربت يدٌ لك ثم قلّ نوالها وترفعت عنك السماء سجالها[٤١١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « مهطعين الى الداع »[٤١٢] . قال : مذعنين خاضعين ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت تُبّعا وهو يقول :

تعبّدني نمرُ بن سعد وقد درى

ونمر بن سعد لي مدين ومهطع[٤١٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : هل تعلم له سمياً »[٤١٤] . قال : هل تعلم له ولداً ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

أما السمي فأنت منه مكثر والمال مال يغتدي ويروح[٤١٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « يُصهَر به ما في بطونهم »[٤١٦] . قال : يذاب به ما في بطونهم اذا شربوا الحميم . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول: [هو الطرماح بن حكيم]

سخنت صهارته فظل عنانه في سيطل كفيّت له يتردد[٤١٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فأنا أول العابدين »[٤١٨] . قال : أنا أول الآنفين من أن يكون لله ولد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت تبعاً وهو يقول :

قد علمت فهر بأني ربهم طوعاً تدين له ولما تعبد[٤١٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لتنوء بالعصبة »[٤٢٠] . لتُثقِل بالعصبة مفاتيح خزائن قارون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

تمشي فتثقلها عجيزتها مشي الضعيف ينوء بالوسقِ[٤٢١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « حَمولةً وفَرشاً »[٤٢٢] . قال : الحَمولة ما تحمل عليه ، والفَرْش الصغار من الانعام ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت امية بن أبي الصلت وهو يقول :

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهيراً وهو يقول :

ليتني كنت قبل ما قد أراني في قلال الجبال أرعى الحمولا[٤٢٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فقطع دابر

«القوم الذين ظلموا »[٤٢٤] . قال : قطع أصلهم واستؤصلوا من ورائهم ،

القـائد الخيل منكوباً دوابرهـا
محكومة حكّمات القدّ والأَبَقا[٤٢٥]

قـال : يا ابن عبـاس أخبرني عن قـول الله عزوجـل : « خـذ العفو »[٤٢٦] . قال : أمر الله عزوجل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ بذلك ؟ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيـد بن الابرص وهو يقول :

يعفو عن الجهـل والسوآت كما
يـدرك غيث الربيـع ذو الصـرد[٤٢٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « واضربوا منهم كل بنان »[٤٢٨] . قال : البنان أطراف الأصابع ، وبلغـة هذيل الجسد كله ، قال : فانشدني في كلتيهما ، قال : نعـم ، أمـا في أطراف الاصابع ، فقول عنترة العبسي :

فنعم فوارس الهيجـاء قـومي اذا علقوا الأعنـة بالبنـان[٤٢٩]

وقال الهذلي في الجسد : [البيت لزهير وفي روايته بعض الخلاف]

لدى أسد شاكي البنان مقاذف لـــه لَبَـد أظفاره لم تقلّم

قـال يا ابن عباس أخبرني عن قـول الله عزوجـل : « الا مكـاءً وتصدية »[٤٣٠] . قال : المكاء القنبرة ، والتصدية صوت العصافير وهو التصفيق ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة وهو بمكة كان يصلي قائماً بين الحجر وبين الركن اليماني فيجيء رجلان من بني سهم يقوم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فيصيح أحدهمـا كما تصيح المكاء ، والآخر يصفق بيديه كتصدية العصافـير ليفسد عليـه صلاته ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن

ثابت وهو يقول :

نقوم الى الصلاة اذا دعينا وهمكم التصدي والمكاء[٤٣١]

وقال آخر من الشعراء في التصدية :

حين تبهنا سحيرا قبل تصدية العصافر[٤٣٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « هن لباس لكم »[٤٣٣] . قال : هن سكن تسكنون اليهم بالليل والنهار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

اذا ما الضجيج ثنى عطفها تنت عليه فكانت لباسا[٤٣٤]

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الحرث والنسل »[٤٣٥] . قال : النسل الطائر والدواب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

كهولهم خير الكهول ونسلهم

كنسل الملوك لا يبور ولا يجري[٤٣٦]

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « اعصار فيه نار »[٤٣٧] . قال : الريح الشديدة التي تجري بالعذاب ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

فله في آثارهن خوار وحفيف كأنه إعصار[٤٣٨]

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « كمثل الذي ينعق بما لا يسمع »[٤٣٩] . قال : شبه الله أصوات المنافقين والكفار بأصوات البهم أي أنهم لا يعقلون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت بشر بن أبي خازم وهو يقول :

هضيم الكشح لم تغمز بؤسى ولم تنعق بناحية الرباق[٤٤٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فيمـا شـجر بينهم »[٤٤١] . قال : فيما أشكل عليهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهيراً وهو يقول :

متى يشتجر قوم يقُلْ سَرَواتهم
هم بيننا فهُمُ رضاً وهم عَدْلُ[٤٤٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « مُراغَماً كثيراً »[٤٤٣] . قال : منفسحاً كثيراً بلغة هذيل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

واترك أرض جهرة ان عندي رجاء في المراغم والتعادي[٤٤٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فتركه صلداً »[٤٤٥] . قال : أملس لا شيء عليه ، وهذا مثل ضربه الله لمن ينفق ماله رئاء الناس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا طالب وهو يقول :

وانى لقَوْم وابن قَوْم لهاشم
لأباه صدق مجدهم معقل صلد[٤٤٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا »[٤٤٧] . قال: عهداً كما حملته على اليهود فعصوك فمسختهم قردة وخنازير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا طالب وهو يقول :

أفي كل عام وافد وصحيفة يشد بها أمر وثيق وأيصر[٤٤٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أن تبوء بانمي وانمك »[٤٤٩] . قال : أن ترجع بانمي وانمك الذى عملت فتستوجب النار ، قال : وهل تعرف ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

من كان كاره عيشه فليأتنا يلقى المنية أو يبوء له غنى[٤٥٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لهم أجر غير ممنون »[٤٥١] . قال : لهم الجنة جزاء غير منقوص ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهير بن أبى سلمى وهو يقول :

فضل الجواد على الخيل البطاء فلا

يعطى بذلك ممنوناً ولا نزقا[٤٥٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « جابو الصخر بالواد »[٤٥٣] . قال : نقبوا الحجارة بالواد في الجبال فاتخذوا منها بيوتاً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبى الصلت وهو يقول :

وشق أبصارنا كيما نعيش بها وجب للسمع أصماخاً وآذانا[٤٥٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وتحبون المال حباً جماً »[٤٥٥] . قال حباً كثيراً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبى الصلت وهو يقول :

ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبدٍ لك لا ألمّا[٤٥٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « انا أعطيناك الكوثر »[٤٥٧] . قال : نهر في بطنان الجنة حافتاه قباب الدر والياقوت ، قال : وبأي شيء ذكر ذلك ؟ قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل باب المروة وخرج من باب الصفا فاستقبله العاص بن وائل السهمي فرجع العاص الى قريش فقالت له قريش : من استقبلك يا أبا عمرو آنفاً ؟ قال : ذاك الابتر ، يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله هذه السورة « انا أعطيناك الكوثر » : نهر في بطنان الجنة حافتاه قباب الدر والياقوت فيها أزواجه وخدمه ، ثم

قال : « فصلِّ لربك وانحر البُدْن ، إن شانئك هـو الابتر »[٤٥٨] يعني ان عدوك هو العاص بن وائل السهمي الابتر من الخير لا أذكر مكاناً الا ذكرت معي يا محمد ، فمن ذكرني ولم يذكرك ليس له في الجنة نصيب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول :

وحباه الاله بالكوثر الاكبر فيه النعيم والخيرات[٤٥٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ومن شر غاسق اذا وقب »[٤٦٠] . قال : الغاسق الظلمة والوقب شد سواده اذا دخل في كل شيء ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت زهيراً وهو يقول :

ظلت تجوب يداها وهي لاهيـــة
حتى اذا أصبح الاظلام والغسق[٤٦١]

وقال في الوقب :

وقَبَ العذابُ عليهم فكأنما لحقتهم نار السماء فأخمدوا

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في طغيانهم يعمهون »[٤٦٢] . قال : في ضلالتهم يلعبون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الاعشى وهو يقول :

أراني قد عمهت وشاب رأسي وهذا اللعب شين بالكبر[٤٦٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في قلوبهم مرض »[٤٦٤] . قال : في قلوبهم النفاق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر وهو يقول :

أجامل أقواماً حياءً وقد أرى صدورهم تغلي علي مراضها[٤٦٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « فتوبوا الى

بارئكم »[٤٦٦] . قال : توبوا الى خالقكم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت تبعاً وهو يقول :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النَسَم[٤٦٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « لا ريب فيه »[٤٦٨] . قال : « لا شك فيه انه جاء من عند الله يعني به القرآن قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبدالله بن الزبعرى وهو يقول :

ليس في الحق يا أمامة ريب انما الريب ما يقول الكذوب[٤٦٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « الذين يؤمنون بالغيب »[٤٧٠] . قال : ما غاب عنهم من أمر الجنة والنار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث وهو يقول :

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمد[٤٧١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ختم الله على قلوبهم »[٤٧٢] . قال : طبع الله على قلوبهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

وصهباء طاف يهوديُّها فأبرزها وعليها خَتَم[٤٧٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « صفراء فاقع لونها »[٤٧٤] . قال : الفاقع الصافي اللون من الصفرة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبدالله بن الزبعرى يقول :

سدم قديم عهد بانيه من بين أصفر فاقع وذعال[٤٧٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « مواقيت

للناس »[٤٧٦] . قال : في عدة نسائهم ومحل دينهم وشروط الناس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

والشمس تجري على وقت مسخرة
اذا قضت سفراً واستقبلت سفرا[٤٧٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « كمثل صفوان »[٤٧٨] . قال : الصفوان الحجر الأملس ، وهذا مثل ضربه الله للذي ينفق ماله في غير حق الله ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أوس بن حجر التميمي وهو يقول :

على ظهر صفوان كأن متونه عُلِين بدهن يُزلق المتنزّلا[٤٧٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «بقنطار»[٤٨٠] . قال : أما قولنا أهل البيت ، فانا نقول : القنطار عشرة آلاف مثقال ، وأما بنو جد فانهم يقولون ملء مسك ثور ذهبا أو فضة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول :

وكانوا ملوك الروم تجبى اليهم
قناطيرها من بين حق وفائد[٤٨١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »[٤٨٢] قال : انقذكم الله عزوجل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عباس بن مرداس يقول :

يكبّ على شفا الاذقان كباً كما زلق التختم عن خفاف[٤٨٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ريح فيها صر »[٤٨٤] . قال : ريح فيها برد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :

لا يبرمون اذا ما الأرض جللها

صر الشتاء من الأمحال كالأدم[٤٨٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «تبوىء المؤمنين»[٤٨٦] . قال : توطىء المؤمنين لتسكن قلوبهم ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الأعشى وهو يقول :

وما بوأ الرحمن بيتك منزلاً بأجياد غربيّ الصفا والمحرم[٤٨٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ربيون كثير »[٤٨٨] . قال : جموع كثير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت يقول :

واذا معشر تجافوا عن القصد حملنا عليهم ربيّا[٤٨٩]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أو لامستم النساء »[٤٩٠] . قال : جامعتم النساء ، وهذيل تقول اللمس باليد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

يلمس الأحلس في منزله بيديه كاليهودي المقل[٤٩١]

وقال الاعشى :

ورادعة صفراء بالطيب عندنا

للمس الندامى في يد الدرع مفتق[٤٩٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل « قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها »[٤٩٣] . قال : من قبل أن نمسخها فنردها على على غير خلقها ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن الصلت يقول :

من يطمس الله عينيه فليس له نور يبين به شمساً ولا قمرا[٤٩٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « أحلت لكم بهيمة الأنعام »[٤٩٥] . قال : يعني به الابل والبقر والغنم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال نعم ، أما سمعت الاعشى وهو يقول :

أهل القباب الحمر والنَّعَم المؤثل والقنابل[٤٩٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «والموقوذة»[٤٩٧] . قال : التي تضرب بالخشب حتى تموت فتأكلها العرب ، وذلك أنهم جادلوا المسلمين فقالوا لهم : تزعمون انكم على دين الله وما ذبح الله لكم لا تأكلونه وتزعمون أنه ميتة ، وما ذبحتم أنتم بأيديكم تزعمون أنه حلال لكم ، قال : فهل تعرف العرب ذلك ؟ نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

يبريني دين النهار واقتضى دَيني اذا وقد النعاس الرَّقدا[٤٩٨]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « وان تستقسموا بالازلام »[٤٩٩] . قال : الازلام القداح كانوا يستقسمون الامور بها مكتوب على أحدهما « أمرني ربي » ، وعلى الآخر « نهاني ربي » ، واذا أرادوا الحرب أتوا بيت أصنامهم ثم غطوا على القداح ، فأيهما خرج عملوا به ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الحطيئة وهو يقول :

لا يزجر الطير ان مرت به سنحا ولا يفاض له قدح بازلام[٥٠٠]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « في مخمصة »[٥٠١] . قال : في مجاعة وجهد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، هذا الأعشى يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا[٥٠٢]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « اثنى عشر نقيبا »[٥٠٣] . قال اثنى عشر وزيراً وصاروا الينا بعد ذلك ،قال : وهل

تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

واني بحق قائل لسراتها مقالة نصح لا يضيع نقيبها[٥٠٤]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « تبتغي نفقاً في الأرض »[٥٠٥] . قال : سرباً في الأرض فتذهب هرباً ، قال : وهل تعرف ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر يقول : [وهو عدي بن زيد] .

فدس لها على الأنفاف عَمْراً بشكَّتِه وما خشِيَت كمينا[٥٠٦]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « زخرف القول غرورا »[٥٠٧] . قال : باطل القول غرورا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أوس بن حجر يقول :

لم يغروكم غروراً ولكن يرفع الآل جمعكم والزهاء[٥٠٨]

وقال زهير بن ابى سلمى :

فلا تغرنك دنيا ان سمعت بها

عند امرىء سوءةً في الناس مغمورِ[٥٠٩]

قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : «وليقترفوا»[٥١٠]. وليكتبوا أما هم يكتبون فانهم يوم القيامة يجازون بأعمالهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

وانني لآتي ما أتيت وانني لما اقترفت نفسي على الراهب[٥١١]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « رجس وغضب »[٥١٢] . قال : الرجس اللعنة ، والغضب العذاب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

اذا سنة كانت بنجد محيطة فكان عليهم رجسها وعذابها[٥١٣]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « القمل

والضفادع »[٥١٤] . قال : القمل الدَبَّا وهي فراخ الجراد قال : وهل تعرف ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان ابن الحارث بن عبدالمطلب وهو يقول :

يبادرون النخل من أنها كأنهم في السرق القمل[٥١٥]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : «فانبجست منه اثنتا عشرة عينا »[٥١٦] . قال : أجرى الله من الصخرة اثنتي عشرة عيناً ، لكل سبط عين يشربون منها ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت بشر بن أبي خازم وهو يقول :

فاسبلت العينان مني بواكف

كما انهل من واهي الكلى المتبجس[٥١٧]

قال : يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل : « ان الساعة آتية أكاد أخفيها »[٥١٨] ، قال : من كل أحد ، وفيها كلمة عربية يا ابن الازرق لعلك لا تحتملها ، قال : بلى يا ابن عباس فاخبرني بها ، قال : نعم « أخفيها من علمي » قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر وهو يقول :

فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد[٥١٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا ابو الحسين عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم المعروف بابن
الطسي قرأة عليه من لفظه في مسجده بدرب زياج يوم الخميس لعشر
خلون من ربيع الاخر من سنة اربع واربعين وثلثمائة قال نا ابو سهل
السري ابن سهل بن حربان الحمد مرسابوري عند بسابور قرأة عليه سنة
ثمان وثمانين وماستين قال نا يحيى بن ابي عبيدة السلمي واسم ابي عبيدة
بحر بن مزوخ قال اخبرنا سعيد ابن ابي سعيد قال انا عيسى بن داب
عن حميد الاعرج وعبد الله ابن ابي بكر ابن يحيى عن ابيه قال بينما
عبد الله ابن عباس جالس بفناء الكعبة قد اسدل رجله في حوض زمزم
اذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن وعن
الحلال والحرام واذا هو لا يتقايا بشئ يسألونه عنه فقال نافع ابن
الازرق لنجدة بن عويمر قم بنا الى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن
والفتيا بما لا علم له به فقاما اليه فقال يا ابن عباس ما يحملك على تفسير
القرآن والفتيا بما لا علم لك به اشيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر هذا امنك تحرصا فان كان هذا امنك تحرصا فحدث والله الجرأة
على الله عزوجل فقال ابن عباس بجيبا لنافع ابن الازرق لا والله ما
هذا امني تحرصا لكنه علم علمنيه الله ولكني سائلك على من هو اجرأ مني
يا ابن ام الازرق قال دلني عليه فقال رجل تكلم بما لا علم له به او رجل كتم
الناس علما علمه الله عزوجل فذاك اجرأ مني يا ابن ام الازرق وقد
نجدة فانك تريد ان تسألك عن اشياء من كتاب الله عزوجل فتفسره
لنا وتاتينا بمصداقه من كلام العرب فان الله عزوجل انما انزل القرآن
بلسان عربي مبين قال ابن عباس سلاني عما بدا لكما تجداه عندي حاضرا
ان شاء الله تسلا فقالا يا ابن عباس اخبرنا عن قول الله [illegible]

١ ـ سورة المعارج ، الآية ٣٧ ٠

٢ ـ العزون ـ حلق الرفاق ٠

٣ ـ سورة المائدة ، الآية ٣٥ ٠

٤ ـ الاغاني ١٠/١٨٠ ، بلوغ الأرب للآلوسي ١/١٦٧ ، والبيت في الديوان ص ٢٠ ٠

٥ ـ سورة المائدة ، الآية ٤٨ ٠

٦ ـ كذا «الاتقان» ، أما في «الأصل المخطوط» منهجا

٧ ـ العبارة كلها من « الأصل المخطوط » ولم ترد في «الاتقان» ٠

٨ ـ سورة الأنعام ، الآية ٩٩ ٠

٩ ـ لم نهتد الى نسبة البيت ٠

١٠ ـ لم ترد الآية في «الاصل المخطوط» كما هي في السورة الكريمة وجاءت كما نثبت : « وريشاً ولباس التقوى » ٠ وهو وهم من الناسخ ٠

١١ ـ ورد البيت في «أساس البلاغة» (ري ش) و «مفردات الراغب» ٠

١٢ ـ سورة البلد ، الآية ٤ ٠

١٣ ـ قال الزمخشري في «الكشاف» : الكبد : شدة الأمر وصعوبة الخطب٠

١٤ ـ روي البيت في «الكشاف» ، وفي الديوان «طبعة الكويت» ص ١٦٠ ، وفي الكامل للمبرد ٣/١٢٠٠ : وقام العدو ٠

١٥ ـ سورة النور ، الآية ٤٣ ٠

١٦ ـ سورة النحل ، الآية ٧٢ ٠

١٧ ـ استشهد بالبيت الزمخشري في الكشاف، والطبري في «جامع البيان» والطبرسي في «مجمع البيان» ٠

١٨ ـ سورة مريم ، الآية ١٣ ٠

١٩ ـ ورد البيت منسوبا في «الكامل» ٢/٤٥٩ ، نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٥٠ ٠ والبيت في الديوان ص ٢٠٨ ٠

٢٠ ـ سورة الرعد ، الآية ٣١ ٠

٢١ ـ استشهد به كل من الطبري والطبرسي وأبي حيان ، وفي « أساس البلاغة » : عرض العشيرة ٠

٢٢ ـ سورة الاسراء ، الآية ١٠٢ ٠

٢٣ ـ كذا في الاصل المخطوط ، و «الاتقان» ، أما في الطبري والطبرسي وابي حيان : اذ أجاري ٠

٢٤ ـ سورة مريم ، الآية ٢٣ .

٢٥ ـ انظر الديوان ص ٣٠٢ .

٢٦ ـ سورة مريم ، الآية ٧٣ .

٢٧ ـ ورد البيت في « الكامل » ٢/٤٦٩ ، وفي « الفائق » للزمخشري ٢/٢٩٠ ، كما استشهد به الطبري والطبرسي .

٢٨ ـ سورة مريم ، الآية ٧٤ .

٢٩ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، ولم ترد المسألة في « الاتقان » ، وورد البيت في اللسان (راي) لمحمد بن نمير الثقفي :

. . . . . بذي الرئي الجميل من الأتان

٣٠ ـ سورة طه ، الآية ١٠٦ .

٣١ ـ لم أهتد الى نسبة البيت .

٣٢ ـ سورة طه ، الآية ١١٩ .

٣٣ ـ البيت في «الديوان» ص ٣ ، الشعر والشعراء ص ٤٦٠ واستشهد به الطبري في « جامع البيان » والطبرسي في «مجمع البيان» .

٣٤ ـ سورة الاعراف ، الآية ١٤٨ .

٣٥ ـ لم نجد البيت فيما نملك من المراجع .

٣٦ ـ سورة طه ، الآية ٤٢ .

٣٧ ـ لم نجد البيت في المراجع التي اعتمدناها .

٣٨ ـ سورة الحج ، الآية ٣٦ .

٣٩ ـ ورد البيت في ديوان زهير ص ١١٤ وفي « الشعر والشعراء » ص ٨٦ وورد في تفسير الطبرسي مستشهداً به .

٤٠ ـ سورة الحج ، الآية ٤٥ .

٤١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» وفي الديوان ص ٨٨ ، وعيون الاخبار ٣/١١٥ ، والشعر والشعراء ص ١٥١ الجمهرة ٣/٤٥ اللسان (كلس) .

٤٢ ـ سورة الرحمن ، الآية ٣٥ .

٤٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، ، أما في «الاتقان» فلم يرد الا البيت الثالث وكذلك في الديوان ص ٣٩ :

يظل يشب كيراً بعد كير وينفخ دائباً . . . . .

وقد ورد البيتان الثاني والثالث في «اللسان» «ش و ط»

٤٤ ـ كذا ورد عجز البيت في « اللسان » ، وفي ديوان حسان ص ٢٤١ ، أما « الاصل المخطوط » والاتقان :

. . . . . لذي الغايات فيسلاً في الحفاظ

٤٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط»، ولم ترد هذه الابيات الثلاثة في «الاتقان». وهي في الديوان ص ٢٤١ .

٤٦ ـ سورة «المؤمنون» ، الآية ١ .

٤٧ ـ كذا في الأصل المخطوط ، والاتقان ، أما في الديوان ص ١٧٧ :

اعقلي ان كنت . . . . . .

٤٨ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٣

٤٩ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، والاتقان ، وفي الديوان ص ٣٠٤ .

٥٠ ـ سورة الرحمن ، الآية ٣٥ .

٥١ ـ كذا في الأصل المخطوط وفي «الاتقان». وقد ورد البيت في «الفائق» ١/٥٤٤ واستشهد به الزمخشري في «الكشاف» وكذلك في الطبرسي وأبي حيان في تفسيريهما .

٥٢ ـ سورة الانسان الآية ٢ .

٥٣ ـ كذا تحقيق البيت في «الهذليين» ٣/١٠٣ وسمط اللآلي ٩٥٧ وهو منسوب لزهير بن حرام الهذلي ، أما في «الاصل المخطوط» و«الاتقان» فهو :

كأن الريش والفوقي منه خلال العسل خالطه مشيح

وقد ورد البيت في «اساس البلاغة» (م ش ح) :

كأن النصل والفوقين منه خلاف الريش سيط به مشيح

٥٤ ـ سورة البقرة ، الآية ٦١ .

٥٥ ـ نسب البيت في تفسير الطبري وتفسير الطبرسي وتفسير أبي حيان لأحيحة بن الجلاح ، أما في «اللسان» فهو لابي محجن .

٥٦ ـ كذا ورد صدر البيت في الاصل المخطوط و «الاتقان» والبحر المحيط لابي حيان . أما في جامع البيان « للطبري » و « مجمع البيان » للطبرسي :

قد كنت أغنى الياس شخصا واحدا . . . . . .

٥٧ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ولم يرد في « الاتقان » وأما في اللسان (ف و م) والديوان ص ٤٨ :

كانت لهم جنة اذ ذاك ظاهرة . . . . . .

٥٨ ـ كذا فى الاصل «الاصل المخطـوط» و «الاتقان» . وليس البيت فى الديوان .

٥٩ ـ سورة النجم ، الآية ٦١ .

٦٠ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم يرد البيت الثالث فى «الاتقان» ، وقد استشهد ابو حيان بالبيت الثاني كما ورد البيت نفسه فى «اللسان» (س م د) . وقد جاء فى «اللسان» قال المبرد : السامد القائم فى تحيّر ، وأنشد البيت .....

٦١ ـ سورة الصافات ، الآية ٤٧ .

٦٢ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و«الاتقان» ، ولم يرد البيت فى «الديوان» .

٦٣ ـ سورة الانشقاق ، الآية ١٨ .

٦٤ ـ كذا فى «الأصل المخطوط» ، و «الاتقان» ، وقد ورد البيت فى الكامل ٥٦٦/٢، وسمط اللآلى ١٠٢/١ وهو من شواهد الكشاف والبحر المحيط ولم يرد البيت فى الديوان .

٦٥ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٥ .

٦٦ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، و «الاتقان» ، وقد ورد البيت فى «الديوان» ص ١٣٢ ، ومعجم الشعراء ٨١ ، والشعر والعراء ص ١٥٣

٦٧ ـ كذا فى « الأصل المخطوط » ، وقد خلا «الاتقان» منهما . وقد خلا الديوان منهما .

٦٨ ـ سورة سبأ ، الآية ١٣ .

٦٩ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، و «الاتقان» . وفى الديوان ص ٨٠ وقد ورد البيت فى مختارات ابن الشجرى ٣٧/٢ :

. . . . . لقرى الاضياف يوماً تحتضر

٧٠ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم يرد فى «الاتقان» . وفى الديوان ص ١٣٤ : . . . . ببناء وسوام وخدم

٧١ ـ سورة الاحزاب ، الآية ٣٢ .

٧٢ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» . وليس البيت فى ديوان الاعشى .

٧٣ ـ سورة الصافات ، الآية ٢٠٤ .

٧٤ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، وقد ورد البيت فى الديوان ص ٩ والبيان والتبيين ١٨٥/٢ .

٧٥ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٢ ٠

٧٦ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، و «الاتقان» ، وقد ورد البيت فى الديوان ص ١٧٤ ٠

٧٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم يرد فى «الاتقان» ٠ والبيت فى الديوان ص ٨ :

أتهجوه ولست له بكفء ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٧٨ ـ سورة الصافات ، الآية ٦٧ ٠

٧٩ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، وقد ورد البيّت فى « الشعر والشعراء » ص ٣٧٢ وفى الديوان ص ٥٢ ٠

٨٠ ـ سورة ص ، الآية ١٦ ٠

٨١ ـ كذا فى الاصل المخطوط ، و «الاتقان» وقد ورد فى الديوان ص ٢١٩ وفى الديوان ، واستشهد به الزمخشرى والطبرسي وأبو حيان :

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ بأمته يعطي القطوط ويأفق

٨٣ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٢٩ ٠

٨٣ ـ كذا فى ديوان الأعشى ص ٢٦٣ أما فى «الاصل المخطوط» :

يا جارنا بيني فانك طالق كذلك امور الناس غادٍ وطارق

٨٤ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» والديوان ٠

٨٥ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» والديوان ٠

٨٦ ـ سورة الحجر ، الآية ٢٦ ٠

٨٧ ـ كذا فى الاصل المخطوط و «الاتقان» ٠

٨٨ ـ سورة الحج ، الآية ٢٨ ٠

٨٩ ـ كذا فى الاصل المخطوط و «الاتقان» ٠ والمدقع الذي لصق بالتراب من الفقر ٠

٩٠ ـ سورة الجن ، الآية ١٦ ٠

٩١ ـ لم نهتد الى القائل ٠

٩٢ ـ سورة النمل الآية ٧ ٠ والبيت الشاهد ليس فى طرفة ٠

٩٣ ـ سورة البقرة ، الآية ١٠ ٠

٩٤ ـ لم نهتد الى القائل ٠

٩٥ ـ سورة المائدة ، الآية ٤٦ ٠

٩٦ ـ كذا فى الاصل المخطوط و «الاتقان» الديوان ص ١٤٨ :

يوم قلت غيرهم منعيرنا ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٩٧ ـ سورة الليل ، الآية ١١ .

٩٨ ـ كذا في الاصل المخطوط و « الأتقان » الديوان ص ٦٤ .

٩٩ ـ سورة القمر ، الآية ٥٤

١٠٠ ـ نسب البيت في الاصل المخطوط ، و «الاتقان» الى «لبيد بن ربيعة» والصحيح أنه لقيس بن الخطيم .

١٠١ ـ كذا في الاصل المخطوط و « الاتقان » وقد ورد في ديوان قيس بن الخطيم :

ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائماً من خلفها ما وراءها

كما ورد البيت في « شرح الحماسة » للمرزوقي ١/١٨٤ ، وفي « شرح الحماسة » للتبريزي ١/١٧٨ ، وخزانة الادب ٣/١٦٨ ، و « تاويل مشكل القرآن » ص ٣٢ .

١٠٢ ـ سورة الرحمن ، الآية ١٠ .

١٠٣ ـ كذا في الديوان ص ٥٦ ، أما في الاصل المخطوط : المسخر . وفي « الاتقان » :

فان تسالينا مِمَّ نحن فاننا . . . . المسخر

وقد ورد البيت في «اللسان» (سحر) ، وأمالي المرتضى ١/٥٧٧ وهو منسوب لامية بن أبي الصلت كما ورد في «الحيوان» للجاحظ ٥/٢٢٩ ، والبيان والتبيين ١/١٩٨ ، ومقاييس اللغة ٣/١٣٨ .

١٠٤ ـ سورة الانشقاق ، الآية ١٤ .

١٠٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» وكذلك في الديوان ص ١٦٩ ، البحر المحيط ٨/٤٤٤ ، التشبيهات ص ٢١٦ ، اللسان (حور) بلوغ الارب ٣/١٣١

١٠٦ ـ سورة النساء ، الآية ٣ .

١٠٧ ـ نسبه ابن هشام في شرح السيرة ١/٣٥٤ الى عبدالله بن الحارث بن قيس ، والبيت من شواهد الزمخشري في «الاساس» (عول)

١٠٨ ـ سورة الصافات ، الآية ١٤٢ .

١٠٩ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، أما في الديوان ص ٥٥ :

. . . . . ولكن المسيء هو الملوم

١١٠ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٣٧ .

١١١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة في «الاتقان» وقد ورد في الديوان ص ٢٧٧ .

١١٢ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٥٢ .

١١٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» أما في جامع البيان والبحر المحيط فقد جاء العجز :

. . . . . فجاس به الاعداء عرض العساكر

والاستشهاد في قوله تعالى « فجاسوا خلال الديار » .

١١٤ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم يرد الشاهد في «الاتقان» ، وقد ورد في « اللسان » (حسّ) :

فما جبنوا أنا نشدّ عليهم ولكن لقُوا ناراً تحسّ وتسفع

وفي(تاج العروس) : «انا نسد عليهم» . والبيت في الديوان ص ٥٧ .

١١٥ ـ سورة البقرة ، الآية ١٧٠

١١٦ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، أما رواية الديوان ص ٢٣ :

فحسبوه فألفوه كما حسبت . . . . . .

١١٧ ـ سورة البقرة ، الآية ١٨٢ .

١١٨ ـ كذا في «الاتقان» وليس البيت في الديوان ، أما في « الاصل المخطوط » :

. . . . . ما بين ما يأتينه جنفا

١١٩ ـ سورة الانعام ، الآية ٤٢ .

١٢٠ ـ كذا في «الاتقان» أما في «الاصل المخطوط» فالبيت منسوب الى يزيد بن عمر وهو من خطأ الناسخ .

١٢١ ـ سورة آل عمران ، الآية ٤١ .

١٢٢ـ كذا في الاصل المخطوط ، أما في الاتقان :

ما في السماء من الرحمن مرتمز . . . . . .

١٢٣ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .

١٢٤ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، و «الاتقان» .

١٢٥ ـ سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

١٢٦ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » .

١٢٧ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

١٢٨ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم يرد البيت في «الاتقان» ولا في «الديوان» .

١٢٩ ـ سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

١٣٠ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، أما في الديوان ص ٤٧ ، و «الاتقان» :

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم الا سرابيل من قطر وأغلال

والبيت من شواهد الطبرسي وابي حيان .

١٣١ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، ولم يرد البيت في «الديوان» ولا في «الاتقان» .

١٣٢ ـ سورة البقرة ، الآية ١١٦ .

١٣٣ ـ كذا في الاصل المخطوط ، ولم يرد البيت في «الاتقان» و«الديوان» .

١٣٤ ـ سورة الجن ، الآية ٣ .

١٣٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط » ، و «الاتقان» ، أما في الديوان ص ٢٧ :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا

فلا شيء أعلى منك مجدا وأمجد

١٣٦ ـ سورة الرحمن ، الآية ٤٤ .

١٣٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، وكذلك في الديوان ص٧٩

١٣٨ ـ سورة الاحزاب ، الآية ١٩ .

١٣٩ ـ كذا في « الاتقان » و « الديوان » ص ١٤٤ ، أما في « الاصل المخطوط » : السلاق .

١٤٠ ـ سورة النجم ، الآية ٣٤ .

١٤١ ـ كذا في « الأصل المخطوط » و « الاتقان » .

١٤٢ ـ سورة الشعراء ، الآية ١١٩ .

١٤٣ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، و « الاتقان » .

١٤٤ ـ سورة القلم ، الآية ١٣ .

١٤٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط » و «الاتقان» ، والبيت من شواهد أساس البلاغة (زنم) .

١٤٦ ـ سورة الجن ، الآية ١١ .

١٤٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

١٤٨ ـ سورة الفلق ، الآية ١ .

١٤٩ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ، والبيت من شواهد «الاساس» (فرج) وليس موجوداً في ديوان زهير .

١٥٠ ـ سورة القيامة ، الآية ١١ .

١٥١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، والبيت من شواهد البحر المحيط ٣٨٢/٨ :

لعمرك ما للفتى من وزر من الموت يدرك والكبتر

١٥٢ ـ سورة الاحزاب ، الآيه ٢٣ .

١٥٣ ـ كذا فى «الاصل المخطوط » و «الاتقـــان» والبيت فى الديوان ص ٢٥٤ ، وهو من شواهد اللسان والتاج (نحب) ، ومن شـــواهد سيبويه ١/٤٠٥ والمغنى ٢/٤ .

١٥٤ ـ سورة الحج ، الآية ٥ .

١٥٥ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ولم ترد المسالة فى «الاتقان» وفى الديوان ص ١٠٧ :

١٥٦ ـ سورة النجم ، الآية ٦ .

١٥٧ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » أما فى « الاتقان » فلم ترد المسالة ، وليس البيت فى الديوان .

١٥٨ ـ سورة النبأ ، الآية ١٤ .

١٥٩ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » وليس البيت فى ديوان النابغة .

١٦٠ ـ سورة القصص ، الآية ٣٥ .

١٦١ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقـــان » ، وليس البيت فـى ديوان النابغة .

١٦٢ ـ سورة الشعراء ، الآية ١٧١ .

١٦٣ ـ كذا فى « المخطوط » و « الاتقان » .

١٦٤ ـ سورة المائدة ، الآية ٩٠ .

١٦٥ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الديـوان » ص ٢٣ ، ولـم تـرد المسالة فى « الاتقان » .

١٦٦ ـ سورة المائدة ، الآية ٢٦ .

١٦٧ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ، والبيت فى معلقـــة امرىء القيس ، انظر « الديوان ص ٩ .

١٦٨ ـ سورة الانعام ، الآية ٤٦ .

١٦٩ ـ كذا فى « الأصل المخطوط » و « الاتقان » .

١٧٠ ـ سورة الانعام ، الآية ٧٠ .

١٧١ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ، أما فى الديوان ص ٣٣ :

. . . . . يوم الوداع فامسى رهنها غلقا

١٧٢ ـ سورة الانعام ، الآية ٧٨ ٠

١٧٣ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الديوان » ص ٢٦١ ، وشرح نهج البلاغة ١٥/٤٠٤ ٠

١٧٤ ـ سورة القلم ، الآية ٢٠ ٠

١٧٥ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ٠

١٧٦ ـ سورة يوسف ، الآية ٨٥ ٠

١٧٧ ـ كذا في « الاصل المخطوط » أما في « الاتقان » :

لعمرك ما تفتأ تذكر خالداً وقد غاله ما غال من قبل تنبع

١٧٨ ـ سورة الاسراء ، الآية ٣١ ٠

١٧٩ ـ كذا في « الاتقان » أما في « الاصل المخطوط » :

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ أعد لأضيافي الشواء المصهبا

١٨٠ ـ سورة النبأ ، الآية ٣٢ ٠

١٨١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «اتقان» ٠

١٨٢ ـ سورة النساء ، الآية ٨٥ ٠

١٨٣ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ، والبيت منسوب فيهما الى « أحيحة الانصاري » والصحيح ما اثبتناه كما انه من شواهد الطبري والزمخشري والطبرسي في تفاسيرهم ٠

١٨٤ ـ سورة مريم ، الآية ٢٤ ٠

١٨٥ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ٠

١٨٦ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ ٠

١٨٧ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، « الاتقان » ٠

١٨٨ ـ سورة النبأ ، الآية ٣٤ ٠

١٨٩ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ٠

١٩٠ ـ سورة العلايات ، الآية ٦ ٠

١٩١ ـ كذا في «الاصل المخطوط » و « الاتقان » ٠

١٩٢ ـ سورة الاسراء ، الآية ٥١ ٠

١٩٣ ـ كذا في « الاتقان » ، أما في الاصل المخطوط :

أتبغض لي يوم الفخار وقد ترى ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

١٩٤ ـ سورة هود ، الآية ٧٨ ٠

١٩٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت في شواهد

الطبري والطبرسي وأبي حيان في تفاسيرهم ورواية البيت :

فجاءوا يُهرَعون وهم أسارى نقودهم على رغم الانوف

١٩٦ ــ سورة هود ، الآية ٩٩ .

١٩٧ ــ كذا في الديوان ص ٢٣ ، وأساس البلاغة (أنف) ، أما في « الاصل المخطوط » :

لا تقذفني بركن لاكفاء له وان تأنفك الاعداء بالرِفَدِ

وفي «الاتقان» :

. . . . . وان تأسفك الاعداء بالرفد

١٩٨ ــ سورة هود ، الآية ١٠١ .

١٩٩ ــ هكذا في « الاصل المخطوط » ، أما في « الاتقان » :

هم جَدَعوا الأنوف فأوعبوها وهم تركوا بني سعد تبابا

وروي البيت في «الديوان» ص ٣٠ وفي «مختارات ابن الشجري» ٢/٣٣ :

. . . . . وهم تركوا بني سعد يبابا

٢٠٠ ــ سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

٢٠١ ــ كذا في «الاصل المخطوط» ، و «الاتقان» .

٢٠٢ ــ سورة هود ، الآية ٢٧٧ .

٢٠٣ــ كذا في «الاصل المخطوط » و «الاتقان» .

٢٠٤ ــ سورة البلد ، الآية ٣٠ .

٢٠٥ ــ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » . والبيت من شواهد الكشاف والبحر المحيط .

٢٠٦ ــ سورة فصلت ، الآية ٣٨ .

٢٠٧ ــ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٢٠٨ ــ سورة الفيل ، الآية ٣ .

٢٠٩ ــ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٢١٠ ــ سورة البقرة ، الآية ١٩١ .

٢١١ ــ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » أما رواية الديوان ص ٩ :

. . . . . جذيمة ان قتلهم شفاء

٢١٢ ــ سورة العاديات ، الآية ٤ .

٢١٣ ــ كذا في « الاتقان » ، والديوان ص ٤ ، أما في «الاصل المخطوط :

عدمنا خيلنا ان لم تردها . . . . . .

٢١٤ ـ سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

٢١٥ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، أما في « الاتقان » :

. . . . . وكان قبولا للهوى ذي الطوارق

٢١٦ ـ سورة الواقعة ، الآية ٢٨ .

٢١٧ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » . والبيت في الديوان ص ٣٦ ، وهو من شواهد البحر المحيط .

٢١٨ ـ سورة الشعراء ، الآية ١٤٨ .

٢١٩ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ، وليس البيت في الديوان .

٢٢٠ ـ سورة النساء ، الآية ٩ .

٢٢١ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » .

٢٢٢ ـ سورة التوبة ، الآية ٨ .

٢٢٣ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » .

٢٢٤ ـ سورة التين ، الآية ٥ .

٢٢٥ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ولم ترد المسألة في «الاتقان» .

٢٢٦ ـ سورة الانبياء ، الآية ١٥ .

٢٢٧ ـ كذا في « الأصل المخطوط » و « الاتقان » ، أما رواية البيت في الديوان ص ٣٤ :

. . . . . فهم بأفنية البيوت هُمود

٢٢٨ ـ سورة الأنبياء ، الآية ٩٦ .

٢٢٨ ـ سورة الانبياء ، الآية ٩٦ .

٢٢٩ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، ولم ترد المسألة في « الاتقان » ، أما الديوان ص ٩٣ :

وأما يومهن فيوم نحس تطاردهن بالحدب الصقور

٢٣٠ ـ سورة الكهف ، الآية ٩٦ .

٢٣١ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، أما في «الاتقان» :

تلظّى عليهم حين أن شدّ حميُها . . . .

ورواية الديوان ص ٢٠١ :

تلظّى عليهم وهي قد شُبّ حميُها . . . .

٢٣٢ ـ سورة الملك ، الآية ١١ .

٢٣٣ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، ولم يرد البيت فى الديوان ـ وقد ورد فى سيرة ابن هشام ٣/٩٠ .

٢٣٤ ـ سورة يونس ، الآية ١٠٥ .

٢٣٥ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» .

٢٣٦ ـ سورة الملك ، الآية ٢٠ .

٢٣٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» و سيرة ابن هشام ٣/٩٠ ولم يرد البيت فى الديوان .

٢٣٨ ـ سورة آل عمران ، الآية ٣٩ .

٢٣٩ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان»

٢٤٠ ـ سورة البقرة ، الآية ٥٥ .

٢٤١ ـ كذا فى «الأصل المخطوط» ولم يرد فى «الاتقان» ولا فى الديوان .

٢٤٢ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٢٥ .

٢٤٣ ـ كذا فى «الأصل المخطوط» ولم يرد فى « الاتقان » .

٢٤٤ ـ سورة الانسان ، الآية ١٠ .

٢٤٥ ـ كذا فى الاصل « الاصل المخطوط » و « الاتقان » . وهو لأمية بن أبى الصلت ، الديوان ص ٣٧ .

٢٤٦ ـ سورة القلم ، الآية ٤٢ .

٢٤٧ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ، أما فى « الاتقان » فقد ورد الشطر الآتي : « قد قامت الحرب بنا على ساق » .

وقد جاء البيت فى « البحر المحيط » :

صبراً أمام الله شرباق وقامت الحرب بنا على ساق

٢٤٨ ـ سورة الغاشية ، الآية ٢٥ .

٢٤٩ ـ كذا فى « الأصل المخطوط » و « الاتقان » و « الشعر والشعراء » ص ١٨٩ .

٢٥٠ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم يرد فى «الاتقان» . جاء فى «اللسان» (ع ص و) : قال ابن برّي : البيت لعبد ربه السلَمي .

٢٥١ ـ سورة يوسف ، الآية ٧٢ .

٢٥٢ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسألة فى «الاتقان» . وقد ورد البيت مع الذي يليه فى الديوان ص ٢١٧ على النحو الآتي :

له درمك في رأسه ومشـارب
ومسك وريحـان وراح تصفق
وحور كأمثال الدمى ومناصف
وقـدر وطباخ وصـاغ وديسق

والدّرْمك يعني التراب الناعم ، والدِيسق ، الخوان من فضـة وهو فارسي معرب .

٢٥٣ ـ سورة النساء ، الآية ٢ .

٢٥٤ ـ كذا في « الأصل المخطوط » و « الاتقان » ، أمـا روايـة الديوان ـ ص ١١٥ :

واني وما كلفتموني وربكم لأعلم من أمسى أعق وأحربا

٢٥٥ ـ سورة النساء ، الآية ٢٥ .

٢٥٦ ـ كذا في «الاصل المخطوط» أما في «الاتقان» :

. . . . . مـع الساعي بغير دخـل

٢٥٧ ـ سورة النساء الآية ٤٩ .

٢٥٨ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » والديوان ص ٦٤ .

٢٥٩ ـ سورة فاطر ، الآية ١٣ .

٢٦٠ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» والديوان ص ٣٦ .

٢٦١ ـ سورة النساء ، الآية ٧١ .

٢٦٢ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ولم يرد البيت في « شرح القصائد العشر » للتبريزي .

٢٦٣ ـ سورة النساء الآية ٨٨ .

٢٦٤ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » و « الديوان ص ٣٦ .

٢٦٥ ـ سورة الاسراء ، الآية ١٦ .

٢٦٦ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» أما رواية الديوان ص ١٦٠ وأساس البلاغة (هبط) :

ان يُغبَطوا يُهبَطوا وان أُمِروا . . . . .

ورواية الاغاني ١٥/١٣٣ :

. . . . . يوماً يصيروا للهُلك والنَفَدِ

ورواية اللسان (هبط) :

. . . . . يوماً يصيروا للهلك والنَفَدِ

٢٦٧ ـ سورة النساء ، الآية ١٠١ .

٢٦٨ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ولم يرد البيت في الديوان.

٢٦٩ ـ سورة المائدة ، الآية ٣ .

٢٧٠ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، ولم ترد المسألة في الاتقان ، وليس البيت في الديوان .

٢٧١ ـ سورة الاعراف ، الآية ٩٢ .

٢٧٢ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » و « الديوان » ص ٣٥ ، وفي « التاج » (سيت) .

٢٧٣ ـ سورة الانعام ، الآية ٩٣ .

٢٧٤ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » .

٢٧٥ ـ سورة النساء ، الآية ١٢٤ .

٢٧٦ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » .

٢٧٧ ـ سورة البقرة ، الآية ٦٨ .

٢٧٨ ـ كذا في « الأصل المخطوط » و « الاتقان » والبيت من شواهد الزمخشري والطبرسي وأبي حيان في تفاسيرهم .

٢٧٩ ـ سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .

٢٨٠ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و «الاتقان» والديوان ص ٥٩ .

٢٨١ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦٧ .

٢٨٢ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و « الاتقان » ، ولم يرد البيت في الديوان .

٢٨٣ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الديوان » ص ١٩ ، ولم يرد في « الاتقان » .

٢٨٤ ـ سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

٢٨٥ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ، وهو من شواهد الطبري .

٢٨٦ ـ سورة الواقعة ، الآية ٣٧ .

٢٨٧ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ولم ترد المسألة في « الاتقان » ، وفي «اليوان» ص ٢٥ .

٢٨٨ ـ سورة الكهف ، الآية ٤٠ .

٢٨٩ ـ كذا في «الأصل المخطوط» و «الاتقان» ، وليس البيت في ديوانه .

٢٩٠ ـ سورة طه ، الآية (١١١) .

٢٩١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة في «الاتقان» ، وليس البيت في ديوان حسان .

٢٩٢ ـ سورة طه ، الآية ١٢٤ .

٢٩٣ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الاتقان » .

٢٩٤ ـ سورة الحج الآية ٢٧ .

٢٩٥ ـ هذا هو الصحيح ، أما رواية « الاصل المخطوط » :

. . . . . بأجساد عاد لهم لا بدار

وفي « الاتقان » :

. . . . . بأجساد عاد لهـا آيدان

٢٩٦ ـ سورة «المؤمنون» ، الآية ٦٧ .

٢٩٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط » ، ولم ترد المسألة في «الاتقان» .

٢٩٨ ـ سورة القمر الآية ١٩ .

٢٩٩ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و « الديوان » (شرح الاعلم الشنتمرى) ص ٩٤ ، ولم ترد المسألة في «الاتقان» .

٣٠٠ ـ سورة الذاريات ، الآية ٧ .

٣٠١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» أما رواية الديوان ص ١٥٩ :

. . . . . لا ينكلون اذا ما استلحموا وحَمُوا

٣٠٢ ـ سورة ص ، الآية ١٨ .

٣٠٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، وفي ديوان الاعشى ص ٢١٣ ، ولم ترد المسألة في « الاتقان » .

٣٠٤ ـ سورة يوسف ، الآية ٨٥ .

٣٠٥ ـ كذا في «الاتقان» ، أما في «الاصل المخطوط » :

أمن ذكر ليلى أربأت غربة بها كأنك جمّ للاطباء مُحرَض

والبيت في « اللسان » (حرض) :

أمن ذكر سلمى غربةً ان نأت بها كأنك جمّ للاطباء مُحرَض

٣٠٦ ـ سورة الماعون ، الآية ٢ .

٣٠٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٣٠٨ ـ سورة المزمل ، الآية ١٨ .

٣٠٩ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٣١٠٠ ـ سورة النمل ، الآية ١٧ ٠

٣١١٠ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠

٣١٢ ـ سورة الاسراء ، الآية ٩٧ ٠

٣١٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠

٣١٤ ـ سورة الكهف ، الآية ٢٩ ٠

٣١٥ ـ كذا في «الاتقان» ، أما رواية الأصل المخطوط :

تبارى بنا العيس السموم كأنها ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٣١٦ ـ سورة الاسراء ، الآية ١ ٠

٣١٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة في «الاتقان» أما رواية الديوان ص ١٠٦ (اوربية) :

أقول لما جاءني فجره سبحان من علقمة الفاجر

٣١٨ ـ سورة المزمل ، الآية ١٦ ٠

٣١٩ ـ كذا في « الاتقان » أما في «الاصل المخطوط» ٠

خزى الحياة وخزى الممات ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٣٢٠ ـ سورة ق ، الآية ٣٦ ٠

٣٢١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و«الاتقان» ولم يرد البيت في «الديوان» ٠ وهو من شواهد «الكشاف» و «البحر المحيط» ٠

٣٢٢ ـ سورة طه ، الآية ١٠٨ ٠

٣٢٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، وفي «سمط اللآلي» ص ٤٣٨ ان البيت لأبي زبيد ٠

٣٢٤ ـ سورة يوسف ، الآية ٣٠ ٠

٣٢٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة في الاتقان ، وليس البيت في ديوان النابغة الذبياني ٠

٣٢٦ ـ سورة يس ، الآية ٨ ٠

٣٢٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» والبيت لبشر بن أبي خازم « الشعر والشعراء ١٩١ » ، وانظر ديوان بشر ص ٤٨ ، وانظر «اللسان» (قمح) ٠ والابل القماح : التي ترفع رءوسها وتغض أبصارها عند الحوض ولا تشرب الماء لشدة برده أو لعلة اخرى ٠

٣٢٨ ـ سورة ق ، الآية ٥ ٠

٣٢٩ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» اما في « سمط اللآلى » ص ٩٥٧ وديوان الهذليين ٣/١٠٣ :

فراغت فالتمست بها حشاها . . . . . .

والبيت كما في « سمط اللآلى » للداخل زهير بن حزام أحد بني مرة . وهـذا قـول الأصمعي . وفي «ديوان الهذليين» : روى السكري عن الجمحي وابى عمرو وابن الاعرابى أنها لعمرو بن الداخل .

٣٣٠ ـ سورة النبأ ، الآية ١٤ .

٣٣١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة في «الاتقان» . والبيت في «اللسان» «حنم» :

سقى أم عمرو كل آخر ليلة حنانٌ سحمٌ ماؤهن ثجيج

٣٣٢ ـ سورة الاسراء ، الآية ٢٩ .

٣٣٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة في «الاتقان» .

٣٣٤ ـ جاء في « اللسان » (كذب) : وفي حديث عمر رضى الله عنه : كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم ، قال ابن السكيت : كأن كذبن ، ههنا اغراء أي عليكم بهذه الاشياء الثلاثة . قال : وكأن وجهه النصب على الاغراء ، ولكنه جاء شاذاً مرفوعاً ، وقيـل معنـاه وجب عليكـم الحج ، وهناك أقوال اخرى في شرح هذه العبارة .

٣٣٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسالة في «الاتقان» . وفي « اللسان » (قرطف) البيت منسوب الى معقّر بن حمار البارقي . والقراطف : الفُرُش المتحملة ، والقروف جمع قرف وهو وعـاء من أدم .

٣٣٦ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، ولم يرد في «الاتقان» . وفي «اللسان» (كذب) ان البيت لعنترة يخاطب زوجته وليس للهذلي كما في «الاصل المخطوط» .

٣٣٧ ـ سورة الحاقة ، الآية ٧ .

٣٣٨ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسالة في «الاتقان» ، والبيت في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٥٥ .

٣٣٩ ـ سورة مريم ، الآية ٧١ . والبيت الشاهد في ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٥٤ .

٣٤٠ ـ سورة الواقعة ، الآية ٢٢ ٠

٣٤١ ـ كذا في الاصل المخطوط ، ولم ترد المسالة في « الاتقان » ٠ وليس البيت في ديوان الاعشى ٠

٣٤٢ ـ سورة الانسان ، الآية ١٣ ٠

٣٤٣ ـ كذا في الأصل المخطوط ، ولم ترد المسالة في «الاتقان» ، ورواية البيت في الديوان ص ٩٥ :

مبتلّة الخلق مثل المهـــا ولم ترَ شمساً ولا زمهريرا

٣٤٤ ـ سورة الفرقان ، الآية ٢٥ ٠

٣٤٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت في الديوان ص ١٩٠، وهومنسوب في «اللسان» (غرم) الى الطرماح٠ وورد فيمعجم البلدان (الجفار) ٠

٣٤٦ ـ سورة ابراهيم ، الآية ١٥ ٠

٣٤٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسالة في «الاتقان» ٠

٣٤٨ ـ سورة الطارق ، الآية ١٤ ٠

٣٤٩ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسالة في «الاتقان» ٠

٣٥٠ ـ سورة الطارق ، الآية ٧ ٠

٣٥١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» واختلف في نسبة البيت فقيل هو أبو بكر بن السمور بن مخرمة الزهري وقيل هـــو الحارث بن خالد المخزومي او بعض القرشيين من السبعة المعدودين من شعراء العرب ٠ انظر الاغاني ٨/٣٢٣ والبيت من شواهـــد مجمع البيان والبحر المحيط ٠

٣٥٢ ـ سورة الفتح ، الآية ١٢ ٠

٣٥٣ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و «الاتقان» ٠

٣٥٤ ـ سورة الواقعة الآية ١٥ ٠

٣٥٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسالة في «الاتقان» وليس البيت في ديوان حسان ٠

٣٥٦ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٠٤ ٠

٣٥٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ وورد البيت في اساس البلاغة (عـلـق) وقال : قال المبرد : من رواه بالعين (معلاق) فمعناه اذا علق خصماً يتخلص منه ٠ ومن رواه بالغين (مغلاق) فتاويله

انه يغلق الحجة على الخصم وروى البيت بالروايتين ·

٣٥٨ ـ سورة هود ، الآية ٦٩ ·

٣٥٩ ـ كذا «في الاتقان » أو في «الاصل المخطوط » :

لهم راح وفدر المسك فيهم وشاويهم اذا شاءوا حنيذا

٣٦٠ ـ سورة يس ، الآية ٥١ ·

٣٦١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» · والبيت في « سيرة ابن هشام » ١٦/٤ :

حتى يقال اذا مروا على جدثي ارشدّه الله من غاز وقد رشدا

٣٦٢ ـ سورة المعارج ، الآية ١٩ ·

٣٦٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» · وليس البيت في « ديوان بشر » ·

٣٦٤ ـ سورة ص ، الآية ٣ ·

٣٦٥ ـ كذا في «الاتقان» أما في «الاصل المخطوط » :

· · · · · · وقد تبت عنها والمناص بعيد

وليس البيت في « ديوان الاعشى » ·

٣٦٦ ـ سورة القمر ، الآية ١٣ ·

٣٦٧ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و «الاتقان» ·

٣٦٨ ـ سورة مريم ، الآية ٩٨ ·

٣٦٩ ـ كذا في «الاتقان» أما في «الاصل المخطوط» :

· · · · · · ينتابه الصوت ما في سمعه كذب

والبيت لذي الرمة « الديوان » ص ٢١ ·

٣٧٠ ـ سورة القيامة ، الآية ٢٤ ·

٣٧١ ـ كذا في « الاصل المخطوط » و «الاتقان» ·

٣٧٢ ـ سورة «يس» ، الآية ٥١ ·

٣٧٣ ـ كذا «اللسان» (نسل) ، ولم ترد المسالة في «الاتقان» ، أما في « الاصل المخطوط » :

عسلان الذئب امسى مازنا · · · · · · ·

٣٧٤ ـ سورة الشعراء ، الآية ٤ ·

٣٧٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسالة في «الاتقان» ·

٣٧٦ ـ سورة النجم ، الآية ٢٢ ·

٣٧٧ ـ كذا فى «الاتقان» أما فى «الاصل المخطوط» :

ضانت بنو أسد بحكمهم . . . . . .

وليس البيت فى ديوان امرىء القيس ، وهو من شـواهـد أبى حيان فى البحر المحيط .

٣٧٨ ـ سورة الاحزاب ، الآية ٥٣ .

٣٧٩ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ، ولم ترد المسالة فى «الاتقان» . ولم نهتـد لقـائل البيت . وأغلب الظن أن « المزادة » صحفت الى « المحالة » .

٣٨٠ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

٣٨١ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٣٨٢ ـ سورة لقمان ، الآية ٣٢ .

٢٨٣ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٣٨٤ ـ سورة سبأ ، الآية ١٢ .

٣٨٥ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » .

٣٨٦ ـ سورة سبأ ، الآية ١٦ .

٣٨٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٣٨٨ ـ سورة فاطر ، الآية ٢٧ .

٣٨٩ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٣٩٠ ـ سورة الزمر ، الآية ٤٥ .

٣٩١ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، وفى «شرح القصائد العشر» للتبريزي ٢٢٧، والبيت من شواهد أبى حيان فى «البحر المحيط» . والعشوزنة الصلبة القويمة .

٣٩٢ ـ سورة الزخرف ، الآية ٢٢ .

٣٩٣ ـ سورة الحجرات ، الآية ٤٤ .

٣٩٥ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ، والبيت فى ديوان الحطيئة ص ٧ .

٣٩٦ ـ سورة الواقعة ، الآية ٥٥ .

٣٩٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسالة فى «الاتقان» . والبيت فى الديوان ص ١٠٢ ، وفى «أساس البلاغة» (عرف) .

٣٩٨ ـ سورة عبس ، الآية ٣١ .

٣٩٩ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ٠

٤٠٠ ـ سورة الحاقة ، الآية ، ١٤ ٠

٤٠١ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسالة فى «الاتقان» ٠ والبيت فى الديوان ص ٩٢ ٠

٤٠٢ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٣٥ ٠

٤٠٣ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت فى الديوان ص ٢٨ ٠

٤٠٤ ـ سورة النحل ، الآية ١٠ ٠

٤٠٥ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت فى الديوان ص ٢١٣ ، والحيوان ٣/٤٨٤ ٠

٤٠٦ ـ سورة الرحمن ، الآية ٥٦ ٠

٤٠٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسالة فى «الاتقان» والبيت فى (اللسان) (طمث) منسوب الى الفرزدق وهو :

وَقَعن اليَّ ، لم يَطمِثن قبلى فهن أصح من بيض النعام

٤٠٨ ـ سورة نوح ، الآية ١٣ ٠

٤٠٩ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت فى ديوان الهذليين ١/١٤٣ ، و «أساس البلاغة » (نوب) ومفردات الراغب ص ١٨٩ والبيت من شواهد الطبرسي والزمخشري وابى حيان ٠
والنوب : النحل تنوب الى الخلايا ٠

٤١٠ ـ سورة البلد ، الآية ١٦ ٠

٤١١ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠

٤١٢ ـ سورة ابراهيم ، الآية ٤٣ ٠

٤١٣ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ٠ والبيت فى « أساس البلاغة » (هطع) :

تعدّني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لى مطيع ومُهطع

والبيت أيضا من شواهد أبى حيان فى «البحر» ٠

٤١٤ ـ سورة مريم ٦٥ ٠

٤١٥ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠

٤١٦ ـ سورة الحج ، الآية ٢٠ ٠

٤١٧ ـ كذا فى «اللسان» (سطل) أما فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» :

سخنت صهارته فظل عثانه فى سيطل كفيت به يترد

والبيت للطرماح . والعثان الدخان ، والسيطل الطست .

٤١٨ ـ سورة الزخرف ، الآية ٨١ .

٤١٩ ـ كذا فى الاصل المخطوط ، ولم ترد المسألة فى «الاتقان» .

٤٢٠ ـ سورة القصص ، الآية ٧٦ .

٤٢١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و«الاتقان» .والبيت مما نسب لامرىء القيس انظر ذيل الديوان ص ٤٦٥ ، وفى شرح درة الغواص ص ١٣ ، وورد فى «الاغاني» ١٩١/١١ للحارث فى عائشة بنت طلحة .

٤٢٢ ـ سورة الانعام ، الآية ١٤٢ .

٤٢٣ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى « الاتقان » ، أما البيت فى فى الديوان ص ٤٥ :

ليتنى كنت قبل ما قد بدا لي فى رؤوس الجبال أرعى الوعولا

٤٢٤ ـ سورة الانعام ، الآية ٤٥ .

٤٢٥ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» . والبيت فى ديوان زهير ص ٤٩ .

٤٢٦ ـ سورة الاعراف ، الآية ١٩٩ .

٤٢٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» .

٤٢٨ ـ سورة الانفال ، الآية ١٢ .

٤٢٩ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» . والبيت فى ديوان عنترة ص ١٨٠ .

٤٣٠ ـ سورة الانفال ، الآية ٣٠ .

٤٣١ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ، وليس البيت فى « ديوان حسان » .

٤٣٢ ـ سورة البقرة ، الآية ١٣٣ .

٤٣٤ ـ كذا فى «اصل المخطوط» و «الاتقان» .ولم يرد البيت فى الديوان .

٤٣٥ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٠٥ .

٤٣٦ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» .

٤٣٧ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦٦ .

٤٣٨ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٤٣٩ ـ سورة البقرة ، الآية ١٧١ ٠

٤٤٠ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد فى «الاتقان» ٠ وعجز البيت فى «اللسان» (نعق) ، والبيت فى الديوان ص ١٦٢ :

هضيم الكَشح ما غُذِيت ببؤس ولا مدت بناحية الرباق

الرباق : جمع ربقة وهى الحلقة تشد بها البهائم

٤٤١ ـ سورة النساء ، الآية ٦٥ ٠

٤٤٢ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠ والبيت فى ديوان زهير ص ١٠٧ ٠

٤٤٣ ـ سورة النساء ، الآية ١٠٠ ٠

٤٤٤ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠

٤٤٥ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ ٠

٤٤٦ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » ٠

٤٤٧ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ ٠

٤٤٨ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠

٤٤٩ ـ سورة المائدة ، الآية ٢٩ ٠

٤٥٠ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠

٤٥١ ـ سورة القلم ، الآية ٣ ٠

٤٥٢ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت فى ديوان زهير ص ٤٩ ٠

٤٥٣ ـ سورة الفجر ، الآية ٩ ٠

٤٥٤ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت فى ديوان امية بن أبى الصلت ص ٦٣ ٠

٤٥٥ ـ سورة الفجر ، الآية ٢٠ ٠

٤٥٦ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت فى « خزانة الادب» ٢/٢٥٦ ، وليس فى ديوان امية ٠

٤٥٧ ـ سورة الكوثر ، الآية ١ ٠

٤٥٨ ـ سورة الكوثر الآية ، ١ ، ٢ ٠

٤٥٩ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠ وليس البيت فى ديوان حسان ٠

٤٦٠ ـ سورة الفلق ، الآية ٣ ٠

٤٦١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» . وليس البيت في ديوان زهير .

٤٦٢ ـ سورة البقرة ، الآية ١٥ .

٤٦٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» . والبيت في «ذيل الديوان» ص ٢٤٤ .

٤٦٤ ـ سورة البقرة ، الآية ١٠

٤٦٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» .

٤٦٦ ـ سورة البقرة ، الآية ٥٤ .

٤٦٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» . والبيت في «بلوغ الارب» ٢/١٧٠ ، والبحر المحيط ٨/٣٨ .

٤٦٨ ـ سورة البقرة ، الآية ٢ .

٤٦٩ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» والبيت من شواهد البحر المحيط (ريب) .

٤٧٠ ـ سورة البقرة ، الآية ٣ .

٤٧١ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسالة في «الاتقان» .

٤٧٢ ـ سورة البقرة ، الآية ٧ .

٤٧٣ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» . والبيت في الديوان ص ٣٥ ، والمختار من شعر بشار ص ١٤٣ .

٤٧٤ ـ سورة البقرة ، الآية ٦٩ .

٤٧٥ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ولم ترد المسالة في «الاتقان» . ولم نستطع تخريج البيت أو تقويمه .

٤٧٦ ـ سورة الحج ، الآية ١٨٩ .

٤٧٧ ـ كذا في «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسالة في «الاتقان» .

٤٧٨ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

٤٧٩ ـ كذا في «الاصل المخطوط» و «الاتقان» . والبيت في ديوان أوس ص ٨٦ .

٤٨٠ ـ سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .

٤٨١ ـ كذا في « الاصل المخطوط » ، ولم ترد المسالة في « الاتقان » . والبيت في ديوان عدي بن زيد ص ١٢٥ :

وكان ملوك الروم تجبى اليهم قناطير مال من خراج وزائد

٤٨٢ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ ٠

٤٨٣ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠ وفى البيت جاء ذكر «خفاف» وهو « خفاف بن نُدْبة » الذى كان بينه وبين العباس بن مرداس مهاجاة انتهت الى انهما احتربا ٠ انظر « الشعر والشعراء » ص ٦٣٢ ٠

٤٨٤ ـ سورة آل عمران ، الآية ١١٧ ٠

٤٨٥ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» والبيت فى ديوان النابغة ص ١٠٠ :

لا يبرمون اذا ما الافق جلله برد الشتاء من الامحال كالادم

٤٨٦ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٢١ ٠

٤٨٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» ٠ والبيت فى الديوان ص ١٢٣ :

وما جعل الرحمن بيتك فى العلى باجياد شرقي الصفا والمحرم

٤٨٨ ـ سورة آل عران ، الآية ١٤٦ ٠

٤٨٩ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ولم ترد المسألة فى « الاتقان » وليس البيت فى الديوان ٠

٤٩٠ ـ سورة النساء ، الآية ٤٣ ٠

٤٩١ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠ وليس البيت فى ديوان لبيد ٠

٤٩٢ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ٠ وليس البيت فى ديوان الاعشى ٠

٤٩٣ ـ سورة النساء ، الآية ٤٩ ٠

٤٩٤ ـ كذا فى « الأصل المخطوط » ولم ترد المسألة فى « الاتقان » ٠ وليس البيت فى ديوان امية بن أبى الصلت ٠

٤٩٥ ـ سورة المائدة ، الآية ١ ٠

٤٩٦ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠ والبيت فى الديوان ص ٣٤٩ :

أهل القباب الحمر والنعَم الموبَّل والقنابل ٠

٤٩٧ ـ سورة المائدة ، الآية ٣ ٠

٤٩٨ ـ كذا فى « الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ٠

٤٩٩ ـ سورة المائدة ، الآية ٣ ٠

٥٠٠ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» · والبيت ديوان الحطيئة ص ٢٢٧ :

لا يزجر الطير ان مرت به سنحا ولا يفيض على قسّم بازلام

٥٠١ ـ سورة المائدة ، الآية ٣ ·

٥٠٢ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» و «الاتقان» · والبيت فى الديوان ص ١٤٩ ، واستشهد به الطبري والطبرسي ·

٥٠٣ ـ سورة المائدة ، الآية ١٢ ·

٥٠٤ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ، ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ·

٥٠٥ ـ سورة الانعام ، الآية ٣٥ ·

٥٠٦ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ، ولم ترد المسألة فى « الاتقان » · ورواية البيت فى الديوان ص ١٨٣ :

قدس لها على الانقاء عمراً بشكته وما خشيت كمينا

٥٠٧ ـ سورة الانعام ، الآية ١١٢ ·

٥٠٨ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ولم ترد المسألة فى « الاتقان » · وليس البيت فى ديوان أوس بن حجر ·

٥٠٩ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ، ولم يرد البيت فى ديوان زهير ·

٥١٠ ـ سورة الانعام ، الآية ١١٣ ·

٥١١ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » و « الاتقان » · والبيت فى ديوان لبيد (متفرقات) ص ٣٤٩ ·

٥١٢ ـ سورة الاعراف ، الآية ٧١ ·

٥١٣ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ولم ترد المسألة فى « الاتقان » ·

٥١٤ ـ سورة الاعراف ، الآية ١٣٣ ·

٥١٥ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ولم نهتد الى تقويم البيت·

٥١٦ ـ سورة الاعراف ، الآية ١٦٠ ·

٥١٧ ـ كذا فى «الاصل المخطوط» ولم ترد المسألة فى «الاتقان» · والبيت فى الديوان ص ١٠٠ ·

٥١٨ ـ سورة طه ، الآية ١٥ ·

٥١٩ ـ كذا فى « الاصل المخطوط » ولم ترد المسألة فى «الاتقان» ·

مراجع التحقيق

١ ـ الاتقان للسيوطي (ط القاهرة سنة ١٣١٨هـ) ٠
٢ ـ أساس البلاغة للزمخشري (ط مصر سنة ١٣٤١هـ) ٠
٣ ـ الاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (ط مصر سنة ١٩٠٧م) ٠
٤ ـ أمالي المرتضى (ط القاهرة سنة ١٩٥٤م) ٠
٥ ـ أمالي أبي علي القالي (ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦م) ٠
٦ ـ البحر المحيط لابي حيان (ط القاهرة سنة ١٣٢٨هـ) ٠
٧ ـ بلوغ الأرب للآلوسي (ط القاهرة سنة ١٣٤٣هـ) ٠
٨ ـ البيان والتبيين للجاحظ (ط ٠ هارون سنة ١٩٤٨ـ١٩٥٠م) ٠
٩ ـ تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي (ط بولاق) ٠
١٠ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (القاهرة ط الحلبي سنة ١٩٥٤م)٠
١١ ـ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ط بولاق ١٣٢٣ـ١٣٢٩هـ)٠
١٢ ـ الجمهرة لابن دريد (ط حيدرآباد) ٠
١٣ ـ حلية الاولياء للاصفهاني (ط مصر ١٣٥١هـ) ٠
١٤ ـ الحيوان للجاحظ (ط الحلبي) ٠
١٥ ـ خزانة الادب للبغدادي (ط بولاق) ٠
١٦ ـ ديوان الاعشى (ط القاهرة ت محمد محمد حسين) ٠
١٧ ـ ديوان امرىء القيس (القاهرة ط دار المعارف) ٠
١٨ ـ ديوان امية بن أبي الصلت (بيروت ط المكتبة الاهلية) ٠
١٩ ـ ديوان أوس بن حجر (بيروت ط صادر) ٠
٢٠ ـ ديوان بشر بن أبي خازم (دمشق سنة ١٩٦٠م) ٠
٢١ ـ ديوان حسان بن ثابت (مصر ط المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٢٩م) ٠
٢٢ ـ ديوان الحطيئة (ط مصر مصطفى البابي الحلبي) ٠
٢٣ ـ ديوان ذي الرمة (ط كمبردج ١٩١٩م) ٠
٢٤ ـ ديوان زهير (شرح ثعلب) ط دار الكتب المصرية ١٩٤٤ وشرح الأعلم الشنتمري (ط المكتبة التجارية في القاهرة) ٠
٢٥ ـ ديوان طرفة بن العبد (ط القاهرة مكتبة الانجلو) ٠
٢٦ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة (ط الميمنية سنة ١٣١١هـ و ط السعادة ١٣٧١هـ) ٠
٢٧ ـ ديوان عنترة بن شداد (ط المكتبة التجارية الكبرى في القاهرة) ٠
٢٨ ـ ديوان قيس بن الخطيم (بغداد ١٩٦٢م)

٢٩ ـ ديوان لبيد (الكويت سنة ١٩٦٢م) ٠
٣٠ ـ ديوان النابغة (بيروت ط المكتبة الاهلية) ٠
٣١ ـ ديوان الهذليين (ط دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ) ٠
٣٢ ـ سمط اللآلى للبكرى (ط دار الكتب المصرية ١٩٣٦م) ٠
٣٣ ـ سيرة ابن هشام (ط حجازي القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ٠
٣٤ ـ شرح حماسة أبى تمام للتبريزي (ط القاهرة سنة ١٢٩٦هـ) ٠
٣٥ ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقى (القاهرة ١٩٥١ ـ١٩٥٣م) ٠
٣٦ ـ شرح المعلقات للتبريزي (ط السلفية بمصر ١٣٤٣هـ) ٠
٣٧ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ط البابي الحلبى فى القاهرة) ٠
٣٨ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة (بيروت دار الثقافة) ٠
٣٩ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة (ط دار الكتب المصرية) ٠
٤٠ ـ الفائق فى غريب الحديث للزمخشري (ت ابى الفضل ابراهيم) ٠
٤١ ـ الكامل للمبرد (ت زكي مبارك ومحمود شاكر) ٠
٤٢ ـ الكتاب لسيبويه (ط بولاق ١٣١٦هـ) ٠
٤٣ ـ الكشاف للزمخشري (ط البهية مصر ١٣٤٣هـ) ٠
٤٤ ـ لسان العرب لابن منظور (ط بولاق ١٣٠٠هـ) ٠
٤٥ ـ مجمع البيان للطبرسي (ط بلاد العجم) ٠
٤٦ ـ مختارات ابن الشجري (ط الاعتماد بمصر ١٣٤٤هـ و ط بولاق سنة ١٣٠٦هـ) ٠
٤٧ ـ المختار من شعر بشار (ط الاعتماد بمصر ١٣٥٣هـ) ٠
٤٨ ـ معجم البلدان لياقوت الرومى (ط وستنفلد) ٠
٤٩ ـ معجم الشعراء للمرزباني (مع المؤتلف والمختلف للآمدي ط القدسى ١٣٥٤هـ) ٠
٥٠ ـ معجم غريب القرآن لفؤاد عبدالباقي (القاهرة ١٩٥٠م) ٠
٥١ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن لفؤاد عبدالباقي (ط دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ) ٠
٥٢ ـ معجم مقاييس اللغة لاحمد بن فارسى (القاهرة ١٣٦٦هـ) ٠
٥٣ ـ مفردات غريب القرآن ٠ (ط البابى الحلبي فى القاهرة) ٠
٥٤ ـ نزهة الالباء لابن الانباري (بغداد ١٩٥٩م) ٠
٥٥ ـ نكت الهميان (ت أحمد زكي القاهرة ١٩١٠م) ٠